المقتبس

لابن حيّان القرطبيّ

(الجزء الخامس)

اعتنى بنشره ب . شالميتا

بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع
ف . كورينطي و م . صبح وغيرهما

المعهد الاسباني العربي للثقافة
كلية الآداب بالرباط
مدريد ـ ١٩٧٩

[ذِكْـر النِّســـاء]

... الزائدة الحُظوة على جَماعتهنّ لديه مُرجان (I) أَمَتُها أُمّ أكْرَ[م] وُلْده الذُكور الحَكَم وليّ عهْده وشقيقَيْه (2) عُبَيْد الله وعبد العزيز ، الفائزة منه بثُلُث العِدّة المُتكامِلة من بَنِيه . المُتميِّزة عن جميع ضَرّاتها بوِلادة الحَكَم بِكْره الحاظي بوِلاية عَهْده ووِراثة سُلْطانه من بَعْدِه ، فرقّاها مَوْلاها الناصر لدين الله بمَتانة أَسْبابهـا وعَزِيّة رُجْحانها فوق مَرْتَبة جميعهنّ وسـمّاها السّيدة الكُبْرى دونهنّ ، وذلك عِندما اتّضَعَتْ لديه مَنْزلة حُرّته القُرَشيّة الفَذّة في نِسائه بالحُرّيّة التي تَخَطّتْ (3) جماعة نسائه إليها ، فاطمة بنت أخي جَدّه المُنْذِر بن محمّد الأمير ، وكان قد احْتَباها لقَرابتها وكَلِف بـها وَمتّعها حقلاً لها ، وأَجْرَتْ (4) مُرجان نعيم أُمّهات أولاده عَقِبَها فأَلْهَجَها بحَسادتها بالسِعاية عليها وأَجَدّتْ في ذلك فوجدَتْها (5) من الإعجاب بنَفْسها والازْدِهاء لشَرَفها والثِقة بابن عمّها والتعاظُم بأبيها بمكان جَهالة أرصدَتْ

(I) « بغية الملتمس » للضبي ص 18 . مرْجان . وفي « نفح الطيب » للمقري ج I ص 232 وفي « ازهـار » ج 2 ص 205 مُرْجانة . وفي « البيـان » لابن عذاري ج 2 ص 233 مَهْرَجان .

(2) م . « شقيقه » .

(3) م . « تخطى » .

(4) م . « اجرى » .

(5) م . « وجد بها » .

منه لكِيادها ، وخَزِيَتْ لاستِذْلالها عِنْد مليكها حتّى أصابتْ من ذلك غِرّتها فهَوَتْ لدى الخليفة مَعْلاتها (6) إلى الحضيض هُويًّا لم تَسْتَقِلْه في دَهْرِها . وتَفَرَّدتْ مُرجان بالأثَرة والقِيادة من بَعْدِها . وصارتْ (7) عُقْبى ضَرّتها القُرَشيّة أن اعْتَزلها الناصر لدين الله وأرْجأها متروكةً في عِصْمته سابغة القَسْم من نِعمته إلى أن تُوفّيتْ في حَياته ، وله منها وَلَد من عُظماء وُلْده العشرة يُسَمّى المُنْذِر اسمَ الأمير جَدّه لأمّه ، كان أحد التسعة الذين ورثوا أباهم الناصر لدين الله بعد من باد في حَياته . وهَلَكتْ ضَرّتها الساعية عليها مُرجان فـ[ي حياته] باقية الأثَرة شامخة الغُرّة مُنفرِدة بـ[أيْسَر] السِيادة ... جميع سِنِي حياته المُمْتدّة ، وانتقلت الأثَرة بعدها والإحْظاء إلى المُسمّاة بمُشْتاق الـ[مُدبّر]ة لأمْر الناصر لدين الله ، أمّ أصْغَر أولاده المُغيرة ، الغالبة على أمْره (8) آخِرَ عُمْره ، أراد فَضْله على انتباء منه المُغيرة صغيره ، وضاح هَوَى الشَيْخ في آخِر نِسْوته لا يُقاد بمِزْوَد ، فكان [ابنه]ـا آخِرَ مَنْ أثَره من الفَريقَيْن وغلب عليه من البَشَر إلى أن مضى لسبيله ، رحمه الله .

[رواية القبشيّ لحِيلة مُرجان]

وقد ذكر الفقيه الحسن [بن محمّد] بن مُفرّج القُبّشيّ وَجْ[ه] / الحِيلة التي أُوطِئَتْ بها (٩) مُرجان أمّ الخليفة الحَكَم بن الناصر لدين الله على ضَرّتها القُرَشية ، ابنة المُنْذر ، فسَلَبَتْها مَنْزِلتَها عند الناصر لدين الله ، وأوْرَثتْها هَجْره آخِر دَهْره ، في كِتابه في [أخبـ]ـار خُلَفاء المَرْوانيّة (*) .

(6) هـ . « فعلتها » .
(7) هـ . « صار » .
(8) هـ . « أولاده » .
(9) قد تكون « أوطئ » كما يبدو في المخطوط .
(*) لا يذكر القبشي في المصادر والمراجع غير « كتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء » . انظر كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 3 ص 250 و ج 13 ص 380 .

فقال : « حدّثني طَلا[ل] الكاتب الخَصِيّ الصِقْلَبيّ القَصْريّ (2) وكان من فُهماء الخُـدّام الصَقالِبـة وعُقَلائهم وثِقاتهم المُتصرِّفين في خِدْمة الحَرَم ، قال : « كانت السـيّدة الكبرى مُرجـان أُمّ الخليفـة الحَـكَم من السَرِيّات المُفَضَّلات (3) عليهنّ لفَضْل أدَب كـان لها ورَشاقة حَرَكة يستحسنها مولاها الناصر لدين الله منها ، فلا يزال كذلك يَسْتَدْنيهـا كثيراً ويُعْجَب بخِدْمتها ويُكْثِر تقريبَها وتُعجِبه (4) لَباقتها وقد كانت أُوتِيَتْ من اللّبابة والفَطـانة واللُطْف والحَلاوة وجَـمال الصُورة وعُذوبة المَنْطِق ومَـلاحة الإشـارة وحَلاوة (5) الخليقة أفْضَلُ ما أُ[و]تِيَتْهُ أُنْثى ، فكانت (6) صَواحِبها (7) يَسْتَحْسِـدْنَها (8) ذلك ويُنافِسْنَهـا فيه (9) فتَتَقَوّى (10) باسـتعمال ذلك وتَتَرَقّى ، وتَزْداد به عند الناصر لدين الله حُظوةً إلى أن عَزَّتْهُنّ جميعـاً واعْتَلَتْ على عظيمتهنّ الحُرّة القُرَشيّة ، فنالَتْ ذِروة السيادة وتفرّدتْ بأثَرة الخليفة مولاها ، وكان السبب في إيثاره لها على سيّدتها ابنة عمّه القُرَشيّة بنت الأمير المُنْذِر وجميع حَظاياه أنّه انفرد يومـاً لراحته في بعض رِياض القصر بمَن اسْتَدْعى مِن جَوارِيه ، فقضى وَطَراً من لذّته وطرِب إلى التحوُّل الى حُرّته السيّدة القُرَشيّة بنت الأمير المُنْذِر عمّ أبيه ، وكانت من سَرَوات النساء قد شُغِف بها لأوّل خِـلافته قَبْلَ مَن اسْتَحْظاه [بَعْدُ] من كرائمه لمّا كانت مِن أوّل نسائه ، تَزَوَّجها بقصر الخلافة إذ كان مَسْكِنه فيه في كَنَف جَدّه الأمير عمّها ، تَبَنّاها بعد مَهْلَك أخيه المُنْذِر والِدها وكَفَلها وأسْكَنَها معه وأحسنَ إليها ، فنَكَحَها الناصر لدين الله لمّا صار الأمرُ إليه وحَظِيَتْ

(2) أول حرف غير منقط ، قد تكون « بصري » أو « نصري » .
(3) كذا في الأصل والأصح « المُفضَّل » .
(4) م. « يعجبه » .
(5) م. « أخلاوة » .
(6) م. « فكان » .
(7) م. « صَواحِباتها » وهي لغة غريبة مع انها فصيحة .
(8) لا ترد في القواميس .
(9) م. « ينفسنه عليها » .
(10) م. « فيعرى » .

عِنْده ووُلِدَ له منها ابنه أبو الحَكَم المُنْذِر بن عبد الرحمٰن المعروف إلى اليوم بآبن القُرَشيّة هو ونَسله . وكانت مِن أكرم عقائل بَني أُميّة وأَسْراهم إلّا فيما لا تَسْلَم النِساء فيه من ضُعْف الرأي وغِلَظ الحِجاب » .

3 / قال : فلمّا أن تَشوَّقَها الناصر لدين الله في يوم سروره ذلك دعا ببَعْض الوَصائِف القَوّامات فقال لها : « انْطَلِقِي إلى السيّدة الكبرى بعَيْنِها فأبْلغِيها سَلامَنا وعَرِّفِيها أنّا ضُيوفُها الليْلَةَ فَلْتَسْتَعِدَّ لنا ، إن شاء الله » . قال : فانطلقتْ إليها الوصيفة فأبلغَتْها رِسالة الخليفة فاهْتَشَّتْ لها وقالت : « يا مَرْحباً بسيّدي وأهلاً وكَرامةً ورَحَباً ، حَبّذاها مِن بُشْرى أنا لَها ساعية وبعَرْجِها طائرة » وأمرَتْ للوصيفة بجائزة سنيّة ، وقد اتّفق أن صادفتْ مُتحمِّلة الرسالة عِنْدها جماعة من كرائم الخليفة الناصر لدين الله وأُمّهات أولاده حُضوراً ، فيهنّ مُرْجان أُمّ وليّ العهْد الحَكَم ، فلَمْ تَمْتَلِكْ بغالِب ظَرْفها ومُرْهَف حِيلتها أن قامتْ إلى القُرَشيّة مُهَنِّئةً لها بالفَرْحة غابِطَتَها بالليْلة فأكَبَّتْ على أَطْرافها مُقبِّلة وقالت : « بارك الله لكِ ، أيَّتُها السيّدة الشريفة ، في هذه النِعمة الحادِثة وهَنّأكِ هذه البُشْرى القادِمة ، وأَفْرَغَ عليكِ فيها الاستِحْسان ومنحكِ نِهاية السرور والموافَقة ، طُوبَى لكِ أن يكونَ خليفة الله ضَيْفَكِ الليْلةَ وتَبِيتِينَ ضجيعةَ سيّد البَريّة ، يُهنّئكِ ، يا سيّدتَنا ، يُهنّئكِ ويُهنّئنا لكِ ومِنْكِ » وازْدَهَتْها أَرْيَحيّة تناولَتْ لها العُود فقرَعَتْه مُغنّيةً بإيقاع هَزَّ أعْطافَها بنَظْم سَنَحَ لها (رجز) :

يا لَيْلَةً لَوْ أنّها تُبْتاعُ لِي أوْ تُشْتَرَى
شَرَيْتُهــا بِكُلِّ ما أَطْلُبُــهُ مِنَ ٱلْمُنَى

فسَكِرَتْ (1) من الأرْيَحيّة مُبْدئةً مُعيدةً ، فقالتْ لَها القُرَشـيّة بفَضْل وَقارها : « وَيْحَكِ ، يا مُرْجانُ ، لقد أَفْرطتِ في إطْرابي هذه اللَيْلَةَ وذلك

---

(1) م. « فكثرت » .

من فَرْط صَلَفِكِ ومُجونِكِ وأين تَقَعُ مِنْ أوّل لَياليِنـا الغُـرّ المُحجّلة . ليـالي [الأُنس] ، وما قد سَرَّني به . هذه الليْـلةُ المَزْريَّة بكُلّ لـ[وعة] والزائدة على كل خَلْوة (2) في مَنْزِلي عِنده وحَقّي عنه » ، فقالتْ لها : « يا سيّدتي ، اللذّة مع الجِدّة والنَفْس مُوكّلة بأذى أحْدَثِ مَنْزلةٍ ، واللهِ . إنّ الدُنيا بأسْرِها لَتقِلُّ عِند ما أحْدثه الله لكِ مِن هذه النِعمـة فهُنِّئْتِهـا تامّةً مسوغةً وواللهِ

4 لو اسْتَلَفْتُ شِراءَها بجميع ما أمْلِكه / في وَقْتي لا أُحاشِي سِوى ثَوْبي الذي أَسْـتَتِر به لَخرجْتُ عن جميعـه طَيِّبةَ النَفْس ولَعددتُ أنّي رابحـة الصَفْقـة » ، فقالت لها القُرَشـيّة : « وَيْحَكِ ، ما أَصْلَفَكِ ، [آتَبْتا]عِينَ مِنّي (1) لَيْلتي التي أطَلْتِ الخَطْب فيها إنْ بِعْتُكِ إيّاها » ، قالت : « أيْ واللهِ يا سيّدتي ، فاسْأليِني ما شِئْتِ » . فقالتْ لها القُرَشيّة في سبيل الشَطَط ومعنى المُهازَلة : « أعْطِيني بِها عشَرة آلاف دينار وأنا أبيعُها منكِ » . فقالت : « قد قبِلْتُ واشتَرَيْتُ واغْتَبَطتُ » . ثُمّ انطلقَتْ إلى مَنزِلها مِن القصر فجمعَتْ ما كانت عِندها من صامِت المال كَمَلاً عِشرين بَدْرة ملأتْ عَيْن القُرَشيّة ولَحِقَها لِحِينها الرَغْبة فأمرَتْ قَهْرَمانتها بقَبْضها وقالت لها مُرْجان : « لا بُدَّ لِي ، واللهِ ، مِن أن آخُذَ خَطّاً بِيدكِ العزيزة ، أيّتُها السيّدة الكريمة ، بِبَيْعِكِ مِنّي هذه الليلةَ واستِحْقاقي إيّاها لأَسْتَظْهِر به عند مولانا أمير المؤمنين فيُعْطِيَني بحَقّي » . فاستخَفَّت القُرَشيّة بالشأن وتوكّلتْ على لُطْفـه وقدّرتْ أنّ فِعْلها يجْري عند الخليفة ابن عمّها مَجْرى أعْبات النِساء المُضحِكة فكتبَتْ لمُرْجان رُقْعة بخطّها وأشهدَتْ لها مَنْ حَضرهما مِن كرائم الخليفة .

وانصرفَتْ مُرْجـان بالرُقعة إلى مَنْزِلها فأصلحَتْ مِن شأنها ونجّدَتْ منزلها ومَقْصورتهـا وأعدّتْ عُدّتها وأبلغَتْ في عِطْرهـا وزِينتها وقعدَتْ في طريق الخليفة الذي يَقُودُه (2) الى القُرَشـيّة . فلمّا أن تحرّك مِن مكـان

---

(2) م. « المزرية بكل لـ[وعة] والزائدة على كل خلوة وما قدما سرني به في هذه الليلة » .

(1) م. « اساسيتي في » .

(2) م. « قدره » .

مُنتَزَهه ومشى واقبل قاصداً قَصْدَ حُرّته القُرَشيّة تَصَدَّتْ له مُرجان في أجمل شارة وأفخرِ حِلْية وأسطعِ طِيب فقالتْ : « إليَّ ، إليَّ ، يا آبنَ الخلائف ، فقدْ حَباني الله بقُرْبك وعرَّضني لعَدْلك وانت حاكِم الحُكّام ورَحْمة الله على الأنام . قد اشتريْتُ عَبيتك عِنْدي الليلةَ بما حَوتْه يَميني وأدَّيْتُه فَضْلاً عليه . فغبِنَتْ حُرّتك ما باعتْني (3) وهي لا تَدْري وهذه الرُقعة تُنْبئك عن مَطْلَبي ، فأعْطِني بحَقّي » . وناولَتْه الرُقعة بخَطّ القُرَشيّة والشاهِدات عليها من كرائمه ببَيْعِها مِنها الليلةَ . فلمّا نظر فيها عظُم عليه فازبَدَّ وَجْهُه وهاجَتْ [نَفْ]سه غَضَباً على ابنة عَمّه ، ثُم تَطلّق سريعاً ارْتياحاً لمُرْجان وعَجَباً / من شَرَف فِعْلها بصِدْق مَوَدّتها وقال لها : « يا مُرْجانُ ، [أ]حَمَلَتْكِ الرَغْبة في قُرْبي والحِرْص على الاستِكْثار مِنّي أن بَذَلْتِ له مِثْل هذا المال الذي أهْدَيْتِه لكِ (4) في ثَمَن ليْلة تَعَجّلْتِها مِنّي لم تكُنْ لِتَفُوتَكِ بدُنُوّ نَوْبتكِ ؟ » فقالتْ له : « يا آبنَ الخلائف وتَراني في فِعْلي غَبينة ؟ واللهِ ، واللهِ ، واللهِ ، لو أنّي ملَكْتُ هذا القصر وما يَحْويه لَما رأيتُه ثَمَناً في ساعة أخْلُص فيها إليك ولَحْظة أتقرّب بها مِنْك ، فكيف أن أستكْثِر ليْلة مِنْك بهذا المال الذي جادَتْ به يدك الكريمة ؟ » قال لها : « وَرِيَتْ بكِ زِنادي ، يا مُرْجانُ ، فأبْشِري ثُمَّ [آ]بْشِري ، فقَدْ رِبحَتْ تِجارتكِ وزَكتْ صَفْقتكِ ودَلَلْتِ على شَرَف نَفْسك وصِدْق مَوَدّتك ، وتَبّتْ يَدا آبنة عَمّي التي جهِلتْ حَقّي وباعتْني بالثَمَن الخسيس زُهْداً فيّ . والحَقّ أوْلى بي فيكِ ، فاقْتاديني إلى قصرك ، فإنّي طَوْعَ يَمينكِ وحَبيس هَواكِ » .

ثُمّ صار إليها وبات عِنْدها وأطال المُقام أيّاما لدَيْها ، وكان ذلك سَبَبَ استِحْواذها عليه وغَلَبتها على قَلْبه ، ورعى لها حَقّ تَحَبّبها إليه وازْدِلافها لدَيْه ، فاتّخَذها سيِّدة نِسائه وكُبْرى حَظاياه وقَيِّمة قصره ، وألْقى إليها

(3) هـ ، بعتني » .
(4) هـ ، هـنك » .

بمقاليده ووُثِق بها في سِرّه وجَهْره ، وأخْلَف لها عاجلاً المال الذي حمَلَتْه إلى حُرَّته القُرَشيَّة وأوْلاها بأضْعافه ، ولم تَزلْ مَنْزلتها تَتَزيَّد عنده حتّى مَلَكَتْ زِمــام قِياده ، فانسبكَتْ له في جميع مُراده ، فتقدَّمَتْ لديْــه جميع نِسْوانه حتّى كانت (2) كرائمه وحَظاياه لا يَصِلْنَ إلى مَطالبِهنّ ورَغباتهنّ مِن الناصر لدين الله إلاّ بشَفاعة مُرْجان لَجُنَّ إليه وتَوسُّلهنّ بها لــدَيْه للُطْف مَنزلتها وغَلبتها على قلْبه ، حتّى أنّه ... (3) إذا وَعَكَ أو طَرَقه التِياث لا يُقيم إلاّ عِند مُرْجان ولا يُمَرِّضه غيْرُها ولا يَسْكُن إلاّ إلى عِلاجها ولا يُصيب الراحة إلاّ بمُداواتها ورِفْقها . ورَزَقه الله مِنها خمسة مِن البَنين كانوا أكْرَمَ بَنيه عليه وأرْفَعَ إخْوتهم مَنازِلَ لدَيْه ، ثلاثة أُمراء سَراة أسَنّهم وأعْلاهم مَنزِلة ابو العاصي الحَكَم بِكْر والِده وحَظِيّه ، ووَليّ عَهْده ، وأخَواه شَقيقاه

6 عُبَيْد الله وعبد العزيز ، وأُخْتان شَ[قيقتان] / لَهُم مِن أُمّهم مُرْ[جان] ، هِنْد ووَلّادة ، ولم تَزلْ هذه السـيِّدة مُرْجـان جارِيةً على النِهـاية مِن حالها عند سيِّدها الناصر لدين الله إلى أن هَلَكَتْ آخِر دولته .

وأمّا الحُرّة القُرَشيّة ، فلم تَسْتَقِلّ عَثْرتها لديه آخِرَ حَياتها وأقْسَم ألاّ يدخُل اليها ، وخيَّرها في المُقام عند الإرجاء والاعْتِزال مُستمسِكة بعِصْمته أو تَسْريحها (*) ، فاختارَت المُقام لديه إلى أن هلكَتْ في حَياته تِلْوَ مُرْجان ، لا سَماء بكَتْ عليها ولا أرْض . وفازت ضَرّتها مُرْجان بالفَضْل دُونَها بالذى تَخَلَّفَتْ من صالِح (I) الآثار في سبيل البِرّ التي لم يَلْحق شأوها فيه أحد (2) من نِساء الناصر لدين الله بصَدَقات أفْشَتْها وزُلَفات قدَّمَتْها ومَساجِد ابْتَنَتْها وأحْباس في سبيل الله وَقَّفَتْها . ومِن أشْهَر آثارها كان المَسْجِد الأكْبَر المَنْسوب إلى السيِّدة بالرَبَض الغَرْبيّ الذي عَفّى الخَـراب اليوم عليه وقَدْ

---

(2) م. « كــان » .
(3) كلمة ممحوة .
(*) م. « تشريكها » .
(I) م. « صالحي » .
(2) كذا في الأصل بدلا من « احدى » .

كان أَوْسَعَ مساجِد قُرْطُبة بِناءً وأَحْسَنَها عِمارةً يتكفّل بمَصالِحِه وأَحْواضه وسَدَنته وغاشِيي وُفُوده عليه وَقْفُها الجليل الذي وقَّفَتْه عليه وعلى غَيْره من مَساجِدها مِن أَحْفَلِ العظيمة القَدْر الوافية الغَلّة بِطَرَف قُرْطُبة الغَرْبيّ، مُسْتَمِرّ الإِنْفاق عليه وعلى غَيْره من وافي غَلَّتها مَرّ السِّنِين على أَوْسَع الأَقْسام المحدودة في أَصْل عَقْدها، إلى وَصِيّة لها مِن المال عظيمة المِقْدار بَثَّتْها في وجوه زَكِيّة مِن أَبْواب (3) البِرّ. وقَلَّدَتْها ابنها الأمير وليّ العَهْد الحَكَم، نَعَشَ الله بها خَلْقاً وأَبْقى لها في الصالِحِين ذِكْراً، رَحْمة الله عليها.

ذِكْر الأولاد

قال: وسَلَكَ الخليفة الناصر لدين الله بذُكور الأولاد لأَوّل تَوالِي مَوالِيدِهم له مَسْلَكَ الأمير محمّد [أبي] جَدّه في ذُكور أَوْلاده مِن تَعْجِيله النَّظَر لِكُلّ واحِد مِنهم أَوَّل تَرَعْرُعه بقَصْر يَسْكُنه وضِياع تُغِلّ له وعَقار بداخِل البَلَد يُجْرَى عليه خَرْجه، إلى رِزْق هِلالِيّ ومعروف (4) سَنِيّ (5) يُجْرِيهما (6) عليه، تَذَكَّرَ بهما (6) مُلوكيّته وتَتَأَثَّل نِعْمته، ويَخْتار لِكُلّ واحِد مِنهم في وُجوه الناس وأُولي مُرُوّاتهم وَكِيلاً يُسْنِد بشأنه / إليه ويُقلِّده النَّظَر في دَخْله وخَرْجه وأَمْر قَصْره وضِياعه يَرْزُقه على ذلك ما يَقُوم به، فلا تَزال نِعمة الوَلَد مِنهم تَنمي بنُمُوّ سِنّه وينوب بحُسْن النَّظَر والادِّخار لما فَضَلَ مِن دَخْله. فيُخْرِجهم ضَرورةً (7) من قَصْره إلى قُصُورِهم تِلْك التي لهم ونِعَمِهم تِلْك المُوَفَّرة عليهم، بَعْدَ أن أَرْهَفَ أَفْهامهم بمُعَلِّمين مَهَرة يُو[فَدون] إلى كُلّ واحِد مِنهم يُخْرِجونهم من غَمْرة الجَهْل إلى نور المَعْرِفة

7

---

(3) هـ : « الثواب ».
(4) قراءة غير واضحة . انظر كتابنا هذا ص ؟ .
(5) على هامش المخطوط « سنني » ويمكن قراءتها على وجه الصحة « سنوي ».
(6) هـ : « سنة ».
(7) هـ : « ضرورة ».

حَسْبَ ما تُقسِّم (2) لكُلّ واحد مِنهم من المَوْهِبة ، يُقْصَوْن إلى مَنازِل صِدْق في ظِلال نِعَم مُؤَثَّلة ، آوِينَ (3) إلى ظِباء أُنْس قد تَخيَّرَتْها لهم أُمّهاتهم مُتناغِياتٍ فيما تَتَّخِذ (4) كلّ واحِدة مِنهنّ لآبنها ، بالِغةً في ذلك جَهْدها ، مُحابيةً له بِمَنْ تُربِّيه (5) عِندها وتُخرِّجه عن أَدَبها ، طَيِّبةَ النَفْس بإسلام وَلَدها إلى عِيشة رافِية وغَضارة مُسَلِّية (6) ، لا تُفارِق مَكانَها مِن قَصْر سلطانها . بهذا الفِعْل اعْتَدَّت النِعمة على أهْل بَيْت الخِلافة صافِيةً والمُرُوّة باقِيةً والعِيشة راضِيةً ، اقْتَفَى الخليفة الناصر لدين الله في ذكور وُلْده ذلك الأثَر واتَّبَع تِلك السَبيل مُتَوَخِّياً الإبلاغ فيه والزِيادة على ما كان مِن سَلَفه بفَضْل مَزِيدِه في جميع أفعاله ، راكِباً فيه سَنَن اعْتِلاء هِمَّته وتَرقِّيه (7) إيّاه في سائر فُنُونها جارِياً إلى الإغراق فيما امْتَثَل مِنه ، فلم يكُنْ يَنْشأ له غُلام مِن بَنيه إلّا ابْتَنَى له بالمَدينة معه قصْراً يَقرِنه لكلّ واحد بمُنْية بُسْتان بخارِج البَلَد في أمْكِنة مُتَنزَّهاته الحَسَنة ، وأَضْعَف لهم على ذلك الأرْزاق الهِلالية والمَعارِيف الـ[سَنِيّة] ، وأوْسَع لهم من الضِياع المُغِلّة والعَقار الخَراجيّة ، واختار لهم كُفاة من وُجُوه وُكَلائه ألْزَمَهم وَكالتهم والقِيام بشُؤُونهم وزادهم على ذلك كُتّاباً سَراة مُسَيْطِرِين (8) على وُكَلائهم يُحْصُون عليهم ويُثقِّفون ما يُرْتَفَع من حاصِل كلّ واحِد مِنهم ويَكْتُبون عَنْهم فيما يَحتاجُون إليه من شُؤُونهم و[لتَرْبية] الأوْلاد خِلالَ ذلك كلّه مِن حُذّاق المُعلّمين يأخُذُون [منهم] التَعاليم المُعا[دِلة] لأقْدراهم حَسَبَ المَنْشأ .../

8 مِن الحَديث والسُنَن والآداب ، فحَصَلَ أكْثَرهم مِن ذلك على جُمَل وافِرة

---

(2) قراءة مشتبهة .

(3) م. « أومن ».

(4) م. « يتخذ » .

(5) كلمة غير منقوطة .

(6) م. « مسلته » .

(7) كلمة غير منقوطة ورسمها يشبه « بوبه » .

(8) م. « مصيطرون » .

واكْتَسبوا (1) حُلَلاً فاخِرة ، فاعْتَلَوْا فَوْق مَنْ تَقدَّمهم مِن أولاد الخُلَفاء رَبْوةً ، وزادَتْ مَقادِيرهم كَزِيادة [ثا]منهم على مَنْ قَبْلَه . وطَفِق يَخْرُج كُلّ مَنْ أَدْرك مِنْهم [واحدَ]لَم أوّلاً أوّلاً إلى قُصورهم التي تَقدّم باتّخاذها لهم بداخِل المَدِينة ، بَعْدَ أن أَطْفَحها بنِعَمهم وأَهَّلها بعِيالِهم وخَوَلِهم ، فظَلُّوا يَتقَلَّبون في نِعَم لا كَفاءَ لها ويُقَسِّم لهم بمُناهِم المَوْسومة بنُزَهِهم (2) خارِجَ البَلَد أيّام فَرَجِهم قِسْطٌ (3) مِن راحاتهم فيَقْضُون أَوْطارًا تَفُوق طِماحَ الأَهْل تَحْت جَناح دَهْر مُسْعِد قد غَفَل عنهم أوانه .

[خُروج أولاد الناصر من قَصْر الخِلافة]

فذكر الرازيّ أنّ اكْتِمال خُروج هؤلاء الأولاد مِن قصر الخلافة إلى دُورهم بالمَدِينة كان في شَوّال سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة . فكان آخِرَهم خُروجًا أبو أيّوب سليمان بن الناصر لدين الله ، وتَرتَّب بَعْدَه هُناك صغير الجَماعة المُغيرة بن الناصر لدين الله لاسْتِنْجاز وِلادته بَعْدَ جَماعتهم ، فكان آخِرَهم خُروجًا آخِرَ مُدّة والِده الناصر لدين الله المُغيرة وإليه أَلْقى بالمَحَبّة آخِرَهم لصِغَر سِنّه ورِقّة فُؤاد الأب مع شَيخه ، حتّى لقد ظار عليه أخاه الحَكَم وليّ عهْده وصَيَّره في حِجْره قُبَيْل مَوْته ، وبالمُغيرة أَوْعَب الأولاد الخُروج عن القَصْر ، فلم يَتَخلَّف في القصر منهم إلّا كبيرهم ، بِكر والِده ، أثيره منهم ووليّ عَهْده ، أبو العاصي الحَكَم ، إذ لم يُفْسِح له أبوه مَجال (4) الخُروج عن القصر يَوْمًا ولا مَكَّنه مع ذلك مِن اتّخاذ امرأة صغيرة ولا كبيرة اسْتيفاءً مِنه لشِدّة غَيْرته وذَهابًا لفَرْط أَنَفة ألّا يُشْرِكه غَيْرَه في عِنايته ، فكان ذلك من أَذَلّ الأُمور على عِزّة نَفْسه احْتَمَل الحَكَم

---

(1) كذا في الأصل قد تكون « اكتسوا » .
(2) هـ . « مسمونهم لمناهم الموسومة بتنزههم » .
(3) هـ . « سمطا » .
(4) كلمة "كلتها الأرض" .

بفَضل زَجاجته من أخْذِهِ له بذلك ثِقْلاً أفنى نَحْبُه لتَراخِي أمْر أبيه عَطايِب (5) عُمُره وَعطَّل [بَوا]طِن لَذّته نَظَرًا لإرث الخِلافة بَعْدَه ، فَنالها عَن عُمُر قالِص وشَهْوة قا[بِضة] والـ[جَنّة] خَير الآخِرة .

وقد كان الناصر لدين الله اتَّخذ له قَبلَهم [دار المُلك المُوفية إلى نا]حية (6) النَهر الـ[سَمّ]اة بالعدْوة ، الحامِلة لهذا الاسم / لكَوْنها مَوْطِنا لعِدّة مِن خَلائف انتَقلُوا عنها إلى قَصر الخِلافة ، كان آخِرَهم المُنْذِر بن محمّد ، وعن وَرَثته انتقلَتْ بالبَيْع إلى الناصر لدين الله ، فحَبا بِها ابنه الحَكَم بِكْره . صَيّر (1) فيها خاصّة نَشَبه ومَخازن أمْتِعته ومَصاوِن دفاتره ومَجالِس نُسّاخه ومُقابِلِي دَواوينه ، وأحَلَّها ثِقاتِ خَدَمِه وأقادِم كُتّابه يَتَناوَلُون مِن الإشراف على أُموره فيها ، كالذي يَتناوَله خَدَمة (2) إخْوته وأتْعَب مِن ذلك لزِيادة حاله على أحْوالهم جميعًا ، يَنْتابهم فيها بالأوْقات لِما يَتَّخِذه له فيها ويَخْتَزِن في مَخازِنها ، فبلغ من ذلك قَصْده ، ويعُود إلى مَنْزِله المَعْهود داخِل قصر أبيه ، اصْطَبر من الْتِزام طاعته والتَبرُّؤ من عُظمى شَهَوات الإنسان المُكْتَفِلة باسْتِمالة جِنْسه ما لا يَقْوى عليه كثير من الناس طَلَبًا لمُوافقة سيّده ، فجَرَتْ له بأسباب ذلك أخبار سائرة .

وبتَلاحُق هؤلاء الفِتْيان الجِلّة أولاد الناصر لدين الله أوْسَط دَوْلته اكْتَمَلَتْ جَلالتها وتناهَتْ مَحاسِنها وتَباهَتْ حُلاها لمّا اجتمع له منهم أحَدَ عَشَرَ فَتًى عِدّةَ إخْوة يُوسُف ـ صلّعم ـ حِسان الوُجُوه كِرام الشِيَم أقْمار زاهِرة يَ[حُفّ]ون مِنْ أبيهم شَمْسًا طالِعة رُبّما اتَّفَق جُلُوس سَبْعة مِن أكابِرهم حِفافَيْ سَريره أيّامَ قُعوده للحَفْل ورَكِبوا وراءهُ ، فأشْجَوا الحَسَدة [و]عَصَفَتْ رِيح الكَمال عاجِلاً بأوْراهُمْ زَنْدًا وأوْسَعِهِم

(5) م. « مصايب » .

(6) كلمات مفترضة . وقد اعتمدنا في هذا على المخطوط ص 10 .

(1) م. « صيره » بشكل واضح .

(2) كذا ، هو جمع لكلمة « خادم » لا يرد في القواميس .

عَنَّا أبي محمّد (3) عبد الله فأرْدَتْه قتيلاً بيد أبيه لاتّهامه إيّاه بالسّعي عليه ، فاجْتَزَعَ مِن ثُكْلِه ما أغصّ ... (4) مَرْوان بعده بالوفاة فوسّع ثُلْثه وَمَتّعه الله بـ[ـغَيْرِ]هم إلى أن مضى لسبيله . فكان (5) وَرَثته منهم تِسْعة رجال أسماؤهم : أبو العاصي الحَكَم وليّ العَهْد ، و[شَقِيقاه] أبو مَرْوان عُبَيْد الله ، وأبو الأصْبَغ عبد العزيز ، وأبو الحَكَم المُنْذِر المعروف بابن القُرَشيّة ، وأبو الوَليد عَبْد الجَبّار ، أبو القاسِم الأصْبَغ ، أبو مَرْوان عبد المَلِك ، أبو أيُّوب سُلَيْمان ، أبو المُطَرِّف المُغيرة أصْغر الجَماعة ، ووَرِثه من النِساء خمس سـ[ـنية] ، سَلْمة ، وَلّادة ، [هند] ... (6) .

[رواية ابن مسعود لدُور هؤلاء الأُمَراء]

... [قد ذكر] / محمّد بن مَسْعود في كِتابه الأنيق دُور هؤلاء الأُمَراء بَني الناصر لدين الله فقال : 10

« دار [أبي العاصي] الحَكَم بن الناصر لدين الله ووليّ عَهْده المُسمّاة بدار المُلْك كانت للخليفة الثاني هِشام بن عبد الرحمٰن ابن مُعاوية بن هِشام بن عبد المَلِك بن مَرْوان المُلقّب بالرِضَى أيّام أبيه ، ثم انتقلَتْ إلى الخليفة السادس المُنْذِر بن محمّد سَكَنَها أيّام أبيه ، ثم انتقلَتْ إلى الخليفة التاسِع الحَكَم بن عبد الرحمٰن ، اتَّخَذَها له أبوه الناصر لدين الله أيّامَ إمارته فكانت مَوْسومة به مِن غَيْر أن يَسْكُنها لسُكْناه القصرَ مع والِده وفيها كانت مَخازنه وآلاته وأسْبابه .

دار أبي مَرْوان الأكْبَر عُبَيْد الله بن الناصر لدين الله شقيق الحَكَم بن عبد الرحمٰن وكانت قَبْلَ ذلك للمُطَرِّف ابن الخليفة الثالث الحَكَم بن هِشام .

---

(3) م . « لأمير » .

(4) سقطت هنا بعض الكلمات وقد تكون سطرا كاملا .

(5) م . « فكا » .

(6) كلمات أكلها الأرَض .

دار أبي الأَصْبَغ عبد العزيز شقيق الحَكَم أيضا كانت قَبْلَه للمُطرِّف بن الخليفة الرابع عبد الرحمن بن الحَكَم .

دار أبي الوَليد عبد الجَبّار بقُرْب باب عامِر . بَناها الخليفة الرابع عبد الرحمٰن بن الحَكَم لآبنه سُلَيْمان الأكْبَر . ثُمَّ انتقلَتْ إلى الخليفة الخامس محمّد بن عبد الرحمٰن فأصارها إلى آبنه الخليفة السابع عبد الله بن محمّد (1) فسَكَنَها في حَياة والِده محمّد . ووُلِد له فيها أولاده محمّد الأكْبَر والِد الخليفة الناصر لدين الله والمُطَرِّف وأبان .

ودار أبي مُحَمّد عبد الله بن الناصر لدين الله قَتيل أبيه ، كانَتْ [لأبي القاسِم] الأصْبغ ابن الخليفة السادس (2) المُنْذِر بن [محمّد] .

دار أبي مَرْوان عبد المَلِك كانت لعبد الله ابن الخليفة الخامس محمّد .

دار أبي أيُّوب سُلَيْمان بن الناصر لدين الله ، كانت في الأصْل لبَنِي عَبادِل وابْتَناها الخليفة الرابع عبد الرحمٰن بن الحَكَم لآبنه الوَليد بن عبد الرحمٰن ، ثُمّ تَنَقَّلَتْها الأيادِي إلى أن ابْتاعَها الخليفة الناصر لدين الله فاتَّخَذَها لآبنه سُلَيْمان وهي مُنْتَظِمة له ولأخيه أبي مَرْوان .

دار [أبي المُطَرِّف] المُغيرة بن الناصر لدين الله أصْغَر الإخْوة ، هي دار الخليفة الثالث الحَكَم بن هِشام ، صارت بَعْدَه لآبنه الخليفة [الرابع عبد الرحمٰن بن الحَكَم] ... (3) ولأحْمَد ، ثُمَّ ابْتاعَها الخليفة الناصر لدين الله / مع الدار المُتَّصِلة بها التي كانت لوَرَثة هِشام ابن الخليفة الرابع عبد الرحمٰن بن الحَكَم فجَمَعَهما معاً لآبنه الخليفة [الحَكَم] .

11

---

(1) م. « عبد الرحمن بن الحكم » .
(2) م. « الخامس » .
(3) كلمات اكلها الأرض .

دار أبي الحَكَم المُنْذِر بن الناصر لدين الله المعروف بآبن القُرَشيّة، أَصْبَا منسوب إلى العاصي ابن الخليفة الخامس محمّد [بن عبد الرحمن]، وأضاف الناصر لدين الله دُور أخيه مجلوبة له فاتّخَذَها جُمَعَ لآبنه المُنْذِر.

دار أبي القاسم الأَصْبَغ بن الناصر لدين الله تُنْسَب إلى أحمد ابن الخليفة الخامس محمّد بن عبد الرحمن».

ذِكر أَثَر الخليفة الناصر لدين الله في حماية السُنّة وإنكار البِدْعة وبعض ما قدّم من صالحة

قال: كان مَذهَب الظَنِين المُرْتاب (1) المُرائي بالعِبادة المُنْطَوِي على دَخَل السَرِيرة محمّد بن عبد الله بن مَسَرّة الرابِض للفِتْنة، دَبَّ في الناس صَدْرَ دَوْلة الخليفة الناصر لدين الله واسْتَهْواهم بفَضْل ما أَظْهَرَه مِن الزُهْد وأَبْدَى مِن الوَرَع، وتَشَدَّد في المَكاسِب وأَيْأَس عن التَجاوُز وأَوْحَش من الناس وآثَر مِن (2) الانْتِباذ عنهم حتّى اسْتَوْطَن ضَيْعته ببَعْض قُرَى قُرْطُبة مُفَضِّلاً م[كانَه] هُنالِك على مُجاوَرة أَهْلها وشَبادة جَمْعها. فظَلَّ دُعاته وأَصْحابه يَنْتابُونه بمَكانه ويتكرّرون عليه ويأخُذون عنه، فيُمْكِنه تَوَحُّده بهم من الإ[ذاعة] إليهم بما في نفسه مِمّا لا يُمْكِنه إذاعَته بالمِصْر، وقد أُوتِيَ من عُذوبة الكلام ومَتانة الحِجاج والغَوْص على دقيق المَعاني والافْتِنان في ضُروب العُلوم [ما] يَسْتَلِب به القُلوب ولا يُغْبِيه عنه صَواب. وقد كان رَحَل إلى المَشْرِق فلَقِيَ هُناك مَن دَرَّسه (3) مَذهَبه فقَوِيَ فيه مَتْنُه وانْبَسَط با[عُه فيه، ولمّا] عاد إلى الأندلس طَمِع في تَفْريق كَلِمة أَهْلها فتَوارَى في شعب الزُهّاد وتَذَرَّع بها إلى القَدْح في السُنّة، فألَّف الكُتُب البارِعة وبَثّ الرَسائل القارِعة وصَنَّف المَقالات الناكِبة وسَدَل على مُغَمَّضاتها

---

(1) م: «المرتب».

(2) كذا في الأصل.

(3) م: «درّسه».

سُتور المُغالَطة ، فقال بإنْفاذ الوَعْد والوَعِيد وضُعْف أحاديث الشَفاعة وباعَد عن التَجاوُز والرَحْمة لمختِل (4) في ضَرْبه بمَسِيره ذلك الماضي ...

12 دح السوء لا ... / مَنْ يَلْقاه مِن أهْل السَلامة هائِمًا به في أرْحَب وادٍ بأخْتَل ذَريعة وهو في الطَرَفَيْن مُرْهَف النَصْل ماضي الضَريبة ، يَسْرِد (I) مَسائل مَدوَّنة المالِكِيّة عُمْدة السُنّة سَرْد القِران ويُشَقِّقها بالاجْتِلاب بأوْضَح بُرْهان حتّى يُخْرِج فيها أجْزاء مُخْتَصَرة حَسَنة لم يَزَل الإجْماع مِن مُخالِفيه إلى اليَوْم واقِعًا على أنّها أفْضَل وأوْجَز وأبْسَط مِن كلّ مُخْتَصَرة صِيغَتْ فيها ، فبرُسُوخه في بَسْط العِلْم وتَأنّيه في الاسْتِدْراج للخَصْم كان يَسْتَهْوِي العُقول ويَصيد (2) الأفْئدة .

وكان مِن شَأنه أنْ يَلْقَى أوّل من يَأتيه مُقْتَبِسًا مِن أهْل السَلامة بالمُساهَلة إلى أن يَخْتِله عن رأيه بالمُفاضَلة . فإذا أصْغَى إلى عُذوبة مَنْطِقه وعَلِق في شَرَك حِجاجه غَرَّه ... (3) رِفْقًا بباطِله عن الطائر فَرْخه ، فلا يَبْعُد أن يُلْفِته عن رأيه ويُشَكِّكه في اعْتِقاده فيَقْلِبه إلى اخْتِياره ويُحَصِّله في أتْباعه ، فاسْتَهْوَى خَلْقًا من الناس صَدَّهم عن سَبيل السُنّة وأوْحَشهم من الجَماعة ، واتَّخَذ مِن راسِخِيهم في مَذهبه دُعاة وأئمّة ، دَخَل في عَرْضهم رِجال مِن ذَوِي الفَهْم والوَجاهة وُصِموا باتِّبـاعه فادَّرَعُوا بذلك خِزْيَه ، ولم يَزَل يَسْتَظْهِر عليهم بالمَواثِيق في الكِتْمان إلّا مِن الثِقات الوِثاق العُقْدة ، فاكْتَتَم بذلك شَأنه إلى أن غافَصَتْه مَنِيّته صَدْرَ دَوْلة الناصر لدين الله أيّام شَغْله بحُروب أهْل الخِلاف المُتَّصِلة ، فرَفَع الله بمَوْته عن الناس فِتْنة ، ولم يَلْبَث دُعاته مع انْتِشارهم في البِلاد أن تَلَبَّسوا بَعْده [بما] أوْعَزهم من مَكْنُون عِلْمه وأخَذ عليهم مِن بَثّه ، ... ومُذِيعوهم وصَغَتْ إليه أفْئدة جَماعة

---

(4) م. « تحيل » .

(I) م. « بسرد »

(2) م. « يصور » .

(3) سقطت هنا بعض الكلمات ، قد تكون بما معناه ، بمكره الذي كاد يستطيع أن يسرق » .

مِن النَّاس من خاصّة وعامّة أذاعوه سِرًّا ، وأَفْشَوْا مَذْهَبه وغَبَطُوا مَن فاء إليه واعْتَقَده ، فانْتَشَر بقُرْطُبة وغَرًا إلى بِلاد سِواها ، وزَنّ به جَماعة .

فكَثُر القَوْل في شأنه وشِيم الخِلاف مِنْ تِلْقائه فذُعِر له أهل السُّنّة مِن أَهْل قُرْطُبة وتَوَقَّعوا مِنه البَلِيّة ، وفَزِع فُقَهاؤهم وكِبارهم بهَمّه إلى أَصْحاب الخَليفة الناصر لِدِين الله فنَبَّهوا عليه بما ... غَيْر ذُهُول ولا وَسْنان قام لإنكاره أَشَدَّ قِيام وشَنّى إليه / مِن مُشْكِلات الفِتْنة لِتَأْتَلِف الأَهْواء وتَتَّفِق الآراء ولِكَيْ تَضِح أَعْلام الهُدَى في آي التَّنْزيل الذي سَمّاه قَيِّمًا [قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) وفي قَوْله] وَضِيَاءً وَذِكْرًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (2) وَأَوْحاه رُوحًا مِن أَمْره بَيَّن فيه الكِتاب والإيمان وجَعَله نُورًا يَهْدِي به مَنْ يَشاء إلى جَنّات الرِّضْوان ، ثُمّ اسْتَمَرّ الدِّين بَعْدَ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، على [قِيَ]امه وسَدَده (3) في دُوَل الخُلَفاء الراشِدين الذين امْتَثَلوا سَبِيله ، فأقاموا رُسوم السُّنّة ، وأَحْرَزوا وَظائِف الدِّيانة ، وأَطْفَأوا نار الفِتْنة ، ودَمَغوا الفِرَق الخارِجة ، وشَجَنوا الرافِضة ، واسْتَذَلّوا بالثِّقاف (4) المارِقة ، وجادَلوا عنه ، وجاهَدوا بسَيْف الله عن الله ، وحَمَلوا الحَقّ على الباطِل فأَزْهَقوه ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (5) [و]وَعَوْا كُلّ بِدْعة فلم تَدْخُل على الأُمّة شُبْهة ، حتّى كانت دَوْلة الطائفة الزائغة والعِصابة الباغية مِن [آل] العَبّاس ، ففَشَت البِدَع وكَثُرَت النِّحَل ووَقَعت المِحَن ، إذ حَلّوا النِّظام وأَهْمَلوا الزِّمام وخَفَّفوا الوَطْأة عن رِقاب أَهْل الجَهالة والزَّيْغ والضَّلالة ، فانْحَلّ شَدُّهم ووَهِي عَقْدهم وتَغَيَّرت نِعَمهم وآلت الأُمور عِنْدهم

---

(1) سها الناسخ هنا عن وضع هذه الآية القرآنية 161 من السورة السادسة .

(2) قرآن ، س 21 آية 48 – 49 .

(3) هـ : سيرته .

(4) هـ : مستو التقاب .

(5) قرآن ، س 17 آية 81 .

باختلاف المذاهب إلى ما أعضل دواؤه وطال بلاؤه . وحملت الصحف على الأيام شنيع ذكره ، وعصم الله بمنّه منه وفضله أهل الأندلس وسلّم لهم دينهم من الآفات ومستكره الضلالات بصادق نيات الخلفاء الماضين من سلف أمير المؤمنين ، رضوان الله عليهم ، في حفظهم دين الله واستبصارهم في حماية حريمه . فلم يفش باطل ولا شاع هوًى ، وانتـ[قى] الله – وله الشكر وافياً والحمد كثيراً – بعدهم أمير المؤمنين الذي (٥) رضيَ به للخلافة . فأصبح بنعمة الله التي نعترف بالعجز عن شكرها مقتفياً لآثار الخلفاء آبائه والأئمة من سلفه ، قائماً بالكتاب ، معلناً بالسنّة ، مؤثراً لهما مجاهداً عليهما ، ونصر الله وكنفه وتوفيقه يصحبه . فلا ينجم للشيطان قرن إلّا [قصمه] . ولا يرفع له علم ضلال إلّا وضعه . ولا يظهر له باطل إلّا محقه . حتّى ألّف الله / به الأمّة وكفاه بأحسن الكفاية وبسط بطاعته في الأقطار الأمن والطمأنينة ، ومدّ له باليمن والغبطة والنماء والسعادة في انفساح الدولة ، فحطّت إلى مصره الأمم ، وأثنت عليه الألسن ، وتبارى أهل المشرق في تفيّؤ ظلّه الممدود والاعتصام بحبله المشدود والحيام على حوضه المورود واكتناف عدله المبسوط . فأمن بلده واغتبط قصده واستفاض العلم عنه ، وعزّ أهله . فعرف فضله وكمل . وتنوفس فيه من آفاق الأرض إلى مستقرّه ومستودعه وحيث يصحّ العمل والتوفيق لمنتحله ، ونفى البدع عنه . فتجمّع عنه في قاعدة مملكته ما لم يكن قبله وكملت على ذلك آلات الآداب في زمانه . وهو مع ذلك لا يزال موكّل النفس والهمّة يتفقّد مصالح الأمّة ويتعهّد أمور الديانة باحثاً عن سنن المسلمين وطرائقهم ومواطن اجتماعهم في مساجدهم ومحافلهم بمن نصبهم من ثقاتهم وعيون بطانته ووكّلهم بمباطنة الطويّات وكشف السريرات . فكانت الأعمال معروضة عليه وخفيّات السرائر مكشوفة له . ومطويّات بنات فكر البرّ

---

(٥) ج . « على » . بلا شك .

والفاجر مُنْجَبِت لعِلْمه . والباطن والظاهر من مذاهب العوامّ مَوْضوعانِ بَيْنَ يدَيْه ، ونِعَم الله في كلّ ذلك تتواصَل له بتجدُّد الدين وقوام شرائعه ووُضوح مَبايعه وتواضُع الرقاب لتعظيمه وسلامة القلوب عن الإلحاد فيه . وترَدُّده غضًا في القلوب (1) لا يسْأم ، وجديد على جدّة الأيّام لا يَمَلّ ، وكِتاب الله عزّ وجلّ محفوظ على أحْسَن تِلاوته وأسْلَم حُروفه ، وترْك العِناد والتجادُل فيه والْتِزام الحُكم به والرُجوع إليه . ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (2) بإدخال الخاصّ والعامّة في شُوراهُم ، وما يَجْري بَيْنَهم عن مكشوف السنّة ومشهود ما حُمِل عن كبير (3) الأئمّة مالك ابن أنَس ، إمام أهْل المدينة ، رَضِيَ الله عنه ، مِن الروايات المُتَّفِقة والأحاديث المَنْقولة بصِحّتها على ألْسُن الصحابة نُجوم الأمّة البادية ، فطابَتْ بذلك هذه البَلْدة وتزكّى أهْلها / مِن نَزْعة (4) أنْزَع زِمام ، قعَد بمُنْتَحِليه وقاه ، وقلَّد النَظَر في شأن مَن اتُّهِم بهذا أو تكلّم به صاحِب مدينته عبد الله بن بَدْر مَوْلاه ، أمره بالتنْفير عنهم والقَصْر لآثارهم وطَلَب الدلائل عليهم والإيقاع بمَن صَحّ لديه أنّه مِنهم أو مُتَوَلٍّ لهم ، فتجرَّد ابن بَدْر لهم فشَدّ تخْويفهم وأغْلَظ لمَن عُثِر عليه مِنهم ، فجَرَتْ لهم في ذلك خُطوب يطُول القَوْل فيها .

15

[رواية الرازيّ]

وذكر الرازيّ في تاريخه قال : وفي يوم الجُمعة لتِسْع خلَوْن مِن ذي الحِجّة سَنَة أربعين وثلاث مائة قُرِئَ على الناس بالمَسْجِدَيْن الجامِعَيْن بالحَضْرَتَيْن قُرْطُبة والزَهْراء كِتاب أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى

(1) علامة تصحيح الناسخ على الهامش وقد امحى تماما .
(2) قرآن ، س 5 آية 44 .
(3) هـ : كثير .
(4) هـ : نزعة .

الوزير صاحب المَدينة عبد الله بن بَدْر بإنكاره لِما ابْتَدعه المُبْتَدِعُون وشَذّ (2) فيه الخارِجون عن رأي الجَماعة . المُنْتَمُون إلى صُحْبة محمّد بن عبد الله بن مَسَرّة الجَبَليّ وانْتَحلوه في الدِيانة ، فاخْتَدَعُوا (3) العَوامّ بما أظْهَروه من التَقَشّف في الزِيّ والتَشَظّف في المَعيشة ، واسْتَتَروا لبِدْعَتهم بسُكْنى الأطْراف البَعيدة حتّى اسْتَمالوا بفِعْلهم عِصابة ضَلّت بضَلالتهم وفِرْقة فُتِنَتْ بمَذاهبهم ، وأنّ ذلك بَلَغ أمير المؤمنين ففَحَص عنه وعَلِم صِحّته فتَعاظَمه واسْتَوْحَش من اجْتِراء تِلْك الطائفة الخبيثة عليه ، إذ جَعَله الله في بَيْت الحَقّ ومَعادِن السُنّة ومَوْطِن الدِيانة والمُحافِظ عليه لدُن كلّ حَوْلة ، وأسْلَكه في ذلك سبيل سَلَفه الطَيّب ، رِضْوان الله عليهم ، المشهورة مِنْهم في إنكار البِدَع وسُلوك الجادّة سبيل الجَماعة واتّباع مَذْهَب أهْل المَدينة ، عُشّ الإيمان ودار الهِجْرة التي [فَضّلها] الله بقَراء (4) رَسُوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فيها حَيّاً ومَيّتاً ، وفَضّل أهْلها بلُزوم السُنّة المُجْ[مَع] عليها ، فأوْعز إلى وزيره مُتَولّي أحْكام مَدينتة بتَتَبُّ[ع] هذه الطائفة والتَحَ[رّي لها] وإخافتها والبَسْط عليها والقَبْض على مَن عُثِر عليها مِنها وإنْهاء خَبَره إلى أمير المؤمنين مشروحاً ، ليَأْتيَ مِن نَظَره في شُؤُونهم حَسْبَ ما يُوجِبه الحَقّ ويُوَفّقه الله لاتّباعه ، فنَظَر الوزير عبد الله بن بَدْر بالإعذار (5) إلى هؤلاء العُصَب المارِقة / والوَعيد [إن لم] 16 يَفيئوا إلى الفَلاح (1) ويَلُوذوا بالتَوْبة .

[كِتاب الخليفة في التنديد بمَذْهب ابن مَسَرّة وأتْباعه]

وأنْفَذ الخليفة الناصر لدين الله إلى آفاق مُلْكه بشأن هؤلاء المُبْتَدِعة كِتاباً طَويلًا قُرِئَ عليهم بأمْصارهم مِن إنشاء الوزير الكاتب عبد الرحمن ابن عبد الله الزَجّالي نُسْخَته :

(2) م. « شـذ » .

(3) هـ. « فابتدعوا » .

(4) هـ. « بقرآن » بلا شك .

(5) هـ. « بالاعذار » .

(1) هـ. « القـلاع » .

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعدُ ، فإنّ الله ، تعالى جِدُّه وعزّ ذِكْرُه ، جَعَل دينَ الإسلام أفضَل الأديان ، فأظْهَره وأعْلاه ولم يَقْبَل مِن عِباده غَيْره ، ولا رَضِيَ مِنْهم سِواه ، فقال في مُحْكَم تَنْزيله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (2) الآية ، وَقَضى في مَحْتوم أمْرِه ونَفاذ حُكْمه أن يَنْسَخ به الدِيانات وَيَخْتِم برِسالته الرِسالات ، فبعث محمّداً خاتَم النَبيّين وأكْرَم الأكْرمين وأعزّ الخَلائق على رَبّ العالَمين بأن كَتَب الصَلاة والسَلام عليه في عَرْشه قَبْلَ أن يَخْلُقه ، واصْطَفاه لأمانته قَبْلَ أن يُكَوِّنه ، وأرْسَله بأفْضَل دين سَمّاه حنيفاً إلى خَيْر أُمّة اخْتارها وَسَطاً . كما قال ، عزّ مِن قائل . إذ عَرّفنا فَضْل ما هدانا إليه (3) مِن الدين وكَرّمنا به على سائر الأُمَم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (4) الآية ، فله ، جَلّ جَلاله وتَقَدّسَت أسْماؤه ، الشُكْر على خَصائص هذه الفَضيلة والحَمْد بالمِنّة الجَليلة ، فقد اسْتَنْقَذ مِن الغَواية وهَدى فأحْسَن الهِداية ، وأنار فأبان الحُجّة وكَفانا بواضِح المَناهج مُؤْنة الفِكْرة ونَظَم زِمام الأُمّة وجَمَع وُجوه السَعادة العاجِلة والنَجاة الآجلة في تأليف الجَماعة واجْتِناب نَزَعات الفُرْقة ، حَيْثُ يقول عزّ وَجْهه لنَبيّه ، المخصوص بنُداه ، صلّى الله عليه وسلّم ، تَحَفّياً به وبعِباده ، ورأفة بَسَطها على خَيْر خَلْقه ، وإعلاماً لهم بتَواصُل الدين مِن قَبْله لأنْبيائه ، وكَراهة لاخْتِلافهم بَعْدَ رَسُوله – صلّعم – ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (5) [الآية] ، فَخَوّف وحَذّر ونَهى عن تفرّق الكَلِمة و[نبّه] على البَغْي ، ... (6) / ونفى الله الخبائث عنها ، وفضّلها على سائر

17

البُلْدان ، واسْتَقَرّ فيها الدين كهَيْئَته يَوْمَ أكْمَله الله لعِباده ، ولمّا

---

(2) قرآن ، س 3 آية 85 .

(3) علامة بحذف الكلمة أو ابدالها .

(4) قرآن ، س 3 آية 110 .

(5) قرآن ، س 42 آية 13 .

(6) سقطت هنا بعض الكلمات وقد تكون سطرا كاملا .

استَوْسَعت (1) الطاعة وشَمَلت النِعْمة وعَمّ الأقطار بعَدْل أمير المؤمنين السُكون والدَعة ، طَلَعت فِرْقة لا تَبْتَغي خَيْراً ولا تأتَمِر رُشْدًا ، من طَغام السَواد ومِن ضُعْف آرائهم ومن خُشونة الأوْغاد ، ... كُتُباً لم يَعْرِفوها ، ضَلَّتْ فيها حُلومهم وقَصُرت عنها عُلومهم ، وظَنّوا أنّهم فهِموا ما جَهِلوا وتفقّهوا فيما لم يُدْركوا . واسْتَوْلى عليهم الخِذْلان وأحَلّ عليهم بخَيْله ورَجْله الشيْطان ، فزَيّنوا لمَن لا تحْصيلَ لهم ولقَوْم آمِنين لا عِلْمَ عِنْدهم ، فقالوا بخَلْق القُرآن واسْتَيْأَسوا وأيِسوا مِن رُوح الله ، ﴿ وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رُوحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ (2) . وأكْثَروا الجِدال في آيات الله . وحَرّفوا التَأوّل في حديث رسول الله — صلّعم — . فبَرِئَتْ مِنْهم الذِمّة بقَوْله ، تَقَدَّسَتْ أسْماؤه . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (3) إلى قَوْله ﴿ [إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ] يُسْجَرُونَ ﴾ (4) ، فهذا أبْلَغ الوَعيد وأفْظَع النَكال لـ﴿مَنْ يُجَادِلُ (5) فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (6) ، ثَانِيَ عِطفه ﴿ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (7) إلى قَوْله ﴿ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (8) . ثُمّ تَجاوَزوا في البُهْتان ، وسَدّوا على أنْفُسهم أبْواب الغُفْران . فأكْذَبوا التَوْبة وأبْطَلوا الشَفاعة ونالوا مُحْكَم التَنْزيل وغامِض مُتَشابِه التأويل بتَقْدير عُقولهم . ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (9) .

---

(1) كذا ، بدلا من « استوثقت » .
(2) قرآن ، س 12 آية 87 .
(3) قرآن ، س 40 آية 69 — 70 .
(4) قرآن ، س 40 آية 71 — 72 .
(5) م. « جادل » .
(6) قرآن ، س 22 آية 8 أو س 31 آية 20 .
(7) قرآن ، س 22 آية 9 .
(8) قرآن ، س 22 آية 9 .
(9) قرآن ، س 3 آية 7 .

إلى قوله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾ (10) فصاروا بجَهْل الآثار وسُوء حَمْل الأخبار إلى القدْح في الحديث وترْك نَهْج السبيل ، فأساؤُوا الفَهْمَ عن العُـ[ـوم] . وأقدموا بمكروه القَوْل في السَّلَف الصالِح ، واسْتَبدَلوا على نَقَلة الحديث ، ووَضَعوا مِن الكُتُب أوْضَعها وتابَعوا شَهَواتِهم فيها ، وتَتابَعوا فيما أوبَقهم وورَّطهم ورأوا [ا]لتَخَضُّع وَخَشْيَة (11) يَحُثّها لازِم الضَّلالة وداعية الهَلَكة والشُذُوذ عن مَذْهَب الجَماعة مِن غَيْر نَظَر نافِذ في دِين ولا رُسُوخ في عِلْم ، حتّى لتَركوا / رَدّ السَّلام على المُسْلِمِين ، وهي التَحِيَّة التي نَسَخت تَحِيَة الجاهِلِيّين ، خِلافاً على أدَب الله تعالى وقَوْله ، جَلّ جَلاله ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (1) وقالوا بالاعْتِزال عن العامّة وشـــذّوا أزْره (2) فآثروه وانْكَشـــفوا فَنكِرهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (3) [الآية] ، فلجّــوا في جَهالتهم وتاهوا في غَيِّهم (4) ، ونَكِسوا على رُؤُوســهم حِقْدًا على الأئمّة الحنيفيّة ، واعْتِقاداً لبَغْضتها . واسْتِحْلالا لدِمائها ، وتَذرُّعاً إلى انْتِهاك حُرمها وسَبْي ذراريّها ، ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (5) [الآية] ، لوْلا أنّ سَيْف أمير المؤمنيـــن مِن ورائهم ونَظَره مُحيط بهم ، ولمّا صار غَيّهم فاشـياً وجَهْلهم شائعاً ، واتّصل بأمير المؤمنين من قَدْحهم في الدِيانة وصُدوفهم عن الجادّة ما شَغَل نفسه وأقَضّ مَضْجَعه وأسْهَر لَيْله ، أغْلَظ أمير المؤمنين في الأخْذ فوْق أيْدِيهم (6) ، وأوْعَز إيعازاً شديداً وأنْذَر إنذاراً فظيعاً وعهِد عهداً مؤكّداً شافياً كافياً ، نَظَر به لوَجْهه ، تَبارك اسْمُه (7) ، وقَدّم فيه بَيْنَ يَدي العِقاب الشديد وأمَر

---

(10) قرآن ، س 3 آية 7 .
(11) كذا في الأصل .
(1) قرآن ، س 4 آية 86 .
(2) هـ : أزلوه .
(3) قرآن ، س 39 آية 18 .
(4) هـ : غمهم .
(5) قرآن ، س 3 آية 118 .
(6) اقتباس من القرآن ، س 48 آية 10 .
(7) اقتباس من القرآن ، س 55 آية 78 .

بِقراءة كِتابه هذا على المِنْبَر الأعْظَم بحَضْرته ، ليَقْرَع قَلْب الجاهِل ، ويفُتّ كَيْد المُسْتَبْتِر الحائر (8) ، ويَنْقُض عَزْم المُعانِد المُعاجِل ، ويَضْطَرّ الغُواة إلى الإنابة الصحيحة التي تَقَبَّلها الله مِنهم ، أو يكْشِف عن الأذْهان سَرائرهم ، فيكون عليهم الشَهيد ، ﴿ وَ[إِنَّهُمْ] آتِيَهُمْ (9) عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (10) ، ورأى أمير المؤمنين أن يشْغُل بنَظَره أقْطار كُوَره ويُرْسِله في بَدْوه وحَضَره ، وأن يُنْفذ عُهوده إليك وإلى سائر قُوّاده وجميع عُمّاله بها ، يُقْرَأ على مَنابر المُسْلِمين ولا يُحْرَم القاصي (11) بأَعَمّ الداني من تَطْهير هذا الرِجْز وتَمْحيصه وكِفاية المُسْلِمين شُبْهة وفِتْنة ، فلم تَحُلّ الديار ولا تَعَفَّت الآثار ولا اسْتَحَقّ البَلاء على قَوْم ولا أهْلَك الله أُمّة مِن الأُمَم إلّا بمِثْل ما انْكَشَف (12) به هذه الطَبَقة الخبيثة مِن التَبْديل للسُنّة والاعْتِداء في القُرْآن العظيم وأحاديث الرسول الأمين ، صلَوات الله عليه وسلّم ، هذا عند وُروده عليك في الجامع قِبَلَك وآنْشُرْه في أسْماع رعيّتك ، وتَتَبَّعْ هذه الطائفة بجميع أعْمالك ، وآبْثُث / فيهم عُيُونك ، وطالِبْ فيهم غَوْرهم 19 جُهْدَك ، فمَن تجلّى بطَبقتهم ان انْتَسَب إليهم وقامتْ عليه البَيّنات بذلك عِندك فآكْتُب إلى أمير المؤمنين بأسْمائهم ومَواضِعهم وأسْماء الشُهود عليهم ونُصوص شَهاداتهم ليَعْهَد باسْتِجْلابهم إلى باب سُدّته ، ليُنَكَّلوا بحَضْرته فيَذْهَب غَيْظ نَفْسه ويُشْفى حَرّ صَدْره ، وإيّاك أن تُداهِن في أهل الرِيبة وتَتَخَطّاهم إلى ذَوي السَلامة والأحْوال الصالِحة ، فإنْ فَرَطْتَ في أحَد الأمْرَيْن أو كِلَيْهما فقَدْ بَرِئ الله مِنك وأحَلّ دَمك ، فآعْلَمْه وآعْدَ[لِمه] إن شاء الله تعالى » .

---

(8) قد تكون « الحائد » .

(9) م. « ياتيهم » .

(10) قرآن ، س 11 آية 76 .

(11) م. « القاضي » .

(12) كذا في الأصل بدلا من « انكشفت » .

وتَمادى لطَلَب لهذه الفِرْقة المَسَرّيّة والإخافة لهم وتَخْويف الناس من فِتْنَتِهم بَقيّةَ أيّام الناصر لدين الله .

[رواية الرازيّ]

فذكر الرازيّ في تاريخه قال : « وفي يوم الجُمعة لثمان خَلَوْن من ربيع الأوّل سنةَ خمس وأربعين وثلاث مائة ، قُرِئَ على أبْواب المَسْجِد الجامِع بقُرْطُبة عَهْد للوزير صاحِب المدينة عبد الله بن بَدْر ، وأوْعَز به إلى جَماعة الناس في أصْحاب مُحمَّد بن مَسَرّة باسْتِشْعار ضَجرهم واعْتِقاد المُنابَذة لهم و لتَوافُق على القِلى لهم والقِيام عليهم لتَعاقُبِهم على ما ابْتَدَعوه من مُخالَفة لسُنّة والشُذوذ عمّا عليه الجَماعة ، اسْتَمَع له الناس فازْدادوا في النُفور (1) مِنهم بَصيرةً ، وقَوّموا (2) به باعْتِقاد رَأيهم جَماعة أُشْعِروا هَمّ ذلك ومَخافته ، وعاد لمِثْل ذلك في العَشْر الآخِر من شَعْبان سنةَ ست وأربعين وثلاث مائة بَعْدَها ، فقُرِئَ على أبواب الجامِع بقُرْطُبة عَهْد مُجدَّد منه في البَحْث عن أصْحاب ابن مَسَرّة المُبْتَدِعين والتَحْريض على طَلَبهم إذ فارَقوا الجَماعة وخالَفوا السُنّة » .

[رواية ابن الفرضيّ]

وفي كتاب القاضي أبي (3) الوَليد ابن الفَرَضيّ المُصنَّف في عُلَماء الأنْدَلُس (4) : أبو [عبد] الله مُحمَّد بن [عبد الله بن] مَسَرّة بن نَجيح بن

---

(1) م . « لنفوس » .
(2) نص غير مستقيم .
(3) م . « أبو » .
(4) نظرا للاختلاف بين ما يجيء هنا وبين ما يجيء في « تاريخ علماء الأندلس » (طبعة كوديرا رقم 1202 وطبعة القاهرة رقم 1204) ننقل هنا ترجمة ابن مسرة عن هذا المصدر :

مَرْزوق مَوْلًى غامِض الوَلاء . قِيل إنّه مولى لبني هِشام (5) وقِيل لرَجُل مِن أهل جَيّان وقِيل لرجل مِن أهْل فاس (6) مِن أرض العِدْوة . كان كثير العِلْم بالأخْبار وأسع الرِواية للآثار ، مُفَنَّنًا في المَعْرِفة ، فَيْلَسُوفا عليماً وطبيباً

20 ومُنجِّماً فَلَكِيًّا وأديباً بارِعاً وشاعِراً مُفْلِقاً وخطيباً مِصْقَعاً / مَنْسوباً إلى المَعْرِفة بِحِذْق اللِسان والحِذْق بالعَرَبيّة والحِفْظ للُّغة . إلا أنّ محمّد بن حَسَن الزُبَيْدِيّ ، مُبْدِع عِلم اللِسان لدَيْنا ، أنْكَر ذلك فيه ودلّ على تَأخُّره في الفَنَّيْن (٤) بأدِلّة مِن كَلامه واضِحة . مِن ذلك حِكايته عنه أنّه قال :

محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله سمع من أبيه ومن محمد بن وضاح والخشني وخرج الى المشرق في آخر أيام الأمير عبد الله ، رحمه الله . قال لي الخطاب بن مسلمة اتهم بالزندقة فخرج فارًّا وتردد بالمشرق مدة فاشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة ثم انصرف الى الأندلس فاظهر نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره فاختلفوا اليه وسمعوا منه ثم ظهر الناس على سوء معتقده وقبح مذهبه فانقبض من كان له ادراك وعلم وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل فدانوا بنحلته . وكان يقول بالاستطاعة وانفاذ الوعيد ويحرف التأويل في كثير من القرآن وكان مع ذلك يدعي التكلم على تصحيح الأعمال ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق في نحو من كلام ذي النون الأخميمي وأبي يعقوب النهرجوري وكان له لسان يصل به الى تأليف الكلام وتمويه الألفاظ واخفاء المعاني وقد رد عليه جماعة من أهل المشرق منهم أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي وأحمد بن محمد بن سالم التستري ولأحمد بن خالد في الرد عليه صحيفة أخبرنا بها عنه أبو محمد الباجي وقال ابن حارث الناس في ابن مسرة فرقتان فرقة تبلغ به مبلغ الامامة في العلم والزهد وفرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد وبخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم ، وقال لي الباجي توفي محمد بن مسرة سنة 319 وقال لي محمد بن عمر توفي في صدر شوال سنة 319 وجدت بخط أحمد بن سعد ولد محمد بن عبد الله بن مسرة ليلة الثلاثاء في الثلث الأول من الليل لسبع مضين من شوال سنة 269 وجدت ذلك بخط أبيه . وقال بعضهم توفي يوم الأربعاء بعد صلاة العصر ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر لخمس خلون من شوال سنة 319 وهو ابن خمسين وثلاثة أشهر .

(5) م. « هاشم » .

(6) م. « فارس » .

(٤) يعني « الصرف والنحو » وكان عليه أن يقول هنا . « على تأخره في علم الاشتقاق » .

«التَوَكُّل كَلِمَة أصل يَعْتَلّ مُضارِعه كالوَزْن والوَعْد [و]وَكَلَ (2) مِن الثُلاثيّ المُضاعَف الذي عَيْنُه ولامُه من مُخْرَج واحِد»، وحُكِي عنه أيضاً أنه قال: «إنّما سُمّيَ المُزاح مُزاحاً لأنّه مُزاح عن الحَقّ»، وهذا مِمّا قلّد فيه غَيْرَه وقد رُوِي عن بَعْض أهْل العِلم هذا ولَيْس في الاشْتِقاق لأن المُزاح مِن أزَحْتُ إنّما هو مفعول والمِيم زائدة.

قال: «ومَذْهَب ابن مَسَرّة في عُدُوله عن كثير من اعْتِقادات أهل السُنّة مشهور معروف، وهَلَك ابن مَسَرّة صَدْر شَوّال سنة تسع عشرة وثلاث مائة وسِنّه ستّ وخمسون سنة وثلاثة أشْهُر، ومن شِعْره (بسيط):

حَتَّى مَتَى نَحْنُ فِي الأَيَّامِ نَحْسِبُهَا
وَإِنَّمَا نَحْنُ فِيهَا بَيْنَ يَوْمَيْنِ
يَوْمٌ تَوَلَّى وَيَوْمٌ نَحْنُ نَأْمُلُهُ
لَعَلَّهُ أَجْلَبُ الأَيَّامِ لِلْحَيْنِ

وأعاد القاضي أبو الوَليد ذِكر هذا الرَّجُل محمد بن مَسَرّة في كتاب تاريخ العُلَماء تأليفه، فقال: «مُحمّد بن عبد الله بن مَسَرّة يُكْنَى أبا عبد الله، قُرْطُبيّ، شهير الذِكْر، معروف بمَذْهَب من الاعْتِزال، كان مِن العِلْم بمكان، سَمِع مِن والِده عبد الله ومِن ابن وَضّاح والخُشَنيّ، ورَحَل إلى المَشْرِق [في آخر أيّام الأمير عبد الله رحمه الله قال لي الخَطّاب بن مَسْلَمة اتُّهِم بالزَنْدَقة فخَرَج فارًّا وتَرَدَّد] مُدّة، واشْتَغَل (3) بمُلاقاة المُتكلّمين وأصْحاب المَقالات وأهل الجَدَل مِن المُعْتَزِلة وغَيْرهم، فحَذِق أقْوالهم، ثُمّ انْصَرف إلى الأنْدَلُس فأظْهر نُسْكاً ووَرَعاً واعْتِزالاً للناس، فاغْتَرّوا بظاهِره واخْتَلفوا [إليـ]ـه وسَمِعوا مِنه، ثم ظَهَر الناس على سُوء مُعْتَقَده وقُبْح مَذْهَبه فانْقَبَض عنه مَن كان له إدراك وعِلْم بحِجْره، وتَمادى في صُحْبته

---

(2) هـ. «وكل»، ولا تستقيم مع المعنى.

(3) هـ. «استقل»، على ما يظهر.

آخَرُون غَلَب عليهم الجَهْل والتَحيُّر ، فدانوا بنِحْلته وبثّوا في الناس مَذْهبه ، وكان يَقول بالاسْتِطاعة وإنفاذ الوعيد ، ويُحرِّف التأْويل في كثير مِن القُرْآن ، وكان مع ذلك يَدَّعِي التكلُّم على تَصْحيح الأعْمال ومُحاسَبة

21 النُفوس على حَقِيقة الصِدْق في نَحْو / مِن كَلام ذي النُون الأخْمِيميّ وأبي (1) يَعْقوب النَبْرَجُوريّ (2) ، وكان له لِسان عَذْب ذَلِق يَقْوَى به على تأليف الكَلام وتَمْويه الألفاظ وإخفاء المعاني ، فيَغْلِب العُقول ، وقد رَدّ عليه جَماعة من أهل المَشْرِق ، مِنْهم أحمد بن[محمّد بن]زِياد الأعْرابيّ وأحْمَد ابن محمّد بن سالِم التُسْتَريّ (3) ، ولأحْمَد بن خالِد الأنْدَلسيّ المُحدِّث في الرَدّ عليه صحيفة أتى بها عنه أبو محمّد الباجيّ المُحدِّث .

قال ابن حارث : الناس في ابن مَسَرّة فِرْقَتان ، فِرْقة تُفضِّله وتَبْلُغ به مَبْلَغ الإمامة في العِلْم والزُهْد والمَعْرِفة ، وفِرْقة تُبْعِده عن ذلك [وطُعِنَ عليه بالبِدْع لِما ظَهَر] (4) مِن كَلامه في الوَعْد والوَعِيد وتُخْرِجه عن طريق العُلوم المعبودة بأَرْض الأنْدَلس الجارِية على مَذْهَب التَقْلِيد والتَسْلِيم .

قال [لي محمّد بن عُمَر] : وتُوفِّيَ مُحمّد بن عبد الله بن مَسَرّة في صَدْر شَوّال سنة تسع عشرة وثلاث مائة .

ووجدتُ بخَطّ أحمد بن سَعْد : وُلد مُحمّد بن عبد الله بن مَسَرّة ليلةَ الثُلاثاء لسبع مضَيْنَ من شـوّال (5) سنة تسع وستين ومائتين ، وجدتُ ذلك بخَطّ والِده عبد الله .

وقال بعضهم : تُوُفِّيَ يَوْم الأرْبعاء لأربع خَلَوْن من شَوّال سنة تسع عشرة وثلاث مائة وهو ابن خمسين سنة وثلاثة أشْهُر .

---

(1) م. « أبو » .

(2) م. « البرجوري » .

(3) م. « المبستري » .

(4) ننقل عن « تاريخ علماء الأندلس » انظر ص 19 ملاحظة رقم 4 من كتابنا هذا .

(5) م. « شعبان » .

وقــال ابن الفَرَضيّ (6) : وكان [لمحمّد] بن عبد الله بن مَسَرّة اخ من ذَوِي الفَضْل يُسَمّى ابراهيم ويُكْنى أبا إسْــحاق ، سَمِع مِن أبيه ومِن الخُشَنيّ وابن وَضّاح وغَيْرهم ورَحَل مع أبيه عبد الله ، فسَمِع من جَماعــة وتُوُفِّيَ بالاسكندريّة ورَثاه أخوه محمّد بقصيدة أوّلها (وافر) :

أَحَقًّا أَيُّهَــا ٱلنَّاعِي (7) ٱلسَّــمِيعُ
أَبُو إِسْــحَاقَ لَيْسَ [لَهُ] رُجُــوعُ
عَلَى ٱلْإِسْــكَنْدَرِيَّةِ عُــجْ فَسَــلِّمْ
لِتُقْضَى مِنْ لُبَانَتِهَــا ٱلدُّ[مُوعُ]
فَفِي عَرَصَاتِهــا شَــمْلُ شَــتِيتٌ
تَشَــتَّتَ دُونَهَــا صَبْــرُ جَمِيــعُ

وذكر القاضي ابن الفَرَضيّ أيضاً والِد ابن مَسَرّة في بابه (8) مِن التاريخ ، فقال : عبد الله بن مَسَرّة بن نَجيح يُكْنَى أبا مُحَمَّد ، قُرْطُبيّ .

---

(6) انظر « تاريخ علماء الأندلس » طبعة كوديرا رقم 23 طبعة القاهرة رقم 23 كذلك : « ابراهيم بن عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة يكنى أبا اسحق ، سمع من أبيه ومن الخشني ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس ورحل مع أبيه فسمع من جماعة وتوفي بالاسكندرية وفيه يقول أخوه محمد شعرا انشد فيه بعض أصحابنا أوله :

احقــا ايهــا النــاعي السميــع
ابــو اســحق ليس لــه رجــوع

(وفيها)

على الاسكندريــة عــج فسـلم
لتقضي من لباناتهــا الــدموع
ففي عرصاتها شــمل شــتيت
تشتت عنــه لي صــبر جميــع

ولم اقيد تأريخ وفاته عن احد وقد رايت بعض كتب سماعه من الشيوخ الذين ذكرت ولم يكن كأخيه .

(7) م. « الداعي » .

(8) انظر طبعة كوديرا رقم 650 وطبعة القاهرة رقم 652 :

22 ذكر محمّد بن اسما[عيل] / الحكيم أنّه مولى لرَجُل مِن البَرْبر مِن أهل فاس . وذكر بَعْض من صَحِب وَلَده محمّدًا أنّه كان يقول إنّه مِنْ مَوالِي بَني أُمَيّة ونَسَبه بَعْضهم فقال : هو عبد الله بن مَسَرّة بن نَجيح بن مَرْزوق ، مَوْلى أبي قُرّة البَرْبريّ الجَيّانيّ ، وفي نَسَبه غُموض ، رَحَل بِه أخوه (I) إبْراهيم بن مَسَرّة ، وكان تاجِرًا ، إلى المَشْرق وهو صغير ، فعُنِيَ بطَلَب العِلْم وصَحِب في رِحْلته محمّد بن عبد السلام الخُشَنيّ ، وسَمِع

« عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة يكنى أبا محمد ذكر محمد بن اسمعيل الحكيم انه مولى لرجل من البربر من أهل فاس وقال محمد بن أحمد الشبلي الزاهد هو مولى لبني هشام وقد ذكر بعض من صحب ابنه محمد انه كان يقول انه من موالي بني امية ونسبه بعضهم فقال هو عبد الله بن مسرة بن نجيح بن مرزوق مولى أبي قرة البربري الجياني رحل به أخوه ابراهيم بن مسرة وكان تاجرا الى المشرق وهو صغير وصحب في رحلته محمد بن عبد السلام الخشني وسمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار وعمرو بن علي الفلاس ومحمد بن المثنى الزمن ونصر بن علي الجهضمي وأحمد بن محمد بن غالب الذي يقال له غلام خليل والمفضل بن عبد الرحمن الغلابي وبشر بن أحمد بن بنت أزمقر السمان وجماعة سواهم من البصريين وغيرهم وشارك الخشني في أكثر رجاله بالبصرة وتردد فيها فأكثر وانصرف الى الأندلس اخبرنا عبد الله بن محمد بن علي قال أنا أبو عمرو عثمن بن عبد الرحمن قال قال لي عبد الله ابن مسرة كان بندار يقول لي يا صقلي اياك ان يبيعك أهل البصرة قال عبد الله وكنت قد اخذني حر البصرة والشمس فكان وجهي قد تسلخ قال أبو عمرو وكان عبد الله بن مسرة أشقر شديد الحمرة روى عن عبد الله بن مسرة عثمن بن عبد الرحمن ومحمد ابن قاسم وقاسم بن أصبغ وثابت بن حزم السرقسطي في آخرين من نظرائهم وكان عبد الله متهما بالقدر وكان خليل القدري له صديقا ذكر ذلك أحمد واخبرني اسمعيل قال اخبرني خالد قال كان محمد بن ابراهيم بن حيون يشهد على عبد الله بالقدر ويقول لي كان يخزن (؟) فيه قال أحمد وتوفي في صدر أيام الأمير عبد الله رحمه الله وقال ابن حارث كان عبد الله بن مسرة فيما اخبرني من أثق به فاضلا دينا طويل الصلاة ورحل في آخر عمره رحلة ثانية بعد ان كبر ابنه محمد وترك كتبه بيده ويقال ان رحلته وخروجه انما كان لدين ركبه فوصل الى مكة وكان له جاه عريض وبها هلك وقرات في بعض الكتب ان عبد الله بن مسرة رحل الى المشرق في آخر عمره رحلة ثانية وتوفي هنالك سنة 286 في ذي الحجة » .

(I) م. « أخوة » .

بالبَصْرة مِن بُنْدار محمّد بن بَشّار (2) ومحمّد بن المُثنّى الزَمَن (3) ونَصْر ابن عليّ الجَهْضَميّ (4) وأحْمَد بن محمّد بن غالِب الزاهِد المعروف بغُلام خَليل وجَماعة سِواهم من البَصْريِّين وغَيْرهم ، وشارَك الخُشَنيّ في بعض رِجاله بالبَصْرة وتَرَدَّد فيها فأكْثَر وانْصَرف الى الأنْدَلُس ، وكان مع ذلك مُتَّهَماً بالقَدَر ، فكان خليل العُذْريّ (5) له صديقاً ، ذكر ذلك خالِد .

قال ابن حارِث : كان عبد الله بن مَسَرّة ، فيما أخْبَرني مَن أثِق به ، فاضلاً دَيِّناً طويلَ الصَلاة ، ورَحَل في آخِر عُمُره رِحْلة ثانية بَعْدَ أن كَبُر آبنه محمّد ، وأخَذ عنه وتَرَك كُتُبه بيده ، فو[صل] إلى مَكّة وأقام فيها ، وكان له جاه عريض وبها هَلَك .

وقَرَأتُ في بعض الكُتُب أنّ خُروج عبد الله بن مَسَرّة الثاني إلى المَشْرِق في آخِر عُمُره كان لدَيْن رَكِبه فتُوُفِّيَ هُنالِك في ذي الحِجّة سنةَ ستّ وثمانين ومائتَيْن ، وكان أشْقَر شديد الحُمْرة .

أخبار دِينيّة للناصر لدين الله

ذكر الحَسَن بن محمّد بن مُفرَّج القُبَّشيّ في كِتابه في الخُلَفاء ، قال : مِن أحْسَن ما جرى للخليفة الناصر لدين الله في التَحَرُّج مِن المَأْثَم أن تَصَدَّى له يَوْماً في بعض مَخا[رِج]ه من القصر في مَوْكب له رَجُل معتوه تَكَمَّن له في بعض جَنَبـات طريقه ، فثار في وَجْهه وصاح عليه صِياحاً مُنْكَراً وهَرْوَل نَحْوَه ومدّ يده إلى شَكائِم عِنانه ، يُريد القَبْض عنها فنَفَر الفَرَس

(2) م. « يسار » ولكن انظر ترجمته في كتاب « الوافي » للصفدي ج 2 ص 249 .
(3) انظر ترجمته في كتاب « الوافي » للصفدي ج 4 ص 384 .
(4) يذكر في « تاريخ بغداد » ج 2 ص 108 و ص 247 . وفي ج 3 ص 173 وفي ج 7 ص 54 وفي « انباه الرواة » للقفطي ج 3 ص 345 (الفضل في الملاحظات رقم 2 و 3 و 4 يعود الى م. مارين و خ. بيريث لاثارو) .
(5) « تاريخ علماء الاندلس » « القدري » . من المحتمل انه هو خليل بن عبد الملك ابن كليب المعروف بخليل « الفضلة » أو « الغفلة » انظر ابن الفرضي رقم 417 .

الذي كان تَحْتَه وأَقْعى على مُؤَخَّره فكاد يُلْقِي عنه الخليفة لَوْلا جُودة اسْتِمْساكه على سَرْجه ، فابْتَدَر المعتوه أكابر فِتْيانه الخِصْيان الصَقالِبة الحافّون به يَحْسِبونه خارِجيًّا قَصَدَ نَفْسَه ، / فخَطَفوه بأَسْيافهم ووَخَزوه بأَسِنَّتهم فقَتَلوه ، والناصر لدين الله مُشْتَغِل بدَهْشته (1) ... وسَبَّ الخِصْيان فأَغْلَظ لهم وهَمّ بهم وأَمَر بالسُؤال عن أَوْلِياء ذلك المعتوه ، فوَداه لهم وتَعَهَّدهم بالإحسان حَياتَه .

23

[قَوْل ابن حيّان عن مَعايِب الناصر]

أقول : قد عارَض الفقيه العالِم أبو محمّد عَلِيّ بن سعيد بن أَحْمَد بن حَزْم الأَنْدَلُسيّ جميع ما ظَهَر للناس وحَمَله نَقَلة أَخْبارهم (2) من مَحاسِن هذا الخليفة الناصر لدين الله [بما] عَفّاها ونَسَخها (3) من سِماج مَعايِبه ، إذ قال في كِتابه المُسمّى نَقْط العَرُوس في نَوادِر الأخبار ، عِنْدَما ذكر مثالِب جَدّ جَدّه الأَقْدَم الحَكَم بن هِشام الـ[جَبّار] صاحِب الرَبَض ، فعَطَف على عبد الرحمٰن الناصر لدين الله هذا فقال : وما كان عبد الرحمن الناصر لدين الله بالبعيد مِن جَدّ جَدّه الحَكَم بن هِشام في انْهِماكه في المَعاصي والْتِباسه بالرِيَب وعَبَثه في الرَعايا واسْتِهْتاره باللَّذّات وتَغْلِيظ العُقُوبات وتَهْوِينه بالدِماء . فهو الذي عَلَّق أولاد السُودان في ناعُورة قَصْره بَدَلاً مِن الأَقْداس (4) الغارِفة للماء فأَهْلَكهم واسْتَرْكَب رَسِيس الماجِنة مُضْحِكته ومَوْكِبه بسَيْف وقَلَنْسُوة وهي عَجُوز سَوْء فاجِرة ، إلى مَناكِير كانت له باطِنة الله أَعْلَم بها .

---

(1) يبدو أنه سقط هنا سطر لأن النص في السطرين متشابه ، وفي المخطوط « وهمّ بهم وأمر بالسؤال عن أولياء ذلك شديد وانساه » .

(2) م. « نقله اختارهم » .

(3) م. « نسختها » .

(4) الصحيح هو « القواديس » .

أقول : ما سَمِعْتُه مِن المَشْيَخة الدانية بِفَتَّتهم مِن تِلْك الدَوْلة مِن فظيع سَطَوات الناصر لدين الله لِمَن في جِ[مايَ]ته [مِن] (5) النِساء في سِرّه ، المُطابِقة لِما كان يُبْديه مِنها في الرِجال في جَهْره ، ما حَمَلوه عن خَواصّ من أكابِر خَدَمه الخِصْيان ساكِني داره ومُشاهِدِي غَيْبه ، أنّ جارِيَة مِن عَلِيّات حَظاياه المُعْتَدّات بِعَلاقته ، كان في خُلُقها بَأْو لا تُوفِيه به حَقّ تَعاظُمه ، خَلَتْ بِ[ه يَوماً] مِن أيّام أُنْسه بالشَراب بِرَوْضة الزَهْراء ، جالِسةً إلى جَنْبه والكأس قد عَمِلَتْ فيه ، فأَلَحّ على مُحَيّاها باللَثْم والعَضّ حتّى كُلِّفَتْ مِن فِعْله ، فكَسَرَتْ طَرْفها وثَنَتْ جِيدها عابِسةً سُروره ، فأثارَتْ مِن غَضَبه ما أَمَر الخِصْيان مِنْ أَجْله بِمَلْكها وإدناء (6) الشَمْعة مِن وَجْهها وإحراق مَحاسِنها وطَمْسها ... بِعَيْنه حتى / خَمَشوا وَجْهها وأساؤُوا إحراقها وقَضَوْا عليها ، فكانت مِن أَقْبَح فَعِلاته .

24

وقد حكى عنه أبو عِمْران سَيّافه الذي أَنْظَره بِعُدّته (1) أنّه اسْتَدْناه لَيْلةً إلى مَجْلِسه بقصر الناعورة وقد بات فيه يَحْيَى بِسَيْفه ونِطْعه ، فدَخَل بآلته إليه في مَجْلِس شَرابه ، فوَجَده جالِساً القُرْفُصاء ، لَيْثاً على بَراثِنه وجارية كالمَهاة محبوسة في أَيْدي الخِصْيان إلى ناحية تَسْتَرْحِمه ، فيَرُدّ عليها أَغْلَظ رَدّ ، ثُمّ قال : « دُونَكَ الفاسِقةَ ، يا أبا (2) عِمْران ، فاْضْرِبْ عُنْقها » ، فتَأَبَّيْتُ مُؤامِراً على العادة فقال لي : « آضْرِبْ ، قَطَع الله يَدَك ، وإلّا فضَعْ عُنْقك » . فأَدْناها الخادِم إليَّ وقد شَمَّر غَدائرها وكَشَف عن عُنْقها قال : فضربْتُها ضَرْبةً فأطَرْتُ رأسها وسمِعْتُ لوَقْع الشَفْرة صليلاً لم أَعْهَدْه ، ولا عايَنْتُ شَيْئاً اعْتَرَضه ، فرُفِع جَسَد الجارية ومَسَحْتُ سَيْفي في نِطْعي وطَوَيْتُه وانْطَلَقْتُ به ، فلمّا دخلْتُ حُجْرتي وفتحْتُ النِطْع لاح لِي فيه دُرّ

---

(5) م. « حجابة » .

(6) م. « ادنى » .

(1) م. « بعده » .

(2) م. « أبو » .

ثاقِب النُور فاخِر الجِرْم خِلاله حَصْبـاء ياقُوت [وزَبَرْجَد يتَرَقْرَق] (3) كالجَمْر ، جَمَعْتُه في كُمّي وبادَرْتُ بإدخاله إلى الناصر لدين الله ، فلم يَكُ بأسْرَع مِن أن صَرَفه إليّ وقال لي : « لم يخْفَ علينا مكانه واعتمَدْنا نَفْعك به ، فخُذْ مُبـارَكاً لك فيه » . قال : فمِنْه اكْتَسَبْتُ داري هذه ، بقـوله لمُحدِّثه .

أقول : ومِمّا رَعَب الناصر لدين الله الناس به من فظيع المَخاوِف اتّخاذه الأُسود إرهاباً لعَذابه ، وذلك من أفْعال الجَبابِرة المُلوك بالمَشرِق ، ذَهَب إلى اقْتِفـاء أثَرهم فيها ، فاسْتَدْعاه مِن قِبَل مُلوك العِدْوة ، إذ لَيْست مِن سِباع الأنْدَلُس ولا لها فيها أعْمار ولا أنْسال ، وذلك مِن مَفاوِزها ، فأُهْدِيَتْ إليه عِدّة منها ، اتّخذ لها داراً ظَهْرَ قصره بقُرْطُبة فوق القَنْطَرة الماثِلة على الخَنْدَق وبجَوْفه (4) المُطْبَق به يُنْسَب إليها اليَوْمَ فتُدْعَى بقنطرة الأُسود ، لها سَبّاعون يَضْبِطونها في الحَديد ويُطْعِمونها وَظائِفها الكافِية لها مِن لُحوم البَقَر ، يُفْزِع بهـا أَصْحـاب الجَرائم فالقُلوب مِن خَوْفهـا واجِفة ومِمّا بَلَ[غَني] ... أنّه سَلّطهـا على أحَد شُهِر خَبَره ، إلى أن زَهِد فيهـا آخِرَ عُمْره ، / فعقَرها (1) وعَطَّل رَسْمها ، ولحِقْتُ مَشايِخ مِن الناس خَبَّروا أنّ تِلك الدار يَتَحَـدَّثون عنهـا ، ويُعَرِّف بعضهم بحَـديث كَرامة لبَعْض صالِحِي ذلك الوَقْت أظْهَر الله به فَضْلـه ، وذلك أنّ أسَداً انْحَلّ مِنها عن سَلاسِلِه في وقت خالٍ غاب فيه سائسـه ، فخَرَج على وَجْهه ودَخَل إلى مَسْجِد قُرْب الدار التي أفْلَت مِنهـا ، انْتَهى الأَسَد إلى مكانه ، والرَجُل قائم يُصَلّي ، أقْعى على ذَنَبـه وأَخْفى زئيره ولم يَتقـدَّم نَحْو الرَجُل ولا الرجل قَطَع صَلاته ، إلى أنّ أتَمّها وتَحوّل ، فلمّا نَظَر مِنه ، هَيْنَم بذِكْر رَبّه وقام نَحْو الأَسَد فأشار إليه بكُمّه « اخْسَأْ ، أيُّها المخلوق ، واذْهَبْ لِشأْنك

25

(3) مستحيل القراءة . م. « و فرندتر » .
(4) م. « ولحق فيه » كذا يبدو .
(1) م. « فعفرها » .

فلَيْسَ هذا من أوْطانك » ، فانْثَنى الأسَد مُنصرِفاً ، وسائسه قد أوْفى فطَلَبه فأخَذ بمِقْوَده ومضى به ، والعَبْد الصالِح قد عاد لصَلاته .

الداخلون الى الأندلس من المَرْوانيّة أيّام الناصر لدين الله

ذكر مُعاوِية بن هِشام الشَبيشيّ قال في كتابه في ذِكْر الداخِلين إلى الأندلس من قَوْمه بَني مَرْوان ، فقال : مِنهم القَدَريّون لَقَب غَلَب عليهم ، اسْتَأخَر دُخول جَدّهم الأندلس إلى أيّام الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمٰن ابن محمّد وهو عبد العزيز بن عبد السَلام بن عبد الواحِد بن سُلَيْمان بن عبد المَلِك بن مَرْوان ، ... (2) وذلك سنةَ ثَلاث وثلاثين وثَلاث مائة ، فأحْسَن الناصر لدين الله إليهما وكَرَّم مَثْواهما ، فاسْتَقَرّ مكانهما لدَيْه بالأندلس وفَشا نَسلهما فيها وجاء بَعْدَهما إليها في آخِر أيّام الناصر لدين الله سنةَ احدى وأربعين وثلاث مائة ابن عمّهما محمّد بن عبد السَلام بن إسْماعيل ابن سُلَيْمان بن عبد الله بن عبد المَلِك بن مَرْوان ، فتَقبّله الناصر لدين الله قَبُولهما ووَصَله وكرَّم مَنْزِلته ، فأقام مع ابْنَيْ عمّه .

ذِكْــر الشُــعَراء

فقابلَتْ للخليفة الناصر لدين الله ، بفَضْل ما أتاه ، أسْباب مِن السَعادة وتَطابَقَتْ فَضائلها لدَيْه باجْتِماع حَلْبة من فُحول الشُـعَراء أُمَراء الكَلام فيها ، وتَناغِيهم في مديح الناصر لدين الله داخِلها اسْتِثارةً لجُوده وتَدرُّعاً إلى تكريمه ، إذ كان له إليهم مَيْل وله ... كَلِف ما / بَدَعوا في مديحـه ، 26 وافْتَنّوا في تَقْريظه وتَوسّعوا في ذِكْر عَدالة سِيرته وسَماحة كَفّه وشَجاعة قَلْبه وجَزالة رأْيه وثُقوب فَهْمه ونُفوذ عَزْمه وبَصَره بتَدْبير حُروبه وثِقته بتَوالِي سُعوده واتّصال فُتوحه وتكريم أفْعاله وتفخير (I) شُؤونه وتَعْظيم آثاره ،

---

(2) يبدو أنه سقط هنا سطر فيه ذكر اسم علم حتى تستقيم التثنية الواردة في النص .

(I) م. « تفجير » .

فأبْدَعوا فيما تَناوَلوه به من ذلك بفَضْل اقْتِدارهم ومكانهم من صِناعتهم وكَسَوْا دَوْلته الغَرّاء بأشعارهم المنقولة عنهم أَوْضاحاً وحُجولاً زادَتْها حُسْناً وبَهاءً ، وكان المُقدَّمون لديه من طَبَقتهم عِدّة خَنانِيذ مُقدَّمهم مُعلِّمه في الصِبَى أبو عُمَر أحْمَد بن محمّد بن عبد ربِّه ، ويَليه مِن نَمَطه عُبَيْد الله ابن يَحْيى بن إدْريس وعبد المَلِك بن سعيد المُراديّ وإسْماعيل بن بَدْر وأغْلَب ابن شُعَيْب وحَسَن (2) بن حَسّان السِناط وغَيْرهم [و]مِن كِبار الطارِئين عليه من المَشْرِق طاهِر بن محمّد المُهنَّد البَغْدادي ومحمّد بن حُسَيْن الطُبْنيّ الإفْريقيّ وغَيْرهما أسْلَفوا في الناصر لدين الله إحساناً كثيراً (3) أثْبَتَتْه (4) الرُواة لبَراعته فاكْتُتِبَتْ يَوْمئذٍ نُسَخه ، وأضْحَتْ لدَيْنا خالِدة ، فنذْكر مِن حاضِره لدَيْنا ما سَنَح لنا ووَقَع باخْتِيارنا ، مُعْتذِرين إلى نُقّاده مِن قُصور عْلَمائه (3) وبالله التَوْفيق .

قال أحمد بن محمّد بن عبد ربِّه في مديح الناصر لدين الله وقد خَرَج مُتصيِّداً أوَّل رُكوب كان له في خِلافته إلى مُنْية الجَنّة بشَرْقيّ قُرْطُبة غُرّةَ جُمادى الآخِرة سنةَ ثلاث مائة في شِعْر له أوَّله (بسيط) :

شَمْسُ بَدَتْ مِنْ حِجَـابِ ٱلْمُلْكِ أَمْ قَمَرُ
أَمْ بَرْقُ مُدْجِنَـــةٍ يَغْشَى لَـهُ ٱلْبَصَرُ

وله فيه مِن قصيدة أُخْرى أيضاً (طويل) :

بِجُـودِ أَمِيـرِ ٱلْمُؤْمِنِيــنَ تَنَبَّعَـتْ
عَلَيَّ شِـعَابُ ٱلْعَيْشِ وَهْيَ حَوَافِـلُ
وَأَلْبَسَــنِي ثَوْبَ ٱلْغِنَى بَعْـدَ فَاقَـةٍ
وَأَنْضَرَ عُودِي بَعْـدَ إِذْ هُوَ ذَابِـلُ

---

(2) م. « حسان » ولكن انظر كتابنا هذا ص 27 .
(3) قراءة مشتبهة .
(4) م. « اثقفته » .

فَأَذْهَلَنِي شُــكْرِي لَهُ وَٱمْتِنَـانُهُ
فَعَقْلِي مِــنْ هٰـذَا وَذٰلِـكَ ذَاهِـــلُ

وله فيه أيضاً من قصيدة (مجزوء الكامل) :

نَفْسِي تَمُـوتُ بِدَائِهَـــا
وَتَرَى مَكَـانَ شِفَائِهَـــا
[وَمَـدامِعِي لَا تَنْثَنِـي]
تَهْمِي صَبَـاحَ مَسَائِهَـا

أطال في تَشْبيهها ومديحها .

27 / ومِن جَيِّد قول أبي عُثمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس في [مديح] الناصر لدين الله ، وقد غزا الروم في شَهْر رَمَضان وأدْرَكه الفِطْر في بِلاد العَدُوّ فلم يَتَوَدَّعْ وصَمَد إلى لِقائهم وقد اجْتَمَعوا ، فقال في كَلِمة أوّلها (كامل) :

يَهْنَى ٱلْخِلَافَةَ سَعْيُ خَيْرِ إِمَامِ
لِلهِ مَسْــعَاهُ وَلِلْإِسْـــلَامِ
مَلْكٍ تَمَكَّنَ فِي ٱلْمَكَـارِمِ وَٱلْعُلَى
كَتَمَكُّنِ ٱلْأَرْوَاحِ فِي ٱلْأَجْسَـامِ

وفيها :

عَزَمَ ٱلرَّحِيلَ مُصَمِّماً فِي عِيــدِهِ
لِشِفَاءِ غُلَّةِ سَـيْفِهِ ٱلصَّمْصَـامِ
وَأَبَى ٱسْتِسَاغَةَ فِطْرِهِ مِنْ صَوْمِهِ
مَا لَمْ يَكُنْ لِلسَّـيْفِ فِطْرُ صِيَـامِ
يَصِلُ ٱلتَّرَحُّلَ بِٱلتَّرَحُّلِ دَائِبــاً
فِي ٱلْحَلِّ يُحْكِمُـهُ وَفِي ٱلْإِبْـرَامِ

لِيَعِزَّ دِينُ ٱللهِ فِي كَنَفِ ٱلْعُلَى
وَيَذِبُّ عَنْ حَرَمِ ٱلْهُدَى وَيُحَامِي

مُسْتَنْجِزاً وَعْدَ ٱلإِلٰهِ بِنَصْرِهِ
فِي شِيعَةِ ٱلإِشْرَاكِ وَٱلإِجْرَامِ

أطال فيها القول .

وله فيه وقد راكَبه يوماً في بعض رَكَباته من كَلِمة طويلة أَوَّلُها (طويل) :

دَعَانِي وَأَدْنَانِي إِلَيْهِ مُوَاكِباً
كَمَا وَاكَبَ ٱلْبَدْرَ ٱلْمُنِيرَ سُهَاهُ

وَخَاطَبَنِي مِنْهُ أَعَزُّ مُخَاطِبٍ
وَأَعْظَمُ مَنْ يَسْمُو بِهِ شَرَفَاهُ

فَأَغْضَيْتُ طَرْفِي عَنْ سَنَاهُ مَهَابَةً
وَأَكْبَرَ طَرْفِي أَنْ يَشِيمَ سَنَاهُ

وهي طويلة .

والمَزيد مِن مُخْتار أَقْوال هؤلاء الفُحول الذين قدَّمْنا ذِكْرهم في الناصر لدين الله قاطِع مُغْنٍ لاتِّساعهم فى صُنوفه فلا يَخْلُو أَكْثَرهم مِن تَنْميق دِيوان مُجرَّد فيما صاغه فيه ، فقصَدْنا بتَنْبيه مَنْ تَطلَّع إليه بما أتى [هُنا] من ذِكْره فهو إلى اليَوْم مَوْجود في مكانه ، وإن عَنَّ مِنه شيء فيما يتَّسِق بَعْدَ هذا مِن تاريخ أَحْداث هذه الدَّوْلة في كِتابنا هذا ، أَثْبَتْناه في مكانه وبالله التَّوْفيق .

ومِن حُسْن اسْتِنْباط أَحَد هؤلاء الشُعَراء وهو حَسَن بن حَسَّان الطائيّ الأَنْدَلُسيّ المعروف بالسِناط ، لَقَب غَلَب عليه ، في مديح الناصر لدين الله بمعنى دقيق لا أَعْلَمُه سُبِق إليه ، وكانت لـه مَنْزلة أُنْس / وخُصوصيَّة ، قوله في كَلِمة يقول (كامل) : 28

أَخَذُوا ٱلْوَرَى مِنْ جُودِهِ فَغَنُوا بِهِ
كُلٌّ بِأَجْمَعِهِمْ وَلَمْ يُخْلَلْ بِهِ
كَٱلشَّمْسِ تَأْخُذُ كُلُّ عَيْنٍ مِلْأَهَا
مِنْهَا وَتَبْقَى وَٱلشُّعَاعُ بِحَسْبِهِ
مَلْكٌ يَظَلُّ ٱلْمَدْحُ يَهْجُو بَعْضَهُ
بَعْضاً إِذَا مَا ٱلْمَدْحُ لَمْ يُمْدَحْ بِهِ

ذكر القاضي أبو الوَليد ابن الفَرَضيّ ، رَحِمه الله ، هذا الشاعر السِناط في كِتابه في الأُدَباء والشُعَراء بالأندلس ومكانه مِن التَجْويد ، وانْتَخب قِطَعاً مِن شِعْره وغَرَّب بحديث مِحْنته ، فقال : وكان حَسَن السِناط هذا مِمَّن فُتِن فجاء على نَفْسه وقَتَلها في سَبيل الغَيْرة على ٱمْرأته ، نَعُوذ بالله من وَسْوَسة الشَيْطان (I) .

قال عبد الرحمٰن بن عُثْمان الأَصَمّ الشاعر الأديب : « رأيْتُ حَسَناً السِناط في النَوْم بعد ما أَحْدَث على نَفْسه ما أَحْدَث فقُلْتُ له : « يا أبا عَلِيّ ، لم ذبَحْتَ نَفْسك ؟ » فقال : « عَهِرَتْ عِرْسي وذبَحْتُ نَفْسي » ، فكُنْتُ اقول له : « يا هٰذا ، هَلَّا ذبحْتَها وأَعْفَيْتَ نفسك ؟ » فكان يَتَنَفَّس الصُعَداء ويقول : « سَبَق السَيْفَ العَذْل » .

ولأبي عُثْمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس في فِصاد كان للناصر لدين الله بقصر مدينة الزَهْراء أَوّل فِصاد كان له بها أَوَّلَ إيطانه إيّاها (كامل) :

أَلْيَوْمَ تَعْتَرِفُ ٱلْقُصُورُ بِأَسْرِهَا
لِهِلَالِهَا وَلِشَمْسِهَا وَلِبَدْرِهَا
لِلْمُشْرِفِ ٱلْمُوفِي عَلَى أَعْلَامِهَا
بِإِزَاءِ كَوْكَبِهَا وَمَطْلَعِ فَجْرِهَا

(I) لا ترد هذه المعلومات في « تاريخ علماء الأندلس » .

عَبِقَتْ بِهِ رَيَّا ٱلْمَكَـارِمِ وَٱلنَّـدَى
فَتَـأَرَّجَ ٱلْأُفُـقُ ٱلْقَصِيُّ بِنَشْرِهَـا
أَسَـدُ ٱلْخِلَافَةِ حَلَّ فِي أَشْـبَالِهِ
بِفَضَا ٱلْخِلَافَةِ قَاصِداً وَبِخِـدْرِهَا
فَكَأَنَّمَـا ٱنْفَجَرَ ٱلْعَبِيـرُ بِفَصْـدِهِ
فَجَرَى عَلَى وَجْهِ ٱلْبِلَادِ بِعِطْـرِهَا

وهي أبيات كثيرة .

ولأبي بَكْر أحمد بن محمّد بن مَرْوان بن المُنْذِر بن الأمير عبد الرحمٰن ابن الحَكَم في مديح الناصر لدين الله من قصيـدة طويلة مَدَحـه بهـا عند قُصوله إلى بعض غَزَواته ، وكان غُرّة في بيت أهل الخِلافة أَدَباً وشِعْراً ورِياضةً (طويل) :

فُصُولُكَ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ فَاصِلُ
وَيُمْنُكَ لِلدُّنْيَـا وَلِلدِّينِ شَـامِلُ
/ وَغَزْوُكَ لَا تَخْفَى دَلَائِـلُ نَصْرِهِ
وَقَدْ بَرَقَتْ لِلنُّجْحِ مِنْهُ ٱلْ[مَخَ]ايِلُ
أَيَنْبُـو وَشِـيجٌ يَسْكُنُ ٱلْمَوْتُ ظِلَّهُ
وَيَهْتَـزُّ مِنْـهُ فِي يَدِ ٱللهِ عَامِـلُ
تَعَوَّدْتَ صُنْعَ ٱللهِ فِي كُلِّ مَـارِقٍ
وَتَأْيِيـدُهُ فِي كُلِّ وَجْـهٍ تُقَـابِلُ

29

وله فيه في شِعر آخَر (طويل) :

يَدَاكَ أَمِيـنَ ٱللهِ بُؤْسَى وَأَنْعُـمُ
فَكَمْ أُمَّةٍ تُحْيِى وَتُمْضِي عِقَابَهَـا
إِذَا صَلَحَتْ جَرَّعْتَهَـا أَرْيَةَ ٱلْجَنَى
وَإِنْ فَسَدَتْ مَجَّتْ لَهَا ٱلْحَرْبُ صَابَهَا

وَأَنْتَ رَبِيعٌ إنْ سَطَا ٱلْمَحْلُ صَائِبُ
إذَامَا لَوَتْ [عَنْهُ] ٱلسَّمَاءُ سَحَابَهَا
حَمَتْنَا مِيَاهَ ٱلْأَمْنِ قَبْلَكَ فِتْنَةٌ
فَلَوْلَاكَ حَقًّا مَا وَرَدْنَا عِذَابَهَا
بَقَاؤُكَ فِي ٱلدُّنْيَا حَيَاةٌ لِأَهْلِهَا
فَمَنْ يَتَأَبَّى لِلْحَيَاةِ ذَهَابَهَا

ولأبي عُبَيْد الله عُثمان بن إدريس في [مديح] الناصر لدين الله في شِعر طويل (طويل) :

وَلَمْ أرَ مِنْ جَدْوَى عَلَى مُجْتَدِي [ٱلْغِنَى]
سِوَى جُودِكَ ٱلْمُرْبِي عَلَى ٱلْقَطْرِ هَامِلُهْ

قال إسحاق بن سَلَمة في كِتابه في تَفْضيل الأندلس : حَدَّثَنا القاضي محمّد بن عِيسى ، قال : كُنْتُ بمِصْر في سبيلي إلى حَجّ بَيْت الله الحَرام ، فجلَسْتُ بها يوماً مَجْلِساً مع رِجال مِن أهل الأدَب وطُلّاب العِلْم مِن بُلْدان شَتَّى ، فتَناشَدْنا أشْعار الشُعَراء مِن أهل العِراق وغَيْرهم ، وكان مَعْنا رَجُل جَوّاب للبِلاد كثير الرِواية للشِعر والإنشاد له،عالِم بدقيق المَعاني يُعْرَف بالشير[زي ، وكان] أهل كُلّ بَلَد يَفْخَرون بشُعَراء بلدهم وأنا ساكِت ، فلمّا تَقصَّى القول و [أخذَتـ]ـنا فَتْرة ، انْبَعَثْتُ فقلتُ : « أتَسْمَعون لشاعر مِن أهل الأندلس التي لم يُزاحِمْكم ابنها ببَيْت ؟ » قالوا : « [أ]وَفي الأندلس مَنْ يُحْسِن القول ؟ » فقلْتُ مُتكلِّفاً وانْدَفَعْتُ فأنْشَدْتُهم قصيدة عُبَيْد الله بن يحيى بن إدريس في بُرُوز كان للناصر لدين الله إلى بعض مَغازيه التي أوّلها (كامل) :

أغَمَامَةٌ بَيْنَ ٱلْبَوَارِقِ تَهْمَعُ
أمْ شَارِقٌ وَسْطَ ٱلْكَتَائِبِ يَلْمَعُ

أَمْ غُرَّةُ ٱلْقَمَـرِ ٱلْمُنِيـرِ تَحُفُّهَـا
زُهْرُ ٱلنُّجُومِ أَمِ ٱلْهِ[لَالُ يُصَدَّ]عُ
/ لَا بَلْ هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي فِي دِرْعِهِ 30
وَنِجَـادِهِ هٰذِي ٱلصِّفَاتُ ٱلْأَرْبَـعُ

فلمّا أَنْشدتُ هذا البيت قال لي : « أَمْسِكْ » . فأَمْسكْتُ فقال : « واللهِ ، ما سمِعْتُ مِثْل هذا الشِعر ولا بحُسْن رَوْنَقه ، فمَن قائلُه ؟ » قلت : « عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدريس من كِبار رِجالنا وصريح مَوالي بَني أُميَّة عِنْدنا وهو بَعْدُ لم يَمُتْ » . فقال : « واللهِ ، لو اجتمعْتُ به ، لقبَّلْتُ بَيْنَ عَيْنَيْه ولنَوَيْتُ (١) بجميع جِهازي إليه لأَسْتَكْثِرَ منه » . وسَأَلَني التَماديَ على إنشاد الشِعر فجعل يُصْغِي إليّ ويُصَعِّد ويَ[طْرَب لـ]كلّ بيت يمُرّ منه ، ثم كَتَبه هو وجميع مَن شهِد المَشْهَد .

ولأبي حَسَن جَعْفَر بن عُثْمان المعروف بالمُصْحَفِيّ ، كاتِب وليّ العَهْد الحَكَم بن الناصر لدين الله السامِي المَحلّ وَقْتَه ذلك ، في الاشْتِمال على فَنَّي البَلاغة مِن النَثْر والنَظْم بالتَبْريز فيهما مِن قصيدة امْتَدح بها الخليفة الناصر لدين الله ، وذكر وِفادة العِلْجة المُتملِّكة لِلْبَشْكُنْس إليه أَوَّلها (طويل) :

لِيَ ٱلْأَمْنُ مِنْ نَهْشِ ٱللَّيَالِي وَعَضِّهَـا
وَإِحْدَاثِهَـا مَخْشِيِّهَـا وَمُمِضِّهَـا
وَكَيْفَ يُخَـافُ ٱلدَّهْرَ عِنْدَ خَلِيفَـةٍ
قَدِيرٍ عَلَى بَسْـطِ ٱلْأُمُورِ وَقَبْضِهَـا

وله في أُخرى مُطوَّلة ذكر فيها أَسْفاره في الجِهاد وتَعْبِئته على الوادي الأَحْمَر في غَزاته المَدْعُوّة بوَخْشَمة ، خَرَّبها الله (طويل) :

---

(١) م. « لبريت » .

وَأَنْتَ رَبِيعٌ إِنْ سَطَا ٱلْمَحْلُ صَائِبٌ
إِذَامَا لَوَتْ [عَنْهُ] ٱلسَّمَاءُ سَحَابَهَا
حَمَتْنَا مِيَاهَ ٱلْأَمْنِ قَبْلَكَ فِتْنَـةٌ
فَلَوْلَاكَ حَقًّا مَا وَرَدْنَا عِذَابَهَـا
بَقَاؤُكَ فِي ٱلدُّنْيَا حَيَاةٌ لِأَهْلِهَا
فَمَنْ يَتَأَبَّى لِلْحَيَاةِ ذَهَابَهَـا

ولأبي عُبَيْد الله عُثمان بن إدريس في [مديح] الناصر لدين الله في شِعر طويل (طويل) :

وَلَمْ أَرَ مِنْ جَدْوَى عَلَى مُجْتَدِي [ٱلْغِنَى]
سِوَى جُودِكَ ٱلْمُرْبِي عَلَى ٱلْقَطْرِ هَامِلُـهْ

قال إسحاق بن سَلَمة في كِتابه في تَفْضيل الأندلس : حَدَّثَنا القاضي محمّد بن عِيسى ، قال : كُنْتُ بمِصْر في سبيلي إلى حَجّ بَيْت الله الحَرام ، فجلَسْتُ بها يوماً مَجْلِساً مع رِجال مِن أهل الأدَب وطُلّاب العِلْم مِن بُلْدان شَتَّى ، فتَناشَدْنا أشْعار الشُعَراء مِن أهل العِراق وغَيْرهم ، وكان مَعْنا رَجُل جَوّاب للبِلاد كثير الرِواية للشِعر والإنشاد له،عالِم بدقيق المَعاني يُعْرَف بالشير[زي ، وكان] أهل كُلّ بَلَد يَفْخَرون بشُعَراء بلدهم وأنا ساكِت ، فلمّا تَقصَّى القول و [أخذَتْ]نا فَتْرة ، انْبَعَثْتُ فقلتُ : « أتَسْمَعون لشاعر مِن أهل الأندلس التي لم يُزاحِمْكم ابنها ببَيْت ؟ » قالوا : « [أ]وَفي الأندلس مَنْ يُحْسِن القول ؟ » فقلْتُ مُتكلِّفاً واندَفَعْتُ فأنْشَدْتُهم قصيدة عُبَيْد الله بن يحيى بن إدريس في بُرُوز كان للناصر لدين الله إلى بعض مَغازيه التي أوَّلها (كامل) :

أَغَمَامَةٌ بَيْنَ ٱلْبَوَارِقِ تَهْمَـعُ
أَمْ شَارِقٌ وَسْطَ ٱلْكَتَائِبِ يَلْمَـعُ

كَ[فَى] بِأَمِيرِ (2) ٱلْمُؤْمِنِينَ لِهٰذِهِ ٱلـ
رَّعِيَّـةِ مَأْمُــولاً يَسُــرُّ حَزِينَـهَا
وَيُحْفَظُ قَاصِيهَا وَيُعْلَى وَضِيعُهَــا
وَيُنْعَشُ مُكْدِيهَا وَيُفْـدَى رَهِينُهَـا

وله أيضاً مِن أُخْرى مِيمية مُطوَّلة في ذكر بُروزه الفَخْم لغَزْو سَرقُسْطة أَكْثَر فيها التَشْبيب ثُمّ قَطَع إلى المديح ، فقال (طويل) :

وَيَوْمٍ بَدَا فِيــهِ ٱلْإِمَامُ مُبَـرِّزاً
أَهَبَّ لِنَفْسِي سَلْوَةً مِنْ غَرَامِهَا

وهي أبيات كثيرة أَ[ثْنَ]ى في آخِرها على شِعره .

وله في ذِكر بِنـائه للقَصْر في المدينة التي ابْتَنـاها في مَحَلّته التي أَرْسـاها على مدينة سَرَقُسْـطة عِنْد حَصْ[ر التُجِيبيّ للأَخْذ] بِمُخَنَّقِـه (متقارب) :

3 /أَيَا زَهْرَةَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْمَكْرُمَاتِ
وَيَا عَ[لَمَ] ٱلْفَخْرِ وَٱلْمَأْثُــرَاتِ
وَيَا شَبَهَ ٱلْبَدْرِ فِي ٱلْمُدْجِنَـاتِ
وَيَا [خَلَ]فَ ٱلْغَيْثِ فِي ٱلْمُمْحِلَاتِ
وَيَا ثَامِــنَ ٱلْخُلَفَــاءِ ٱلَّذِيــنَ
حَيُوا بِمَسَـاعِيهِ بَعْدَ ٱلْمَمَـاتِ
وَمَنْ تَنْجَلِي مُظْلِمَـاتُ ٱلْأُمُـورِ
لِأَوْجُـهِ آرَائِـهِ ٱلْمُشْرِقَــاتِ
وَمَــنْ تَرَكَ ٱلـدَّهْرَ إِحْسَــانُهُ
يَرُوحُ وَيَغْــدُو بِلَا نَائِبَــاتِ

(2) م. « لأميـر » .

أَجَلَّكَ أَنْ تَحْتَوِي بِالظُّنُونِ
وَأَعْلَاكَ (1) أَنْ تَنْتَهِي بِٱلصِّفَاتِ

وهي أبيات كثيرة .

وله في وَقْت انْتِقال الناصر لدين الله عن سَرَقُسْطة (طويل) :

عَلَى أَيْمَنِ ٱلْأَوْقَاتِ كَانَ ٱرْتِحَالُكَا
وَفِي أَيْمَنِ ٱلسَّاعَاتِ كَانَ ٱحْتِلَالُكَا
تَنَقَّلْتَ عَنْ دَارِ ٱلشِّقَاقِ مُظَفَّرًا
وَقَدْ صَالَ بِٱلْمَخْذُولِ فِيهَا صِيَالُكَا
وَجَارَيْتَ ذَا ٱلسَّيْفَ ٱلْعَرِيضَ بِمِيتَةٍ
أَرَتْ مُسْتَجِيشَ ٱلشِّرْكِ كَيْفَ ٱغْتِيَالُكَا
وَأَقْفَلْتَ عَنْهُمْ وَٱلْمَنَايَا صَوَائِبُ
تَسِيلُ بِهَا فِي سَاحَتَيْهِمْ سِجَالُكَا
إِذَا مَا ٱلْكَرَى رَامَ ٱغْتِلَاقَ جُفُونِهِمْ
تَخَطَّفَهُ بِٱلْخَوْفِ عَنْهَا خَيَالُكَا
وَإِنْ ذَهَبُوا لِلشَّرِّ فِي ٱلْأَرْضِ مَذْهَبًا
تَرَاءَى لَهُمْ فِي كُلِّ أُفْقٍ مِثَالُكَا
هَلِ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَرْهُوبُ إِلَّا صِيَالُكَا
أَمِ ٱلْأَمَلُ ٱلْمَرْغُوبُ إِلَّا نَوَالُكَا
بَقِيتَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُمَلَّكًا
فَمَا ٱلرَّوْضَةُ ٱلزَّهْرَاءُ إِلَّا حَلَالُكَا

والشِعر في الناصر لدين الله ، رَحْمة الله عليه ، كثير جِدًّا محمول عن فُحول مَشاهِير يَقدُمهم ابن عبد ربّه وابن إدريس والمُهنّد والطُبْنيّ

---

(1) م. « أعليك » .

ونَمَطهم المُسْتَوْ[سِعـ]ون في تَجْويد صِناعتهم ، ففَضَل ما أَلْفَوْا لدَيْه مِن التَوْسِعة عليهم والإحسان إليهم فكلّ مِنهم كَمَّل فيما صاغه فيه دِيواناً بِذاته عَفّى رُسُومها وَغَيَّض مَعِينها مَرّ الليالي وانْصِرام الدَوْلة وتَسلُّط الفِتْنة البَرْبَرِيّة المُطاوِلة على التَوارِيخ المُلُوكيّة التي كانَتْ له ناظِمة وجامِعة ، حتى مُزِّقَتْ كُلّ مُمزَّق بِأَيْدي الجُهّال ، فهَلْ مِن باقية ، على أن في الذي الْتقطتُ منها في أَمْكِنتها عُقّة دالّة على ما ذكرتُه ومَتاع الدُنيا قليل بائد والخَيْر خَيْرا[ن] ...

32

/ الأحداث على نســق التاريخ
في ســني دولة الخليفــة الناصر لدين الله
عبد الرحمن بن محمد الفسيحة المقارنة للسعادة

أخبار سنة ثلاث مائة

[أوّل الغَزَوات]

قال الرازيّ : أَخْرَج الخليفة الناصر لدين الله لِأوَّل جُلوسه في الخِلافة الوزير عَبّاس بن عبد العزيز القُرَشيّ في قَطيع من الخَيْل إلى بَرابِر كَرَكَيْ وجَبل البَرانِس .

وأخرَج الوزير القائد ابا العَبّاس احمد بن محمّد بن أبي عَبْدة فيمَن ضَمّ إليه مِن الجُنْد إلى كورة قَبْرة لمُعالَجة مَن كان في هاتَيْن الجِهتَيْن أمامَه ووراءه من أهل الشَرّ والفِتْنة ، فأبْلَى كلّ واحِد مِنهما فيما أُهِيب (1) به له .

وكان أَوَّل الفُتوح على الناصر لدين الله حَدَثانَ وِلايته [ال]فَتْح على فَتْح بن موسى بن ذي النُون ، وذلك أنّه نَكَث أثَرَ انْعِقاد بَيْعته (2) وخَرَج

(1) م. « اهنت » .

(2) نتبع « تاريخ الناصر » رقم 3 . م. « بقعته » .

يَنْتَهِزِ الفُرْصَــةَ في مدينــة قَلْعــة رَباح ومعه ظَهِيره محمّد بن إدريس [الرِّ]باحيّ (3) المارِد المعروف بابن أَرْذَبلِش (4) ، فتَلَقّى به الوزير القائد عبّاس بن عبد العزيز القُرَشيّ بالحَشَم ودارت بَيْنهما حَرْب شديدة انْجَلَتْ عن هزيمة فَتْح وقَتْل جُمْلة من رِجال (5) ، واتَّبَع (6) جُنْد السُلْطان إيّاه سَحابةَ يَوْمه (7) حتّى حَجَز بَيْنهما اللَيْل ، ونجا فَتْح إلى مَعْقِله مفلــولاً ، وظَفِر عُبَيْد الله بن فِهْر عامل السُلْطان بقَلْعة رَباح إلى مُدَيْدة بمحمّد (8) ابن أَرْذَبلِش صاحِب فَتْح مُنصرِفاً مِن بعض غاراته ، فقَتَله وبَعَث برأسه إلى باب السُدّة . فكان أَوّل رأس لمارِق رُفِع في هذه السَنة ، فتهافَتَتْ رُؤوس المارِقين بَعْدَه تهافُتَ الدُرّ (9) انْقَطَع سِلْكه .

وكان هذا الفاسِق مِن أَبْعَدهم شأْواً (10) في الفَساد في الأرض والقَدْح للفِتْنة (11) ، ووَرَد رأسه يومَ الأَحَد (12) لعشر خلَوْن من ربيع الآخِر مِن هذه السَنة لتَتِمّة (13) أربعين يوماً من بَيْعة الناصر لدين الله ، فبَدَتْ على أَثَره تَباشير الصُنْع ودلائل الإقبال تَقْدُمها (14) .

خبر فَتْح أَسْـتِجة

قال الرازيّ : وفي جُمادى الأُولى منها خَرَج الحاجِب [بَدْر بن أَحْمد] بالجَيْش إلى مدينة أَسْتِجة من مَواطِن الخِلاف مِن الكُورة / القِبْليّة الدانية 33

(3) في المصدر نفسه « الرياحي » .
(4) وضعنا الحركات معتمدين على « البيان » ج 2 ص 159 .
(5) قد تكون « رجاله » .
(6) م. « اتباع » .
(7) م. « قومه » بشكل واضح .
(8) م. « لمحمد » .
(9) م. « الحرن » .
(10) م. « شارا » .
(11) م. « الفتنة » .
(12) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .
(13) م. « لتتمة » وهي لغة أندلسية .
(14) م. « بقدمهما » .

مِن قُرْطُبة ، فقاتَلها وَفَتَحها يومَ الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيَتْ مِن جُمادى الأُولى المُؤَرَّخة (1) ، ودَخَلها الحاجِب بَدْر غداةَ يوم الخميس المذكور ، فأَمَّن أَهْلها ونَظَر في مَصالِحها ، وأَمَر بِهَدْم أَسْوار مدينتها ، فوُضِعَتْ أَعْلامها بالأرض ، وأَبْقى [في] مدينتها (2) القصر لسُكْنى العُمّال والقُوّاد ، فكانَتْ أَوَّل مدينة افْتُتِحَتْ في أَيّام الناصر لدين الله من بِلاد أَهْل الخِلاف ، ونَفَذت الكُتُب بِشَأْنها إلى الآفاق ، واستعْمَل الحاجِب بَدْر ابن أَحْمد عليها حَمْدون بن بَسيل ، فكان أَوّل عامِل وَلِيها لسُلطان الجَماعة ، وَخَلَّف الحاجِب بَدْر فيها أَحْمَد بن محمّد بن حُدَيْر مُسكِّنا لأَحْوال أَهْلها .

قال غَيْره : كانت مدينة أَسْتِجة على قُرْبها مِن دار الخِلافة مِن أَشْجى غُصَصها ، وكان أهلها من الشِقاق (3) والنِفاق والأَشَر والبَطَر ما لا شَيْءَ فوقَه ، طال ما عانَدوا القُلوب وأَقْرَحوا الصُدور ، فاستَقْبَلها الناصر لدين الله لأوّل قِيامه بعَزْمه وأَمَّها بجِدّه وحَزْمه ، فجرَّد إليها بَدْر بن احمد حاجبه ومَوْلاه في العَدَد الكثير والجَمْع الحفيل مِن رِجال أَجْناده ، وعهد إلى أحمد ابن محمّد بن حُدَيْر القائد بمُوافاة الحاجب بَدْر مِن المكان الذي كان فيه فيمَن كان مَعه مِن الحَشَم ففَعَل ، فلمّا الْتَقى عليهم العَسْكرانِ قَذَف الله الرُعْب في قُلوبهم فلاذوا بالطاعة وأَلْقَوْا بِأَيْديهم إلى الحاجب بَدْر ، فامْتَثَل أَمْر الناصر لدين الله إيّاه فيهم وأَمْضى أما[نهم وَصَفَح] عن أَجْرامهم واغْتَفَر ما سَلَف من سَيِّئاتهم ، وأَوْسَعهم طَوْلاً وإحساناً وأَلْحَق فُرْسانهم وحُماتهم جُمْلة الجُنْد بالأَرْزاق الواسِعة والقطائع الفاضِلة على أَهْلِيهم وعِيالاتهم .

وكان افْتِتاح الحاجب بَدْر لها يومَ الخميس لإحدى عشرة بقيَتْ من جُمادى الأُولى دُونَ أن يُراق فيها دَم ، فوَلَّى الناصر لدين الله

---

(1) م. « المؤرخ » .

(2) اما انه سقطت هنا بعض الكلمات واما ان نحذف الكلمتين الأخيرتين .

(3) م. « الشفاق » .

أَسْتِجة حَمْدون بن بَسِيل ، فسَكَنَت الحال بها وتوطَّدت الطاعة فيها ، وتوالَتْ فُتوح الجِهات بَعْدَها ، فكانت كسِلْك القِلادة انْقَطَع فهَوَتْ دُرَره تَتْرَى ، وقالت الشُعَراء في فَتْحها أَشْعاراً كثيرة مِنها قول زعيمهم أحمد بن محمّد ابن عبد ربّه وعبد الله بن / يحيى بن إدريس وغَيْرهما ، تَرَكْتُها لطُولها .

34

وقال غَيْره : فُتِحتْ أَسْتِجة على يدي الحاجب بَدْر بن أحمد في جُمادى الأُولى المُؤرَّخة (1) ، ودانَتْ للخليفة الناصر لدين الله فتَهاوَتْ بِلاد المُخالِفين عليها بأرض الأندلس أَثَرَها تَهاوِي العِقْد انْحَلّ نِظامه ، فهَدَم الحاجب بَدْر سُورها . وزَعَموا أنّ تَفْسير اسمها بكَلام العَجَم « مَعك كلّ ما يُحْتاج إليه » لأنّها جَمَعتْ وُجوه الفَوائِد واستَوْفَتْ صُنُوف المَرافِق ، وقد كانَتْ في الجاهلِيّة ذات شأن ، أصابها طارِق مُفْتَتِح الاندلس ، وسُورها الأوّل معقود بَيْن حائطَيْن أَحَدهما مِن صَخْر أَبْيَض والآخر من صَخْر أَحْمر لا يُؤَثِّر في شيء منه الحَديد ، قد رُدِم بَيْنهما إلى أَعْلاهما أَوْثَق رَدْم بأَحْكَم صِناعة ، وجُعِل أَعْلاه مَواضِعَ الشُرُفات تَماثِيل حِجارة مَنْحُوتين (2) مِن الرُخام الأبْيَض مُحِيطِين (3) بالسُور مِن جميع أَعْلاه ، فكان رائيها مِن بُعْدٍ إذ قابَل السُور مِن جميع جِهاته لم يَشُكَّ أن الرجال قِيام عليه .

[صَلب محمّد الجَيّانيّ]

وفي يوم الخميس (4) لثلاث بَقِين من جُمادى الآخِرة منها صُلِب محمّد بن يوسُف الجَيَّانيّ ، وكان من أهل الفَساد في الأرض والقَدْح في الخِلافة ، وكان الناصر لدين الله قد أَطْلَقه من الحَبْس أوّلَ وِلايته إذ كان محبوساً في أيام جَدّه الأمير عبد الله ، فأَبْقاه وتَوثَّق مِنه على الْتِزام

---

(1) م. « المؤرخ » .
(2) كذا في الأصل والصحيح هو « منحوتة » .
(3) كذا في الأصل والصحيح هو « محيطة » .
(4) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .

الطاعة ، فلم يَلْبَث أن نَكَث به وخَرَج [يَـ]بْغي الفَساد في الأرض ، وعَبَر البَحْر الى عِدْوة رغاوة ... (5) بصَحيفــة مِنهم ، ساعيــاً على دَوْلته ، فقُبِض عليه وصُلِب على باب السُــدّة وصحيفته مُقرَّطة بشماله مَوْعِظةً لأشكاله ، فكان أوّل من صُلِب في هذه الدَوْلة .

أوّل رُكوب الخليفة

وفي يوم الثُلاثاء غُرّة جُمادى الآخِرة مِنها ركِب الخليفة الناصر لدين الله مِن قَصْره مُتصيِّدًا أوّل رُكوب ظاهِر كان له في خِلافته ، فكان مَوْكِبه فَخْماً نبيلًا مَلأ قُلوب رَعِيّته بَهْجة ومَسَرّة ، فقَصَد مُنْية البُنْتِلي (6) شَرْقيّ مدينة قُرْطُبة وقَضَى وَطْرًا مِن فُرْجته ، وانْصَرف إلى القَصْر عَشِيّ يَوْمه فقال في رُكوبه [هذا أحمد] بن محمّد بن عبد ربّه (سريع) :

35 / بَـدْرٌ بَدا مِنْ تَحْتِـهِ أبْلَـقُ
يَحْسُـدُ فِيهِ ٱلْمَغْـرِبَ ٱلْمَشْرِقُ

لَمَّا بَـدَا لِلأَرْضِ مُسْتَبْهِجـاً
كَادَتْ لَهَا عِيدَانُهَـا تُــورِقُ

لَوْ يَعْلَمُ ٱلأَبْلَـقُ مَـنْ فَوْقَـهُ
لَٱخْتَـالَ عَنْ عُجْبٍ بِهِ ٱلأَبْلَـقُ

يَا مَنْ رَأَى بَحْرَ ٱلنَّدَى زَاخِـرًا
يَحْمِلُـهُ طِـرْفٌ فَلاَ يَغْـرَقُ

إمَامُ عَـدْلٍ بَاسِـطٌ كَفَّـهُ
يَرْزُقُ مِنْهَـا ٱللهُ مَا يُـرْزَقُ

عَادَ بِهِ ٱلدَّهْرُ ٱلَّذِي قَـدْ مَضَى
وَجُـدِّدَ ٱلْمُلْكُ بِـهِ ٱلْمُخْلَقُ

---

(5) يبدو أنه سقط هنا سطر .

(6) كذا في المخطوط وفي المقتبس (طبعة الحجي) ص 72 « منية البنتي » وكلاهما يعكس اللفظة الأعجمية للجسر Alpuente أو تصغيرها Alpontiello .

وقال في ذلك محمّد بن اسماعيل النَحْوِيّ من قصيدة (طويل) :

تَهلَّلَتِ ٱلدُّنيَــا وَسُرَّ أَنَامُهَــا
وَعَاوَدَهَا بَعْدَ ٱلْعُبُوسِ ٱبْتِسَامُهَـا
فَلَمْ أَرَ يَوْماً كَانَ أَحْسَنَ مَنْظَـرًا
كَيَوْمٍ بَدَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ هُمَامُهَـا
أَطَلَّ عَلَى ٱلدُّنيَــا يُخَيِّـلُ أَنَّـهُ
قَرِينٌ لِشَمْسٍ زَالَ عَنْهَا غَمَامُهَـا

أوّل غزَوات [الناصر]

فيها كانت غزاة المُنْتَلِـون أوّل غـزَوات الناصر لدين الله المُؤْذِنة بسُعْده ، وكان استعَدّ لها مِن أَوّل رَجَب مِن هذه السَنة وأنْفَذَ الكُتُب إلى عُمّال الكُوَر والنَواحِي المُقِيمة على طاعته في الاحْتِشاد لها والاسْـتِعْداد للنُهوض معه فيها ، فكان أَوَّل مَن اسْتَجاب لأَمْره وصَحّح طاعته أَهْل جُنْد دِمَشق الذين هم أهل كُورة إلْبيرة فتَبادَرُوا بالمَجيء إلى باب سُدّته وأَلْقَوْا بِمَقاليدهم إلى الخليفة وتَخَلَّوْا له عن حُصونهم ومَعـاقِلهم الأَشِـبة دون أمان طَلَبوه ولا عَهْد اعْتَقَدوه . وكان السَبَب في انْقِيادهم مُداخَلة قاضيهم محمّد بن عبد الخالق الغَسّانيّ لهم في ذلك ووَعْظه إيّاهم ونَصْحه لهم ، وكان فيهم مُطاعاً فلم يُخـالِفوه ، وجاء بهم إلى باب السُلْطان بنَفْسه ، فأَوْسَـعهم كَرامة واعْتَرَف لهم بسـابقتهم ، ووَلّاهم ما كان بأَيْدِيهم مِن حُصونهم بعد أن تَوَثَّق مِنهم على الْتِزام الطاعة . وعَقَد لموسى بن تُرْجُمان ولمُخـارِق بن يَحْيَى منهم على الجُنْدَيْن ، فكان عَقْدهمـا أول عَقْد عُقِد في أيّامه وكان اسْتِقْضاؤه لمحمّد بن عبد الخالق عليهم في النِصْف مِن ربيعِ الآخِر مِنها ، / ف[هو أيضا] أول قاضٍ اسـتَقْضاه واستَتَبَّتْ أُمور هذه الغَزاة في مُدّة ، ثم فَصَل لها الخليفة الناصر لدين الله يوم السَبْت لسبع خلَوْن من شهر رَمَضان منها وهو اليوم السابع عشر من نَيْسان الشَمْسيّ الكائن فيها ، فقال في ذلك أحمد بن محمّد بن عبد ربّه (بسيط) :

36

فَصَلْتَ وَٱلنَّصْرُ وَٱلتَّأْيِيدُ جُنْدَاكَا

وَٱلْعِزُّ أُولَاكَ وَٱلتَّمْكِينُ أُخْرَاكَا

وَرَحْمَةُ ٱللهِ فِي ٱلْآفَاقِ قَدْ نُشِرَتْ

وَٱلْأَرْضُ تَبْدِي تَبَاشِيرًا لِمَبْدَاكَا

قَدِ ٱكْتَسَتْ حُلَلًا مِنْ وَشْيِ زَهْرَتِهَا

كَأَنَّ زُخْرُفَهَا فِي ٱلْحُسْنِ حَاكَاكَا (1)

طَلَعْتَ بَيْنَ ٱلنَّدَى وَٱلْبَأْسِ مُنْتَهِجًا (2)

هٰذَا بِيُمْنَاكَ بَلْ هٰذَا بِيُسْرَاكَا

ضِدَّانِ فِي قَبْضَتَيْ كَفَّيْكَ قَدْ جُمِعَا

لَوْلَاهُمَا لَمْ يَطِبْ عَيْشٌ وَلَوْلَاكَا

يَمْضِي أَمَامَكَ نَصْرُ ٱللهِ مُنْصَلِتًا

بِٱلْفَتْحِ يَقْصِمُ (3) مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ نَاوَاكَا (4)

وَٱلنَّاسُ يَدْعُونَ وَٱلْآمَالُ رَاغِبَةٌ

وَٱلطَّوْعُ يَرْجُوكَ وَٱلْعِصْيَانُ يَخْشَاكَا

عَلَى (5) يَمِينِكَ بَدْرٌ مَا لَهُ فَلَكُ

وَلَنْ تَرَى لِبُدُورِ ٱلْأَرْضِ أَفْلَاكَا

يَقُودُ جَيْشًا إِلَى ٱلْأَعْدَاءِ مُرْتَجِسًا

عَرَمْرَمًا يَتْرُكُ ٱلْآكَامَ دَكْدَاكَا

يَا (6) رَحْمَةَ ٱللهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَنِعْمَتَهَا (7)

لِتَهْنِ رَحْمَتُكَ ٱلدُّنْيَا وَنُعْمَاكَا

---

(1) نعتمد هنا على « تاريخ الناصر » رقم 4 . وفي م. « قد حاكا » .

(2) في « تاريخ الناصر » رقم 4 « والباس مبتهجا » .

(3) م. « يقسم » .

(4) نعتمد على « تاريخ الناصر » رقم 4 وفي م . « مأواكا » .

(5) نفس المصدر « ومن » .

(6) نفس المصدر « من » .

(7) نفس المصدر « نعمته » .

ونَزَل الناصر لدين الله بساحة سَعِيد بن هُذَيْل بحِصْن المُنْتِلُون يوم الأَحَد للنِصْف من شهر رَمَضان منها ، فصابَحه (8) بالحَرْب غَداةَ يوم الاثنَيْن بَعْدَه ، وأَحْدَق به مِن جِهاته وتَسنَّم الرِجال جَبَل جَرِيشة (9) المُوفِي عليه ، فأَهْوَى مَن كان فوقه مِن الرِجال ومَلَكه أَصْحاب السلطان ، واشْتَدّت الحَرْب على الحِصْن يوم الثُلاثاء بَعْدَه ، فعَمّ الحريق أَرْباضــــه وخُولِط أهله داخِلَه فكَثُر القَتْل فيهم عند أبوابهم وشارَفوا التَلَف ، فاستَسْلَم سعيد ابن هُذَيْل عند ذلك ولاذ بالأَمان ونَزَل إلى السلطان وأَسْلَم حِصْنه ، وكان افْتِتاحه يوم الثُلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقِيَتْ من شــهر رَمَضــان ، فوَلّاه السلطان محمّد بن عبد الوَهّاب ، سَجّل له عليه في المَحَلّة .

37 ورَحَل العَسْكَر إلى حِصْن شُمُنْتان وفيه عُبَيْد الله بن أُمَيَّة بن/الشالِية قد خامَره الذُعْر مِمّا نَزَل بابن هُذَيْل ، فاستَسْلَم بيَد الناصر لدين الله بلا حَرْب ولا مُنازَعة ، ولاذ بالأَمان ونَزَل عن جميع مَعاقِله وحُصونه بشُمُنْتان ، وكان عَدَدها يُقارِب المِائة ، فيها قِلاع مشهورة بشِدّة المَنَعة ، فوَلّى الناصر [لدين الله] على جميعها يَحْيَى بن اللَيْث .

ورَحَل عنها إلى حُصون بَنِي هابِل (1) فاستَنْزَلهم عنها حِصْناً حِصْناً .

ورَحَل عنها إلى الحُصون التي كانت بيَد الخبيث [عُمَر بن حَفْصون من كُورة جَيّان ، فافْتَتَح] (2) حصن بَكُور واستَنْزَل مِنه قائده ابن عَرُوس ، وحِصْن قاشْتَره واستَنْزَل مِنه دَحُّون (3) [بن هِشام] ، وحِصْن شنترة (4) واستَنْزَل منه ابن عَبْد الأَعْلَى ، وحِصْن أُقْلِيق (5) وكان به فَحْلُون .

---

(8) م. « فصالحه » .

(9) نعتمد على « تاريخ الناصر » رقم 4 ، وفي م. « حريسة » .

(1) نعتمد على « تاريخ الناصر » رقم 4 . وفي م. « هذيل » بشكل واضح .

(2) سها الناسخ عن هذه الجملة التي ننقلها من « تاريخ الناصر » رقم 4 .

(3) م. « دفون » وكذلك في ص 38 ونعتمد على قراءة ص 40 من كتابنا هذا لانه يتوافق مع ما يجيء في « البيان » ج 2 ص 161 وفي « تاريخ الناصر » رقم 4 .

(4) في « تاريخ الناصر » « شيرة » وقد صححها الناشران بـ« بشيرة » وفي « البيان » ج 2 ص 161 « الشارة » .

(5) في « تاريخ الناصر » رقم 4 « املين » .

وتَقدّم إلى الحُصون التي كانت بيَد الفاسق عُمَر بن حَفْصون من كُورة إلْبيرة بَعْدَ ان استَقْصَى كُورة جَيّان ، فلم يَدَعْ فيها مُخالِفاً ، وكانت هذه الحُصون المُستَضِيفة إلى مُلْك عُمَر بن حَفصُون قد تَوَقَّفتْ عن النُزول إلى السلطان عِنْدما بادَر أهل الكُورة بالنُزول إليه والدُخول في مَصافّه ، فنازَلها حِصْناً حِصْناً ، واعْتاص عليه مِنها حِصْن شُبِيلَش لبُعْـده وتَعذُّر نَيْله بحِجـارة المَنْجَنيق القاذِفة له ، وكان فيه جَمْهَرة مِن رحال الخبيث العَجَم لهم بأْس وفيهم شِدّة تَمنَّعوا جدًّا ، ولَجّ الناصر لدين الله في صَدْقهم وبنى رَجْلاً عليهم نَصَب المَنْجَنيق عليه ، فأَصابهم بأَحْجـاره وقَطَع الماء عنهم ولَزّ مَخْنَقَهم حتّى قَهَرهم ، فافْتَتَح الحِصْن عَنْوةً وقَتل كلّ مَن كان فيه مِن أصحاب المارِق عُمَر بن حَفصون ، ففُلّ غَرْبه وافْتتِح بافْتِتـاحه جميع حُصون فِرّيرة (6) وما حَوْلها ، وكان اللعين جَعْفَر بن عُمَر بن حَفْصون أثِير الفاسِـق عُمَر مِن وُلْـده ووَليّ عَهْده بمدينة شَلُوبِنْية (7) ، فرعَبتْـه هذه الفُتوح واتِّساقها ففَرّ عنها لَيْلاً حتى لحِق بأبيه بحَضْرته بُبَشْتر .

ثُمّ نَزَل الناصر لدين الله [على] حِصن أشْتِيبن المُوفِي على حاضِرة إلْبيرة وقد أزِف القُفول وتَمكَّن الأَمْن ، وحاصَره على ذلك أيّاما تَقصَّى معها النَظَر في مَصالِح ما افْتَتَحه مِن حُصون هاتَيْن الكُورتَيْن كُورة دِمَشْق وكُورة قِنَّسْرِين والشَدّ لمَعاقِلها والاسْتِقْراء لِبقاعها بتَحوُّله عليها باد[ئاً] عائداً / حتّى [استتَبّ] ذلك كلّه على إرادته . 38

وانتَهتْ فُتوحه في الكُورتَيْن جميعاً في غَزْوته هذه إلى سبعين حِصْناً من أُمَّهات الحُصون ، كلّ حِصْن منها كان عالِيَ الاسم بعيد الصِيت مَلْجأً لذَوِي الخِـلاف والمَعْصِية ، قد كانت فيه وَقائع معلومة ، وانضَمّ إلى هذه الجُمْلة ما فُتِح بفَتْحها مِن قِصابها ومَراقِبها وبَناتها وذَواتها قارِبةً الثلاث

---

(6) في نفس المصـدر « فروة » ولكن هذا الحصن مذكور في « البيـان » ج 2 ص 145 ، م. « فريره » .

(7) م. « شلونبية » وكذا في ص 42 .

مِائَةً ما بَيْن حِصْن وبُرْج ، فقد كان في يد عُبَيْد الله بن أُمَيَّة بن الشالِية وَحْدَه مِنها ما يُجاوِز المِائة . وهذا فَتْح لم يُسْمَع بمِثْله لمَلِك من مُلوك الأَرْض قَبْلَه في غَزْوة واحِدة في سالِف الأَزْمِنة ، وقد عَدّ هذا ونبَّه عليه الشاعر الخِنْذِيذ أحمد بن محمّد بن عبد ربّه في شِعر له أو قارَبه حَيْثُ يقول (بسيط) :

فِي غَزْوَةٍ مِائَتَا حِصْنٍ ظَفِرْتَ بِهَا
فِي كُلِّ حِصْنٍ غُوَاةٌ لِلْعَنَــاجِيجِ
مَا كَانَ مُلْكُ سُلَيْمَانٍ لِيُدْرِكَهَا (1)
وَٱلْمُبْتَنِي سَــدَّ يَاجُوجٍ وَمَاجُــوجِ

وقال [أيضاً] في شِعر آخَر (بسيط) :

فِي نِصْفِ شَهْرٍ تَرَكْتَ ٱلْأَرْضَ سَاكِنَةً
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ مِنْهَا ٱلظَّهْرُ (2) قَدْ مَاجَا
لَمَّا رَأَوْا حَوْمَةَ (3) ٱلشَّاهِينِ فَوْقَهُمُ
كَانُوا بُغَــاثاً (4) حَوَالَيْهَــا وَدُرَّاجَا

وقَفَل الناصر لدين الله مِن غَزْوته هذه ، فدَخَل قصره يومَ الأَضْحى مِن هذه السنة الى ثلاثة أَشْهُر وثلاثة أيّام من خُروجه عنها .

وكان تَسْمِية من أَنْزَله [في] غَزْوته مِن المُخالِفين : سَعِيد بن هُذَيْل ، وكان مُسْتَقَرّه بحِصْن المُنْتِلُون من بَيْن حُصونه المذكورة المنسوبة إليه ، عُبَيْد الله بن أُمَيَّة بن الشالِية ، ومُستَقَرّه بحِصْن شُمُنْتان ، وكان أكْبَرهم حُصوناً تَبلُغ حُصــونه إلى دُور كُورة إلْبيــرة ، بَنُو هابِل ، مُنْذِر وهابِــل

(1) في « تاريخ الناصر » رقم 4 « ما كاد سليمان ليدركه » .
(2) نفس المصدر « الطير » .
(3) م. « عزمة » وعلى الهامش « حرمة » .
(4) « تاريخ الناصر » رقم 4 « رهاء » أو « رعاعا » .

وعامِر [وعُمَر] (5) بَنُو حُرَيْز بن هابِل ، استُنْزِل مُنْذِر (6) مِنهم مِن حِصْن بَغْتَوِيره (7) وهابِل من حِصْن شَنْت أَشْتِيبِن ، وعامِر مِن حِصْن شَنْت يُشْتُه ، وكانت لِكُلّ حِصْن مِن قَواعِدهم هذه عِدّة حُصون مِن رَوافِدها ، واستُنْزِل دَحُّون (8) من حِصْن [قا]شْترُه المُوفي على حاضِرة جَيّان ، وعبد العزيز بن عبد الأَعْلى من حِصْن البُشارّات (9) ، وفَحْلون [بن عبد الله] (10) من حِصْن شَـ[نْتيا]نة (11) ، وأَفْلَح بن عَرُوس من حِصْن بَكُور من إِلْبيرة ، / وهو من أصحاب ابن حَفْصون ، ومحمّد بن فَرْوة مِنْهم من حِصْن أُبَذة مِن إِلْبيرة .

39

[افْتِتاح حُصون شُبِيلَش والبُشارّات]

وفيها افْتُتِح حِصْن شُبِيلَش عَنْوةً ، وقُتِل فيه مِن اصحاب عُمَر بن حَفْصون خمسة وخمسون رَجُلاً ، كان فيهم مِن وُجوه الأبطال المعروف بروبيل ، وهِلال الطَّنْجِيّ ، وافْتُتِح حِصْن فِنْيانة عَنْوةً بعد حَرْب أحد عشر يوماً ، اعْتَقَد عنها أهلُه الأَمان لأَنْفُسهم على أصحاب عُمَر [بن حَفْصون] إلى السلطان ، فهَلَّكَهم ، وفيهم قَوْم مِن قُوّاد عُمَر ووُجوه أَصْحابه ، مِنهم مَسْلَمة بن رُؤْبة وخالِد المعروف بأبي سُلَيْمان ومُنِيرة وغَيْرهم ، فدَفَع

---

(5) سها الناسخ عن هذا الاسم . وقد كان هؤلاء أربعة أخوة انتزوا في عهد الأمير عبد الله . انظر « البيان » ج 2 ص 136 وبخاصة « المقتبس » ج 3 ص 28 و 29 . والثاني من هؤلاء الاخوة معروف بكنيته « أبي كرامة » والرابع أبو عمر رافق الخليفة في غزوته لمدينة « بطليوس » وتوفي اثر اصابته بسهم أثناء حصار « باجة » في عام 327 .

(6) م. « هابل » وهو خطأ .

(7) م. « بعتويره » وفي « البيان » ج 2 ص 161 « بغتويرة » .

(8) م. « دهون » انظر كتابنا هذا ص 37 ، ملاحظة رقم 3 .

(9) م. « البشارة » ، وكذلك في ص 40 ، نعتمد على كتابنا ص 39 ، وفي « البيان » ج 2 ص 161 « الشارة » .

(10) لقد اضفناه معتمدين على كتابنا هذا ص 40 وعلى « البيان » ج 2 ص 161 .

(11) كلمة اكلتها الأَرَض ، نعتمد على كتابنا هذا ص 40 ،وفي « البيان » ج 2 ص 161 « سسانة » .

الناصر لدين الله مِنهم مَسْـلَمة إلى محمّد بن أَضْحَى ففـادى به ابْنَيْـه المُرْتَهَنَيْن عند الفاسِـق عُمَر بن حَفْصون عمّا كان قاطَعه به عن نَفْسه في أَسْره .

وافْتَتَح أيضاً حُصون البُشارّات بأَسْرها ، وكانت مُنْضَوِية إلى ابن حَفْصون ، فصَرَفها الناصر لدين الله في غَزْوته هذه إلى الطاعة ، ودَلائل الإقبـال واضِحة وأَفْعاله بها في حَرْبه وسِلْمه حِسـان مُوفَّقة (I) ، لقد أَشْرَف عليه بعض سُفهاء تِلْك الحُصون العاتِية بالذمّ والاحْتِقار ، وجَعَل يقول : « رُدّوا ، رُدّوا ابن أُمُّهْ فِي فُمُّهْ » فرَدّ عليه بعض مَن كان بقُرْبه في المَصافّ من زَمّالة الأثْقال : « وَالله ، لا نَرُدّها إلّا برأس ابن حَفْصون في حُكْمُهْ » ، فلما وَقَرتْ في أُذْنه قال : « يُرْفع قائل هذا عن الامْتِهـان ويُلْحَق في زِمام مُلاحِق الفُرْسان ويُحْمَل ويُوصَل بكَذا مِن المال » ، فأُوتِيَ ذلك كلّه في مَقامه وصار سبباً لنَباهته في رِجاله ، وطَيَّرها الناس [طريفة] غريبة في اهْتِباله .

وفي هذه الغَزْوة السـعيدة يقول إسـماعيل بن بَدْر في شِـعر له (طويل) :

لَقَدْ عَهِـدَتْ بِٱلنَّصْرِ أَلوِيَةُ بِهَـا
رَأَيْنَا نُشُـورَ ٱلْخَلْقِ كَيْفَ يَكُـونُ

يَسِيرُ بِهَا جَيْشُ إِذَا جَاشَ أَوْ جَفَتْ
مِنَ ٱلأَرْضِ أَهْضَـامُ لَهَا وحُزُونُ

بِهِ يُؤْنِسُ ٱلْقَفْرَ ٱلَّذِي كَانَ مُوحِشاً
وَيُوحِشُ مِنْـهُ مُؤْنِسُ وَقَطِيـنُ

وهو شِعر طويل .

(I) م. « موافقة » .

[رواية عريب لغَزْوة جَيّان]

وقال عَرِيب بن سَعِيد : بَرَز الناصر لدين الله مِن قَصْر قُرْطُبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلَتْ من شَعْبان سنة ثلاث مائة ، ففَصَل عازِماً إلى كُورة جَيّان يوم السَبْت لـ[سبـ]ـع خلَوْن من شَهْر رَمَضان بَعْدَ بُروزه / بثلاثة وعشرين يوماً ، واستَخْلَف في القَصْر الوزير صاحب المدينة موسى [ابن محمّد] بن حُدَيْر ومعه عبد الرحمٰن ابن الحاجب بَدْر ، ونَهَض الحاجب بَدْر معه في جُيوش كثيفة وعُدَد كامِلة ، وقد كان فَزِع إليه قَبْلَ فُصوله محمّد بن فَرْوة صاحب أُبَذة فى جُمْلة فُرْسانه ، فتَقبَّلهم أَحْسَن قَبُول وأَنْزَلهم أَحْسَن تَنْزيل ، وصاروا فى جُمْلة رِجاله ومَن يضُمّه عَسْكره وصار لوَجْهه ، فلمّا احْتَلّ بحِصْن مارْتُش مِن عَمَل جَيّان ووَرَده الخَبَر بمَسِير الخبيث عُمَر ابن حَفْصون إلى مدينة مالَقة ، قَصَبة كُورة رَيّه ، ومُضايَقته لأَهْلها وأنّ تَخاذُلهم أَطْمَعه في انْتِهاز فُرْصتها ، فأنفَذ مِن لَيْلته لتَدارُك أهلها سعيد ابن عبد الوارِث في قطيع من الجُنْد ، وأَمَره أن يُغِذّ السَيْر ويَطْوي المَراحِل حتّى يدخُل إلى مالَقة فيشُدّها ويَقْطَع ابن حَفْصون عمّا أَطْمَع نَفْسه به فيها ، فتَوصَّل ابن عبد الوارِث فيمَن معه إليها فضَبَطها وحَمى الجِهة عن ابن حَفْصُون .

40

ونَهَض الناصر لدين الله لوَجْهه إلى حِصْن المُنْتِلُون فاحْتَلّه يوم الأَحَد للنِصْف من شهر رَمَضان منها ، وحارَب سعيد بن هُذَيْل صاحِبه فيه حتّى افْتَتَحه يومَ الثُلاثاء لثلاث عشرة [ليلة] بقِيَتْ منه ، فأنزَل سعيد بن هُذَيْل عنه وأَوْسَعه الأَمان وأَجْزَل له الإحسان ، ووَلّى عَمَله محمّد بن عبد الوَهّاب (I) ، ثُمّ تَقدَّم إلى حِصْن شُمُنْتان فاسْتَأْمَنه صاحِبه عُبَيْد [الله بن أُميَّة] بن الشالِية ، وامْتَثَله إسْحاق بن إبراهيم صاحِب مُنْتِيشة ، وعُكاشة

(I) م. « عبد الوارث » نصحح هذا لأنه كان قد ذكر أن الخليفة ولى محمد بن عبد الوهاب ، وهكذا كذلك في « تاريخ الناصر » رقم 4 وفي « البيان » جـ 2 ص 161 .

ابن مُحْصَن صاحِب وادِي [بَنِي] عبد الله ، ومَسْلَمة بن عبد الله (2) صاحِب بَجِيلــة (3) ، ومُنْذِر بن حُرَيْز صــاحِب بَغْتَوِيره (4) ، وأَفْلَح بن عَرُوس صاحِب بَكُور وفَحْلُون (5) بن عبد الله صاحِب شَنْتِيانة (6) ، فنَزَلوا عن مَعــاقِلهم إليه وكلّهم مُذْعِن بطاعته مُحكِّم في نَفْســه ، وأَوْسَــعهم عَفْوه وأَلْبَسهم فَضْله وأَخْلى مَواطِنهم مِنهم وقدّم أَوْلادهم ونِساءهم وأَثْقالهم إلى قُرْطُبة ، وصاروا لرِجاله إسْوة ، واستَعْمَل على حُصونهم ومَعاقِلهم ثِقات رِجاله ، ثُمّ استَنْزَل عبد العزيز بن عبد الأَعْلى من حِصْن البُشارّات (7) ودَحُّون بن هِشام من حِصْن قاشْتَره ، فاستَوْسَعت / الطاعة بكورة جَيّان واسْتَفاض فيها الأَمان .

41

[غَزْوة الى كورة إلبيرة]

ثُمّ انْتَقَل مِنهــا إلى كُورة إلْبيرة ، فلمّا احْتَلّها تَداعى أهل حُصون بَسْطة وتاجُلة ومُرْبِيط والبَراجِلة والأَسْناد إلى النُزول ، ولاذوا بالطاعة وأَخْلَوْا حُصونهم فأنالهم ما أرادوا ، وأَحْكَم أَمْر الجِهة وضَبَط حُصونها بثِقاته وأَحْكَم شأنها بجميل نَظَره .

ثُمّ انْتَقَل الناصر لدين الله إلى حُصون وادِي آش فأَخْلى أصحــابه رَهْبةً له ، ونَزَل على حِصْن فنيانة يوم الجُمُعة (1) لأربع خلَوْن من شَوّال مِنها ، وكان فيها مِن شِــيعة المارِد عُمَر بن حَفْصون ، مَن أَغْوَى أهلهــا وأَضَلّهم فـ[تَمنَّعوا] مِن النُزول ورَجَوْا أن يَعْتَصِمــوا بحَصــانة حِصْنهم وشِدّة بأسهم ، فأحاطَتْ بهم العَساكِر وأَضْرَمَتْ رَبَضهم نارًا فضَرَعوا عِنْدَ

---

(2) في « البيان » ج 2 ص 161 « سلمة بن عرام » .

(3) كلمة غير منقوطة ، نعتمد على « البيان » ج 2 ص 161 .

(4) انظر كتابنا هذا ص 38 الملاحظة رقم 7 وفي م. « بحتويره » .

(5) م. « أفلح » نعتمد على كتابنا هذا ص 38 وعلى « البيان » ج 2 ص 161 .

(6) م. « شنتتانه » وفي « البيان » ج 2 ص 161 « سسانة » .

(7) م. « البشارة » انظر كتابنا هذا ص 38 الملاحظة رقم 9 .

(1) في « البيان » ج 2 ص 161 « الخميس » .

ذلك في الإقالة وسَألوا قَبُول الإنابة على أن يُسْلِموا مَن عِندهم مِن شِيعة المارد ابن حَفْصُون . فأُجِيبوا وأَسْلَموا أصحاب ابن حَفصون فشَدّوا وِثاقهم .

ثُمّ انْتَقل الناصر لدين الله [يَوُمّ] المَعاقِل بجِهة بَشِيرة وأَجْبُلها الوَعِرة ، فتَوغّل بعَساكِره في جَبَل الثَّلْج أيّام امْتِناع السُلوك عليه ، فاقْتَحَمه بالناس ، وسهّل الله عليه شأنه فأجازه إلى مَكان مَقْصِده ، فافْتَتَح الحُصون مِن خَلْفه ودوّخ الجِهة ، فلَم يَبْقَ عليه فيها مَوْضِع مُمْتَنِع .

واتّصَل به هُناك أنّ المارد ابن حَفْصُون أقْبَل في جُمْلة عَسْكَره إلى حَضْرة إلْبيرة طامِعاً بانْتِهاز فُرْصة فيها ، فَجَرّد نَحْوَه القائد عَبّاس بن عبد العزيز القُرَشيّ في خَيْل ثقيلة ، فلمّا قَرُب مِن مدينة غَرْناطة أقْبَل ابن حَفْصُون إلى إلْبيرة قُرْبَها طامِعاً فيها رَجاءَه مِن إفتان أهلها ، فخَرَجوا إليه بأجْمَعهم مُسْنَدِين إلى القائد عَبّاس المُمِدّ لهم ، ولَقُوا المارد ابن حَفْصُون في جَمْعهم فهَزَموه وقَتَلوا جَماعة مِن رِجاله وأَسَروا عُمَر بن أيّوب بن عُمَر بن حَفْصون (2) حفيده (3) ، وجَرَحوا أَحَد أوْلاده جِراحاً ثخينة ، فانْصَرَف مفلولاً على عَقِبه .

وتَقصّى الناصر لدين الله ما تَبقّى عليه مِن مَعاقِل تِلْك الجِهة حتّى احْتَلّ بحِصْن شُبيلَش (4) مِن حُصون ابن حَفْصُون ، وكان مِن أعْظَمها مَنعةً، وأَصْعَبها [مَرامًا وأَوْعَرها] (5) / مَكاناً ، [إليه انْ]ضَوَى كلّ مُلْحِد 42 أَفْلَت مِن تِلْك الحُصون المَدُوسة ، فاحْتَلّت العَساكِر عليه يوم الأربِعاء لأرْبَع عشرة ليلة بَقِيَتْ مِن شَوّال ، فاستَهْلَكَتْ [زُر]وعهم وقَطَعت أشْجارهم وسَحَتت مَعايِشهم ، وحُوصِروا خمسة عشر يوماً حتى نادَوْا بالطاعة

(2) م. « عمر بن حفصون وأيوب » نعتمد على « تاريخ الناصر » رقم 8 ، وعلى « البيان » ج 2 ص 161 .

(3) م. « حفيذه » .

(4) م. « شبيلس » .

(5) نص مشوه . م . « اضعبها » . نعتمد على « البيان » ج 2 ص 162 .

وأذْعَنوا بقَبُـول الإنابة وتَبرّؤُوا مِن أَصْحـاب ابن حَفْصُـون مُمِدّهم فى الغِواية ، فأَجابهم الناصر لدين الله وأَخْرجوا إليه جميع مَن كان لَدَيْهم مِن رِجال ابن حَفْصُون ، وأَكْثَرهم نَصارى ، فأَمَر بضَرْب رِقابهم ، فأُبيحوا (1) عن آخِرهم في ساعة .

ثم رَحَل الناصر لدين الله إلى مدينة شَلُوبِنْية (2) ففَعَل فيها مِثْل فِعْله فيما تَقدَّم ذِكْره ، وشَكّ برِجاله كلّ حِصْن افْتَتَحه ونَظَر في مَصالِحه فانْحَسَم الداء بكُورة إلْبيرة وتَألّفت كَلِمة أهلها واسْـتَقامَتْ طاعتهم ، وعِنْد ذلك صَدَر الخليفة الناصر لدين الله قافلاً عن طريق أَشْتِيبَن وحِصْن بِنّة ..اظ (3) مِن حُصـون اللعين ابن حَفْصُـون ، وكانا قد أَضَرّا بأهل حِصْن غَرْناطة وحاضِرة إلْبيرة ، وهُما في غاية الحَصانة والمَنَعة ، فنَزَلَت الجُيوش عليهما وأَحْدَقَتْ بهما ، وحُورِبا أَشَدّ مُحـارَبة وأَنْكاها عشرين يوماً كامـلاً (4) ، فأَعْيا فَتْحها ، فأَمَر الناصر لدين الله باتّخاذ عِدّة حُصون عليها شَحَنها بأَشَدّ الرِجال وقَوّاهم بالأَزْواد والعُدَد وأَلْزَمهم مِن إطلاع رُؤوسهم ، وأَحْكَم ذلك كلّه ووَفّاه قِسْطه مِن سَداد النَظَر ومُظاهَرة القُوّة ، فاستَصْلَح بذلك أَمْر كُورَتَيْ جَيّان وإلْبيرة وما والاهما ، وقَفَل الى الحَضْرة بفَتْح عظيم يَفُوق الصِفة ، فكان وُصوله إلى قَصْر الخِلافة بقُرْطُبة يَوْمَ الأَضْحى مِن هذه السَنة وقد اسْتَتَمّ في غَزاته اثنَيْن وتسعين يوماً كامِلاً (4) . (*)

---

(1) م. « فافتحوا » .

(2) م. « شلونبية » انظر كتابنا هذا ص 37 الملاحظة رقم 8 .

(3) قد تكون « قواظ » أو « غواظ » وفي « البيان » ج 2 ص 163 « بنة فراطة » .

(4) م. « كاملة » هنا وفي مواضع أخرى وهي لغة غريبة .

(*) بناء على ما اعتاده ابن حيان من تضمين آخر كل سنة قائمة بالتعيينات وما جرى من عزل خلال العام ، فانه ينقصنا هنا ما جاء في « البيان » ج 2 ص 158 ـ 160 :
وولي في يوم مبايعته بدرا مولاه الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل ، الى ما كان اليه من خطة البرد . وولي موسى بن محمد الوزارة ، الى ما كان اليه من خطة المدينة . وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الزجالي ، فأقره عليها ، وأقر أحمد بن محمد بن ابي عبدة على القيادة ، وأقـر قاسم بن وليد الكلبي على الشرطة العليا ، وكـان مع

سنة أحدى وثلاث مائة

خبر فتح اشبيلية

قال الرازيّ : فيها افْتُتِحَتْ مدينة إشْبِيلِية ومَلَكَها الناصر لدين الله وفاءت إلى الطاعة ، وكان السَبَب في ذلك مَهْلَك عبد الرحمٰن بن إبراهيم ابن حَجّاج بن عُمَيْر ، المُنْتَزِي فيها بَعْدَ والِده إبراهيم ، في صَدْر المُحرَّم

ذلك خازنا ، فصرف الخزانة عنه وولاهـا عبد الملك بن جهور . وولى الخزانة ايضا محمد بن عبيدة بن مبشر ، ومحمد بن عبد الله بن أبي عبدة ، وعـزل عنها عيسى بن شهيد ، وولى مكـانه سعيد بن سعيد بن حدير . وولى عمر بن محمد بن غانم ، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ، ومحمد بن سليمان بن وانسوس خطة العرض . وولي محمد بن عبد الله الخروبي خزانة السلاح مع العقل ، وحسين بن أحمد الكاتب خزانة السلاح أيضا ، ويحيى بن اسحاق ومسلمة بن عبد القاهر المعروف بابن الشرح . ثم ولى ــ رضه ــ عيسى بن احمد بن أبي عبدة الشرطة العليا ، وصرف عنها قاسم بن وليد الكلبي ، وولى فطيس بن اصبغ خطة البيازرة ، وصرفها عن الحاجب بدر بن احمد ، الى اعمال وخطط ولاها من استحق عنده من مؤمليه ووجوه مواليه .

ولثمان بقين من ربيع الآخر ، ولى امير المؤمنين ــ رضه ــ احمد بن محمد بن حدير الوزارة والقيادة ، وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى . وولي هذه الشرطة محمد بن محمد بن أبي زيد . وأجـرى الرزق على عبد الرحمن وعبد الله ابني بـدر الحاجب ، وذلك لكل واحد منهما ثلاثون دينارا وازنة . وولي اسماعيل بن بدر كتابته خاصة ، ارتبه لها . وولي ــ رحمه الله ــ جهور بن عبد الملك الوزارة ، وولاها أيضا عبد الله بن مضر . وولي عبد الرحمن بن بدر الخيل ، وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق

43 منها ، واجْتِماع أهلها بَعْدَه على تَأمير (5) أحمد بن مَسْلَمة ودَفْعهم / لمحمّد ابن إبراهيم بن حَجّاج أخي المُتوفَّى خليفته بمدينة قَرْمُونة على إمارتهم ومُخالَفة محمّد بن إبراهيم ومَن معه بقَرْمُونة لابن مَسْلَمة ولِياذه بسلطان الجَماعة عِنْدما ابْتَزّ سُلْطان أبيه ونَصْبه لابن مَسْلَمة ، فوَهِن لذلك أَمْر ابن مَسْلَمة وكَتَب إلى الناصر لدين الله يَخْطُب البَلَد ويَسْأله مُقاطَعته على مال تَحمَّله عنه ، وأَوْفَد عليه في ذلك إسحاق بن محمّد القُرَشيّ المَرْوانيّ وعُمَر ابن عبد العزيز المعروف بابن القُوطيّة وموسى بن سُلَيْمان الخَوْلانيّ كاتِبه ، فقَدِموا عليه بقُرْطُبة وراموا اسْتِجابة الناصر لدين الله ، فالْتَوَى بهم ولم يُنَفِّذ لهم معه ما أَرادوا(1) فانْصَرفوا إلى إشْبِيلِية .

وصَمَد الناصر لدين الله عِند ذلك لإشْبِيلِية عند الْتِياث أَمْرها ، وجَرَّد لها العَزيمة فعَجَّل إخــراج القائد أحمد بن محمّد بن حُدَيْر في الجَيْش ، وكان أوّل قائد أَنْفَذه إليها وأَوْعَز إليه بمُلايَنة القَوْم واسْتِمالتهم إلى الطاعة وإجمال موعودهم عليها وتَأخير حَرْبهم ، فأَوْجَد إلى ذلك سبيلاً ومُطالَعة بما يَجْري عليه أَمْره ، فلَم يَقْضِ وَطْرًا مِن مُلايَنتهم وتَهافت على مُحارَبتهم ، فلم يُعْطُوه الضَمّة ، وجَرَتْ بينه وبينهم حَرْب عظيمة دارَتْ فيها بَيْن فُرْسانه

ابن سوادة قضاء كورة البيرة . وهو أول قاض خرج الى كورة في ايامه ـ رحمه الله ـ ولأربع بقين من ربيع الآخر ، عزل احمد بن محمد بن ابي عبدة عن الوزارة والقيادة ، وابنه عيسى بن احمد عن الشرطة العليا ، وصرف اليها قاسم بن وليد الكلبي ، وعزل محمد بن وليد بن غانم عن الوزارة ، وعمر بن محمد بن وليد عن العرض .

وفي يوم السبت لسبع بقين من جمادى الأولى منها ، ولي الوزارة محمد بن عبد الله بن امية .

ولتسع بقين من جمادى الأخرى ، عزل احمد بن محمد بن زياد عن قضاء الجماعة بقرطبة ، وعن الصلاة لأمور انكرت عليه ، وتولى القضاء أسلم بن عبد العزيز ، والصلاة محمد بن عمر بن لبابة الفقيه .

(5) م. « تامين » بلا شك .

(1) م. « ارادوه » .

وفُرْسانهم دوائر صَعْبة ، فأنْكَر الناصر لدين الله على ابن حُدَيْر ما كان من تَسرُّعه وقِلّة رِفْقه ، فأقْفَله عن إشْبِيلِية .

وقَدِم على تَفْيِئة ذلك محمّد بن إبراهيم بن حَجّـاج صاحب قَرْمُونة إلى قُرْطُبة مُنْحازًا إلى الطاعة خاطِباً على خِطْبة عَدُوّه ابن مَسْلَمة يَسْأله العَقْد له على كُورة إشْبِيلِية والإذْن في مُحارَبة أحمد بن مَسْلَمة ، فأجـابه الناصر لدين الله إلى ذلك وعَدّها فُرْصة ، فعَقَد له وأشْرَك معه في وِلايته قاسِم بن وَلِيد الكَلْبيّ صاحب الشُرْطة ، وكان بَيْنهما صَداقة فخَرَجا معًا إلى قَرْمُونة . ودَنَوا مِن إشْـبِيلِية بجِهـة طُشـانة وأدخلا الحَشَم بحِصْن لُورة ، ثُمّ صارا إلى الشَرَف فبَنَيَا حِصْن قَبْرة ، وانْحاش إلى الكَلْبيّ مِنهما ، الذي هو صـاحِب السُلطان ، عَدَد من شِيعته ذَوِي الطاعة مِن شاميّ / وأُمَويّ ، مِنهم يَحْيى بن الخطّـار وابن أبي عِمْران وغَيْرهما ، وتَحاشَد نَحْوه أيضاً قَوْم مِن أهل الوِلاية مِن كُورتَيْ لَبْلة وشَذُونة ، مِنهم عبد الوَهّاب ابن عبد المَلِك الشَذُونيّ وغيره ، فتَردَّد محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج وقاسِم ابن وَلِيد ومَن معهما على إشْـبِيلِية بالمُحاصَرة في مُلْكهمـا مِنهـا إقليم الشَرَ[ف] وإقليم طالِقة وإقليم البَرّ وإقليم البَصَل وإقليم الوادي .

44

وأخَذا بمُخَنَّق أحمد بن مَسْلَمة ، فبَقِيَ مُنْحَجِزاً داخِلَ مدينة إشْبِيلِية قد أجْهَده الحِصار ووَقَذه الصَغار ، وهو في خِلال ذلك يرى الخَلَل في مَقاطِع أُموره والزَلَل في مَخـارِج آرائه ، ففَزِع إلى مَن يُفْزِعه ويُشاوِره [مِن] مَن (1) يَنْوِي (2) خَذْله ويَسْتَرِيح إلى مَن يُضْمِر الفَتْك ، مُتحيِّراً مِن فِكْرة الى حَيْرة ، نافِراً مِن ظِنّة الى شُبْهة ، قد صار القريب عنده كالبعيد والنصيح كالمُتَّهَم والبعيد كالداني والمُوالِي كالمُعادي ، حتّى بَعُدَ عن الراحة والنَوْم وبَسَط بأسْباب التُهْمة الى قَوْم بَعْدَ قَوْم ، فحَبَس إسْحاق بن محمّد القُرَشيّ المَرْواني وأخـاه أحمد بن محمّد مع بَنِيـه وخَتَنه محمّد بن وَلِيد بن وَنّان

---

(1) م. « مِن » .

(2) كلمة غير منقوطة .

القُرَشيّ [مُقَيَّدِين ...] (3) واشْـتَدّ ذُعْره ، فاسْـتَجاش برأس الغَواية وجُرْثومة النِفــاق وإمام الضَلالة عُمَر بن حَفْصــون ، فأتاه بنَفْسـه إلى إشبيلية مُمِدًّا وصار معه يدًا ، فحَمَله عند ذلك على قَتْل من كان في حَبْسه مِن القُرَشيِّين الذين سَمَّيْناهم ، فأجابه إلى ذلك وقُدِّموا إلى السَيْف صَبْرًا ، فقُتِل أحمد بن محمّد أخو إسحاق وخَتَنه محمّد بن وَليد بن وَنّان ، وقُتِل مِن وُلْد اسحاق عبد المَلِك وَحْدَه ، ونجا أخَواه أُمَيَّة وأحمد ابنا إسحاق .

وتَقدَّم عُمَر بن حَفْصُون من مدينة إشبيلية فأجاز النَهْر وقَصَد حِصْن قَبْرة رجاءَ أن يَنْتَهِز مِنه الفُرْصة ، وَكان فيهِ مُحمّد بن إبراهيم بن حَجّاج وقاسِم بن وَليد الكَلْبيّ فيمَن اجْتَمَع إليهما من رِجــال أهل الطاعة وحَشَم السلطان الذين بَعَثهم من قُرْطُبة ، فنازَلهم عُمَر بن حَفْصون وبَرَزوا إليه ووَقَعت بينهم حَرْب صَعْبة انْهَزَم عنها ابن حَفْصُون ، فوَلَّى مُدْبِرًا قد / قُتِل 45 رِجاله وفُلّ حَدّه ، فمَرّ على وَجْهه والاتِّبــاع يُرْهِقه ، لا يَلْوِي على أَحَد حتّى لَحِق بقَلْعته ، وحُزَّتْ (1) لأصْحابه رُؤوس كثيرة حُمِلَتْ إلى باب سُدّة السلطان بقُرْطُبة .

فأَصْبَح أحمد بن مَسْلَمة غِبّ هذه الوقيعة في غُمّة مِن أمْره قد تَأَمَّل عظيم مُنْتَشَبه باسْتِهْدافه إلى ابن عَمّه محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج في وِراثة أخيه وحَوْزه لماله وأهله ، وهو الذي يُجْري حَرْبه مُقاتِله ولإحداثه ما أَحْدَث من قَتْل القُرَشيِّين الذين اتَّهَمهم في مُمالأته ، فاعْتَكَم أمْره عليه وأَشْكَلَتْ عليه مَصادِره ومَوارِده ، ورأى أنّ (2) خُروجه مِمّا قد دَخَل فيه لا يتِمّ إلّا بطاعة السلطان الأكْبَر والانْقِيــاد له ، فشَرَع في ابْتِغاء ذلك عِند الخليفة الناصر لدين الله ، ووَطَّأ سبيله باسْتِعْمال الحِيلة على مَن معه مِن أهل البَلَد خَوْفاً من اضْطِرابهم عليه ، فأَخْرَج رُسُله إلى قُرْطُبة في الْتِماس

---

(3) نص مشوه يبدو في المخطوط « معبدين وعده » .

(1) م. « حيرة » .

(2) م. « الى » .

الرِضا عنه على أنْ يُقَرّ على إمارة بَلَده ويُعقَد له عليه بمال يَسْتَقِلّ به ، فلمّا قَدِمَتْ رُسُله قُرْطُبة لَقُوا الحاجِب بَدْر بن أحمد مُدبِّر الدَوْلة وأوْصَلوا الكُتُب إليه وكَلّموه وسألوه الجَواب ، فقال : « ما لصاحِبكم عِنْدَنا جَواب . قد كُنّا أدْنَيْناه مِن سُؤْله ، وهو مَرْجُوّ البَيِّنة ، وأمّا إذ قد بايَن السلطان هذه المُبايَنة ، وضافَر عظيم المُخالِفين ، يَعْنِي ابن حَفْصُون ، فذلك ما لا سبيلَ اليه الْبَتّةَ » .

فصَرَفهم على أعْقابهم ، فقَدِموا على أحمد بن مَسْلَمة لَيْلاً ، فلَمّا وَقَف على ما جاؤُوا به تأكَّد عليهم في كِتْمانه ودَفَع إليهم كِتاباً مُزَوَّراً على السلطان قد كان أعدَّه ، كَتَبه له موسى بن سُلَيْمان الخَوْلانيّ كاتِبه بالإسعاف في رَغْبته والإنعام بتَوْليته ، استَحْلَفهم بالأَيْمان المُغلَّظة على مُناولَتهم (3) إيّاه في مَجْلِسه كأنّه الكِتاب الذي جاؤُوه به والإشاعة له في جِيرتهم ومَحَلّتهم أنّه قد أُجِيب إلى رَغْبته ، وأَعْطاهم المال على ذلك فلم يُمْكِنْهم خِلافه ، وأحْضَر أحمد وُجوه أهل إشبِيلِية مِن الغد إلى مَجْلِسه ، فأَوْصَل القَوْم إليه الكِتاب المُزوَّر بحَضْرتهم ، فسَرّهم وأَظْهَروا الاسْتِبْشار بنَجاحهم ، وأمَر أحمد كاتِب[ه] موسى بن سُلَيمان / الخَوْلانيّ مُزوِّر الصحيفة بقِراءة الكِتاب ، فطَما سُرورهم وهَنَّأُوا أميرهم أحمد وخَرَجوا مُسْتَبْشِرين ، وخلا أحمد بن مَسْلَمة بتَدْبير شأنهم ، ففَزِع الى عُمَر بن عبد العزيز المعروف بابن القُوطيّة في الذَهاب إلى قُرْطُبة لاستِنْزال الحاجب بَدْر وضَمان ما تَطِيب به النُفوس عنه حتّى يُسْتَعْمَل على الكُورة ويُصْرَف عنه أذى محمّد بن إبراهيم مُنازِعه ومَن معه ، فأَظْهَر له عُمَر الامْتِناع عن (I) ذلك حتّى تَوثَّق مِنه أنّه لا يَعْصِيه فيما يَسْفِر له به وَجْه نَجاح ، فطَلَبه في سَعْيه لإشراك عامِل معه يُخْرِجه السلطان مِن قِبَله حَسْبَ ما جَرى عليه معه شأن محمّد بن إبراهيم مُنازِعه ، إن لم يَجِدْ بُدًّا مِنه ، وغَيْر ذلك

46

(3) م. « مناواتهم » .

(I) م. « من » .

من وُجوه الحِيلة عليه التي دَسّها في أبواب مَنافِعه ، وأنّه يُنَفِّذ ما يُوَصّى به إليه مِن طريقه مِمّا يَجْري مَجْرى ذلك مِن السَّعْي له ، ولا يُخالِفه فيه بوَصِيّة إن انْتَهَتْ إليه أو كِتاب أو غَيْرهما ، فأَجابه أحمد إلى ذلك كلّه ، وحَلَف له عليه وأَحْلَف عُمَر بَراء بن مَسْلَمة أخا أحمد القائد لخَيْله على مِثْل ذلك ، ثُمّ تَخوَّف إليهما على نَفْسه مِن الطريق لمكان جَمِيل بن عُقْبة بحِصْن لُورة ، وشَرط عليهما عِدّة من وُجوه رِجالهما لصُحْبته لا تَطِيب نَفْسه على سُلوك الطريق إلّا معهم ، فأُجيب إلى ذلك كلّه ، وضُمّ اليه ثلاثون فارساً من وُجوه فُرْسان إشبِيلية (2) .

ودَخَل قُرْطُبة ليلاً فطَرَق باب الحاجب بَدْر بن أحمد بَعْدَما أُرْتِج عليه واستَأْذَن ، فأذِن له بَدْر وأَوْصَله ، فكان أَوَّل ما تَلقّاه به بَدْر أن قال له : « آلنِفاق بَعْد الحَجّ ؟ » فقال له : « أَعُوذ بالله ، أيُّها الحاجب ، مِن الضَلالة (3) ، لم تُمْكِنّي الحِيلة وَقْت اشْتِمال (4) الثائر بالبَلَد عند نَشْطة أهله لتَجْريد الفِتْنة ففي اعْتِراض الأُمور أَوّلَ انْدِفاعها [... و] في رَدّ السَيْل للراغِب عن سَنَنه [لا بُدّ مِن تَأَنّ] (5) وقد فَتَر النَشاط ومَلّت الفِتْنة فتَأَنَّيْتُ للحِيلة وجِئْتُكَ كَيْما تَسيرَ معي إلى إشبِيلية فأُدْخِلَكَها (6) عَفْوًا بغَيْر مَشَقّة ، إن شاء الله ، فقُمْ في شأنك ولا تَتَثَبَّطْ » . فقال له بَدْر : « كَيْفَ ذلك بإجماع أو مُهاجَمة ؟ » فقال : « لا ، بَلْ / بحِيلة تَكُون كالإجماع » ، قال [الحاجب] : « فاذْكُرْها ، فإنّ السلطان لا يَعْمَل (1) على الخَطَر » . فعَرَّفه [عُمَر] بظاهِر ما أَخَذه على ابنَيْ مَسْلَمة أحمد وبَراء في التَدْبير بأَمْره والرِضى مِنهما بإخراج عامِل مِن قُرْطُبة يَشْرَك أحمد الأمير في وِلايته ، وأَشار عليه أن يكون هو الخارِج في هذا الوَجْه مُمَوَّهاً بنَفْسه لا

47

(2) م. « امتثلته » .
(3) م. « الطلالة » .
(4) م. « استعال » .
(5) نص مشوه .
(6) م. « فارجاكها » .
(1) قراءة غير واضحة لان الكلمة ممحوة .

سِواه ، فإنّه قد واطأ مَنْ خَلْفَه مِمَّن يَميل إلى الطاعة وهُم خاصّة أهل البَلَد ، إذا قَرُب مِنهم قَدّم رَسُولَه إلى أحمد بن مَسْلَمة يُعرِّفه ما هَيَّأ له ويَسْأله أن يُخْرِج أخا[ه] براء المُتَولِّي لجَيْشه بالرِجال في أَجْمَل زِيِّهم لاستِقْبال العامِل المُشْتَرِك [معه] على ما عاقَده عليه ، فإذا هو خَرَج بهم أُمِر بإغلاق أبواب المدينة خَلْفَهم وانْفَرَد هو داخِلَها في أهل الطاعة حتّى يَدْنُو أصحاب السلطان مِنهم فيَدْخُلون آمِنين مِن شَغَب الجُنْد . فأنْكَر الحاجِب هذا التَدْبير وقال : « هذا خَطَأ ورُكوب غَرَر فإنّ خُروج مِثْلي لا يَسْتَتِر ولَسْتُ آمَن سَبْق خَبَري فيَبْطُل تَدْبيرك » . فقال له عُمَر : « إنّه قال (2) ما سَلِمَتْ قَطُّ حِيلة من مُخاطَرة وأنا مِن تَمام ما دَبَّرْتُه على ثِقة ، فقُمْ فيه بِجِدّ ولا تَتَلَعْثَمْ فالجِدّ عليك والقَضاء محجوب عنك » .

فأمَر بَدْر بإنزال عُمَر بن عبد العزيز وأصحابه بمُنْية الناعورة عِدْوة النَهْر خارِج البَلَد وإكرام مَنْزِلهم ، ومَنَع عن لِقائهم والامْتِزاج بهم وغَدا على الناصر لدين الله فعَرَّفه ما جاء به عُمَر وما دَخَل عليه من التَخْطِئة لرأيه المَغْرور المُمازَج له ، فشَجَّعه الناصر لدين الله على ذلك بشَهامة نَفْسه وثُقوب رأيه وصِدْق ما أتَى (3) به عُمَر وحَمَله على اقْتِحامه وأوْصَل عُمَر إلى نَفْسه ، فناظَر بَدْراً فيما جاء به وشافَه الناصر لدين الله في وُجوهه وأبان عمّا وَصَله (4) مِن أسبابه ، إلى أن اسْتَبان له تَصْحيح عُمَر فيما قَصَد ، فألْزَم بَدْراً الخُروج معه وقَوّاه بعَزْمه وعَقْده لأحمد بن مَسْلَمة كِتاب عَهْد له ولأخيه بَراء (5) وجميع مَن استَنْزَله الأمان مِن أَصْحابه ، وَقَّع فيه بخَطّ يده ، وأَشْهَد على نَفْسه فيه بخَطّ يده جَماعة الوُزَراء وقاضي الجَماعة أَسْلَم بن عبد العزيز والفِتْيان الأكابِر دون أن يَقِفوا على مَضْمو[نه] .

---

(2) كذا في الأصل والصحيح : « قيل » .
(3) م. « أتني » .
(4) م. « وطر » .
(5) م. « بدر » .

48 / وَدَفعه إلى عُمَر . فقال له عُمَر لمّا تمّ ذلك : « إذاً أحْتاجَ إلى مُكابَدة هؤلاء الرِجال الذين قَدِموا معي ، فإنّهم وُجوه فُرْسان إشبيلية ، بإظهار ما جاؤُوا له مِن التَسْجيل لأحمد بن مَسْلَمة على الكُورة ، على أن يَشْرَك معه مُحمّد في ذلك ، إذ كان مِن العَرَب الذين يَرْضَوْنهم لتَسْكين نُفوسهم إلى ذلك ، حتّى يأْخُذ ثِقافَ العَسْكر الحاجِبُ ويَصيروا تَحْت التَرْقيب فيُؤْمَن مِن خِلافهم » .

فعَمِل السلطان بما رَسَمه ، وانطَلَق عُمَر إلى أَصْحابه أُولئك الثلاثين المُنْزَلين في الناعورة ، فأصابهم مُضْطَرِبين مُتَوحِّشين ، قد لَبِسوا سِلاحهم وعَمِلوا على المُضيّ على وُجوههم ، فوَثَبوا عليه بألْسِنتهم وقالوا : « يا عَدُوَّ الله ومُبيرَ قَوْمه ، بِعْتَنا بالدُون وتَجَرْتَ بنا عِند السلطان ، وستَعْلَم ما جَنَيْتَ ، ولَيُذْبَحَنَّ أَوْلادك بإشبيلية ولَيُقْطَعَنَّ دابِر قَوْمك ، جِئْنا (1) مُلْتَمِسين مِن السلطان الوِلاية ، فجَيَّشْتَ إلينا عَسْكَره للاسْتِباحة » . فقال لهم : « لا تَعْجَلوا عَلَيَّ فالذي بنَعْتكم باطِل ، وباطِن الأمْر على خِلاف ما تَتَوَهَّمونه : قد تَمَّتْ حاجتنا التي قَصَدْنا لها وقد سُجِّل لصاحِبنا على أنّ مُحمّدًا مُشْتَرِك معه ، وهذا السِجلّ معي » ، ونَبَذه إليهم ، قالوا له : « فما مَعْنى هذه الحَرَكة وإنذار الحَشَم ؟ » ، قال : « أنا سَأَلْتُهم إخراج خمسين من العُرَفاء معي ومع العامل الذي جَرَّدوه من عِنْدِهم خَوْفًا علينا مِن جميل بن عُقْبة ومَن معه بلُورة وشَهِد المُخْرَج عامِل السلطان ، إذ لا يَصْلُح مُضِيّه في خِفْية » . فاطْمَأَنَّ القَوْم إلى قوله وحَلُّوا عن دَوابّهم وأنْفَذ إليهم الطَعام الواسع من عند الحاجب بَدْر ، فطَعِموا وتَوَسَّعوا وكايَدهم عُمَر بن عبد العزيز بأنْ أَحْضَر الشَراب الكثير ، فشَرِبوا حتّى انْتَشَوْا ، فلم يَنْتَبِهوا مِن الغَد إلّا لرَزّ الجَيْش الذي صَبّح مَنْزِلهم بالناعورة مع الحاجِب ، فلمّا سَمِعوا خَفْق طُبوله وَثَبوا إلى خَيْلهم ولَبِسوا سِلاحهم ،

---

(1) م. « جنبا » .

وقد أُحِيط بهم ، فكَلَّمهم عُمَر في الانْقِياد لِما يُراد بهم ، وعَرَّفهم أنّ القَرْن قد لَزِّهم والثِقاف قد عَضّهم ، ووَعَدهم (2) بإحسان السلطان إليهم

49 وزِيادتهم / في أحْوالهم تُنسِيهم ما كانوا عليه مع بَني حَجّاج ، وأدْناهم إلى الحاجِب بَدْر فشافَهَهم بذلك وضَمِنه لهم ، فسَكَنوا وطابَتْ نُفوسهم ودَخَلوا في العَسْكَر مع صاحِبهم عُمَر بن عبد العزيز .

فقال عُمَر : « إنّ أوّل ما يَظْهَر مِن نصيحتكم أنْ تَركَبوا بِغالكم وتَنبِذُوا بهذه الخَيْل إلى أعْوانكم ، يَقُودونها معكم ، ولا تَزُولوا مِن قُرْبي ، فإن التَوْكيل قد أخَذكم وأخَذني معكم وفي زَوال واحِد مِنّا حَتْف الجَماعة ، فلْيَصِرْ بَعْضنا عَيْناً على بَعْض » . وأوْصى إلى الحاجِب بَدْر ، فأرْسَل إليه بثلاثين مِن الغِلْمان الخُرْس تَوكَّلوا بهم في صَدْر مَوْكِبه ، وصار الحاجِب بَدْر من فَوْره بالعَسْكَر قد أحْسَن تَعْبِيته ، فلمّا وافى قَلْعة أبي أيُّوب ، وافاه بها سعيد بن عبد الوارِث صاحِب الحَشَم بالعَسْكَر الذي كان معه من قِبَل العسكر مُصْحِراً يَتجوَّل بهم ما بَيْن أسْتِجة وتاكُرُنّا ، فانْضَمّ إليه وكثُرت عِدّته ، فأسْرى مِن هُناك لَيْلتَه حتّى نَزَل بقَرْيَة طُشانة على اثنَيْ عشر مِيلاً مِن إشبيلِية ، فقدَّم عُمَر بن عبد العزيز محمّدًا المعروف بابن الذُبْيانيّ رَسُوله مِن هُنالِك إلى أميرها أحمد بن مَسْلَمة يُعْلِمه بمكانه بعد أن أُوصِلَ إلى الحاجِب بَدْر ، فواثَقه على أن لا يُخالِف ما يُوصِي به عُمَر بن عبد العزيز ... (1) معه الى ابن مَسْلَمة بوَصيّة عُمَر ، فلمّا أدّاها على وَجْهها إلى أحمد ، أمَر من ساعته بالهَتْف على الفُرْسان جميعًا بالرُكوب لاستِقْبال العامل الذي أُشْرِك وأوْعَز إليهم بتَرْك السِلاح واسْتِجادة المَلابِس تَزيُّناً لمَن وَرَد عليهم ، فخَرَجوا مع أخيه براء (2) بن مَسْلَمة في أجْمَل هَيْئة وأفْخَر بِزّة ، فلمّا فَصَلوا عن المدينة بأجْمَعهم أُقْفِلت الأبواب كلّها خَلْفَهم ، وتَحرّك

(2) م. « وحدهم » .

(1) يبدو أنه سقطت هنا بعض الكلمات .

(2) م. « بدر » .

الحاجب بَدْر من المَحَلّة التي كان فيها حتّى وافى إلى مدينة قَباس ، فعَدَل بخَيْله عن طريق الجادّة التي كان فيها ووقّفها بين غِياض الزَيْتون ، ثُمّ تَقدَّم بَدْر ومعه مِن وُجوه أَصْحابه نَحْوُ العشرة فيهم سعيد بن الوارِث ومحمّد بن قاسِم بن طُمْلُس ، فوَقَفوا في صَدْر الغَيْضة (3) بحَيْثُ تَقع أَبْصارهم على مَن يَخْرُج من المدينة .

وكانت تِلْك القُرى كلّها خالِية مِن أَجْل الفِتْنة ، فلمّا رَأَوْا مَن خَرَج / 50 مِن إشبيلِية في هَيْئة السَلام ، أَيْقَنوا بالسَلامة ووَثِق الحاجِب بَدْر بتَصْحِيح عُمَر بن عبد العزيز فيما دَبَّره ، فتَحرَّك بالجَيْش نَحْو المدينة ونَهَد في صَدْره ، وأَمَر بقَرْع الطَبْل ودَنا بَراء بن مَسْلَمة ومَن معه مِن فُرْسان إشبيلِية ، فلمّا بَدَتْ لهم أَعْلام العَسْكَر وسَمِعوا خَفْق طُبُوله عَلِموا تَوجُّه المَكِيدة عليهم وخُروج الأَمْر عنهم ، وأراد بعضهم الوُثوب ببَراء بن مَسْلَمة قائدهم ، فبَدَر الى مَوْكِب الحاجب بَدْر مُعْتَصِماً وتَرجَّل له ، فقبَّل يده ونَكَص جميع فُرْسان إشبيلِية عن الحاجب مُنْصرِفين نَحْوَ المدينة يُؤَمِّلون ضَبْطها ، وكانوا يَوْمَئِذٍ يُقارِبون الأَلْف فارِس كلّهم بَطَل شُجاع يُنافِرون السلطان ويُؤْثِرون الفِتْنة ، فمَضَوْا رَكْضاً يُبادِرون المدينة ، فلمّا انْتَهَوْا إليها أَصابوها مُغلَقة أبوابها ، فسُقِط في أَيْديهم وانْحاشوا بأَجْمَعهم إلى كُدْية بقِبْلِيِّها ، والحاجب بَدْر يُراسِلهم بوُجوه أصحابه ويُحذِّرهم المَعْصِية ويَحْدوهم إلى الطاعة ويُحْسِن لهم الوَعْد ، فلا يَلْتَفِتون إليه ، ودَنا الحاجب بَدْر في وُجوه أَصْحابه وبَراء بن مَسْلَمة معه إلى باب الحديد مِن أبواب مدينة إشبيلِية ، وهو الذي يُقابِل قُرْطُبة ، وثِقات أحمد بن مَسْلَمة فوقه يَحْرسونه ، فخاطَبهم بَراء بن مَسْلَمة وعرَّفهم حُضور الحاجب الباب وتَمام الأَمْر له ، وأَوْصَوا إلى أخيه في فَتْحه وألّا يَجْعَل سبيلاً إلى نَفْسه .

---

(3) م. « الغيطة » .

فلمّا أشْرَف القَوْم مِن بُرْجَي الباب ونَظروا إلى الحاجب ومَن فوقه بساحة الباب عَلِموا إنفاذ الحِيلة على أميرهم ، وأرْسَلوا إليه بالخَبَر وبما خاطَبهم الحاجِب ، فأرْسَل بالمَفاتيح لوَقْته مع سَعْد مملوكه ، ففُتِح الباب ، وتَقدَّم بَراء بن مَسْلَمة وعُمَر بن عبد العزيز معه ، فدَخَلا المدينة ومعهما سعيد بن عبد الوارِث وطَيِّب بن طَيِّب ومُطرِّف بن أبى الربيع وعَقْلون بن خَلَف من وُجوه العُرَفاء . فدَخلوا إلى القصر فتَلقَّاهم أحمد بن مَسْلَمة بالتَّرحيب ، فتَسلَّموا القَصْر ، وخَرَج بَراء وعُمَر عند ذلك إلى الحاجب بَدْر فعرَّفاه باستِسْلام / أحمد وحرَّكاه للدُخول ، فتَقدَّم الحاجب 51 ودَخَل المدينة وأزِقّتها غاصّة بالخَلْق خُروجاً للنَظَر إليه ، وكان الهاتِف بَيْن يدَيْه في دُخوله مُعْلِناً بأمان الناس جميعاً وبَسْط العَدْل لهم وارْتِجاع كلّ مغصوب منهم ومظلوم لِما اغْتُصِب وظُلِم فيه ، فسُرّ الناس جميعاً وسكَنتْ نُفوسهم وأقْبَلوا على شأنهم ، وخَفَّتْ جُموعهم مِن أزِقّتهم ، واستَبْشَر الناس بطاعة السلطان وزُهوق الفِتْنة ودَعْوة الجَماعة ، وأكْثَروا شُكْر الله تعالى على ما قيَّض لهم مِن العافِية واستَهَلّوا بالدُعاء لسلطانهم . ودَخَل الحاجب بدر من فَوْره إلى قَصْر إشبيلية ، وقد تَلقَّاه أحمد بن مَسْلَمة وقَضى حَقّه ، فاحْتَلّ بدر في المَجْلِس المعروف بالأُخَيْضِر منه ، وأمَر أحمد ابن مَسْلَمة بالرحيل عنه يوْمَ دُخوله إيّاه ، فسارَع إلى ذلك وكان دُخول بدر الحاجب وأصحاب السلطان إلى إشبيلية وزَوال أحمد بن مَسْلَمة عنها يومَ الاثنَيْن لخمس خلَوْن (1) مِن جُمادى الأُولى سنةَ إحدى وثلاث مائة .

وفي عَشِيّ هذا اليَوْم كَتَب الحاجب بدر أماناً للجُنْد الخارِجين من مدينة إشبيلية مِن الفُرْسان على الدُخول إلى مَنازِلهم منها ، وأمَر بتَرْك أبوابها مفتوحة ليلة الثُلاثاء بطُولها سُؤْلاً (2) للسَتْر عليهم ، فأقامت

---

(1) كذلك في « الروض المعطار » رقم 20 ، ولكن في « البيان » ج 2 ص 163 « لاحدى عشرة ليلة بقيت » .

(2) م.« سدلا » .

الليل كلّه مفتوحة ، وتتابَع دُخول هؤلاء الفُرْسان فيها إلى المدينة ، حتّى حَصَل جميعهم داخِلَها ، فامْتَدّ على جميع الناس ظِلّ العافية ، وارْتَفَعَتْ عنهم الفِتْنة واجْتَمَعَتْ كافّتهم على الطاعة دون إراقة دم أو إباحة حُرْمة .

وكَتَب الحاجب بدر إلى محمّد بن إبراهيم بن حَجّـاج المُقيم على حَصْر إشبيلية يُخْبِره بما فَتَح الله منها للسلطان بلا مُعاناة ويأمُره بالانْجِلال عن حَصْرها ، ويَستَقْدِمه إليها ، ويَذْكُر ما كان مِن شَرْطه على نَفْسه بذلك ، فلمّا أتاه كِتابه ساءَه وكَشَف ما في نَفْسه وانْتَكَث على السلطان ، وبادَر بالخُروج نَحْو حِصْن قَبْرة الذي كان فيه رِباطه على إشبيلية ، فسار عنه لَيْلَةَ الثُلاثاء قاصِدًا إلى مدينة قَرْمُونة ، فدَخَلها وأَظْهَر التَمنُّع بها ، وأَلْفى في طريقه أَغْناماً / لأهل قُرْطُبة ، فأغـار عليها ، وفارَقه قاسِم بن وَلِيد الكَلْبيّ قائد السلطان المُعين له ، فلَحِق بالحاجب بَدْر بإشبيلية بجميع مَن كان معه من جُنْده .

52

وواصَل الحاجب بَدْر النَظَر في مَصالِح إشبيلية ، واعْتَرَض جميع فُرْسانها بنَفْسه ، وأَخَذ صِفـاتهم وشِيات دَوابّهم ، فأَلْحَقهم في الدِيوان بحَسَب مَقاديرهم وغَنائهم ، فلمّا استَكْمَل مُقامه فيها سبعة أيّام قدَّم عليهم سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ عامِلاً على كُورة إشبيلية ، فأَسْلَم الحاجب بَدْر إليه عَمَله وأقام مُعِينـاً له أيّامًا ، ودَعاه سـعيد إلى هَدْم سُور مدينـة إشبيلية ، فكَرِه بَدْر ذلك وشـاوَر فيه وُجوه مَن معه مِن رِجال السلطان وأهل وِلايته إشبيلية ، فاخْتَلَفوا عليه ، وقال فريق مِنهم هي مدينة ساحِليّة لا يُؤْمَن عليها مِن قِبَل البَحْر ، وبَقاء سُورها أَحْزَم مع أنّه مِن بُنْيان عبد الرحمٰن بن الحَكَم ، فلَجّ سعيد بن المُنْذِر في هَدْمه وقَطَع على صَواب إباحة المدينـة وأنّ ذلك أحْـوَط على السلطان وأَحْسَم لطَمَع مَن يَبْغِي الفِتْنة ، فساعَده الحاجب بدر على ذلك وجُمِعَت الأَيْدي على هَدْم أَسْوارها فسُوِّيَتْ بالارض ، ونَكَس عَوامّها رِقابهم ويَئِسوا مِن الفُرْقة ، واستَكْمَل بَدْر نَظَره في أُمور إشبيلية . ثُمّ خَرَج قافِلاً عنهـا يَوْمَ الاثنَيْن لإحدى عشرة ليلة

بَقِيَتْ مِن جُمادى الأُولى مِن هذه السَنة بَعْدَ مُقامه فيها خمسة عشر يوماً كاملاً (I) .

فكان حِصار إشبيلية ، مِن لَدُن ثَوْرة (2) أحمد بن مَسْلَمة فيها أثَرَ وَفاة عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن حَجّاج أميرها إلى وقت دُخول الحاجب بَدْر إليها ، اربعة اشهر كاملة مِن هذه السنة ، المُحرَّم وصَفَر وشهْرًا (3) ربيع ، وافْتُتِحَتْ صَدْرَ جُمادى الأُولى بَعْدَها منها . ووافى الحاجِب بَدْر ابن احمد بالعَسْكَر إلى قُرْطُبة ومعه أحمد بن محمّد بن مَسْلَمة ووُجوه أَصْحابه ، وموسى بن سُلَيْمان الخَوْلانيّ كاتبه ، وأخوه عبد المَلِك ، ورِجال إشبيلية ، فيهم إسحاق بن محمّد القُرَشيّ المَرْوانيّ المنكوب بيد ابن مَسْلَمة ، وعُمَر بن عبد العزيز بن القُوطيّة المُدبِّر عليه وغَيْرهما .

53 فاسْتُقْبِلوا بالجَيْش / والعُدّة ، وأَكْرَم الناصر لدين الله مَثْوَى احمد ابن محمّد بن مَسْلَمة ، ووَلّاه خُطّة الشُرْطة [العُلْيا] (I) صَدْرَ رَجَب مِن هذه السَنة ، ووَلّى موسى بن سُلَيْمان الخَوْلانيّ كاتِبه خَزانة (2) السِلاح ووَلّى عُمَر بن عبد العزيز بن القُوطيّة قَضاء كُورة أَسْتِجة .

خبر محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج

قال : وأَخْرَج الناصر لدين الله سعيد بن عبد الوارِث صاحبِ الحَشَم بالخَيْل إلى محمّد بن إبراهيم بن حجّاج صاحب قَرْمُونة المُتنكِّب عليه ، فصار بناحيته مُضْجِراً (3) له ومُضيِّقا عليه ، حتّى صَرَف الأغْنام التي

(I) كذا في الأصل ، انظر كتابنا هذا ص 42 الملاحظة رقم 4 .
(2) م. « فوره » .
(3) كذا في الأصل والصحيح نحوياً « صَفَر وشَهْرَيْ » .
(I) في « البيان » ج 2 ص 165 « وعزل ابن مسلمة عن الشرطة العليا ، ووليها عباس ابن احمد بن أبي عبدة » .
(2) كذا في الأصل وهي لغة أندلسية .
(3) كذا في الأصل قد تكون « مضجرا » .

أَخَذها لأهل قُرْطُبة في طريقه ، إذ هَرَب من حِصْن قَبْرة ، وكان عُمَر قد سَكَن مُدَيْدة ، ثُمّ تَحرَّك في أصحابه إلى مدينة إشبِيلية مُكاشِفاً للسلطان مُنتهِزاً للفُرْصة منها ، وكان تَحرُّكه لذلك مِن قَرْمُونة فى بعض اللَّيْل مِن ليلة الاثنَيْن للَيْلتَيْن (4) خَلَتا مِن رَجَب مِن هذه السَنة ، فهَجَم على مدينة إشبِيلية عِنْد انْبلاج الصُبْح مِن يَوْم الاثنَيْن المذكور ، وهي بهَدْم أَسْوارها عَوْرة ، فحارَبه سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ عامِل السلطان داخِل أَرْباضها صَدْراً مِن النَهار ، ثُمّ انْهَزَم وقُتِل من أصحابه عَدَد كثير وغُنِمَتْ له خُيول جَمّة وانْقَلَب خاسِئًا ، وكَتَب سعيد بن المُنْذِر إلى الناصر لدين الله بما فَتَح الله عليه في محمّد ، وأَرْسَل بما حُزّ مِن رُؤوس أصحابه ، فوَصَلَت إلى قُرْطُبة يومَ الخميس لخمس خلَوْن من رَجَب منها .

فجَرَّد الناصر لدين الله أَثَرَ ذلك الوزير عيسى بن أبي عَبْدة قائدًا بالجَيْش إلى إشبِيلية ، فلَزِمها مع سعيد بن المُنْذِر واشتَدّ رُكْنها ، فارْتَفَعَتْ فيها الطاعة وأَشْخَص الناصر لدين الله قاسِم بن وَليد الكَلْبيّ صاحب الشُرْطة إلى محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج مُعْذِرًا إليه في مَعاني الطاعة ، وقد كان قاسِم صديقاً له ، فتَأَنّى لمُلاطَفة محمّد حتّى أَظْهَر الاستِجابة لِما إليه دَعاه وأَنفَذ إلى باب الناصر لدين الله [بثِقَتَ]يْه حَبِيب بن عَمْرُوس بن سَوادة خليفته ومحمّد بن وُهَيْب خاصّته ، فشافَها الناصر لدين الله / عنه ، ثُمّ صَرَفهما إليه مُستعجِلاً له قَبْلَ خُروجه بالصائفة التي كانت قد أَزِف وَقْتها وعَمِل على النُفوذ بها ، فحَدّ (1) لمحمّد ولم يُمْهِله ، فاشْتَرَط عند ذلك مع نُزوله إبقاء حبيب بن عَمْرُوس بن سَوادة خليفته بقَرْمُونة خَلْفَه مُدّةً لارْتِفاق أقارِبه بذلك في ضَمّ غَلّاتهم الآزِفة واتّساع حاشيته في انْتِقال أَثْقالهم الى قُرْطُبة ، فأجابه الناصر لدين الله إلى ذلك ، وخَرَج محمّد عند

54

---

(4) م. « لثلثين » .

(1) م. « فجر » .

ذلك فوافى إلى قُرْطُبة في عَقِب شَهْر رَمَضان من هذه السنة ومَن معه من وُجوه رِجاله محمّد بن وُهَيْب وسَكَن بن حديدة والزغماتيّ وغَيْرهم ، فخُلِع عليه وعليهم ووُصِلوا على مَقاديرهم ورَفَع الناصر لدين الله مَنْزِلة محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج ، فوَلّاه خُطّة الوِزارة ، واتّفَق أن قَعَد مع الوُزَراء في البيت على أرِيكـة التَكْرِمـة يومًا واحدًا ، وخَرَج الناصر لدين الله على تَفْيئته غازيًا ، فأغْزى محمّد بن إبراهيـم معه في عِداد مَن أغْزاه من الوُزَراء ، فظَهَر له خِلال ذلك غِشّ محمّد بن إبراهيم لظُهُور غَدْر خليفته حبيب بن عَمْرُوس بن سَوادة وامْتِناعه بقَرْمُونة وكَشْفه وَجْهَه في المَعْصِية ، فعَزَل محمّد بن إبراهيم عن خُطّة الوِزارة وحَبَسه إلى أن هَلَك ، ولم تَطُلْ به المُدّة ، فضُرِب المَثَل يَوْمَئذٍ بقُرْب مُدّته في وِلاية الوِزارة .

[رواية ابن مسعود لخبر ابن حَجّاج]

وقال محمّد بن مسعود : هَلَك عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن حَجّـاج صـاحب إشبيلية فيها في المُحرَّم سنةَ إحدى وثلاث مائة . وكان أخوه محمّد بن إبراهيم بقَرْمُونة ، فكَرِهه أهل إشبيلية ودَفَعوه عن الإمارة بَعْدَ أخيه ووَلَّوْا أميرهم أحمد بن محمّد بن مَسْلَمة ، فلاذ محمّد بن إبراهيـم بالطاعة ، وقَدِم على الناصر لدين الله بقُرْطُبة مُذْعِنًا مُستجيشًا على قَوْمه ، فتُقُبِّلَتْ فَيْئته وسَجَّل له على إشبيلية وأرْسَله لحَرْبها ، وضَمّ إليه الرِجال ، فأقام يُغـاوِرها من قَرْمُونة [مَ]نْزِله فلا يُؤَثِّر فيها ، إلى أن خَرَج إليها الحاجب بَدْر بن أحمد بالجَيْش فافتَتَحها في شَهْر جُمـادى الأُولى سنةَ اثنتَيْن وثلاث مائة ، / فدَخَلها صُلْحًا ، وهَدَم أسْوارها ، واستَعْمَل عليها سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، وقَفَل إلى قُرْطُبة . 55

وتُرِك محمّد بن إبراهيم بقَرْمُونة ، فبَدا بطاعته الْتِياث أسَفّ به إلى الخِلاف ، وهَمّ به السلطـان فأظْهَر النَدَم ، وطَلَب تَجْـديد أمانه على أن يَلْحَق بالحَضْرة ، فأعْطاه السلطان ما سَأل من ذلك وقَدِم عليه واستَخْلَف

على قَرمُونة صاحبه حبيب بن عَمرُوس بن سَوادة ، فأكْرَمه الناصر لدين الله ووَصَله وخَوَّله ورَقّاه إلى خُطّة الوِزارة ، وفِعْل ضَميره لا يُفارِقه إلى أن ظَهَر خِلاف خليفته ابن سَوادة بقَرمُونة ، فاطّلَع الناصر لدين الله على أنّه من تَدْسيس محمّد لتَمْريضــه في الطاعة واستِجْبابه بابن سَــوادة ومُواطأة مِن أهل العَسْكَر الذين كانوا مَضمومين إليه وَقْتَ قِيامه بحَرْب إشبِيلية ساعَدوه على ما أزاغه مِن الطاعة (I) ، من أكْبَرهم قاسِم بن وَلِيد الكَلْبيّ صاحب الشُرْطة الذي كان مَقْروناً به في حَرْب إشبِيلية وغَيْرها ، فبَطَش الناصر لدين الله عند ذلك بمحمّد بن إبراهيــم وقاسِــم بن وَلِيد وجَماعة معهما ، سَجَنهم في سِجْن الدُوَيْرة بقَصْر قرطبة ، فكَشَف حبيب ابن عَمرُوس بن سَوادة وَجْهَه عند ذلك بالخِلاف ونَبَذ الطاعة ، فنَصَب له الناصر لدين الله الحَرْب وثَنى إليه الأعِنّة فأقام على مُغاوَرته مُدّةً .

وجدتُ للوزير عبد المَلِك بن جَهْوَر في مديح الناصر لدين الله وذِكْر دأبه في حَرْب المُخالِفين له قصيــدة حَسَنة تَصرَّف فيها وذَكر بَعْدَه عن خَفْض المَعيشة بقُرْطُبة فقال (خفيف) :

كَدُرَ ٱلْعَيْشُ إذْ رَآنِي مُقِيمــًا
أرْضَ قَرْمُونَةٍ أُقَاسِي ٱلْهُمُــومَا

أطال فيها .

وله من أُخرى في ذلك المَعْنى أيضاً (متقارب) :

فَوَٱللهِ لَا فَتَــرَتْ عَبْــرَتِي
تَسُــحُّ إلَى أَوْبَــةِ ٱلْقَافِلِينَــا
غَزَوْنَا ٱلْعَدُوَّ وَجُبْنَا ٱلْفَــلَاةَ
يَقُــودُ بِنَــا أنْجَدُ ٱلْعَالَمِينَــا

امْتَدّ القول فيها أيضاً .

(I) م. « الخلاف » .

ذكر غَزْوة الناصر لدين الله بالصائفة في هذه السنة إلى أهل الخِلاف مُتجوِّلاً على الكُوَر ساعياً لعُصاة الجماعة

56 / قال الرازيّ : بَرَز الخليفة الناصر لدين الله لغَزاته هذه يومَ الخميس لثمانٍ خلَوْن من شَهْر رَمَضان من هذه السَنة ، وهو اليَوْم السابع من شَهْر أَبْرِيل العَجَميّ سنةَ اثنتَيْن وخمسين وتسع مائة لتأريخ الصُفْر (1) ، ولسَنة ألف ومائتَيْن وخمس وعشرين سنة لذِي القَرْنَيْن ، بَعْدَ أن قَدِم عليه أَجْناد أهل الطاعة من الكُوَر الدانين له ، فعَقَد لجُنْدَيْ (2) حِمْص ولجُنْدَيْ (2) دِمَشْق ولجُنْدَيْ (2) قِنَّسْرِين أَلْوِيتها وتناسب (3) أَسْباب هذه الغَزْوة ، ففصَل الناصر لدين الله لها يومَ الخميس لستّ (4) خلَوْن من شَوّال منها إلى ثمانية وعشرين يوماً من بُروزه ، وكان اليوم الخامس من شَهْر أيّار ، واستَخْلَف على القَصْر والحَضْرة الوزير صاحب المدينة موسى بن محمّد بن حُدَيْر ، وكانت الكُتُب تُنفَذ باسم هِشام الوَلَد الطِفْل الصغير .

وكان قائد هذه الصائفة الحاجب بَدْر بن أحمد ، أَمَّ بها بِلاد المارق عُمَر بن حَفْصُون ، فكان أَوَّل حِصْن من حُصون الخِلاف نازَل العسكر في هذه الغَزاة حِصْن بَلْدة ، فقَتَل من أصاب خارِجَه وأَحْجَر أهله واستَدار الحاجب به مِن حَوالَيْه ، فلم يَشْتغِل بحَرْبه وأَطْلَق الخَيْل على حَطْم زَرْع أَجِنّته (5) وكان قليلاً ، فحَطَمتْه من ساعتها ، ثُمّ انْتَقَل العسكر إلى حِصْن

---

(1) م. « وخمسين وسبع مائة لتأريخ الفرس » نعتمد على تصحيح الدكتور خ . سمسو ، لأن المنطق يقول بأنهم كانوا يؤرخون في الأندلس بناء على تأريخ الصفر ، وليس الفارسي ، ويبدأ تأريخ الصفر أول يناير عام 38 قبل الميلاد ولهذا فإن 301 هجرية تتوافق مع سنة 952 ميلادية وليس مع سنة 752 ، وهذا خطأ من الناسخ ، أضف إلى هذا أن تأريخ يزدجرد أو تأريخ الفرس يبدأ في 16 يونيه سنة 632 ، وهو ما لا يتوافق مع سنة 752 هجرية . انظر Fischer A., *Der* تأريخ الصفر *(die spanische Ära)*, Z.D.M.G., 1918, LVII, 263-7.

(2) كذا في الأصل بشكل واضح .

(3) كذا في الأصل قد تكون « تَتامَّتْ » .

(4) في « البيان » ج 2 ص 164 « لثمان » .

(5) كلمة غير منقوطة .

طُرُّش ، فنــازَل أهله وقد لاذوا بقُنّته أيّاماً خمســة يُغــادِيهم بالحَرْب ويُراوِحهم ويُضيِّق عليهم ويَخْطِم مَعايِشهم ويَسْتَقْرِي بالإفساد جِهاتهم ، ثُمّ انْتَقَل إلى حِصْن الخبيث فنــازَل ببــابه وأَخْرَج منه الخَيْل إلى حِصْن شَنْت باطِــر ، فلمّا أَحَس به أهلــه خَرِ[قوا] الحِصْن وخَرَجوا منه هارِبين عنه ، وأَسْلَموا ما كان مِن أَقْواتهم وأثاثهم [فغَ]نِمه الحَشَم ، وأقاموا (6) بالعَسْكَر على حِصْن أَلْجَش أيّاما مُبالِغاً في نِكايتهم ومُسْحِتاً (7) لمَعايِشهم ، حتّى عَمّ ما حَوْلهم نَسْــفاً وغارةً ، وأَخْرَج الخَيْل من هُنــالِك إلى حِصْن رَبِينة المُضِرّ بمدينة مالَقة ، فأحاطَتْ بهم وفَرَّق عليهم القِتال مِن كلّ جِهة فانْكَسَروا ، وتَغلّب على الحِصْن فحَمَل السَّــيْف على من أُصِيب داخِلَه إلا مَن [تَر]دّى مِنهم .

وتَقدّم الناصر لدين الله مِن هُنالِك إلى مدينة مالَقــة المُمْتسِــكة / بالطاعة فاحْتَلّها ونَظَر في مَصالِحها ، وأَخْرَج الخَيْل منها إلى حِصْن قامَرة وما حَوْلها مِن حُصون أهل الخِلاف الحاصِرة لها ، فدَمَّر كلّ مــا أَتَتْ عليه مِن غَلّاتها ولم يَسْتَكمِل نَفْعها ، وانْتَقَل العَسْكَر إلى حِصْن مُنْت مَيُور المُجاوِر لساحِل سُهَيْل وما جاوَره ، وفي تلك القَلْعة كانت ذَخائر الخبيث [ا]بن حَفْصُون وخَزائنه المَوْفورة ، فانْتَسَف العسكر جميع ذلك وسَــحَته ، وانْتَقَل العســكر إلى حِصْن طُرُّش ، وكان المارق عُمَر بــن حَفْصُون وأَوْلاده وكُمــاة رِجاله قد بَرَزوا بالمَسِــير إليه للدِفاع عنه ، فتَأَبَّه (1) ، فقاتَلهم الحَشَم على بابه قِتالاً شديداً استَظْهَروا عليهم فيه ، فغَلَبوهم على رَبَضه وأَحْجَروهم في قَصَبته ، وقُتِل في المُعترَك جُمْلة من حُماتهم ، أَنْفَذ الناصر لدين الله رُؤوسهم إلى قُرْطُبــة ، فرُفِعَتْ على باب السُدّة ، وتَعذَّر فَتْح الحِصْن لمَنَعته . فرَحَل العسكر عنه إلى حِصْن لُورة

57

---

(6) كذا في الأصل والصحيح « أقام » .

(7) م. « مستحثا » .

(1) م. « متابه » .

المُجاوِر لمدينة الجَزيرة الخَضْراء ، وكانوا على تَرقُّب لنُزوله ، فتَقدَّمتْ سُرْعان الخَيْل في جِنْح اللَيْل لمُفاجأتهم ، فإذا النذير قد سَبَق إليهم ، فهَرَبوا عن حِصْنهم وتَفرَّقوا فى البِلاد ، فدَخَله أصحاب السلطان وغَنِموا ما أصابوه لهم فيه .

ودَخَل الناصر لدين الله إلى مدينة الجَزيرة الخَضْراء يومَ الخميس لأربع خلَوْن من ذي القَعْدة (2) منها ، فأقام بها أيّاما للنَظَر في مَصالِحها وشَدّ بَحْرها . وكان في ساحِلها للمارد ابن حَفْصون وأصحابه عِدّة من المَراكب البَحْريّة يُسفّرونها إلى أرْض العِدْوة في المَيْر والتِجارات وَيَقْضُون بها الحاجات فيَتّسِعون بها أَعْظَم التَوْسِعة ، فأَخْرَج الناصر لدين الله الحَشَم لطَلَبها وأخذها ، وقد كان الفَسَقة نَجوْا (3) بها في البَحْر ، فأدْخَل الجُنْد خَلْفَهم مَن مضى أثَرها وقَبَض عليها ، فقُيِّدت بأَزِمّتها إلى ضِفّة البَحْر وأُحْرِق جميعها بَيْن يدَيْه . فعَظُم على الفَسَقة ما حَلّ بهم فيها وعَدِموه من مَنْفَعتها ، وعايَن ذلك مَن يُجاوِر الناحية مِن أهل ساس وفَجّ وَسِيم (4) والقَصْر وما انْتَظَم بأَحْواز الجزيرة مِن أهل الخِلاف . فسُقِط في أيْدِيهم / وتَداعَوْا إلى الطاعة ، وأقبَل وَفْدهم إلى الناصر لدين الله لائذين بها ، فقَبِل إنابتهم وبَذَل الأمان لهم ونَظَر عند مُقامه بالجزيرة في أَحْكام أمْر البَحْر وشَدّ ضَبْطه على أهل العِدْوتَيْن الحالَّتَيْن عليه . فاسْتَدعى جُمْلة مِن المَراكِب البَحْريّة من مالَقة وإشبِيلية وغَيْرهما من مُدُن الطاعة برُكّابها من أُولي الاستِقامة . فأقامها بباب الجزيرة وشَحَنها بصُنوف الأَسْلِحة والعُدَد ، وأَعَدّ فيها النَفْط وآلات حَرْب البَحْر ، وأَدْخَل فيها رُكّابها مِن عُرَفاء البَحْريّين والنَواتِية الفُرْه سُوّاس البَحْر الأَجْرِياء عليه ، وأمَرهم بالتَجوُّل في السَواحِل كلّها مِن حَدّ الجزيرة الخَضْراء إلى

58

---

(2) بكسر القاف كما هي عادة الناسخ .

(3) كذا في الأصل . قد تكون « لجأوا » .

(4) قراءة غير واضحة

حَدّ تُدْمِير ، وقَطع مَرافِق البَحْر كلّها عن ابن حَفْصُون وأصحـابه ، وألّا تَجْرِي في البَحْر جارية إلّا لأهل الطاعة فَقَطْ ، فمَلَك البَحْر مُنْذ هذا الوَقْت وأَحْكَم شأْنه وأَمِن ضَرَر السُفُن المُختلِفة فيه ، وغَلَب بذلك على الساحِل كلّه وحُصونه ، ومَنَع الأخابِث آل (1) حَفْصُون وأَتْباعهم رِفْد ذلك كلّه .

وأَصْلَح بذلك أَمْر الجزيرة الخَضْراء وأقاليمهـا ، ثُمّ رَحَل عنهـا بالعَسْكَر فأتَى حاضِرة قَلْسـانة ، وعِنْد حَرَكته من الجزيرة الخَضْراء ما هَرَب من مَصـافّه وَلَد حبيب بن عَمْرُوس بن سَوادة المُنتكِث بقَرْمُونة ، عِنْدما بَلَغه غَدْر أبيه حبيب وكَشْف وَجْهَه بالمَعْصِيـة ، فتَخلَّص ولَحِق بأبيه ، وهَرَب عِنْد ذلك أيضاً محمّد بن سُلَيْمـان بن عبد المَلِك الشَذُونيّ المعروف بالرُهَيْنى وشِهاب بن مُعاذ ، ورَحَل العسكر من قَلْسانة فاحْتَلّ على حِصْن أَرْكُش ، وفيه نُمـارة بن سلَيْمـان أخـو الرُهَيْنيّ الفـارّ من العَسْكَر ، فنازَله الناصر لدين الله وأَراد البُنْيان عليه ، فتَردَّدَتْ رُسُلـه ورُسُل أخيه محمّد اللاحِق به على الناصر لدين الله ، راغِبَيْن في اعْتِلاق الطاعة باذِلَيْن رَهْنهما للوثيقة منهما ، على أن يُباح لهما حِصْن الأَصْنام خاصّة ، وأَرْسَلا في عَقْد ذلك لهمـا سُهَيْل بن عبد الله بن أُسَـيد (2) ، فأَحْسَن التَوسُّط لشأْنهما حتّى أجابهمـا الناصر لدين الله إلى ما الْتَمسا من ذلك وسَجَّل لهما / على حِصْن الأَصْنام وقَبَض وَلَدَيْهما رَهينة . ودَخَل الناصر لدين الله إلى حِصْن شِلِّبَر ، فأَكْمَل النَظَر في شَدّ كُورة شَذُونة ، وبَنَى حِصْن اشـبره (1) على حِصْن أَقُوط ، وأَدْخَل فيه جميل بن عُقْبة البَلَويّ عامِلاً ، وصَيَّر معه فيه عِدّة كثيفة من الفُرْسان والبَرابر الطَنْجيّين والرَجّالة المُلْحَقين والعُدّة التامّة من الأَطْعِمة والأَسْلِحة .

59

---

(1) م. « الى » بشكل واضح .

(2) في ص 214 من هذا الكتاب يرد اسـمه على هذا النحو « سهل بن عبد الله بن أسد » .

(1) قراءة مشتبهة ولكن كذا في الأصل ، ويبدو أنهـا « أشبرغيرة » كما ثبت في ص 112 .

قال حيّان : وجدتُ لاسماعيل بن بدر في ذِكْـر هذه الغَـزْوة ومديح الناصر لدين الله قصيدة حَسَنة أوّلها (بسيط) :

يَطْوِي ٱلْمَرَاحِـلَ إِدْلَاجاً وَتَهْجِيـرَا
مُشَمِّراً فِي رِضَى ٱلرَّحْمٰنِ تَشْـمِيرَا

بَدْرُ ٱلْمُلُـوكِ ٱلَّذِي إِشْرَاقُ سُـنَّتِهِ
يَجْلُو عَنِ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَـا ٱلدَّيَاجِيـرَا

[وَ] مَنْ قَضَى ٱللهُ فِي مَاضِي شَبِيبَتِهِ
أَلَّا يَزَالَ عَلَى ٱلْأَعْـدَاءِ مَنْصُـورَا

وهي طويلـة .

وله ايضا في هذا الفَتْح من قصيدة أُخرى (طويل) :

لَقَدْ عُقِـدَتْ بِٱلنَّصْرِ أَلْوِيَـةُ بِهَـا
رَأَيْنَا نُشُـورَ ٱلْخَلْقِ كَيْفَ يَـكُونُ

تَكَنَّفَهَـا جَيْشٌ إِذَا جَاشَ أُرْجِفَـتْ
مِنَ ٱلْأَرْضِ أَهْضَـابٌ لَهَا وَحُـزُونُ

اطال المديح فيها ايضاً فتركْناها .

ولأحمد بن عبد ربّه في التّهْنِئة بهذا الفَتْح من قصيدة طويلة أَوّلها (بسيط) :

قَدْ أَوْضَحَ ٱللهُ لِلْإِسْـلَامِ مِنْهَـاجَا
وَٱلنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي ٱلدِّينِ أَفْوَاجَا

وَقَدْ تَزَيَّنَـتِ ٱلدُّنْيَـا لِسَـاكِنِهَـا
كَأَنَّهَا أُلْبِسَتْ وَشْـيًا وَدِيبَـاجَا (2)

تركْناها ايضاً لطُولها .

---

(2) ويحدثنا « تاريخ الناصر » رقم 4 عن خمسة عشر بيتا من الشعر لم تصلنا في هذه المخطوطة .

قَرْمُونة

ورَحَل الناصر لدين الله أيضــاً عن شَذُونة فاحْتَلّ على مدينــة قَرْمُونة صَدْرَ ذي الحِجّة منها ، وبها حبيب بن عَمْرُوس بن سَوادة ، صاحب محمّد ابن إبراهيم بن حَجّاج ، وقد واضَع (3) الحَرْب وبايَن بالمَعْصِية ، فأَعْذَر الناصر لدين الله إليه في الفَيْئة إلى الطاعة والدُخول في الجَماعة واستَقْدَم صاحب الشُرْطة قاسِم بن الوَليد الكَلْبيّ من قُرْطُبة ، وكان صديقــاً لابن سَوادة ، ليَصْغُــو إليه ، فوجَّه به إليه مع عبد الله بن محمّد الغَسّــانيّ قاضي إشبِيلية ، فأَصَرّ واستَمَرّ على المَعْصِية ، فناصَبه / الناصر لدين 60
الله الحَرْب بَعْدَ أَخْذه الحُجّة عليه يُغادِيه بها ويُراوِحه ، وضَحّى الناصر لدين الله العامَ وهو مُقِيم على قَرْمُونة ، محاصِرًا لها ، واتّصل مُقامه عليها بَعْدَ عِيد الأَضْحى عشرة أيّام مُضيِّقاً لها واطَّلَع من محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج على إدْهان مع صاحبه حبيب بن عَمْرُوس بن سَوادة ، وغَشّ يَكِيد به الخِــلافة ، دَخَل معه في تُهْمته قاسِم بن وَلِيد الكَلْبيّ صاحب الشُرْطة صديق الجَماعة ، فقَبَض عليهما الناصر لدين الله في العَسْكَر وعَزَلهما عن خُطَّتَيْهما وأَنْفَذهما إلى قُرْطُبة مسخوطاً عليهما مُوكَّلاً بهما ، وقَبَض لابن حَجّاج على ثلاثة من وُجوه أصحابه اشْتَمَلَتْ تُهْمته عليهم ، محمّد بن وُهَيْب وسَكَن بن حديدة وعُبَيْد الله بن محمّد (1) المعروف بالذُبْيانيّ (2) ، فحُبِسوا في حَبْس الدُوَيْرة بقَصْر قُرْطُبة ، ثُمّ انْطَلَقوا إلى مُدّة ولم يَلْبَث محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج (3) أن هَلَك خاملاً إلى مُدَيْدة في شَوّال سنة اثنتَيْن (4) وثلاث مائة [بَعْدَ] مُدْخَله إلى قرطبة قافلاً مع الناصر لدين الله من عِلّة أصابَتْه (*) ، فصار مِن الغريب أنّه لم يَقْعُد مع الوُزَراء في البَيْت

---

(3) م. « وضع » .

(1) يضيف الناسخ « بن » .

(2) يبدو من المخطوط أنها « بالرفياني » ، كأنه « الزغماتي » المذكور ص 54 .

(3) يضيف الناسخ « الى » .

(4) م. « اثنتي » .

(*) م. « غزاة أكشمه » .

وزيراً إلّا يوماً واحداً فقط ، لحقته عنه حَركة الغزّ مع الناصر لدين الله ، فأدّاه إلى العَزْل والنُكوب والنقام في الخُمول إلى ان ألْوَتْ به المَنيّة .
وأَسْتَقْوَد (5) الناصر لدين الله لحَرْب مدينة قَرْمُونة مِن قِبَل إشبيلية عيسى ابن أحمد بن أبي عَبْدة ، فصَيَّر عنده نَدْبًا كثيفًا من الحَشَم لمُغاورَتها في كلّ وَقت والتَضْييق على ابن سَوادة ، وقَفَل عند ذلك إلى قُرْطُبة فدَخَلها يومَ الاثنَيْن لثلاث بقِين من ذي الحِجّة منها ولسبعة أيّام باقية من يُوليُه العَجَميّ إلى ثمانين يوماً من خُروجه منها .

وقال عريب إنّه أذْعَن حبيب بن عَمْرُوس بن سَوادة للناصر لدين الله بالطاعة بَعْدَ مُنازَلته إيّاه بعشرين يوماً ، لمّا أخَذ بمُخَنَّقه ، فأعْطاه الأمان على أن يَنْزِل من مَعْقِله ويَلْحَق بالحَضْرة ، وسَأل أن يُمْهِله في الانْتِقال [مُدّة] لم تُرْهِقه في إنظاره بها عُسْرًا ، فلمّا رَحَل عنه الناصر لدين الله / 61 الْتَوى بالنُزول وأخَذ عُدّة الحِصار وعاد في المَعْصِية .

ولإسماعيل بن بَدْر في ضَبْط الناصر لدين الله البَحْر وساحِله في غَزاته هذه ، وشَهِد معه ، قصيدة حَسَنة تَصرَّف فيها بأَحْسَن مَقال ، فقال (وافر) :

أَجَزْتُ ٱلْقَفْرَ بَعْدَ ٱلْقَفْرِ أَبْغِـــي
بِذَاكَ رِضَى إِمَـامِ ٱلْمَغْرِبَيْــنِ
وَمَنْ لَا يَرْتَضِي دَعْــةً إِلَى أَنْ
يَكُـونَ خَلِيفَـــةً بِٱلْمَشْرِقَيْـــنِ
لَقَدْ حَلَّتْ حُمَيَّا ٱلرَّاحِ عِنْـــدِي
وَطَابَتْ بَعْدَ فَتْحِـكَ مَعْقِلَيْـــنِ
وَآذَنَ كُــلُّ هَــمٍّ بِٱنْفِـــرَاجٍ
وَأَنْ يُقْضَى (1) غَرِيمُكَ كُلَّ دَيْنِ

---

(5) م. « استعوذ » وقد صححناها وهي فعل أندلسي لا يذكر في قاموس دوزي ولكن هذا الفعل يرد في كتابنا هذا ص 121 .

(1) « يقضي » في الأصل ، صححناه ليستقيم الوزن .

وَهٰذَا ٱلْبَحْرُ يَذْكُرُ مِنْكَ عَهْدًا
سَقَى مَغْنَاهُ نَوْءُ ٱلْمِرْزَمَيْنِ
تَحِنُّ إِلَيْكَ مِنْهُ طَامِيَاتٌ
مِنَ ٱلْأَمْوَاجِ مِلْءَ ٱلْخَافِقَيْنِ
لَئِنْ جَاشَتْ غَوَارِبُهَا بِمَاءٍ
أُجَاجٍ لاَ يَسُوغُ لِوَارِدَيْنِ
فَأَنْتَ ٱلْبَحْرُ عَذْبًا مُسْتَقِلًّا
عَلَيْنَا بِٱلنُّضَارِ وَبِٱللُّجَيْنِ
فَعِشْ فِي غِبْطَةٍ وَحُبُورِ مُلْكٍ
يَدُومُ لَهُ دَوَامَ ٱلْفَرْقَدَيْنِ

ولعُبَيْد الله بن يَحْيَى بن إدريس في هذه الغَزاة مِن قصيدة طويلة جدًّا أوَّلها (بسيط) :

يَا مَنْ تَزَيَّنَتِ ٱلدُّنْيَا بِمَرْآهُ
وَمَنْ يَطِيبُ عَلَى ٱلْأَفْوَاهِ ذِكْرَاهُ

وله أيضاً في الغَزْوة الكثيرة الفُتوح على الناصِر لدين الله سنة إحدى وثلاث مائة مِمّا يَجب أن يُقْرَن بما مضى من الأشعار فيها عند النَقْل قوله (طويل) :

أَتَانِيَ أَنَّ ٱلْبَحْرَ حَلَّ بِهِ ٱلْبَحْرُ
فَعَادَ زُلاَلاً مَاؤُهُ الآ[جِنُ] ٱلْمُرُّ
وَقَدْ كَانَ مُمْتَدَّ ٱلْغَوَارِبِ فَٱنْضَوَى
وَكَانَ طَمُوحًا فَٱسْتَمَرَّ بِهِ ٱلْقَعْرُ

وهو شِعر طويل حذَفْناه لطُوله .

انتِكاث ابن هابِل

وفي آخر هذه السنة أثَرَ قُفُول الناصر لدين الله من غَزَواته هذه ، هَرَب من قُرْطُبة هابِل بن حُرَيْز بن هابِل ناكثاً للعَهْد مُفارِقا للطاعة ،

وكان خُروجه من مَسْجِدها الجامِع أثْرَ صَلاة الجُمُعة ، سابع سَبْعة من اصحابه خَرَجوا معه ولم يُعْلَم بهم حتّى وَصَل هابِل إلى حِصْنه (2) الذي استُنْزِل منه سنةَ (3) / ثلاث مائة ، فدَخَل فيه وضَبَطه وبايَن [با]لخِلاف ، فأخْرَج الناصر لدين الله إلى حَرْبه احمد بن محمّد بن أبي عَبْدة القائد في جَيْش كثيف ، نَفَذ به نَحْوه وحارَبه ، فظَهَر عليه وظَفِر بقَوْم مِن رِجاله وصُلاة حَرْبه ، صَدَر بهم مُوَثَّقين إلى قُرْطُبة . 62

[إسار عُمَر بن أيُّوب الحَفصونيّ]

وفيها أَسَر عَليّ بن محمّد عامل مدينة غَرْناطة من كُورة إلْبيرة عُمَر ابن أيُّوب بن عُمَر بن حَفْصُون ، فبَعَث به إلى الناصر لدين الله بقُرْطُبة ، فحَبَسه ، ودَخَل بذلك على جَدّه عُمَر وَهْن عظيم ، وتَلا ذلك أن قُتِل لعُمَر (1) قائده وثِقته أبو الشَهْلاء أكْبَر مُولَّده ، وأُدْخِل رأسه إلى قُرْطُبة للنِصْف من ربيعِ الأوَّلِ منها ، فاشْتَدّ وَجْده عليه ، وكان قَتْله بأَرْجِية ضَيْعة السلطان .

خَبَر فَتْح العَدُوّ لمدينة يابُرة من غربيّ الاندلس وعِظَم المُصاب بها وخُلُوّها مُدّة

قال الرازيّ : وفي أوَّل هذه السنة حَشَد الطاغية أُرْدُون بن أذفُونْش مَلِك الجَلالِقة ، دَمَّرهم الله ، جُنوده وخَرَج في عَسْكَر عظيم من الخَيْل والرَجْل والرُماة حُزِروا بثلاثين ألفاً ، فقَصَد بهم مدينة يابُرة ، وعليها

(2) وهو « شنت اشتيبن » كما يذكر في « تاريخ الناصر » رقم 7 .

(3) م. « اثنتين و » وهذا خطأ لأن استنزال هابل كان في عام 300 ، انظر كتابنا هذا ص 38 ، والمؤلف يتحدث الآن عن عام 301 ، ومن الواضح أن الناسخ قرأ « شنت اشتبين » على انه « سنة اثنتين » .

(1) يضيف الناسخ هنا « و » .

يَوْمَئِذٍ مَرْوان بن عبد المَلِك [بن أحمد] (2) ، فنَزَل عليها يوم الأربِعاء (3) لثلاث عشرة خلَتْ من المُحرَّم منها ، وتَقدَّم في جَما[عة] من حُماته إلى المدينة فاسْتَدار بسُورها وتَأمَّله ، فرآه مُتطامِناً لا سِتارةَ له ولا شُرُفات بأعْلاه ، وبجِهة من خارِجه كَوْم مُرتفِع من زُبول أهل المدينة قد اعْتادوا إلقاءها عِند أصْله مِن داخِلها ، على الأيّام كادت تُساوِي في بعض الأماكِن أعْلاه ، فاسْتَبانت له العَوْرة فيها وأطْمَعَتْه في فَتْحها ، فأحاط بها من جِهاتها ، وجَدّ في مُنازَلة أهلها ، فأرْجَل جميع فُرْسانه لحَرْبها حتّى القَوامِس والأباتِرة (4) ، فلم يَبْقَ معه فارِس [إلّا نَفَر من مَشْيَخة أهل بيته نَحْو الخمسة . فواضَعوا أهلها الحرْب] (5) ، وهم يُدافِعونهم من فوق سُورهم بجَهْدهم ، ورُماة العدو يُلِحّون عليهم بالنَبْل ولا سُتْرة قُدّامهم ، إلى أن أحْرَقَتْهم سِهام العَدُوّ وأقْصَدَتْ خَلْقاً منهم ، فلم يُدِيموا الوُقوف ، وكَشَفوا [أ]عْلى السُور ونَزَلوا عنه ، ولَصِق العَدُوّ فتَسَلَّقوا إلى / أعْلاه على تِلْك 63 الأكْوام الزُبْوليّة وهَدَموا ثُلْمة منه كانت حديثة البُنْيان ، فما شَعَر أهل المدينة إلّا وهُم قد دَخَلوا عليهم من جميع نَواحِيها وصاروا معهم فيها ، فاحْتَمى المُسلِمون عند ذلك في دِفاعهم وشَدّوا عليهم شَدّة رَجُل واحد حتّى أخْرَجوهم من داخِلها وعادوا إلى سُورهم ، فصاروا في أعْلاه وقَتَلوا من العَدُوّ خَلْقاً .

ثُمّ تَذامَر العَدُوّ عليهم فكَرّوا كَرّةَ رَجُل واحد ، فهَزَموا المُسلِمين [هزيمةً] أُخرى أشَدّ من الأُولى ، ودَخَلوا المدينة معهم فاستَحَرّ القَتْل وحَمِيَت الحَرْب وذَهَب من الفريقَيْن خَلْق كثير ، ثُمّ كاثَرهم العَدُوّ حتّى قَهَرهم والْجَأهم إلى مَوْضِع بشَرْقيّ المدينة بقُرْب من سُورها ، تَضايَقوا

(2) صححناها اعتمادا على « تاريخ الناصر » رقم 9 .
(3) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .
(4) كذا في الأصل قد تكون « بطارقة » وهم « الشرفاء » .
(5) قد أسقط الناسخ هذا الكلام هنا ، فأعدناه معتمدين على « تاريخ الناصر » رقم 9 .

فيه لازْدِحامهم ولم يُمْكِنهم التَقلُّب فيه لضِيقه وضَغْط تراكُمهم ، فقُتِلوا أَجْمَعين ، رَحْمة الله عليهم ، وسَبَى المُشرِكون جميع نِسائهم وذُرّيّتهم ، حاشا عشرة رجال منهم معروفين لَجَاوا (1) بأَهْلِيهم إلى بعض تِلك المَباني الأَوَّليّة رَقُوا في أَعْلاها ومَنَعوا عن أَنْفُسهم فيها ، وحُورِبوا من أَسْفَلهم بَقيَّة ذلك النَهار حتّى جَنّ اللَيْل ، فلم يُوصَل إليهم لصُعوبة مَكانهم ، إلى أن أَجَنَّهم اللَيْل وانقَبَض عنهم مَن كان يُحارِبهم ، فنَزَلوا عن مَكانهم ذلك ودَبّوا تَحْتَ اللَيْل مُستَخفين حتّى لَحِقوا بمدينة باجة ، فلم يَنْجُ من جميع أهل يابُرة غَيْرهم ، وكانوا من وُجوههم .

واستُشْهِد في هذه الوقيعة مَرْوان بن عبد المَلِك عامِل يابُرة ، قُتِل في مَسْجِده وسُبِي جميع نِسائه ووُلْده وأهله ، وأُصِيب بها من السَبْي نَيْف على أربعة آلاف من النِساء والوِلْدان ، وقُتِل داخِل المدينة سبع مائة رَجُل ، فذَكَر أهل الغَرْب أنّه لم تَدُرْ بالأندلس على أهل الإسلام دائرة مِن قِبَل العَدُوّ مُنْذ سُكِنَتْ أَشْنَع مِن هذه الدائرة ولا أَفْظَع مَنْظَراً ، ولقد كان الداخِل اليها بعد خُروج العَدُوّ بمُدّة ، يَدْخُل إليها فيأتي ذلك المأزِق الذي ضُمّ إليه / المُسلِمون عِند الإحاطة بهم ولم يَجِدوا عنه مَنْفَذاً ، فيَنْظُر إلى عَقْرى جاثِمين قد رَكَّب بعضهم الرِجال والنِساء ، قد هَمَدَتْ جُثَثهم سافاً فوق ساف في سَمْك قامة وقامتَيْن صَعِد إلى حائط السُور ، فيَرى مَنْظَراً مُوحِشاً شنيعًا وهَوْلاً هائلاً فظيعاً . وذلك المَوْضِع يُعْرَف بالأَفْراتُس (1) ، بالعَجَميّة اسمًا لضِيقه (2) .

64

ورَحَل الطاغية أُرْدُون بن أَذْفُونْش ، لَعَنه الله ، بجَيْشه مُستعجِلًا غَداةَ يوم الخميس ثاني فَتْحها ، فانصَرَف إلى جِلّيقيّة عزيزاً .

---

(1) م. « نجوا » ، نعتمد على « تاريخ الناصر » رقم 9 .

(1) كذا في الأصل وفي « تاريخ الناصر » رقم 9 « بالاتراش » . ولعل الصواب « افراتش » وهي fretos أو apretos الرومانسية أي « المضايق » .

(2) م. « اسم اضيقه » .

[تَحْصين مُدُن الغرب]

وجَزِع سائر أهل الغَرْب وغَيْرهم للحادِث على أهل يابُرة جَزعًا شديدًا ، ورَهِبوا العدو رَهْبةً عظيمة ، فأَخَذوا في إصلاح أَسْوارهم وحِفْظ عَوْرتهم وشَدّ مَعاقِلهم أَخْذًا حثيثاً . وقام في ذلك أهل بَطَلْيَوْس ، كُبْرى مَدائنهم ، أَحْسَن قِيام بفَضْل ما بهم من قُوّة ، وكان سُور قَصَبتهم إلى ذلك الوَقْت مَبْنيًّا بتُرْب الطابِية المرزوم بالمَداوِس وبالطُوب المُشمَّس ، عَمَل أميرهم الأوَّل عبد الرحمٰن بن مَرْوان الجِلّيقيّ ، أوَّل ما نَزَل معهم ، فكَلَّموا أميرهم عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمٰن [بن مَرْوان] بن يُونُس (3) فيما ذَهَبوا إليه من تَحْصين بَلَدهم للذي خامَر قُلوبهم من الذُعْر الذي حَلّ بإخوانهم أهل يابُرة ، فشَدّ عَزائمهم في ذلك وتَولّى النَظَر في ذلك بنَفْسه مع مَشْيَختهم وجميع العَمَلة على بُنْيان السُور وتَقْوية مَتْنه ، فصَيَّره في عَرْض عشرة أَشْبار لَوْحاً واحدًا ، واتَّصل العَمَل فيه حتّى كَمُل في أَسْرَع مُدّة في هذه السنة .

[تهديم أسوار يابُرة]

وتَوقَّع عبد الله بن محمّد صاحب بَطَلْيَوْس أن يَنْضوي إلى مدينة يابُرة لمّا خَلَتْ بعض من يقْرُب منها من البَرْبَر فيَتَأَذّى بهم ، فخَرَج بمَن معه اليها وهَدَم أَبْراجها وحَطّ بَقيّة أَسْوارها ، حتّى أَلْصَقها بالأرض وانْصَرَف عنها ، فبَقِيَتْ خَلاء بَقيّةَ سنة إحدى وثلاث مائة ، ثم ابْتَناها (4) عبد الله بن محمّد الجِلّيقيّ هذا لصاحبه مسعود بن سَعْدون السُرُنْباقيّ في سنة اثنتَيْن وثلاث مائة بَعْدَها .

---

(3) في المخطوط « بن أبيه » صححناها معتمدين على ترجمة جده في « المقتبس » ج 2 ص 343 – 397 وملاحظة رقم 565 وفي « المقتبس » ج 3 ص 15 كذلك .

(4) م. « تناهى » .

وفي صَفَر من هذه السنة ولّى الناصر لدين الله عيسى بن أحمد ابن أبي عَبْدة ومحمّد بن سلَيْمان بن وانْسُوس خُطّة الوِزارة ، [وأُعِيد إلى الوِزارة (أبو العَبّاس) أحمد بن محمّد بن أبي عَبْـدة] (1) ، [ووَلِيَ محمّد بن عبد الله الخَرُّوبيّ ، ومحمّد بن أحمد بن حُدَيْر ، وقَنْد الكبير ، ودُرّيّ مَوْلَيا الناصر خُطّـة العَرْض . وعَزَل عُمَر بن أحمد بن فَرَج عن السُوق ، وصَرَف النَظَر فيهـا إلى محمّد بن عبد الله الخَرُّوبي ، وذلك في ربيع الآخِر . ووَلِيَ أحمد بن (محمّد بن) مَسْلَمة الشُرْطة العُلْيا] (2) [ثُمّ عُزِل عنها ووَلِيها عَبّـاس بن أحمد بن محمّد بن أبي عَبْـدة] (3) ، [وأُعِيد إلى الشُرْطة العُلْيا قاسِم بن وَلِيـد الكَلْبيّ ، ووَلِي خِزانة المال موسى بن سُلَيْمـان الخَوْلانيّ المعروف بأبي الكَوْثَر ، وعبد المَلِك بن سلَيْمان أخوه خِزانة السِلاح .

واستُقْدِم محمّد بن إبراهيم بن حَجّاج من مدينة قَرْمُونة ، ووَلِي الوِزارة ، وقَعَد مع الوِزراء يوماً واحداً] (4) ، وفيها عُزِل جَهْوَر بن عبد المَلِك البُخْتيّ عن الوِزارة في ربيـع الأوَّل منهـا ، فلم يَعُدْ إليها ، وبَقِي [معزولاً] الى أن تُوُفّي بحِصْن أَرْكُش من كُورة شَـذُونة صَـدْرَ المُحرَّم سـنةَ اثنتَيْ عشرة وثلاث مائة ، فدُفِن بحـاضِرة قَلْسـانة إلى

---

(1) قد أسقط الناسخ هذه الفقرة كلها ، وانما أعدنا من أسماء الاعلام ما جاء منها مثبتا في تولية أو عزل فيما بعد ، صححناها اعتمادا على « تاريخ الناصر » رقم 10 .

(2) صححناها اعتمادا على « البيان » ج 2 ص 164 .

(3) صححناها اعتمادا على « البيان » ج 2 ص 165 ، و « تاريخ الناصر » رقم 10 ؛ ومن الواضح أن الناسخ أسقط بعض الكلام هنا ، اذ انه ذكر أن هذا الانسان توفي وهو يتولى خطته سنة 302 (راجع ص 70 – 71 أسفلها) . اما معركته الأخيرة فراجع « البيان » ج 2 ص 167 و « تاريخ الناصر » رقم 21 .

(4) صححناها اعتمادا على « البيان » ج 2 ص 164 .

جَنْب أبيه عبد المَلِك ، [وفيها تُوُفِّي عبد الله بن محمّد الزجّاليّ الكاتب في ... منها] (5) .

[واستُقْدِم سعيد بن المُنْذِر من إشبيلية ، ووَلِيها فُطَيْس بن أَصْبَغ في شَعْبان] (6) ، وفيها سُجِّل لقاسِم بن عليّ من أهل حاضِرة إلْبيرة على مدينة بَجّانة والمَريّة وأَعْمالها (7) في غُـرّة شَعْبان منهـا ، فلم يَلْبَث قاسم أن الْتَوت به المَنيّة ، فَوَلِي مكانه أخوه مسعود بن عليّ في ذي القَعْدة منها .

[وقـائع أخرى]

وفي أوّل هذه السنة هَلَك الطاغية غَرْسيّة بن أَذْ[فُونْش ، مَلِك جِلّيقيّة ، لَعَنه الله ، ومَلّكت النَصْرانيّة مكانه أخاه أُرْدُون بن أَذْفُونْش] (8) ، المُفتتِح لمدينة يابُرة ، أَثَرَ وِلايته في هذه السنة .

وفيها قُتِل عبد المَلِك بن عبد الله بن شَنْبِريط ببَرْشَلُونة في عَقِب ربيع الآخِر منها ، وأغار المُشْرِكون بوادي الحَمّة (9) في الثَغْر الأَعْلى وكانت مَلْحَمة أَرْنيط (10) فيه يومَ الأَحَد لعشر بقِين من شَعْبان منها .

وفيهـا افْتَتَح أهل الثَغْر الأَعْلى حِصْن قَلَهُرّة (11) ، وكان بأَيْـدي

---

(5) قد اسقط الناسخ بعض الكلام هنا كما تبين من ذكر وفاته سنة 302 (راجع ص 66 اسفلها) مع انه جاء في « تاريخ الناصر » رقم 12 وفي « البيان » ج 2 ص 165 أن وفاته وقعت في ذي القعدة او في ربيع الأول سنة 301 .

(6) قد اسقط الناسخ بعض الكلام هنا ، اعدناه معتمدين على « البيان » ج 2 ص 164 . هذا وقد جاء ذكر هذا الانسان وتوليه اشبيلية في ص 52 ، 53 ، 55 .

(7) كذا في الأصل .

(8) اضافة منا اذ اتضح أن الناسخ حذف الكلام سهوا ، ولا بد من ادراجه هنا تفاديا للاخطاء ، انظر ايضا « البيان » ج 2 ص 166 .

(9) في « البيان » ج 2 ص 166 « الحامة » .

(10) م. « ابيط » نعتمد على « البيان » ج 2 ص 166 .

(11) قراءة مشتبهة والرسم في المخطوط هو « فلنمره » قد تكون « ملونده » ، انظر « البيان » ج 2 ص 164 . ولا يذكر هذا كتاب « المسالك » للعذري .

المُشْرِكيــن ، فاتَّخذوا به سِــجِلًّا عليهم . وجَرى ذلك يوم الأربِعــاء (12) لثماني عشرة خَلَتْ من ذي الحِجَّة .

وفيها كانت مُحاصَرة لُبّ بن محمّد القَسَويّ لمدينة سَرَقُسْطة ، أُمّ الثَّغْر الأعْلى ، وبُنْيانه الرَّدْم عليها .

وفيها قُتِل محمّد بن عبد [المَلِك] (13) الطّويل .

---

(12) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

(13) نعتمد على « المسالك » للعذري ص 66 وعلى « البيان » ج 2 ص 164 .



سنة اثنتين وثلاث مائة

فيها غَزا بالصائفة العَمّ أبان ابن الأمير عبد الله ، ففَصَل في شَوّال منها [نَحْو] (14) أعمال الخبيث عُمَر بن حَفْصون ، وتَجوَّل بالعَسْكَر على جميع حُصونه ، فانْتَسَف زُروعها وأَخْرَب عِمارتها ، وافْتَتَح منها حِصْن جَرِيشة ، فخرَّبه وقَفَل من غَزْوته هذه في المُحرَّم سنة ثلاث وثلاث مائة بَعْدَها ، وقد فَتّ في عَضُد اللعين عُمَر بن حَفْصون وضَيَّق مَعايِشه .

66 وفيها تَردَّدَتْ الكِتابة بَيْن المعروف بابن قرْهب الأَغْلَبيّ / المُنْتَزِي بأرض صِقِلّية على عُبَيْد الله الشِيعيّ ، الدَعِيّ المُنْتَزِي على بَلَد إفْرِيقيّة وأرض المَغْـرِب ، وبَيْن الناصر لدين الله ... (1) إلى إمـداده وتَقْوِيته ، والناصر لدين الله يَلْوِيه مُستخبِرًا عن حاله ويُجِيبه شاحذًا عَزيمته مُؤكِّدًا بصيرته ، إلى أن ظَهَر عُبَيْد الله عَمّا قليل عليه فزال أَمْره .

مَوْلِد وليّ العَهْد الحَكَم

قال [الرازيّ] : وفيها وُلِد الحَكَم بن الناصر لدين الله ، أثير أولاده ، الذي اخْتاره مِن جَمـاعتهم ووَلّاه عَهْده ، فوَرِث سلطانه بَعْدَه ، وسُمِّيَ

(14) نعتمد على « تاريخ الناصر » رقم 16 .

(1) يبدو أنه سقطت هنا بعض الكلمات .

بالمُستنصِر بالله وتَكنّى أبا العاصي ، وكانت وِلادته بقَصْر قُرْطُبة يومَ الجُمعة حِين النِداء لصَلاتها وانْبِعاث الخطيب في الخُطْبة غُرّة رَجَب من هذه السنة ، فنوّه والِده الناصر لدين الله بوِلادته وأوْسَع الإنفاق على عَقيقته ، واقْتَرَب طَبَقات الناس إليه بالتَهْنئة به ، واسْتَنْفَرَتْ شُعَراؤهم في التَبْشير بطُلوعه .

فقال في ذلك أحمد بن محمّد بن عبد ربّه (طويل) :

هِلَالٌ نَمَاهُ ٱلْبَدْرُ (2) وَٱخْتَارَهُ ٱلْفَجْرُ
تَلَقَّتْ بِهِ شَمْسٌ وَأَنْجُمُهُ (3) زُهْرُ
عَلَى وَجْهِهِ سِيمَا ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْعُلَى
فَضَاءَتْ بِهِ ٱلْآمَالُ وَٱبْتَهَجَ ٱلشِّعْرُ
سُلَالَةُ أَفْرَاسٍ (4) رَبِيبُ خَلَائِفٍ
أَكُفُّهُمُ بَحْرٌ (5) وَنَائِلُهُمْ غَمْرُ
بَدَا لِصَلَاةِ ٱلظُّهْرِ نَجْمُ مَكَارِمٍ
تَحُفُّ بِهِ ٱلْعَلْيَا وَيَكْنُفُهُ ٱلْفَخْرُ
نَمَاهُ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ خَيْرُ خَلِيفَةٍ
تَتِيهُ بِهِ ٱلدُّنْيَا وَيَزْهَى بِهِ ٱلْقَصْرُ (6)

وهي أبيات كثيرة .

وخالَف محمّد بن مسعود الرازيّ في تأريخ وِلادة الحَكَم ، فقال : يوم الجُمعة لسِتّ بقِين من جُمادى الآخرة سنة اثنتَيْن وثلاث مائة .

قال : وأُمّه مُرْجان الرُومية أُمّ وَلَد أبيه الأثيرة .

(2) في « تاريخ الناصر » رقم 14 « المجد » .
(3) نفس المصدر « أنجبه » .
(4) كذا في الأصل .
(5) نفس المصدر « أملاك » .
(6) نفس المصدر يزيد هنا ثمانية أبيات من هذا الشعر .

[الـوُزراء]

وفيها ولّى الناصر لدين الله عبد المَلِك بن جَهْوَر الوِزارة في شَوّال منها ، وَضمّ إليه الكِتـابة العُلْيا التي كانت مرسومة لعبد الرحمٰن وَلَـد الحاجب بَدْر بن أحمد ، عند وَفاة مُتقلّدها عبد الله بن محمّد الزّجّاليّ الوزير الكاتب ، يَقُوم / له بها كاتِبا الحاجب ابنه سَكَن بن إبراهيم وعُمَر ابن تاجِيت إلى أن ضُمَّتْ إلى عبد المَلِك بن جَهْوَر في هذه السنة ، وصَرَف الوزير موسى بن محمّد بن حُدَيْر عن وِلاية المدينـة في شَوّال منهـا ، ووَلّى مكانه محمّد بن عبد الله الخَرُّوبيّ صنيعته ، نَقَله من وِلاية السُوق إليها (1) ، وولّى السُوق مكانَه أحمد بن حبيب بن بُهْلُول . وصَرَف أيضاً محمّد بن محمّد بن أبي زَيْد عن الشُرْطة الصُغْرى ، ووَلّى مكانَه يَحْيَى ابن إسْحاق الطَبيب (2) .

67

وفيهـا أمَـر الناصر لدين الله بفَتْح باب عامِر الغَرْبيّ الأوْسَط من أبواب مدينة قُرْطُبة المُعـاوَد الإغلاق ، ففُتِح في هذا الوَقْت وهو فَتْحـه الثاني .

المَحْـل

وفيها أمْحَل الناس وتَوالى عليهـم القَحْط ، وعَمّ بِلادهم ، فبَرَز إلى المُصلّى بالرَبَض الفقيه المشـاوِر محمّد بن عُمَر بن لُبابة ، واستَسْقى لهم خمس مرّات في أيّام مُختلِفة ، فلم يُسْقَوْا وغَلَت الأسعار وقَلّ ظُهور الحِنْطة في الأسْواق . ثم أمَر الناصر لدين الله أحمد بن محمّد بن زِياد

---

(1) م. « وزارة اليه » .

(2) وفي « البيان » ج 2 ص 167 أن عزل عبد الله بن بدر وتولية أحمد بن حبيب بن بهلول اتفقا « يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال » وفيه أيضا « وفيها عزل عبد الرحمن بن بدر عن خطة الخيل ، ووليها عبد الله بن مضر . وفيها ولى المواريث قند ودري موليا أمير المؤمنين الناصر » .

بالبُروز بالناس للاستِسْقاء ، فبَرَز بهم يوم الاثنَيْن لثلاث عشرة خَلَتْ من شَوّال منها ، وهو أوّل يوم من مايُـه الشَمْسيّ ، فنَزَل رَذاذ صالِـح (3) وندى مُبلِّل تَمسَّك به بعض الزَرْع وذَهَب الأكْثَر باسْتِيلاء اليُبس عليه ، فصَرَّحت السنة عن ذاتها واعْتَدى القَحْط شامِلاً للأندلس كلّها وثُغورها فغَلَت الأَسْعار في جميع جِهاتها .

خَبَر إيطان مدينة يابُرة

قال الرازيّ : فيها أنْزَل عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمٰن المعروف بابن الجِلّيقيّ ، صاحب بَطَلْيَوْس وأعْمالها ، حليفه مسعود بن سَعْدُون المعروف بالسُرُنْباقيّ ، ومَن معه من قَوْمه الشاردين عن الجَماعة ، مدينة يابُرة الحديثة الخَراب بأَيْدي الكَفَرة سنةَ إحدى وثلاث مائة ، وابْتَنى لهم سُـورها وعَمَّـر بهم م[كـا]نها ، فأهِلَتْ بهـم مَساكِنها بَعْدَ إقوائهـا .

وكان السَبَب في ذلك أنّ سعيد بن مالِك ، المُتغلِّب على مدينة باجة في هذا الوَقْت بَعْدَ جَـلاء العَـرَب عنهـا ، استَدْعى مسعود بن سَعْدُون / هذا من حِصْنه الذي كان فيه بشَرْقيّ مدينة شَنْتَرين المعروف بنياني (1) ، كَيْمـا يَتأيَّد به على عَدُوّه يَحْيى بن بَكْر المُنْتَزي بأُكْشُـونُبة ، ووَعَده التَوْ[سيع] له في بَلَده ، فجاءه مسعود بمَن معه ، فأنْزَلهم بغَرْبيّ مدينة باجة في الحِصْن المعروف بالبَشْتَريل على عشرين مِيلاً منها ، وسَطا بهم على مُفاتَنة يَحْيى بن بَكْر ومَن ظاهَره ، وغاوَر مسعود يَحْيى وضَيَّق عليه مَوْضِعـه ، حتّى اضْطَرّه إلى أن اصْطَلَح مع ضِدّه سعيد بن مـالِك وظاهَره ، فارْتَفَعت المُنافرة بَيْنهما ، وأقام مسعود بمكانه مُعْتَزًّا عليهما قد حَمى جِهته وحاط قَوْمه وكَفّ أذاه . فلَجأ الناس إليه لعَـدْله وحُسْن سِيرته وقِلّة تَحامُله ، حتّى كثُرت رَعِيّتـه وصلَحَتْ حاله وحال رِجاله ،

68

(3) م. « صلح » .

(1) م. « ينياني » .

فحَسَده ذلك سعيد ويَحْيى وكَرِهـا مُجاوَرته (2) ، وعَمِـلا على إخراجه عن الحِصْن الذي اسْتَقرّ به والحُؤُول بَيْنه وبين قَوْمه ، فكَتَبا إليه يَلْتَمِسان لِقاءه في مَوْضِع بسيط باجة وأُكْشُونُبة ، واعَداه فيه ليَوْم بعَيْنه ، صارا إليه في جُمْلة رِجالهما ، وجاءهم مسعود في خاصّة أصحابه ، ولا يَظُنّ بهما إلّا خَيْرًا ، فغَدَرا به وقَبَضا عليه وقيّداه وحَبَساه وأَرْسَلا إلى الحِصْن وأَخْرَجا منه أهله ووُلْده ، وأَخَذا منه ما كان فيه من رَحْله وماله ، وضَمّا رِجاله إلى أنْفُسهما ، وصَيَّرا رَعيّته في رَعاياهما .

وكان ابن بَكْر منهما قد عَزَم على قَتْله والراحة مِنه ، فأَبَى ذلك عليه ابن مالِك ، وحَمَله على المَنْع منه ابنه مالِك بن سعيد ، وكان أَفْضَل مِن أبيه رأيًا وحَزْمًا ، وقال : « لا تَتَحَدَّث هذه الأُمَويّة بأَنّنـا قتَلْناه ، أو مَكَّنّا مِنه بَعْدُ ، وقد جاءنا مُطْمَئِنًّا ، وكان لنا عَوْنًا وبحَسْبه ما ناله مِن إخراجه مِن حِصْنه والحُؤول بَيْنه وبَيْن رِجاله ، فخَلُّوا عنه يَذْهَبْ حَيْثُ شـاء ، فإن لَحِقه قَدَر وهو في أَيْدِيكم قُلِّدتُم عارَه ولم تَرْفُضوه عنكم » . فأَطْلَقوه عند ذلك وقالـوا له : « صِرْ حَيْثُ شِئْتَ » .فقصَد إلى بَكْر بن مَسْلَمة صاحب أ[رو]ش (3) ، وقد كان أَصْهَر إليه قبل الحادِثة عليه بمُدَيْدة ، فزَوَّج ابنته / من وَلَد بَكْر ، فقَصَده وأقام عنده مُدَيْدة في حِفْظ ورِعاية . ثُمّ ضاق عنه مكانه عند بَكْر وتَطلَّعت نَفْسه إلى الدُنُوّ مِن قَوْمه ، فقال لبَكْر : « قد أَوَيْتَ وأَحْسَنْتَ وأسَيْتَ وأَجَرْتَ فقضَيْتَ الحَقّ وأَوْفَيْتَ ، وأنا ها هُنا بحَيْثُ يَبْعُد عَنّي خَبَر قَوْمي ولا يأْتيني أَحَد منهم ، ولَوْ دَنَوْتُ (1) مِنهم لم يَقْعُدوا عَنّي » . فأَذِن له فخَرَج وصار إلى مسعود بن أدانِس بالقَصْر المنسوب إليهم ، فيمَن اجْتَمَع له مِن وُلْده وأهله ، فتَقبَّله مسعود بن أدانِس وأَحْسَن مَثْواه ، فخاطَب مسعود ابن سَعْدون مِن هُناك حليفه عبد الله بن محمّد صاحب بَطَلْيَوْس وقَوْمـه ،

69

(2) م. « فجاورته » .

(3) نعتمد على كتابنا هذا ص 77 .

(1) م. « دنيت » .

يَسْتَغيثهم ويُعرِّفهم سُوء حاله وتَقَلْقُل جأشه بما دار عليه مِن ابن مالِك ، ويُمُتّ إليهم بالدَعْوة التي تَجْمَعهم ، وبما تَقدَّم بَيْن آبائهم مِن الحِلْف والمُوالاة والعَقْد والنُصْرة المُتقدِّمة من والِده سَعْدون لجَدّ عبد الله بنَفْسه وقَوْمه ، على من استَنْصَره عليه مِن سلطان غَيْره ، ويَسْألهم أن يتلافَوْه ويُحْيُوا مَوات حاله ، فاستَعْظَم عبد الله وقَوْمه ما جَرى على ابن سَعْدُون وأبْقَوْا له وأجْمَعوا على مَعُونته والأخْذ بيَده ، واعْتَرَفوا بذِمامه وحَقّ والِده ، وقالوا : « هذه مدينة يابُرة بقُرْبنا ، قد صارت مُنْذ زال عنها العَدُوّ ضَررًا على أطْرافنا ، فَلْنُسْكِنْها هذا الرَجُل وقَوْمه ، و[لْنُعِنْ]هم على إيطانها وعِمارتها ، فإذا سَكَنوها استَرَحْنا مِن غَمّها ، وصارت مع ذلك في عِداد أَعْمالنا » . فأجْمَعوا على ذلك ، ووافَقهم عليه أميرهم عبد الله بن محمّد ، وخاطَب مسعود بن سَعْدُون عند ذلك أن يَرْحَل إلى مدينة يابُرة بأهله ووُلده ومَن لَحِق به من قَوْمه ، وقد كان جاءه منهم مِن باجة وأُكْشُونُبة نَحْوُ خمسين رَجُلًا صاروا معه ، وأَعْلَمه عبد الله أنّه مُوافيه بها لأَجَل ضَرَبه له لا يَعْدُوه ، وكَتَب عبد الله الى مسعود بن أَدانِس ، صِهْر ابن سَعْدُون يَسْأَله أن يُشَيِّعه بنَفْسه وأَصْحابه إلى مدينة يابُرة ويَحُلّ بها إلى أن يَجيئهم بجَمْعه وعِدّته .

70 فعَمِلت الجَماعة على ذلك وكان أَسْبَقهم / إليه عبد الله بن مَرْوان ، جاء قَبْلَهم الى يابُرة في جَمْعه وعِدّته ، وقد حَمَل مع نَفْسه الفَعَلة بضُروب الآلات والعُدّة ، فشَرَع في بُنْيان ما تَهدَّم مِن سُورها ، وأَخَذ في جَبْر ثُلْمها وتَقْوِية أرْكانها ، ثُمّ غلَّق الأبواب الشِداد عليها وجاءه على تَفِيئة ذلك المَسْعودانِ ، ابن سَعْدُون ومُجاوِره ابن أَدانِس صِهْره معه ، فسلَّم ابن مَرْوان مدينة يابُرة إلى ابن سَعْدون عِند تَمامه لبِنائها وتَحْصينه لعَوْرتها ، وقال : « هذه لك ولقَوْمك ، فآنْزِل بمَن معك على اسْم الله ، فآكْتُب إلى مَن قَعَد عنك مِن قَوْمك واستَبْدِلْ بهم فرَغِّبْهم في الإقبال وحُضَّهم على الاستِجْماع وعِدْهم عَنّي بالمَعُونة على تَوْسِعة المَعِيشة، والحُمْلان مِن

الرُّجْلة . فسَوْف أَفِي لك ولِمَن فاء إليك بالمَوْعِدة . حتّى يَلُمّ الله شَعْثك وَيرُدّ إليك قَوْمك ويُعيدك الى أَحْسَن حالك فتكُونوا (1) لنا ظَهرة » .
فشكَره مسعود بن سَعْدون أتمّ شُكْر وأثْنى على جميل بَلائه . وضَمن له من الوَفاء أَفْضل ما قَدر فيه ، ونزَل المدينة وادِعاً مُطْمَئِنّاً واثقاً بمُشارَكته . وأَقام ابن عَزْوان معه فيها أيّاماً ثمّ أَوْرد عليه فيها جُمْلة غليظة من الأطْعِمة والأقْوات ، وأقاد إليها خَيْلاً وبِغالاً وأعْطاد كِسىً وحُلَلاً حِساناً ، ثُمّ انصَرف عنه وغادَره فيها جميع الشَمْل عزيز الجانِب .

وتَسامَع الناس بحُلُول ابن سَعْدُون بيابُرة وثُؤوبها إلى العِمارة . وكان [سائقاً للناس] مُحبَّباً ، فتَراجَع إليها كثير مِمَّن سَلِم من مَعَرّة العَدُوّ عند فَتْحها مِن أهلها وأَفْلَت مِن إسارهم ، وكثير مِن أهل النَواحي حَوْلها ، ولَحِق بأميرها ابن سَعْدُون أَكْثَر أصحابه الذين كانوا احْتَبسوا عنه بأُكْشُونُبة وباجة وغَيْرهما ، فكَثُرَتْ حَوْزته وعَمِرتْ خِطّتها ، وعَدُل في رَعيّته ، فتَزَيَّدت عِمارة يابرة ونَمَت في غَلّاتها ، فصَلَحت بذلك حاله وحال أهلها معه ، فكان ذلك سَبَب سُكْناها وعِمارتها إلى اليَوْم .

[مَقْتَل العبّاس بن أبي العبّاس]

وفيها قُتِل عَبّاس (2) ابن الوزير القائد أبي العَبّاس أحمد بن محمّد ابن أبي عَبْدة ، في حَرْب باشَرها بنَفْسه بحِصْن مُنْت رُوي . / الذي كان الناصر لدين الله أَلْزَمه المُقام على مُنازَلته وحَصْر مَن فيه ، وكان شُجاعاً لا يَمْلأ الرَوْع قَلْبه . فباشَر مع مُقاتِلته حَرْباً شديدة غَرَّر فيها بنَفْسه فواقَعَتْه ضَرْبة قَضَتْ عليه ، وذلك يومَ الأحَد غُرّة ذي الحِجّة من هذه السنة و[آ]سى السلطان وشارَك هو وأهل مَمْلَكته الشَيْخ أبا العَبّاس أباه في ثُكْله ، وولّى أخاه عبد الله بن أبي العَبّاس خُطّة الشُرْطة العُلْيا مكانَ فَقيده .

71

(1) م. « فتكونون » .
(2) م. « سعدون » وقد صححه الناسخ على الهامش . انظر « البيان » ج 2 ص 167 .



سنة ثلاث وثلاث مائة

[المَجــاعة]

فيها كانت المَجاعة بالأندلس التي شُبِّهَتْ بمَجاعة سنة سِتّين (1) ، فاشْتَدّ الغَلاء وبَلَغت الحاجة والفاقة بالناس مَبْلَغاً لم يكن لهم عَهْد بمِثلها ، وبَلَغ قَفيز [الـ]قَمْح بكَيْل سُوق قُرْطُبة ثلاثة دَنانير دِرْهم دَخَل أربعين (2) . ووَقَع الوَباء في الناس فكَثُر المَوتان في أهل الفاقة والحاجة حتّى عُجِز عن دَفْنهم . وكثُرت صَدَقات الناصر لدين الله في هذه الأَزْمة على المَساكِين

---

(1) يعني مجاعة عام 260 هـ . التي ضرب بها المثل ، انظر « البيان » ج 2 ص 152 ، وبخاصة « المقتبس » ج 2 ص 343 .

(2) هذه الفقرة مشكلة كأنها مختلة في الأصل وفي « البيان » أيضا ، فمما جاء في ص 83 من كتابنا هذا عند ذكر مجاعة في الثغر الأعلى أنه « انتهى قفيز القمح اثني عشر دينار درهم فضة » على أن سعر القمح بالكور أقل منه بالحاضرة عادة ، الأمر الذي يؤدي الى احتمال أن السعر الحقيقي اثناء مجاعة قرطبة بلغ 13 أو 23 بل حتى 33 أو 43 دينارا . أما الاصطلاح « دينار درهم دخل أربعين » فانه لم يفسر تفسيرا مرضيا ، وقد عالجه ميلز في كتابه « سكة الأمويين في الأندلس » ص 92 وذهب الى أن « 3 دنانير كانت تساوي 40 درهما » ، كما عالجه غويتين في كتابه « مجتمع البحر الأبيض المتوسط » ج 1 ص 343 وبصورة خاصة في مقالته عن « سعر تبادل مسكوكات الذهب والفضة أيام الدولتين الفاطمية والأيوبية » في JESHO 8 (1965) 1 ـ 46 بشواهد كثيرة من مستندات راجعة الى أيامهما تثبت بكل وضوح أن الدينار كـان يساوي 40

وأهل الفاقة وعلى المُتعفِّفين عن المَسْألة وصَدَقات أهل الحِسْبة من رِجاله المُؤْتَسين به ، فنَفَع الله بهم كثيراً من خَلْقه ، وكان حاجبه بَدْر بن أحمد مُدبِّر دَوْلته أَفْشاهم صَدَقةً وأَعْظَمهم مُواساةً ، فنَعَش الله به أُمَّة[م] . وعَدا إصْر هذه المَجاعة وضِيق الأَحْوال السلطان عن تَجْريد صائفة وإغزاء جَيْش لِما بالناس مِن الجَهْد . فأَخَذ الناصر لدين الله في شأنه بالوثيقة وعوَّل على ضَبْط أَطْرا[فه] وتَحْصين بَيْضته والإرصاد لأهل الخِلاف والخُلْعان خِلال مَعاقِلهم ومَجال مَسارِبهم ، إذ كانوا مع اسْتِيلاء المَجاعة عليهم لا يَفْتُرون عن العِدْوان على مَن مَرّ بهم مِن رِفاق المُسْلِمين وطالِبي المَعِيشة وجالِبي المِيرة ، فلم يَجِدوا مَنْفَذاً إلى ما طَمِعوا فيه مِن إساءة . ونَفَع الله بذلك كلّه الكافّة ، وعاث المَوْتان في هذه الأَزْمة فأَوْدَى بخَلْق مِن وُجوه أهل قُرْطُبة وعُلَمائها وخِيارهم ، قَصَر المُؤرِّخون بَيانهم (3) لكَثْرتهم ، إلى مَن مات من أَشْكالهم / بِبِلاد الأندلس البعيدة 72 مِمَّن لم يأْخُذه إحْصاء ولا اتَّصَلت عِدّة .

[عَزل وتَعْيين]

وفيها ولّى الناصر لدين الله خُطّة الوِزارة إسحاق بن محمّد بن إسحاق بن الوَليد بن إبراهيم بن عبد المَلِك بن عُمَر بن مَرْوان بن الحَكَم

درهما . أضف الى ذلك ما أطلعنا عليه الدكتور خواكين بالبي من تاليف لابن الجياب فيه « فاتفق أن جاءت سبعة دنانير تعدل عشرة درهم (كذا) من درهم الشريعة وكذلك أيضا الدرهم الذي هو من ست وثلاثين حبة ، وهو المستعمل في بلاد الأندلس تعدل منه مائة واربعون حبة (؟) مائة درهم من درهم الكيل الذي هو درهم الشريعة ، فلذلك وقع في العقود القديمة بقرطبة بدخل أربعين ، فتامل ذلك فهذه جملة مبينة في هذا الغرض » . أما المسكوكات المضروبة فعلا الموجودة بأيدينا فان الدرهم منها يتراوح وزنه بين 2ر41 و 2ر60 غرام من الفضة خلاف وزنه النظري المساوي 2ر4425 غرام لكون حبة الفضة تساوي 0ر04885 غرام ، ولم يعثر على درهم مضروب وزنه 1ر7586 غرام (أي 0ر04885 × 36) حسب ما ذكر لنا الدكتور م. برسيلو .

(3) م. « سناتهم » .

ابن أبي العاصي في شَهْر رَمَضان منها ، وكان مَوْصوفاً بالرأي والغَناء . وعَزَل عبد الملك بن جَهْوَر البُخْتيّ عن الوِزارة والكِتابة معًا في شوّال منها ، فبَقِيَ معزولاً سنتَيْن وشَهراً ، ثُمّ صَرَفه إلى الوِزارة وولّى الكِتابة العُلْيا بَعْدَه عبد الحميد بن بَسِيل في عَقِب شوّال المُؤرَّخ (1) . وعَزَل عن الوِزارة أيضاً محمّد بن عبد الله بن أُمَيّة آخِرَ هذه السنة ، وعبد الله بن مُضَر وعيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة .

[ووَلِيَ محمّد بن محمّد بن أبي زَيْد الشُرْطة العُلْيـا . وكان يَلِي الشُرْطة الصُغْرى مِن قَبْلُ] (2) .

بَجّـانة

كان قاسِم بن عَلِيّ والي بَجّـانة والمَرِيّة قد هَلَك آخِر سنة اثنتَيْن وثلاث مائة قَبْلَها ، ووَلِيَ مكانَه أخوه مسعود بن عَلِيّ ، قدَّمه أهلها على أنْفُسهم فأَمْضاه الناصر لدين الله على إمارتهم ، وكان غَيْر راضٍ إلّا أنّه كان يُخالِف أخاه قاسماً على حُصون بَجّانة ، فخاف أهلها شَدّه عليهم إن خالَفوه ، فقدَّموه بَغْتةً (3) ، فلم يَلْبَث أن غَيَّرته الوِلاية فأساء السِيرة وآذى الرَعِيّة وتَعزَّز على السلطان ، فكَتَب رُؤَساء البَحْرِيّين إلى الناصر لدين الله بأَمْره ودَعَوْا إلى إزالته ، فسامه الاعْتِدال أو الاعْتِزال ، وأَخْرَج إليه يَحْيى بن إسحاق الطبيب ومحمّد بن عيسى الجَيّاني لِيُلَطِّفاه ويَعْقِدا أمانه ، فقَدِما عليه وراماه على ذلك وعالَجاه باللُطْف والمُعالَجة ، فاسْتَلَجّ وشَمَخ بأَنْفه وجَهَر بالمَعْصِية ، وجَمَع لفيفاً وأَنِف بهم مَن وَثَب به مِن أهل

---

(1) في « تاريخ الناصر » رقم 19 « وفيها ولي عبد الملك بن جهور الوزارة والكتابة العليا مكان عبد الرحمن بن الحاجب بدر بن أحمد ، وذلك في شوال منها » .

(2) قد أسقط الناسخ بعض الكلام هنا أعدناه اعتمادا على « البيان » ج 2 ص 168 . ومحمد بن محمد هذا مذكور على أنه صاحب الشرطة في سنة 304 وفي سنة 306 (راجع ص 88 و 95 أسفلها) .

(3) كلمة غير منقوطة .

البَلَد على باب قَصَبة المَريّة ، وهو قد ضيَّع الاحْتِراس لسُورها الجَوْفيّ ، فتَسوَّر عليه مِن هُنالِك بنو طارِق ومن الْتَفّ إليهم مِن أهل حِصْن مَرْشانة ، فمُلِك أسْراً بغَيْر أمان ، فقُيِّد وحُبِس وقدَّم أهل بَجّانة على أنفُسهم عبد الرحمٰن بن مُطَرِّف بن عبد الرحمٰن بن أَصْبَغ الطائيّ اتَّفقوا عليه ، وكان رَجُلاً فاضلاً قد حَجّ حَجّات ، وله عَقْل وحِلْم ، فسار فيهم بأحْسَن سِيرة وكَتَبوا إلى / السلطان بإجماعهم (1) عليه فأسْجَل له عليهم . 73

خَبَر سِلْم المارِق عُمَر بن حَفْصُون

قال الرازيّ : فيها انْقاد المارِد عُمَر بن حَفْصُون إمام المارِقين بأرض الأندلس للطاعة ، وخَطَب الصُلْح ورَكِن إلى العافية ، وكان يُمتّ إلى الناصر لدين الله بسالِف أذِمّته القديمة لدَيْه ، بالذي كان مِن أَمْر إيوائه لوالِده محمّد عنده ، لمّا فَرّ إليه مِن أبيه الأمير عبد الله ، فأجاره عليه وأخَذ له العَهْد المُخْفَر له فيه ، فكان الناصر لدين الله ، مع شُموله جميع المارِقين بالنَبْذ والمُحادّة وتَصْميمه (2) في حَوْشهم إلى الجَماعة ودَفْعه عن كافّتهم الهَوادة ، يَنْطوي لزعيمهم هذا المارِق على وَلْث رِعاية وِداد وَجْه يَجِد به (3) السبيل الى مُكافأة يَده ، فتَأتّى (4) للمارق مَضاؤه على الشِقاق ونَصْبه للجَماعة مِن انْثِناء أو مُلايَنة إلى أن داسه (5) الناصر لدين الله أوّل قِيامه بالأمْر بَعْدَ جَدّه عبد الله دَوْسات صِدْق حَلَّلَتْه خَرابه ، اسْتَبان المارِق بها هُبوب رِيح الجَماعة وطُلوع نَجْم الخِلافة ، فصَأْصَأ في استِدْفاع البَلاء عنه إلى مُدّة لم تُبْلِغه التَفقُّح ، وغَنَّمَتْه مُدّة

---

(1) م. « باجمعهم » .

(2) قراءة غير واضحة والرسم في المخطوط هو « بصميه » .

(3) هذه الكلمات غير واضحة في النص .

(4) م. « فيأتي » .

(5) م. « دامه » .

الهُدوء إلى أن غافَصَتْه مَنيّته ، فانقَلَب مُصرًّا على خِيانته مَوْصوما بارْتِداده ، وحَلّتْ الفاقِرة بوُلْده ودَوْلته من بَعْده على ما يَجيء ذِكْره في هذا الكتاب .

ولمّا أن زَكَن في هذا الوَقْت إلى أن صُرِف عن (6) الإنابة وأُخِذ بحَبْل مِن الخِلابة ، افْتَتح بابه بالتَوسُّل بقديم الذِمّة الماتّة والسُؤال عن طريق المُسالَمة برَسائل مُهْداة وكُتُب مَبْثوثة لاقَتْ قَبُولاً وإصاخة ، استُجِيب بها الدُعاء (7) وقُرِّب عليه سبيل إشفاقه ، ووَلّى كِبْر ذلك يَحْيى بن إسْحاق طبيب الناصر لدين الله ووالِي شُرْطته وخاصّته حاجِبه مُدبِّر دَوْلته بَدْر بن احمد ، وكان صديقاً لعُمَر بن حَفْصُون مَوْثوقاً عنده ، رَمى إليه عُمَر بما طَلَب من ذلك ، فسَفَر له فيه أَحْسَن سِفارة وتَناوَله (8) بَدْر الحا[جِب] أقوى تَناوُل ، فبَسَط الحاجِب بَدْر بن أحمد لدى الناصر لدين الله انْجِراف عُمَر إلى السِلْم ورَغْبته في / الإيحاش إلى الطاعة بَسْطاً سَهَّل صَعْبه ومَكَّن أراجِيّه ، فأباحه الناصر لدين الله الاستِجابة لعُمَر ومُكاتَبته في شأن الصُلْح الذي خَطَبه وامْتِحان مَذْهَبه فيه ، والحَذَر (1) مِن مكروه يَعْرِضه ، لِمّا يأتي لإحكامه ، واعْتِلاله في إتْيانه ، وعَصَبه بثِقته يَحْيى بن إسْحاق .

74

فأحْكَم يَحْيى شأنه ، وداخَل فيه جَعْفَر بن مَقْسِم ، اسقف بُبَشْتر ، وعبد الله بن أَصْبَغ بن نَبيل ووَدِنا[س] بن عَطّاف ، أكابِر رِجال ابن حَفْصُون النَصارى (2) وأطْناب دولته ، وكانوا[...] (3) ومَن مالأهم مِن النَصارى ، وهُم مُعظَم اصحاب ابن حَفْصُون وحُشاش حَرْبه ، راغِبين

(6) م. « طرف من » .
(7) م. « الرعاية » .
(8) يضيف الناسخ هنا « له » .
(1) م. « الحذار » .
(2) م. « البصاى » .
(3) يبدو انه سقطت هنا بعض الكلمات .

في التَعلُّق بحَبْل الطاعة ، مُشيرين على أميرهم ابن حَفْصُون باعْتِقاد الصُلْح ، لأسْباب سَلَفَتْ لهم ولأسْلافهم بالسلطان أيّام الاسْتِقامة ، لم يَزَل الفاسق عُمَر وبَنُوه يَتَّهِمون هؤلاء الرُؤَساء الثلاثة من أجْلها ، إلاّ أنّ الضَرُورة كانت تَدْعُوهم إلى إطبائهم والإغضاء عن اتِّهامهم في قَوْمهم النَصارى ، وحاجَته إلى تألّفهم بهم لا سِيَّما جَعْفَر بن مقْسِم ، فإنّه لم يَكُن فيهم مَن يَعْدِله دَهاءً ورُجولة ، وقد كان عُمَر عَزَله عن السِقافة بَعْدَ مُدّة ، رَوْمًا في حَطّ مَنزِلته ، وولّى سِواه حَيْدة عنه ، فاضْطَرّه الرُهْبان ومَشْيَخة العَجَم إلى أن وَلاّه أمْرهم ووَلاّه السِقافة بَعْدَ مُدّة ، فازْداد سُمُوًّا ورِئاسةً ، وواطأ صاحِبَيْه ابن نبيل وابن عَطّاف الآن على الْتِماس صُلْح السلطان وتَرْغيب الخبيث عُمَر في خِطْبته ، واسْتَعانوا في ذلك بمَن وَثِقوا به مِن أصحابه المُسْلِمين ، حتّى سهَّلوا سبيل ذلك عليه على بُغْضه فيه ، وأدَلّوا لاتِّفاقهم في المُبايَنة للفاسق عُمَر بطَلَب الصُلْح والعَزْم عليه على ما لم يَكُونوا قَبْلُ يُدِلّون عليه ، فأصْغَى عند ذلك إليهم واطَّرَح آراء أولاده وحاشيته الكارِهين له ، واستَفْتَح باب الإيناس للصُلْح بابن حميد صاحب حِصْن أقُوط ، وكان مُوالِياً له ، فأعْلَقه ابن حميد [ب]يَحْيى بن إسْحاق ، فقام بشأنه وسَهَّل ابن مقْسِم على عُمَر السبيل إلى ذلك ، وأشاروا عليه لما تَقارَب أمْره بمُخاطَبة / الناصر لدين الله ، ضارِعاً في تَقبُّل فَيْئته وإعلاقه بحَبْلِ الطاعة . وسَأله [بإنف]اذ يَحْيى بن إسْحاق إلى حَضْرته لِيُشافِهه عنه ويُحْكِم أمْر صُلْحه ، ففَعَل الناصر لدين الله ذلك وقَرَّر يحيى مع عُمَر أمْر الصُلْح وشُروطه ، ثم انْصَرف إلى الحَضْرة . 75

فتَمّ أمْر الصُلْح على يدَيْه ، وعَقَد الناصر لدين الله لِعُمَر على ذلك كِتابه المشهور الذي وقَّع أسفله بخَطّ يده هذه الأسْطُر : « بالله الذي لا إله الاّ هو الطالب الغالب ، وجميع أيْمان البَيْعة لازِمتي (١) من العُهود

(١) كذا في الأصل .

المُشدَّدة والأَيْمـان المُؤكَّدة والمَواثيق المُغلَّظة . لا نَقَضْتُ شَيْئـاً مِمّا جَمَعه هذا الكِتاب[...] (2) تَبْديله ولا نُقْصان شَيْء منه . ولا رَضِيتُ بذلك في سِرّ ولا جَهْر . وأَنّ كلّ ما فيـه مِن الشُروط والعُهـود والمَواثِيـق لازِمتي (1) . والله شهيد علينا . وخَطَطْنا هذه الأَحْرُف بيَدنا . وأَشْهَدْنا الله . عَزّ وجَلّ . على أَنْفُسنا . وكَفى بالله شهيدًا . ما وَفى عُمَر بن حَفْصُون بما نُصّ في هذا العَهْد وصَحَّح فيه . إن شاء الله . والله المُسْتَعان » .

وانْتَهَت الحُصون التي دَخَلت في أَمان عُمَر بن حَفْصُون . على ما وَقَع من تَسْمِيتها في كِتاب العَهْد الى مائة واثنتَيْن وسِتّين حِصْناً فاغْتَبَط عُمَر بن حَفْصُون (3) بهذا الأمان لِما حَصَل به ورأى الخَطّ لنَفْسه فتَمسَّك به حَياتَه . ووَفى بشُروطه . ولم يَنْقُضْـه . واسْـتَبان للناصر لدين الله تَصْحيح عُمَر فيما الْتَزَمه من ذلك ووُقوفه عند حُدوده وانْتِهاؤه إلى ما يأْمُره به ويَنْهاه عنه . فعَرَف له حَقّ ذلك وأَعانه على ثَبات قَدَمه . إلى أن هَلَك . وهو صحيح الوِلاية حَسَن الاسْتِقامة . قد ظَهر مِن إخلاصه للطاعة حَرْبه لآبنه سُلَيْمان مع قُوّاد الناصر لدين الله . أَيّامَ غَدْر سُلَيْمان بآبن بَقي المعروف ببشطان (4) صاحب حِصْن أُبَذة (5) . حتّى أَخْرَجه عنها . فلَحِق بمَصافّ السلطان . وسيأْتي ذِكْر ذلك في مَكانه .

قال : ولمّا أن تَمّ صُلْح عُمَر بن حَفْصُون في هذا الوَقْت . أَهْدى إلى الناصر لدين الله هَديّة احْتَفَل فيها . ودَلّ على صِحّة اعْتِقـاده حُسْن / 76 مَوْقِعها من الناصر لدين الله . فكافأه عنها بأَضْعافها . وأَكْثَر له مِن فاخِر

---

(2) يبدو انه سقطت هنا بعض الكلمات .

(3) يضيف الناسخ هنا « على ما وقع » .

(4) هو يحيى بن بقي المذكور في ص 80 و ص 88 يبدو انه هو نفسه صاحب عمر بن حفصون في هزيمة « بلاي » عام 292 الذي قال عنه « المقتبس » ج 3 ص 142 ب « الملقب بمشطار » .

(5) م. « انده » نعتمد على كتابنا هذا ص 86 .

الكُسَى السُلْطانية من الوَشِيّ الطِرازي والخز العِراقيّ والسُيوف الحالِية والدَوابّ الرائعة والمَراكِب الثقيلة المُذهَّبة المُفضَّضة ، أنفَذ إليه بها يَحْيى بن إسْحاق صديقه ، فلمّا وَصَلت إلى عُمَر عظُم بها سُروره ، واستَجَدّ جِذْله ، واستَحْكَمَتْ في طاعة الناصر لدين الله بَصيرته .

وطالَب يَحْيى عند ذلك بإنفاذ رَهينته إلى السلطان ، وأرْسَل معه صاحبه عبد الله بن أَصْبَغ بن نبيل النَصْرانيّ ، مُؤدّيًا لشُكْره إلى السلطان . مُفْضِيًا إليه بسِرّه ووَصاياه ، فوَصَلا إلى السلطان وأكْرَم السلطان عبد الله بن أصْبَغ ووَقَف به على ما احْتاج إليه من أخبار عُمَر ، وصَرفه بَعْدَ أن وَصَله وأحْسَن إليه ، وأقام عبد الرحمن رَهينة عُمَر بقُرْطُبة المُدّة التي جُعِلَتْ له ، فلمّا حان وَقْت إبداله سَأل الناصر لدين الله أن يُجْعَل مكانه ابن ابنه جَعْفَر بن عُمَر المُرشّح لمكان والِده ، وكان أثيرًا لدى جَعْفَر ، وهو لبِنْت عُبَيْد الله بن الشالِية ، فكَرِه ذلك جَعْفَر والْتَوى به في ذلك ، فدارت بأسبابه أُمور أَوْجَبَتْ عَداوة جَعْفَر لابن مقْسِم الأُسْقُف وأصحابه ، إذ كانوا الحاضّين لأبيه عُمَر على الإفراج للناصر لدين الله عن وَلَده ، فأنْفَذه مُضْطَرًّا ومَكَث عند الناصر لدين الله أربعة أشهر ، ثُمّ صَرَفه إلى جَدّه عُمَر مع اخ له كان أنْفَذه عُمَر لإدالته بحفيده ، فأعْطاه مِن الارْتِهان ثِقة بتَصْحيحه ، فاسْتَوى أمْر عُمَر بالسِلْم وارْتَفَعت عنه الحَرْب ، فاستَقامَتْ حاله إلى ان هَلَك في هذا الوَقْت الذي يجيء ذِكْره ، إن شاء الله ، عَزّ وجلّ .

خَبَر ابن مَرْوان الجِلّيقيّ مع مُناوِيه سعيد بن مالِك

قال الرازيّ : فيها كان [صُلْح] عبد الله بن محمّد بن [عبد الرحمٰن بن] مَرْوان الجِلّيقيّ ، صاحب بَطَلْيَوْس وعَمَلها ، [مع] سعيد بن مالِك ، صاحب باجة ، مُستطيلًا عليه بالغِرّة ، وكان السَبَب في ذلك انّ سعيد بن مالِك ، / لمّا مَلَك مدينة باجة وأخْرَج العَرَب اهلها عنها وقام بدَعْوة 77

المُولَّدين الظاهرة في الوَقْت ، تَعظَّم في نَفسه وناى بجانِبه وتَمرَّس (1) لعبد (2) الله بن محمّد ، وأراد هَضْمه ، وسما إلى أن يَتقدَّمه في دَعْوة المُولَّدين ونَيْل مَرْتَبة جَدّه عبد الرحمٰن بن محمّد بن مَرْوان في رِئاستهم وتَشيُّخهم على جَماعتهم ، فظاهَر عليه يحيى بن بَكْر صاحب أُكْشُونُبة ، وأَصْهَر اليه ، وحسَّن الاخْتِلاف الذي كان بَيْنه وَبيْنه ، وتَوسَّط ما بَيْنه وبَيْن ابن عُفَيْر المُنْتَزِي بكُورة لَبْلة ، حتّى اصْطَلَحا وصارت كَلِمة جَماعتهم واحدة ، وانْقطَعت الضَغائن بَيْنهم .

فتَمالأوا على حَرْب عبد الله بن محمّد وقَوْ[مه] والبَسْط إلى ما في أَيْدِيهم ، ودَعَوْا إلى ذِكْر ذلك بَكْر بن سَلَمة (3) صاحب أرُوش ، وكان قديم المُوالاة لابن مالِك أيّامَ كانوا في جَنْبة عبد الرحمٰن بن مَرْوان ناظِم الجَماعة ، فامْتَنَع الآن مِمّا أرادوه مِنه ، وتَمسَّك بمُوالاة عبد الله بن محمّد حفيد عبد الرحمٰن ومُسالَمته ، واسْتَلَجّ القَوْم في عَداوة عبد الله والتَطاوُل إلى بعض ما كان في يده مِمّا يَلِي جِهاتهم .

فأنِف عبد الله من ذلك وبادَر الخُروج نَحْوهم بمَن معه مِن رِجاله وحَشْد بَلَده ، وجاءه بَكْر بن سَلَمة (3) صاحب أرُوش بمَن معه ، وسَمِع بمَجِيئهم سعيد بن مالِك فخَرَج نَحْوهم بمَن معه ، وجاءه يَحْيى بن بَكْر حليفه (4) في أصحابه وحَشْده ، مُمِدًّا له ، وأَقْبَل عبد الله في جَمْعه حتّى نَزَل بقَرْية يُقال لها الطمال على خمسة أميال من باجة ، وأَخَذ في إفساد الزَرْع والإحراق وقَطْع الشَجَر وشَنّ الغارة ، فحاد ابن مالِك عن لِقائه عِنْدما [خذل] (5) من قَوْمه ، ومال الى مُصالَحته ، وقال لابن بَكْر

---

(1) يضيف الناسخ هنا « بجانبه » .
(2) كذا في الأصل والصحيح هو « بـ » انظر قاموس دوزي .
(3) انظر كتابنا هذا ص 68 حيث يذكر « مسلمة » .
(4) م. « خليفة » .
(5) كلمة اكلها الأرض .

صاحبه : «ان كانت لابن مَرْوان علينا اليوم دائرة لم نَسْتَقِلْها منه ، ولم يَرْضَ بَعْدَها مِنّا بالتَحكُّم علينا ، فلْنَقْطَعِ الأمْر معه دون رُكوب الغَرَر في لِقائه » . فوافَقه ابن بَكْر على ذلك وأرْسَلا رَسُولهما إليه يسْتَلْطِفانه ويَقُولانِ له : « أنْتَ سَيِّد أهل هذه الدَعْوة وابن شَيْخها ، ونَحْنُ أعْرَف

78 الناس بحَقّك وأحْرَصهم على مُوافقتك » . / واعْتَذَرا إليه مِمّا كانا امْتَدّا نَحْوه وتَضمَّنا ما بَعْدَه وخَطَبا رِضاه وصُلْحه ، فرَجَع لهما ابن مَرْوان إلى ما أحَبّاه وعاقدهما على صُلْح ترا[ضيا] به ، وانْصَرف إلى مكانه ،

فلم يَلْبَث أن انْتَقَض عليه ابن عُفَيْر صاحب لَبْلة ، وكان عاقَده مع الجَماعة ، وانْتَكث عليه ومضى لشأنه في البَسْط على ما يُجاوِره من عَمَل ابن مَرْوان ، وأساء (1) مُعامَلة عامِله بها ، وخاطَبه ابن مَرْوان يُعدِّد عليه ويَثْنيه عن سُوء فِعْله ويَنْشُده ذِمّة عَهْده ، فلم يُعْتِبه ابن عُفَيْر ولا انْثَنى عن مَساءته . فخَرَج ابن مَرْوان إليه غازِياً بمَن معه مِن الفُرْسان والرَجْل والرُماة واستَمَدّ عليه بَكْر بن سَلَمة صِهْره ، فجاء بجميع مَن معه واجْتَمَع معه في طريقه إلى ابن عُفَيْر ، فنَزَلا معًا بجَمْعهما على حِصْن لابن عُفَيْر يُعْرف بالمُنْت في وَسَط بَلَده ، وحارَباه حتّى افْتَتَحاه ، فغَنِم عبد الله بن محمّد ما أصابه فيه وقَتَل بَعْض رِجاله وأسَر باقيهم وانْتَقَل عنه إلى حِصْن بلاسش (2) ، وقد شَدّه ابن عُفَيْر بحُماة رِجاله ، فحارَبهم ابن مَرْوان يَوْمه الى اللَيْل ، وابن عُفَيْر بحَيْثُ يَراه ، وجالت الخَيْل في بسيط هذا الحِصْن وأغارت عليه واسْتاقت أمْواله ، واعْتاص الحِصْن في ذاته على ابن مَرْوان ، وقد بات عليه ، فرَحَل من الغَد قافلاً إلى بَطَلْيَوْس طاعته ، وقد أخْزى ابن عُفَيْر وأذَلّه .

وكانت مِكْناسة الأصْنام في عَدَد من الخَيْل والرِجال ، فكانوا يَسْتَطِيلون لذلك على مَن يُجاوِرهم ويَتطرَّفون أعْمال ابن مَرْوان ببَطَلْيَوْس بغاراتهم ،

---

(1) م. « أساءه » .

(2) قد تكون « بلاليش » / Velillos .

فخَرَج إليهم ابن مَروان أثَرَ مُنصرَفه عن لَبلة بخَيْله وحَشَد بَلده ، فتوسّط بَلدهم فوَطِئه وشَمَلَه بغارته ، وأخذ لهم قرْية قَسُولة . وكانت أُمًّا من أُمّهات قُراهم أكْثَرها خَيْلاً ورَجْلاً وعُدّةً ، وكانت كَهْفاً لقاطِعي السُبُل ومَلاذا للمُفْسِدين في الأرض ، فقتل عَددًا من رِجالها وغنِم كلّ ما وُجِد فيها وهَدَمها وصَيَّرها دَكًّا ، ورَحَل عنها فتلاحَق به فُرْسان مِكْناسة وقد تَواثَقوا على صَدْمه ومُصابَرته ، حتّى يَستَنْقِذوا غَنائمهم منه ، فأكَبّوا على ساقته / وعَطَف ابن مَرْوان عليهم في حُماة أصحابه . فاسْتَحَرّت الحَرْب بَيْنهم وكثُر القَتْل ، ثُمّ انْهَزَم المِكْناسيّون وبَذَل البَطَلْيَوْسيّون (1) السَّيْف فيهم ، فقُتِل عَدَد كثير من فُرْسانهم ووُجوه رِجالهم إلى أن حال اللّيْل بينهم ، فانْصَرَف ابن مَرْوان ومَن معه إلى بَلَدهم ظاهرين أعِزّة ، وقد استجَدّ الأعْداء هَيْبتهم ورَهِبوا جانِبهم .

79

ثُمّ إنّ ابن الفَرَج ، شَيْخ مِكْناسة ، جَمَع خَيْلها ووالى مُغاوَرة عبد الله بن محمّد بن مَرْوان وتَطرَّف أطْرافه ، طَمَعاً في دَرْك النَّيْل لدَيْه ، فعاوَد ابن مَرْوان غَزْو بَلَده وخَرَج نَحْوه في جَمْعه ، فكَبَسه في مَنْزِل له قد كان خَرَج إليه للشَرْب مع خاصّته ، فاتّفَق أن سَبَق إلى ابن الفَرَج بعض مَن (2) كان عِنْد ابن مَرْوان مِن مُسْتأْمِنة مِكْناسة فأنْذَره بدُنُوّ عبد الله ، فقام من مَجْلِسه ذلك مبادِرًا وصَعِد إلى حِصْنه ، فنَجا ووافت الخَيْل إلى المكان الذي قام عنه فاقْتَحَمَتْه على أثَر خُروجه وإن المَجْلِس لمُنضَّد الفُرُش ، مُعَبَّأ النَقْل (3) ، مُتْرَع الكُؤوس غِبّ تَسْويته ، فأسِف ابن مَرْوان لفَوْته وأرْسَل خَيْله على البسيط فعَمَّتْه غارةً واكْتَسَحَتْ أمواله ، فلمّا ملأ ابن مَرْوان يَدَيْه مِن الغنائم [و]رَجَع مُنْصرِفًا إلى بَلده ، ثاب لابن الفَرَج رأْي في اتّباعه . فحَمَل خَيْل مِكْناسة وخَرَج في اتّباعه فجَعَل

---

(1) م. « البطليوسيين » .
(2) م. « ما » .
(3) م. « الثقل » .

يُسايِر ساقته فيمَن معه ، غَيْر ظاهِرين لهـا ، هائبيـن الإقدام عليه ، قافِين أثَـره في الأوْعـار التي تَسنَّمتهـا ، مُتمهِّلا في سَيْره ، إلى أن اعْتَرَض نَهْـر غَمْر الماء ضَيِّق المَجاري ، لـم يَكُنْ له مَحيد عنه ، فلمّا أخَذ في عُبوره طَمِع المِكْناسيّون فيه فأكَ[بّوا] عليه وناشَبوه الحَرْب ، فعَطَف عليهم وصَدَقهم القِتال ، فهَزَمهم وقَتَل كثيرًا منهم ، ثُمّ مضى لسبيله عزيزًا ظاهرًا ، قد داس عِداه بكلّ جهة ، فانْقَبَضوا عنه أذِلّةً ، وحَذِروه بكلّ جِهة ، وأنالوه مَنزِلة جدّه عبد الرحمٰن بن مَرْوان في رئاسة المُوَلَّدين ، فأتَوْه من باب المُداراة .

80 خَبَر خروج الطاغية أُرْدُون بن أَذْفُونْش ، / مَلِك الجَلالِقة ، لَعَنهم الله ، في جُموعهم إلى بَلَد الإسلام وما وطِئه من حِماه في هذا العام

قال الرازيّ : وفي هذه السنة خَرَج الطاغية أُرْدُ[ون بن] أَذْفُونْش ، مَلِك الجَلالِقة الكَفَرة ، لَعَنهم الله ، في جُموعهم إلى بَلَد الإسلام ، فوَطِئ مِكْناسة الأَصْنام من أرض الجَوْف ، وافْتَتَح حِصْن الحَنْش وأَعْظَم النِكاية في المُسلِمين ، وكان ذلك منه عند اسْتِيساق مُلْكه واجْتِمـاع القَوامِس عليه ، فحَشَد النَصْرانيّـة من حَدّ بَنْبَلُـونة إلى سِـيف البَحْر من أَقْصَى جِلِّيقيّة ، واجْتَمَع له فيها قِيل نَحْوُ سِتّين أَلْفاً .

فخَرَج من مدينة لِيُون حَضْرته إلى مدينة سَمُّورة ، وتَلوَّم فيها حتّى تَتامَّتْ جُموعه ، ففَصَل منها نَحْو بَلَد الإسلام ، والمُسْلِمون يَوْمَئِذٍ في طَخْنة من الفِتْنة وعلى انْبِتات من الجَماعة ، وكان مَقْصِد اللعين مدينة مارِدة (1) كُبرى مُدُن غَرْبيّ الأندلس وأقالِيمها ، فعَبَر وادي تاجُه على قَنْطَرة السَيْف ، ومعه الأدِلّاء من أهل مِلّته ومن نُزّاع فَسَقة المُسلِمين إليه ، وكان أَمْهَرهم

---

(1) م. « يابرة » وهذا خطأ لأن مسيرة الغزوة لا تمر بهذه المدينة ولأن هذه المدينة قد هدمهـا أردون عام 301 هـ الموافق لعام 913 م. وهدم أسـوارها عبد الله ابن محمد صاحب بطليوس ، انظر كتابنا هذا ص 64 .

في الدَلالة رَجُلان من اهل مارِدة ، مَصْمُودة من البَرانِس ، مِمَّن صار عنده ، يُعْرَف أحَدهما بابن الريشي [...] (2) على دَلالتهما ، فأخْرَجهما معًا على خَيْل ضَخْمة ، قدَّمها أمامَ عَسْكَره ليُغافِص مدينة مِكْناسة قَبْلَ أن يَنْذَر بها اهلها ، فيأخُذون حِذْرهم منه .

قال لهٰذَيْن الدليلَيْن « انْهَضا بهذه الخَيْل ، فإنّي بالأثَر ، فاعْبُرا وادي آنة تَحْتَ حِصْن مَدلّين ، وارْكَبا السَهْل في سُراكما حتّى تُصْبِحا وَسَطَ بَلَد الأصْنام ولا عِلْمَ [عند] اهلها حتّى تُشَنّ عليهم الغارة » . فنَهَضا لِما أمَرهما به ، وقد ضَرَب الله على عُيون المُسْلِمين وآذانهم ، فلم تَقَعْ عليهم عَيْن ولم تُحِسَّ بهم أُذُن ، حتّى عَبروا نَهْر وادي آنة بحَيْثُ رَسْمه تَحْتَ مَدلّين (3) بخمسة أميال ، فلمّا اسْتَقْبَلوا [نُكوب] السَهْل في اللَيْل واطَن ابن الريشي الدليل صاحِبَه (4) ، وقد لَحِقتهما رِقّة على اهل دِينهما وخافا اجْتِياح مِكْناسة الأصْنام آخِر الدَهْر ، وطَلَبا التَمْهيد لأنْفُسهما عند المُسْلِمين ، فتَواطَآ بَيْنهما على أن يَتنكّبا السَهْل / الذي أمَرهما به المَلِك أُرْدُون إلى وُعورة وادي آنة ومَضايِقه ، كَيْما يَتيهوا [بالـ]خَيْل التي معهما طُول لَيْلتهم فلا يُصْبِحون إلّا والبَلَد مُقْلِع (1) ، وفَعَلا ذلك ، فخَبَط جَيْش العَدُوّ اللَيْل كلّه في وَعْر لا يَجِدون منه مَنْفَذًا ، إلى أن جَزَعوه مع الصَباح ، وقد نَذِر المُسْلِمون بهم فانْضَمّوا إلى الحُصون قُدّامَهم ، فانْبَسَطَتْ خَيْلهم مُستغِيرة في البَلَد طُول نَهارهم ، فلم يُصِيبوا أحَدًا ولا ظَفِروا بهم ، ولَحِق الطاغية أُرْدُون مُقدَّمته تلك ، فوَجَدهم من الكَلال والإعْياء ورُزوح الخَيْل على حال صَعْبة ، فلمّا أصْبَح الطاغية أُرْدُون من الغَد جَمَع الأدِلّاء وقال : « ارْكَبوا بي السَهْل فحَسْبي ما لَقِيتُ

81

(2) يبدو أن هناك سطرا قد سقط .

(3) م. « مَدَلّين » .

(4) م. « وصاحبه » .

(1) م. « مقلعا » .

من طريقي بالأمْس » فأخَذوا به على سَهْلة الأصْنام إلى أُمّ غَزالة ، إلى أن أفْضى إلى حِصْن مَدلّين ، ولَم يَلْقَ حَزْناً ولا وُعورة ، ففَطِن لدُلْسة ابن الريشي وصاحبه ، فدَعا بهما فوَبَّخهما على ما فَعَلا بمُقدَّمته ، فاعْتَذرا عنده بالخَطَأ في ظُلْمة اللّيل ، فلم يُصَدِّقهمـا فقال « لا ، ولكِنّ مَحْمِيّـة الإسلام أمالَتْكما عن نَصيحتي ، وحَمَلَتكما على كُفران إحساني ، وأَرَدْتما هَلاكي » . ثُمّ أمَر بهمـا فضُرِبَتْ أعْناقهمـا ، ورَجَعَتْ مُغيرته بغَنـائم مُتوسِّطة من السَبْي ، ومعها (2) ماشِية كثيرة ، وفَرّ أهل حِصْن المَوْطِن عنه لَيْلاً وأسْلَموه ، فهَدَمه وبات بمَكانه .

ثُمّ رَحَل بعَسْـكَره إلى قَلْعة الحَنَش ، وكان يسْكُنها يَوْمَئِذٍ بَرانِس كُتامة الذين كانوا قد أجْلَوْا من حِصْن سكتان (3) ، وكانوا في عَدَد كثير ولهم بأس ونَجْدة ، وكان المُقدَّم عليهم المعروف بابن راشِد ، فلمّا قَرُبَتْ مُقدّمة العَدُوّ منهم رَكِبَتْ خَيْلهم ، فتَلقَّتْهـا بخـارِج الحِصْن ، وانْتَشَبَت الحَرْب بَيْنَهم فاشْـتَدَّتْ ، وتَدارَكهم عَسْكَر العَدُوّ ، فكَثَروا أهْلَ الحِصْن فانْحازوا عنهم إلى حِصْنهم ، وقد نَزَل جميـع أهله إلى أسْفَله يُرِيدون رِفْد رِجالهم ، وكان جِدّ العَدُوّ أشَدّ من ذلك ، فما أغْنى جميعهم نَقْرة (4) ، ومَلَكهم العَدُوّ عَنْوةً ، فقُتِلوا عن (5) آخِرهم ، رَحِمهم الله ، إلّا قليلاً مِمّن نَجا به الرَكْض عند اشْتِغال العَدُوّ باخْتِياز غَنـائمهم ، ودَخَل العَـدُوّ ، لَعَنه الله ، الحِصْن فقَتَلوا جميع مَن كان فيه / وسَبَوْا نِساءهم وذراريّهم ، وقُتِل ابن راشد رئيسهم في جُمْلة من قُتِل ، وهُدِم الحِصْن فأُلْحِق أعْلاه بأسْفَله ، وبات الطاغية بساحته . 82

ثم رَحَل في اليَوْم الثاني إلى مدينة مارِدة ، فتَرَك عُبور وادي آنة لِما أراد الله تعالى مِن حِيـاطة أهلها ، وجاءهم من غَرْبيّهـا ، والوادي

---

(2) م. « معهما » .

(3) م. « سكنان » .

(4) م. « نعره » .

(5) م. « من » .

بَيْنه وبَيْنها ، وقد ضَبَط عَسْكَره ، فلم يَشِذّ منه فارِس ، واستَقْبَل قَصَبة المدينة إزاء قَرْية أَشْترِلّة التي عند القَنْطَرة ، فوَقَف هُنالِك طويلًا مُتأمِّلًا لها ومُتعجِّبًا من إتقان بُنْيانها وشُنْعة (1) أَمْرها ، وطاشت إليه خَيْل لأهل مارِدة مُتعرِضة لحَرْبه . فكَفّ أَصْحابه عن قِتالهم ، وأَخْرَج رئيسهم محمّد ابن تاجيت وقَوْمه إليه رَسُولًا يَستلْطِفه ، وأَهْدَوْا له فَرَسًا رائعا من عِتاق الخَيْل بسَرْجه ولِجامه ، قَبِله منهم وأُعْجِب به ، فتَرَك حَرْبهم ورَحَل عنهم فنَزَل بقَرْية قولسانة على وادي آنة بالقُرْب من المدينة ، فبات بها ، ثُمّ رَحَل قافلًا عن بَلَد المُسلِمين عزيزًا ظاهرًا ، لم يُرْق عليه مِن راقٍ ولا كُلِم له فارِس ، وعَبَر بقَنْطَرة السَيْف في يَوْم وليلة لعِظَم عَسْكَره فلَحِق ببَلَده ، أَلْحَقه الله بأُمّة النار الحامِية .

[بعض أخبار مُلوك النَصارى]

قال : وكان سَبَب تَملُّك أُرْدُون هذا الطاغية ، لَعَنه الله ، على النَصْرانيّة أن أخاه ، غَرْسيّة بن أَذْفُونْش ، كان قد عَقّ أباهما أَذْفُونْش ، مَلِك جِلّيقيّة ، وقام عليه مع القَوامِس ووُجوه النَصْرانيّة ، لمّا ساءت سِيرته فيهم واشتَدّتْ وَطْأته عليهم ، فخَلَعوه وأَدْخَلوه مع زَوْجه أُمّ غَرْسيّة القائم معهم دَيْرًا من دِيارهم بمدينة لِيُون ، حَبَسوه فيه ونَصَبوا ابنه غَرْسيّة مَكانَه ، فاجْتَمَعَتْ له مَمْلَكتهم من بَنْبَلُونة ، شَرْقيّ أرضهم[...] (2) ، في بلد أَشْتُورِيَش وَراء الجَبَل ، وامْتَنَع عليه أخوه ، أُرْدُون بن أَذْفُونْش ، في غَرْبيّ أرضهم ، من غَلِيسِية ، طَرَف جِلّيقيّة إلى قُلُمْرِية ، الدانية من أرض الإسلام التي قد كان العَدُوّ حازها قَبْلَ ذلك بمُدّة ، فحَمى أُرْدُون (3) ما

---

(1) انظر (دوزي) ملحق القواميس العربية ، هذه الكلمة في معنى « الشهرة » .

(2) تنقص هنا بعض الكلمات ، قد تكون « الى استرقة » وهي منطقة « وراء الجبل » انظر « أخبار مجموعة » ص 62 .

(3) م. « غرسية » .

سار في يده وأحْسَن السِيرة في رَعيّته ، فلمّا هَلَك غَرسيّة أخوه اجْتَمَعت

83 النصْرانيّة على أُرْدُون واستَدْعَتْه (4) مِن / لِيُون وأَسْتُرْقة ، قاعدتَيْ مُلْكهم ، فاستَخْلَف على عَمَله بغَلّيسِيـة مَن وَثِق به من قَوامِسِـه ، ومضى إلى الجَماعة فملَّكَتْه عليها أَفْصَح المُلْك له ، وأظْهَر الجِدّ في جِهاد المُسلِمين أعْدائه ، فكَفّ الله بأْسـه بردّ الكُره لهم باجْتِمـاع كَلِمتهم عَمّا قليلٍ على الخليفة الناصر لدين الله ، شاعِب صَدْعهم ، بفَضْل الله .

[خَبَر الثَغْر الأعْلى]

ووَجَدتُ في تاريخ لبعض أهل الثَغْر قال : في سـنة ثلاث وثلاث مِائة أَوْقع عَدُوّ الله شَـانْجُه بن غَرسـيّة بن وَنَقُه البَشْكُنسيّ ، صـاحب بَنْبَلُونة ، بأهل مدينة تُطِيلة من الثَغْر الأعْلى ، فقَتَل خَلْقاً مِن أهلها ومِمَّن جاوَرها من أهل القُرى ، وأَسَر (1) أمير[ها] عبد الله بن محمّد بن لُبّ ابن موسى القَسَويّ ، فدَخَلها أخوه مُطرِّف بن محمّد في اليَوْم الثاني ، وسَدّ فَتْقها ، وبَعَث الله عليها وعلى عَمَلهـا أَثَرَ ذلك البَرَد الغليظ الذي حُزِر في بعض حِجارتها رَطْل وأكْثَر من ذلك ، فلم تَبْقَ قَرْمَدة على بَيْت ولا خُضْرة في بُسْـتان ، وذلك في شَهْر شُتَنْبَر العَجَميّ الكائن في هذه السنة .

ثم اشْتَدّ القَحْط بغلاء السِعْر وعَظُم البَلاء وكَثُر الجَلاء وعَمّ الوَباء ، وانْتَهى قفيز القَمْح اثنَيْ عشر دينار دِرْهَم فِضّة ، ومات الناس جُوعًا ، وفشا فيهم التَباغُض والتَقاطُع بَيْن ذَوِي الأَرْحام فَضْلًا عن الأباعِد ، وعَمّ الجُوع الأندلس كلّها ، ودام نَحْو سنة فأَهْلَك خَلْقًا من أهله .

[رواية عريب لإسار بَني قَسِي]

وفي كتاب عريب بن سعيد : في سنة ثلاث وثلاث مِائة كانت للعَدُوّ

---

(4) م. « واستدعاه » .

(1) م. « أمر » ونظن أنه خطأ بالاعتماد على ما يجيء فيما بعد .

في بَنِي قَسِي ، مُلــوك الثَغْر الأعلى ، جَوْلات أُسِر فيهـــا عبد الله بن محمّد بن لُبّ بن قَسِي ، أمير تُطِيلة ، وصار مكانه أخوه مُطرِّف بن محمّد ، وكانا معًا من الأبْطال ذَوِي بأْس وشَجاعة ونِكاية شديدة للعَدُوّ . ومات عبد الله بن محمّد بن لبّ ، فوَثَب ابنه محمّد بن عبد الله بن محمّد على عَمّه ، مُطرِّف بن محمّد ، فقَتَله ، ووَقَعَتْ بأسباب ذلك بَيْن بني لُبّ فِتَن وحُروب واخْتِلاف ضَعْضَع عِزّهم ، فاضْطَرَب الثَغْر بافْتِتانهم .

سنة أربع وثلاث مائة

[غَزْوَتان إلى أرض العَدُوّ]

قال الرازيّ : فيها أغزى الناصر لدين الله بالصائفة إلى دار الحَرْب الوزير / القائد أبا العَبّاس أحمد بن محمّد بن أبي عَبْدة مُسْهَماً (1) مَشْكوراً سَعْيه في جِهاد أَعْداء الله الكَفَرة ، مع تورُّطه حُروب المارِقين بالمَوْسَطة ، الشاقّين عَصا الجَماعة ، فجرَّد القائد أبا العَبّاس في هذا الوَجْه في أَكْثَف جَمْع وأَجْمَع قُوّة ، فَصَل بها لسبيله يَوْمَ السَبْت لثلاث عشرة ليلة بقِيَتْ من المُحرَّم منها ، وهي أوّل غَزاة كانت لقُوّاده إلى أرض العَدُوّ ، فوَطِئَ العسكر أَطْراف المُشْرِكين ، ورَوَّع قُلوبهم على طُول عَهْد بالأَمَنة ، وجال في نَواحيهم وأَداخ بَلَدهم ، ثم قَفَل القائد أبو العبّاس بالمُسلِمين سالِمين ظاهِرين بنِعْمة الله عليهم .

وأَغْزى الناصر لدين الله أيضاً فيها بصائفة أُخرى الوزير القائد إسْحاق بن محمّد القُرَشيّ المَرْوانيّ إلى أهل الخِلاف بكُورتَيْ تُدْمير وبَلَنْسِية (2) ، تَوَقُّعاً لجَيْشانهم عِند مَعْرِفتهم بنأْي العَسْكَر إلى دار الحَرْب ، فوطِئ الوزير إسحاق بن محمّد الكُورتَيْن معًا بقُدْرة ، وذَلَّل

---

(1) كذا في الأصل .

(2) كلمة غير واضحة . في المخطوط « مليسه » .

الأعادي فيها واجْتَبى كثيرًا مِن نواحيها ، وافْتَتَح حِصْن أوْرِيُولة العزيز المَنَعة ، الذي هو قاعِدة كُورة تُدْمِير وأقْدَم مُدُنها (3) وأمْنَع مَعاقِلها ، اتَّخَذَتْه الأعاجم في الدَهْر الأوّل مَلْجأ فاستَبْلَغَتْ في تَقْوِية أرْكانه وعِمارة أرَضِيه واحْتَفَلَتْ فيما اغْتَرَسَتْه بأرضه مِن غَرائب أجْناس الشَجَر فأبْدَع أُكْلها بمَطايِب الثَمَر (4) .

فتح مدينــة لَبْلــة

وكان فيها فَتْح مدينــة لَبْلة ، مِن قاصيــة غَرْبيّ الأندلس ، على يدَي الحاجب بَدْر بن أحمد المَيْمُون النقيبة ، أخْرَجه الناصر لدين الله إليها في الجَيْش لاستِنْزال صاحبها عُثْمان بن نَصْر ، وقد كان كاشَف السلطان [بالعَداوة] ، فلمّا نَزَل به بَدْر لاطَفه وبَذَل الأمان له ولأصْحابه ، وأجابه إلى كلّ مــا يُحِبّه ، فاسْتَلَجّ في المَعْصِية ، فنازَلــه الحاجب بَدْر عِند ذلك ، واسْتَجاش عليه أهل الطاعة ، واضْطَرَب بالعَسْكَر على باب المدينة بضُروب من الخَيْل ، وجاؤوا الى الحاجب بَدْر ، مُنتَزِين من عُثْمان بن نَصْر ، راغِبين في الطاعة ، لائذين بالأمان ، فأمَّنهم بدر وأقاموا عِنده ، وبانت له الفُرْصة في عُثْمان وحَرْبه ، فساوَره في المدينة وجَدّ في حَرْبه / إلى ان اقْتَحَم عليه المدينة لَيْلة الاثنَيْن لعشر بقِين من رَمَضان منها . فقَبَض على الخائن عُثْمان بن نَصْر واصحــابه أسْرًا بلا عَهْد ولا ذِمّة ، فشَدّ ثِقافهم وأنْفَذهم مُقيَّدين إلى الناصر لدين الله بقُرْطُبة ، فحَبَسه عنده وأمَّن الحاجب أهل لَبْلة ، ونَظر في مَصالِحهم ، واستَعْمَل (I) عليهم ، وقَفَل الى قُرْطُبة .

85

وفي فَتْح مدينــة لَبْلة يقول احمد بن محمّد بن عبد ربّه في شِعْر له ، مَدَح به الناصر لدين الله ، وأثْنى على حاجبــه بَدْر بن أحمد ، منه قَوْله (منسرح) :

---

(3) م. « مدونها » وهي كتابة اندلسية .

(4) في « تاريخ الناصر » رقم 23 « وأبدع ما يكون من الثمر » .

(I) يبدو انه سقط من هنا أسم العامل الذي ولي هذه المدينة .

خَلِيفَـــةُ ٱللهِ وَٱبْنُ عَـمٍّ رَسُـــو

لِ ٱللهِ وَٱلْمُصْطَفَـى عَلَى رُسْلِـــهْ

هُنِّئْـكَ نُعْمَـى نَمَتْ سَـوَابِقُهَــا

كَمَا ٱسْـتَتَمَّ ٱلْهِـلَالُ فِي كَمَلِـــهْ

وَجْهُ رَبِيــعٍ أَتَــاكَ بَاكِـرُهُ

يَرْفُلُ فِي حَلْيِــهِ وَفِي حُلَلِـــهْ

كَأَنَّ أَثْـــوَابَـــهُ مُلَبَّسَـــةً

أَثْوَابَ غُصْنِ ٱلزَّمَــانِ مُقْتَبَلِـــهْ

وَأَقْبَـلَ ٱلْعِيـدُ لَاهِيــاً جَـــزِلاً

يَخْتَـــالُ فِي لَهْوِهِ وَفِي جَذَلِـــهْ

وَجَــاءَكَ ٱلْفَتْحُ مَـالَـهُ مَثَــلُ

وَكُـلُّ شَيْءٍ يُعْـــزَى إِلَى مَثَلِـــهْ

عَفَوْا وَصَفُوْا [بِ]غَيْرِ سَـفْكِ دَمٍ

يَقْطُرُ مِنْ بِيضِــهِ وَمِنْ أَسَلِـــهْ

إِلَّا ٱعْتِصَــاماً لِضَيْغَمٍ هَصِـرٍ

تَمِيـدُ شُـمُّ ٱلْجِبَـالِ مِنْ وَجَلِـهْ

مُظَفَّـــرٌ لَا تُـــرَدُّ عَزْمَتُـــهُ

وَمَنْ يَرُدُّ ٱلْكِتَــابَ عَنْ أَجَلِـــهْ

إِقْدَامُ عَمْـــرٍو وَبَأْسُ عَنْتَـــرَةٍ

يَعْجَـزُ عَنْ كَيْـدِهِ وَعَنْ حِيَلِـــهْ

نَصْـــرٌ مِنَ ٱللهِ قَـدْ تَضَمَّنَـــهُ

يَنْهَضُ فِي رَيْثِــهِ وَفِي عَجَلِـــهْ

يَجْـرِي بِشَـأْوِ ٱلْإِمَامِ مُنْصَلِتــاً

يَسْبِقُ حُضْرَ ٱلْجِيَـادِ فِي مَهَلِـــهْ

إِذَا ٱنْتَضَاهُ لِصَرْفِ حَادِثَةٍ
يَهْتَزُّ كَٱلسَّيْفِ سُلَّ مِنْ خَلَلِهْ
فَأَصْبَحَتْ لَبْلَةٌ مُؤَمَّنَةً
لَا يَعْتَدِي ذِئْبُهَا عَلَى حَمَلِهْ
قَدْ وَقَفَ ٱلنَّكْثُ وَٱلْخِلَافُ بِهَا
وُقُوفَ صَبٍّ يَبْكِي عَلَى طَلَلِهْ
كُلٌّ بِيُمْنِ ٱلْإِلٰهِ تَمَّ لَهَا
وَكُلُّ خَيْرٍ أَتَى فَمِنْ قِبَلِهْ
يَا رَحْمَةَ ٱللهِ فِي بَرِيَّتِهِ
بِكَ ٱسْتَقَامَ ٱلزَّمَانُ مِنْ مَيَلِهْ
/ أَنْتَ ٱلزَّمَانُ ٱلَّذِي بِدَوْلَتِهِ 86
يَضْحَكُ سِنُّ ٱلزَّمَانِ مِنْ دُوَلِهْ
كَمْ خَامِلٍ قَدْ رَفَعْتَ هِمَّتَهُ
وَرُدَّ فِي مَالِهِ وَفِي أَمَلِهْ
وَكَمْ عَدِيمٍ سَدَدْتَ خَلَّتَهُ
وَكَمْ عَلِيلٍ شَفَيْتَ مِنْ عِلَلِهْ
سَلَلْتَ سَيْفاً عَلَى عِدَاكَ فَمَا
يَقِرُّ قَلْبُ ٱلْخِلَافِ مِنْ وَهَلِهْ

وهي طويلة جدًّا .

خَبَر استِئْمان سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون ولِحاقه بالمَصافّ ومَكانه من الشَّرّ ومَحَلّه في البأس وما لا كَفاء له (1)

وفي هذه السنة غَدَر سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون ببشطان ، صاحب مدينة أُبَذة من كُورة جَيّان ، وكان مُسجَّلاً له عليها مِن قِبَل الناصر لدين

(1) هذا العنوان يرد في المخطوط بعد خمسة أسطر .

الله ، وسُلَيْمان بن عُمَر يُجاوِره بحِصْن أَشْتِيبَن من حُصون والِده عُمَر ابن حَفْصُون التي صالَحه عليها السلطان ، وسُلَيْمان عاذل لأبيه عليه ، فغزاه الناصر لدين الله غِبَّ انْتِزائه فيها على جَدّه الأمير عبد الله .

فاحْتال [سُلَيْمـان] على بشطان حتّى تَسوَّر عليه لَيْلاً . فقتَلـه واستَوْلى على جميع ما كان له ، وضَبَط الحِصْن . فاتَّهَم الناصر لدين الله أباه عُمَر بتَدْسيسـه إيّاه لذلك وقَدَّر انْتِقـاضه ، فأشْـخَص الناصر [لدين الله] إليه في مِحْنة ذلك يَحْيى بن إسْحاق السفير بَيْنهما ، فأظْهَر عُمَر مِن تَبرُّئه مِن ذلك وإنكاره على وَلَده سُلَيْمان ما أتاه (2) عنه وابْتِداره الخُروجَ بنَفْسه إليه وجِدّه به في الخُروج عن أُبَذة وإسراعه إلى مُنازَلته فيها ، ما (3) أزاح التُهْمة عنه ووَقَّف الثِقة عليه ، وجرَّد السلطان مِن عِنْده الجَيْش الى سُلَيْمان لحَرْبه والجِدّ به مع يُونُس بن سعيد ، فلم يَرِمْ عُمَر ابن حَفْصُون عن باب أُبَذة مُحاصِرًا لوَلَده إلى ان نَزَل به يُونُس بن سعيد في عَسْكَر السلطان ، فاجْتَمَعا على حَرْب سُلَيْمان وجَدّ به والِده عُمَر حتّى ظَفِر به ، فأَخْرَجه عن أُبَذة وحَمَلـه مع نَفْسـه مُقَيَّـدًا إلى بُبَشْتَر حَضْرته ، فحَبَسه عنده شُهورًا وأَسْلَم مدينة أُبَذة إلى السلطان ، فولّى عليها السُلْطان عريفًا مِن العَجَم يُعْرَف بابن بِزَنْت . أقام بأُبَذة مِن قِبَله مُدّةً .

87 ثُمّ إنّ عُمَر بن حَفْصُون / أَطْلَق وَلَده سُلَيْمان من مَحْبَسه ، ورَدّه إلى حِصْن أَشْـتِيبَن يُباعِده عن جَعْفَر أخيه المُرشَّح لمَكـانه ، للعَداوة بَيْنهما ، فلم يَلْبَث أن افْتَرَص ابن بِزَنْت ، عامل السلطان بأُبَذة ، فأَخْرَجه عنها ومَلَكها تارةً أُخْرى ، فرَجَع السلطـان بجَريرته على والِده عُمَر ، فعاوَد عمر قَصْده مَرّةً أُخْرى وجَهَد في استِنْزاله بكلّ [جِدّه] فنَفَر عنه ،

---

(2) قراءة غير واضحة .

(3) م. « فيما » .

ولم تُمَكِّنه مِنه (1) حِيلة ، فأَخَذ في حَرْبه وبنى (2) عليه حِصْن مَرِيّة (3) ، وكان ذلك صَدْرَ المُحرَّم ســنة خمس وثلاث مِائة التي فيهــا هَلَك عُمَر .

وكتب عُمَر إلى الناصر لدين الله يَصْدُق عن سُلَيْمان ويُثِير بالجِدّ به وإخراج الجَيْش إليه لمُلازمته ، ويَصِف عِلّته التي تُزْعِجه عن المُقام عليه وتَرُدّه إلى حِصْن بُبَشْتر ، فجرّد إليه الناصر لدين الله عبد الوَهّاب بن محمّد الأُشُونيّ في جَيْش كثيف ، دَخَل حِصْن مَرِيّة المُبْتَنى على سُلَيْمان ، وأَخَذ في حَرْبه ومُضايَقته ، فخَلّاه عُمَر والِده عِند ذلك وقَفَل إلى بُبَشْتر حَضْرته ، وهو يَوْمَئِذٍ واهي القُوّة ظاهر الضُعْف ، فلم [تَطُلْ] مُدّته بَعْدَ هذه الحَرَكة إلى أن مات ، في شَعْبان سنة خمس وثلاث مائة .

وضايَق عبد الوَهّاب بن محمّد ومَن تَلاه مِن قُوّاد السلطان سُلَيْمان ابن عُمَر ، وشَدّوا حَصْره بَعْدَ مَهْلَك والِده عُمَر ، حتّى لاذ بالطاعة وسَأَل الأمان ، فأجاب الناصر لدين الله وعَقَد أمانه عنده ، وأَخْرَج إليه يَحْيى ابن إسْحاق ومحمّد بن طُمْلُس ، فقَبِله سليمان وخَرَج إليهما بأصحابه ، وجَمَع ما كان له ، فلَحِق بباب سُدّة السلطان ، فوَفى له السلطان بأمانه وكَرَّم مَثْواه ، وأَجْزَل عَطاءه وصَيَّره في مَصــافّه برِزْق واسع ، فأقام على ذلك مُدّة مُنوَّهاً باسمه مشهورًا غَناؤه ، ثُمّ كان منه بَعْدَ مَهْلَك أخيه جَعْفَر ما يجيء ذِكْره في مَكانه .

[رواية ابن حَــزْم]

وقد ذَكَر الفقيه العالم أبو محمّد عليّ بن أحمد بن حَزْم الأندلسيّ بَسالة سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصون هذا وتَمرُّد[ه] في كِتابــه في نَوادِر الأَخْبــار المُسمَّى نَقْط العَرُوس ، في باب العِقــاق لآبائهم (4) ، فقال :

(1) م. « عنه » .

(2) م. « ثنى » .

(3) كذا هنا وكذلك بعد أربعة أسطر وفي ص 93 ، قد يكون تحريف لـ « شنت مرية » وهكذا ترد في وثائق رسمية ص 98 و ص 141 و ص 153 .

(4) فعلا يوجد مختصرا في « نقط العروس » ص 79 .

سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون المشهور بالبَســالة ثار على أبيه عُمَر بن حَفْصُون المُنْتَزِي على خُلَفاء بَنِي أُمَيّة / بكُورة رَيّه من أرض الأندلس ، فخالَفه وامْتَنَع عليه ، ثُمّ عاد لِمِثْل ذلك فامْتَنَع بمدينة أُبَذة وحارَب اباه عُمَر وصَمَد له في القِتال مُواجِهاً ، فصَبّ عليه سَيْفه وجَرَحه ، فأَعْجَب ذلك منه عُمَر أباه ، إمام الفُسّاق ، وفَخَر به .

88

[رِواية الرازي]

وقال الرازيّ : كان يَحْيى بن بَقِي المعروف ببشطان (1) ، المُنْتَزِي بمدينة أُبَذة ، قد انحــاش إلى طاعة الناصر لدين الله ، وأُسْــجِل له ، فاحْتال عليه جاره سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون هذا الجريء (2) المَقْدَم مع بعض نَصارى أهلها ، وأَدْخَلوه فيهــا على يَحْيى سَحَراً (3) ، فمَلَكه وضَبَط المدينة ، وبَغَى المُسْلِمين عليها ، واستَخْلَص النصارى على رأي والِده ، وحاز المدينة لنَفْسه ، وجَمَع إليها اصحابه ، وأغار ما أصاب فيها ، وحَبَس يحيى بن بَقِي حتّى استَصْفاه ، ثم قَتَله بسَيْف[ه] الذي كان تَفاخَر به ، فاتَّخَذه سليمان عُدّته لمّا أَخْمَده ، فكان يُشاهِد به الحُروب ، وكان في بأسه عَلَمه يَتَحامى الأبْطال مُقارَعته له ، [و]في ذلك أخبــار كثيرة .

[الــوُزَراء]

وفي هذه السنة عَزَل الناصر لدين الله الوزير عبد الحميد بن بَسِيل عن الكِتــابة العُلْيا التي كان تَقلَّدها بَعْدَ عبد المَلِك بن جَهْوَر ، فلم تَطُلْ

(1) في « المقتبس » ج 3 ص 142 يذكر « يحيى بن بقي الملقب بمشطار » بأنه صاحب عمر في هزيمة عام 292 .

(2) كلمة غير واضحة .

(3) كذا في الأصل ولعله « سِرًّا » .

وِلايته إيّاها ، وأعاد عبد المَلِك بن جَهْوَر إليها في آخِر ربيع الآخِر منها ، وفيها وَلِيَ يحيى بن إسْـحاق الطبيب خُطّة الرَدّ مع الشُرْطة الصُغْرى مكان محمّد [بن محمّد] بن أبي زَيْد (4) .(*)

(4) معتمدين على « البيان » جـ 2 ص 168 وعلى كتابنا ص 67 .

(*) يضيف « البيان » جـ 2 ص 169 هنا ما نصه « وفيها ولى عبد الحميد بن بسيل الخزانة ، وفيها ولى فطيس بن أصبغ الخزانة ولايته الأولى . وفيها ولى اسماعيل ابن بدر العرض . وفيها نقل علي بن حسين عن خزانة السلاح الى خطة العرض لاثنتي عشرة ليلـة خلت من صفر . وفيهـا ولى العرض محمد بن عبد الله بن مضر . وفيها توفي العارض صاحب المواريث قند مولى الناصر ، يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب ، فولى مكانه المواريث اسماعيل بن بدر » .

سنة خمس وثلاث مائة

مَقْتَل الوزير القائد أبي العَبّاس بن أبي عَبْدة بدار الحَرْب ، خرَّبها الله ، ونُكوب جَيْش المُسلِمين معه

قال الرازيّ : فيها أَغْزى الناصر لدين الله إلى دار الحَرْب بالصائفة الوزير القائد أبا العَبّاس أحمد بن محمّد بن أبي عَبْدة ، فكان فُصوله لها يوم الاثنَيْن (5) لعشر خلَوْن من صَفَر منها ، فخَرَج معه طَبَقات الناس المُدوَّنين والمُطَّوّعين .

وأتى الثَغْر فلَحِق به نَفَر من المُسلِمين وتَراقى إليه أهل الثَغْر مُنْحَشِرين ، فصار في خَلْق كثير ، اقْتَحَم بهم بَلَد قَشْتِيلِية ، دَمَّرها الله ، فداس أرضها وخَلَّلها غارة ، ونازَل حصن قاشْتَرُه مُورُش (6) لأربع عشرة خلَتْ من ربيع الأوَّل منها ، / وقد استُجْمِع إليه حُماة أهل قَشْتِيلِية ، وقارَعوا المُسْلِمين على بابه ، فدارت بَيْنهم حَرْب صَعْبة ، صَبَر لها الفريقان صَبْرًا شديدًا ، ولاح الظُهور للمُسلِمين ، حتّى لأَشْرفوا على الظَفَر بأهل الحِصْن .

فانْحَشَدَتْ إليه النَصْرانيّة من جميع جِهاتها ، مُمِدّين لكَفَرتهم مُجْلِبين على المُسلِمين بخَيْلهم ورَجْلهم ، فكَثَروا المُسلِمين واستَظْهَروا

89

(5) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

(6) م . « مورس » .

عليهم ، وتَداعَى بَعْض أهل الادِّهان في الدِين ، مُنافِقي أهل الثَغْر ، إلى الإسراع في الهَرَب وجَرّ الهَزيمة ، فانْهَزَم أكْثَر الناس وثَبَت القائد أحمد ابن محمّد في رِجال من أهل الحِفاظ ، وأحْسَن الصَبْر طَمَعاً منه في الكَرّة وتَوْطيناً على المَنِيّة ، فقد قِيل إنه كان حريصاً على الشهادة مُتعرِّماً لطَلَبها ، فرُزِقها ، رَحِمه الله ، مُقبِلاً مُداعِساً في جَماعة معه من حُماة المُسلِمين ، أكْرَمهم الله بها ، رَغِبوا عن الفِرار ولم يُوَلُّوا للمُشرِكين (1) الأدبار ، وانْعَقَد سائر المُنهَزمين بعد الحَطْمة ، فصاروا يدًا واحدة ، تَنكَّب المُشرِكون اتِّباعهم ، فسَلِموا في مَخْرَجهم إلى بَلَد الإسلام بدوابّهم وأثْقالهم ، فقَفَلوا مَفْلولين قد عَظُمت المُصِيبة مِنهم .

وكانت هذه الوقيعة يومَ الخميس لأربع عشرة خلَتْ من ربيع الأوّل .

فتْح قَرْمونـة

فيها أغْزَى الناصر لدين الله الوزير إسْحاق بن مُحمّد بن إسْحاق القُرَشيّ بالجَيْش إلى مدينة قَرْمونة ، وقد انْتَقَض صاحبها حبيب بن عَمْرُوس (2) بن سَوادة ، وجاهَر بالمَعْصِية ، ونَفَذت الكُتُب إلى أهل الطاعة بكُوَر الغَرْب بالانْحِشاد إلى إسحاق ، فنَزَل بعَسْكَر السلطان بباب قَرْمُونة ، وتَوافَتْ عليه بها الأمْداد من كلّ جِهة واستَلَجّ الخائن ابن سَوادة في الامْتِناع للحِين [ال]مُتاح له ، فأخْرَج الناصر لدين الله إليه عند ذلك الحاجب بَدْر بن أحمد فاضِل الخُطّة في الجيش الكثيف والعُدّة التامة ، فاحْتَلّ عليه وأحْدَق به وبنى حَوْله ورَماه عن المَجانِيق ، واكْتَنَفه بالحَصْر والتَضْييق ، فصار عَمّا قليلٍ في قَبْض الأسْر وضِيق الحَصْر ، وصابَر على ذلك كلّه على مَضَض ، إلى أن عِيل صَبْره وكذّبه ظَنّه وفَنى جَلَده (3)

---

(1) م. « المشركين » .

(2) م. « عمرو » ولكن انظر كتابنا هذا ص 58 .

(3) نحن نتبع « تاريخ الناصر » رقم 26 وفي المخطوط « وثنى خلده » .

90 وخَذَلَتْه قوّته ، / فاقْتَحَم عليه بَدْر مدينـة قَرْمُونة ، ودَخَلها عَنْوةً يومَ الخميس لخمس خلَوْن من ربيع الآخِر من هذه السنة ، فقَبَض على الشَقيّ حبيب بن عَمْرُو[س] (I) بن سَوادة وعلى ابنه الأكْبَر ، وأوْثَقهما بالحديد وقَدِم بهما الى قُرْطُبة ، وكان ابنه الأَصْغَر فيها مُرْتَهَنـاً عند السلطان ، فأوْبَقه ذَنْب والِده ، فقُبِض عليه وقُيِّد وحُبِس ثلاثتهم في ضَنْك حَبْس وظُلْمة رَمْس .

وقال أبو عُمَر أحمد بن محمّد بن عبد ربِّه في فَتْح قَرْمُونة والظَفر بابن سَوادة من قصيدة أوّلها (منسرح) :

أَمَّا ٱلْهُدَى فَٱسْتَقامَ مِنْ أَوَدِهْ
وَمَدَّ أَطْنَابَهُ عَلَى عَمَدِهْ

وَٱنْتَعَشَ ٱلدِّينُ بَعْدَ عَثْرَتِهِ
وَٱتَّصَلَتْ كَفُّهُ عَلَى عَضُدِهْ

وَزُلْزِلَ ٱلْكُفْرُ مِنْ قَوَاعِدِهِ
وَجُبَّ رَأْسُ ٱلنِّفَاقِ مِنْ كَتَدِهْ

بِفَتْحِ قَرْمُونَةَ ٱلَّتِي بَسَقَتْ
مَا عَدَّ كَفُّ ٱلْخِلَافِ مِنْ عَدَدِهْ

بِيُمْنِ أَسْنَى أُمَيَّةٍ حَسَبًا
وَخَيْرِهِمْ رَافِدًا لِمُرْتَفِدِهْ

إِمَامُ عَدْلٍ عَلَى رَعِيَّتِهِ
أَشْفَقُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهْ

أَحْيَا لَنَا ٱلْعَدْلَ بَعْدَ مِيتَتِهِ
وَرَدَّ رُوحَ ٱلْحَيَاةِ فِي جَسَدِهْ

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ مَكْرُمَةً
وَيَقْصُرُ ٱلْوَصْفُ عَنْ مَدَى أَمَدِهْ

(I) انظر ملاحظة رقم 2 في ص 89 من كتابنا هذا .

فَأَمْسُهُ دُونَ يَوْمِهِ كَرَماً
وَيَوْمُهُ فِي ٱلسَّمَاحِ دُونَ غَدِهْ

لِلّهِ عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ مِنْ مَلِكٍ
لَابِسِ ثَوْبِ ٱلسَّمَاحِ مُعْتَقِدِهْ

وله في حَصْر ابن سَوادة والظُّهور عليه في قصيدة أُخْرى منها (طويل) :

أَحَاطَتْ جُنُودُ ٱلْأَرْضِ (2) بِٱبْنِ سَوَادَةٍ
وَعَاجَلَهُ ٱلْحَتْفُ ٱلْمُتَاحُ أَشَائِمُهْ

وَوَافَاهُ خَطْبٌ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ
وَعَادَاهُ لَيْثٌ لَا تُرَدُّ عَزَائِمُهْ

وهي طويلة .

خَبَر مَهْلَك الخبيث (3) عُمَر بن حَفْصُون ، صاحب بُبَشْتر وأَعمالها من المَوْسَطة ، وقيام المارق جَعْفَر بن عُمَر وَلَده مَكانَه سالِكاً سبيله

قال الرازيّ : فيها أَهْلَك الله الخبيث عُمَر بن حَفْصُون ، جُرْثومة النِفاق وإمام الضَلالة وكَهْف الخِلاف ومُوْقِد نار الفِتْنة ومَلْجأ أهل / المَعْصِية ، بمدينة بُبَشْتر قاعِدته ، حَتْفَ أَنْفه مِن عِلّة طاوَلَتْه قَضى (1) 91 منها لَيْلة الاثنَيْن (2) لأربع عشرة بقِيَتْ من شَعْبان من هذه السنة ، وكانت سِنّه يَوْمَ هَلَك اثنَيْن وسبعين سنة ، وكان من أَوَّل قِيامه بالفِتْنة وصَدْعه عصا الجَماعة وامْتِناعه بقَلْعة بُبَشْتر مِنْبَر المَعْصِية ثلاثون سنة ، رَكِب فيها من العَبَث في الخَلْق والفَساد في الأرض بغَيْر الحَقّ ما لم يَرْكَبه

---

(2) مصحح على الهامش « انب »
(3) م. « الحبيب » .
(1) يبدو أنه سقطت كلمة « نحبه » أو « أجله » كما يأتي في ص 93 .
(2) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .

مارق بالأندلس مُنذُ دانت للمُسْلِمين ، فعُدَّ (3) مَهْلَكه فاتِحة الإقبال وطالِعة السَّعْد واجْتِثاث الفِتْنة .

وتولّى ما كان يَلِيه بَعْدَ مُضِيّه ابنه جَعْفَر أثيره . الذي قلّد عَهْده في حَياته ، وأخَذ له البَيْعة على أهل ضَلالته ، على ما تَقدَّم في أواخِره . فأظْهَر جَعْفَر يوم مَوْت أبيه لجميع نَصارى بُبَشْتر أنّه يَعْتَقِد دِينهم ويَدِين بالنَصْرانيّة معهم ، وزَعَم أنّ أباه كان يَعْتَقِد ذلك ولا يُظْهِره ، وجَمَع إلى نَفْسه ثِقاته منهم مع القِسّيسين والرُهْبان دُونَ سائر الناس ، فتَولّوْا تَجْهيز والِده معه ودَفْنه على سُنّة النَصارى ، بَعْدَ أن أمِر بسَدّ باب القَصَبة وحِجاب مَنْ (4) لم يَحْضُر من النَصارى وغَيْرهم تَجْهيزَ والِده ، ولم يُحْضِر مع ذلك الأُسْقُف ابن مقْسِم ووِدِناس بن نبيل فيمَن أحْضَره ، لانْحِرافه ، واستَعْجَل مُواراة أبيه سَحَرَ اللَيْلة التي مات فيها أثَر قَبْضه ، قَبْلَ انْتِشار الخَبَر عنه ، فدَفَنه داخِلَ داره ، وأصْبَح جالِساً مكانَه للتَعْزية عنه . فاعْتَذَر إلى وُجوه النَصارى الذين لم يَشْهَدوا (5) والِده ، وإلى وُجوه المُسْلِمين مِن أصحابه في تَرْكه لإحضارهم بالكَتْم الذي استَظْهَر به على الحادِثة ، لِما لم يَأْمَنه مِن الاخْتِلاف في مِثْله من الأوْقات ، مع إباحة القَصَبة للعامّة ، فأظْهَروا بتَصْديقه وأغْضَوْه على كَيْده وأسَرّوه حِقْداً عليه .

ولاطَف جَعْفَر إخْوته وطيَّب بنُفوسهم وعَهِدهم الجميل حتّى سَلَّموا له ورَضُوا بتَقدُّمه ، فكان جَعْفَر ، قبَّحه الله ، في ذاته مُتهوِّرًا سخيفاً جَباناً ضعيفاً لئيماً دميماً حَسُوداً حَقُوداً نَقُوداً ، مُنافِساً لمَنْ تَجمّل عنده ، كَنُوداً لمن استَرْسَل إليه ، مُؤالِفاً للسُقّال ، مُستَصْحِباً / للأرْذال ، لم تَسْمُ به هِمّته الى مُرُوّة ، ولا انطَوت له نِيّة على جميل ، ولا عَرَف قَدْر

92

(3) م. « بعد » .
(4) م. « ما » .
(5) يجب هنا اضافة كلمة « تجهيز » .

ما مَهَّد له والِده مع السلطان مِن فِراش الصُلْح ، وبَسَط من ظِلّ الأَمْن بالتَسْجيل له على أَعْماله وإمْضاء ذلك بَعْدَه لعَقِبه ، بل غَمَط النِعْمة عليه فيه ، ورَفَض الساعين فيه لأبيه ، وعَقَد شَهادات جَماعة مِن السَفَلة والطَغام على ابن مقْسِم الأُسْقُف وابن نبيل وابن عطّاف صاحبَيْه بأنّهم سَعَوْا في الغَدْر بوالِده عند السلطان ، ودَبَّروا إزاحة سلطانه عن وَلَده بَعْدَه ، ودسَّس الأُسْقُف ابن مقْسِم بعض مَن يُمالِئه من شِرار الشَمامِسة وأهل الكُرْه للخِلافة ، فقاموا عليه عِنده بما أَوْجَب جَرْحه وعَزْله عن السِقافة ، فعَزَله وامْتَهَنه وأَخْرَجه عن حَضْرته إلى بعض الدِيارات مُوَكَّلاً به ، وولّى غَيْره مكانَه .

وهَمّ بالإيقاع بابن نبيل وابن عطّاف صاحبَيْه ، ثُمّ أَمْسَك عنهما لاضْطِراره إلى مُراسَلة بهما فيما يَلْتَمِسه من تَقْدير حاله ، وأَشْخَص في ذلك عاجِلًا عبد الله بن نبيل منهما إلى باب السلطان ، يَسْتَنْجِزه في أن يُمْضِي له ما كان أَوْجَبه لوالِده مِن إقراره على الأَعْمال بَعْدَه ، ويَعِدِه مِن نَفْسه من الاسْتِقامة ما لَيْسَ في مُضْمَره ، فلم يَمْنَعه السلطان ذلك تَمسُّكاً بالوَفاء بالعَهْد الذي هو مِن سَجيّته ، استِظْهاراً بذلك على كَثْرة المُشيرين (1) عليه والمُخاطِبين له مِن ذَوِي النصائح غِبَّ الفاسق عُمَر في انْتِهاز الفُرْصة من هذا الفِسْل وَلَده ، والإسراع إلى حَرْبه ، فلم يَلْتَفِت إلى ذلك ولا غَيْره مِن رأيه وأَمْضى جَعْفَرًا على عَمَل والِده وارْتَهَن مِنه وَلَده ، فصَلَح أَمْره مُدّة .

خَبَر استِنْزال سُلَيمان بن عُمَر أخي جَعْفَر عن مَعْقِله ومَصِيره إلى الطاعة

وفيها استُنْزِل سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون ، أخو جَعْفَر ، المُنْتَزِي بمدينة أُبَذة على أبيه عُمَر وعلى السلطان ، و[صار] (2) مَصِيره أَثَر

(1) م. « المنتزين » .
(2) سهو من الناسخ نستدركه عليه .

مَهْلَك الخبيث والِده إلى قُرْطُبة في الأمان ، ومَلْك السلطان لأُبَذة ، وقد تَقدَّم ذِكْرنا لخَبَر تَسوُّر هذا الفاسق سُلَيْمان الباقي في هذه المدينة على ابن بِرْنْت ، عامل السلطان[..] (3) / من أَسْره واستِدْعائه إخراج الجَيْش إليه ، لتَعذُّر المُقام لحَرْبه عليه ، لقُوّة مَرَضه الذي منه قَضى نَحْبه ، وتَجْريد الناصر لدين الله عند ذلك إلى سُلَيْمان الجَيْش مع عبد الوَهّاب ابن محمّد الأشُونيّ ، وتَقدُّمه إليه بالجُثوم عليه والشَدّ لحَصْره ، والإذْن لأبيه عُمَر في الانْطِلاق إلى مَكانه ، وأنّ ذلك كلّه تَمّ على وَجْهه . وحَلّ عبد الوَهّاب بن محمّد قائد السلطان ، فأخَذ بكَظْمه ، ونَزَل حِصْن مَرِية (*) الذي كان أبو[ه] عُمَر قد بَناه عليه ، فحارَب سُلَيْمان ومَن معه مِن قِبَله .

93

ومضى الخبيث عُمَر بن حَفْصُون أبوه لسبيله ، فانْقَطَع رَجاؤه مِن ميراثه ، وتَأكَّدَتْ عَداوته لأخيه جَعْفَر الوالي بعد (I) ، واشْتَدّ نَصْب جَعْفَر لسُلَيْمان وإغراؤه به ، فأخْرَج السلطان عند ذلك إلى سُلَيْمان محمّد بن قاسِم بن طُمْلُس (2) في جَيْش آخَر ليُجامِع عبد الوَهّاب على حَرْبه ، فحَلّ ابن طُمْلُس (2) ساحة سُلَيْمان وجَدّ في قِتاله ، وبنى عليه حِصْن قُلُنْبَرِية ، ولَزِمه من تِلْقائه ، فاشْتَدّ الحِصار وقَوِي الطَمَع فيه ، واتَّفَق عليه مِن أسباب الإدبار أن أخْرَج رِجاله بالحِيلة عند ضِيق أحْوالهم للغارة على ناحية البَراجِلة ، فوافَقوا مِن سُوء القَدَر ان لَقُوا في طريقهم عبد العزيز بن عبد العُلى (3) المعروف بالشيرفي (4) مع رِجال البَراجِلة

(3) يبدو أنه سقط هنا سطر في معنى « ثم ان عمر بن حفصون اطلق ولده سليمان ... » انظر ص 86 و 87 .

(*) انظر ملاحظة رقم 3 ص 87 من هذا الكتاب .

(I) يجب هنا اضافة كلمة « والده » .

(2) م. « طملش » .

(3) هو بلا شك عبد العزيز بن عبد الأعلى المنتزي في الحصن المذكور مرة باسم « حصن شنترة » ، وفي مرتين باسم « حصن البشارات » انظر ص 37 و ص 38 و ص 40 من هذا الكتاب .

(4) كلمة غير واضحة قد تكون « الشيري » .

مقصودهم ، فوَقعت بَيْنهم حَرْب صَعْبة كانت على الفَسَقة أصحاب سُلَيْمان ، فقُتِل منهم خَلْق ، وقدَّم عبد العزيز ليلـةَ الوقيعـة بهم رَسُولاً إلى عبد الوَهّاب بن محمّد ، قائد السلطان ، يُعْلِمه حال الفَسَقة وما أُتيح له من كَسْرهم ، فخَرَج بمَن معـه مِن الحَشَم وقَعَد لهم بالمَرْصَد ، حتى أقْبَل فَلّهم ، فخَرَج عليهم فقَتَل جميعهم .

فبَقِيَ سُلَيْمان بَعْدَهم مُنفرِدًا من رِجاله فاقدًا لوالِده عُمَر ، خائفاً لأخيه جَعْفَر الوالي بَعْدَه ، يائسًا مِن الانحِياش إليه ، فأذْ[عَن] عند ذلك للسلطان مُضْطَرًّا ، ودعا إلى الأمان على أن يَنْزِل فيَصِير إلى بابه ، فخَرَج إليه يَحْيى بن إسْحـاق بكِتاب أمانه ، فنزَل إليه وجامَعـه ، فكان دُخوله إلى قُرْطُبة في النِصْف مِن شَوّال مِنها إلى شَهْرَيْن من مَهْلَك والِده عُمَر ، فأكْرَمه السلطان ووَسَّع نُزْله ، وصيّره في عِداد رِجاله المعدودين في أنْزاله ، المَنْدُوبين / لمُهِمّـاته ، إلى أن غَلَبه الطَمَع فغَدَر به عَمّـا قليل ، وخَرَج عن وِلايتـه ، فلَحِق بوَطَن الشِقـاق بُبَشْتر الشَرّ عِند قَتْل اللعين جَعْفَر أخيه ، ومَصِيره مكانَه على حَسَب ما يجيء ذِكْره في مَوْضِعه ، إن شاء الله .

94

[حريق سُوق قُرْطُبة]

وفيها وَقَعتْ نار عظيمة بسُوق قُرْطُبة ، فاحْتَرقَتْ حوانيت المَشّاطين والخَرّاطين .

[الـوُزَراء]

وفيها أعاد الناصر لدين الله عبد المَلِك بن جَهْوَر إلى الوِزارة في (*) شَوّال منها ، وصَرَفه في هذا الوقت بعَيْنه عن الكِتابة العُلْيا ، ووَلّاها عبد الرحمٰن ابن الحاجب بَدْر بن أحمد (1) .

(*) وفي « البيان » جـ 2 ص 171 « يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من » .

(1) نفس المصدر يزيد هنا « وفيها توفي سعيد بن عبد الوارث الأيسر ، وكان من أهل الشجاعة والغناء في الخدمة ... وتوفي عمر بن فرج وكان كاتب الرأي وولي السوق » .

[هُجوم النصارى على الثَغْر الاقصى]

وفي هذه السنة حَشَد الطاغية أُرْدُون بن أذْفُونْش ، مَلِك جِلّيقيّة ، وشانْجُه بن غَرْسيّة البَشْكُنْسيّ ، قُومِس بَنْبَلُونة ، حَشْد النَصْرانيّة بجِلّيقيّة وبَنْبَلُونة ، فخَرَجا معاً في احْتِفال مِن جُموعهم واسْتِيعاب مِن كَفَرتهم إلى مدينة ناجِرة (2) بالثَغْر الأقصى ، فنَزَلا عليها في عَقِب ذي الحِجّة منها ، وأقاما عليها ثلاثة أيّام مُنازِلين لاهلها وعاثت خُيولهم في ذلك الثَغْر كَيْف شاءت ، فأَفْسَدت الزَرْع وانْتَسَفت المَعايِش .

ثُمّ تَنقّلت إلى مدينة تُطِيلة قاصية الثَغْر ، فانْتَهَتْ سَراياهم إلى نَهْر كَلِش (3) وحَوائِز (4) مُشْقَيْرة ووادي طَرَسُونة ، وعَبَر شانْجُه ، لَعَنه الله نَهْر إبْرُه (5) ، فقاتَل حِصْن بَلْتِيرة (6) ، وقَهَر أهل رَبَضه ، وأَحْرَق المَسْجِد الجامع فيه ، وانْقَلَب الكَفَرة ، لَعَنهم الله ، إلى بِلادهم أعِزّة . فكان فِعْلهم هذا مِمّا أَحْفَظ الناصر لدين الله وحَرَّكه لمُجاهَدة أَعْداء الله ورغَّبه في الانْتِصار منهم بمَنّ الله تعالى .

---

(2) نحن نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 172 ، م. « ناحوره » .

(3) في « البيان » ج 2 ص 172 « كالس » .

(4) « جزائر » و « جوائز » في نفس المصدر .

(5) حسب « البيان » ج 2 ص 172 ، م. « ايره » .

(6) م. « بلبيره » .

سنة ست وثلاث مائة

[غـزوة مطونية]

فيها أَغْزى الناصر لدين الله الحاجِب بَدْر بن أحمد بالصائفة إلى دار الحَرْب ، وهي الغَزاة المعروفة بمطُونية ، ففَصَل إليها يومَ السَبْت (7) لخمس بَقِين مِن المُحرَّم مِن هذه السنة ، وأتى الثَغْر فتوافَتْ إليه حُشود المُسلِمين ثائرين بإخْوانهم الذين أُصِيبوا مع الوزير القائد أبي العَبّاس احمد بن محمّد بن ابي عَبْدة (8) ، رَحِم الله جميعهم ، فاقْتَحَم الحاجب بَدْر بجُموعهم أرض العَدُوّ ، فوَطِئ حريمهم وأداخ بَلَدهم ، مُنْتَسِفاً لغَلّاتهم ، هادماً لمَصانِع[هم] / حاطماً لمَعايِشـهم ، ولَقِيَهم أَعْداء الله مُستطِيلين 95 عليهم لحِين اقتِراب مِن فَرْحتهم بظَفرهم واستِغْلاظ مِن شَوْكتهم ، فحارَبهم المُسلِمون حَرْباً شديدة حَمِيَ لها جميعهم طالِبين لتِرَتهم لدَيْهم ، فأَمَدّهم الله تعالى بالنَصْر وقَذَف في قُلوب أَعْدائهم الذُعْر ، فلَوّوا الأَدْبار وأفاء الله عليهم مَغانِم كثيرة ، وتَتابَعَتْ لهم على الكَفَرة وقيعتـانِ ، أَفْنَى الله فيهما (1) حُماتهم وخَضَد شَوْكتهم ، أُولاهمـا يومَ الخميس لثلاث خَلَوْن

---

(7) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

(8) حول هذه المعركة انظر ص 88 و 89 من هذا الكتاب وفي « البيان » ج 2 ص 170 و 171 وفي « تاريخ الناصر » رقم 25 .

(1) م. « فيها » .

مِن ربيعِ الأوَّلِ منها ، وأُخْراهمـا يومَ السَبْت بَعْدَه لخمس خلَوْن بَعْدَه ، فكَثُرت الأنْفال وتَوالَت المَغانِم وجَمّ عَدَد السَبْي ، فقدَّم الحاجب بَدْر بن أحمد على النَظَر في السَبْي والقَسْم للمَغانِم محمّد بن محمّد بن أبي زَيْد ، صاحب الشُرْطة العُلْيا ، فجَرَتْ على السَواء ، وآب الحاجب بَدْر من غَزْوته هذه مسروراً ظافراً ، قد أدْرَك الوِتْر ، وأَصْلَح الثَغْر ، واسْتَأْلَف أهلـه مُجيبين (2) وكَثُر خَيْره .

وقال عريب بن سعيد :

لمّا اتَّصَل بالناصر لدين الله تَطاوُل المُشْرِكين إلى مَن كان بإزائهم مِن أهل ثُغور المُسْلِمين بتَوَقُّف الصوائف عن غَزْوهم وإقصار الغُزاة عن دُخول أرضهم بالعوائق الحابسة لهم ، أَحْفَظه ذلك عَزْمه لمُجاهَدة أَعْداء الله في عامه هذا والصَمْد لهم ، وأَذْكى مَحْميّته ، فأمَر بالاحْتِفال في جميع الرِجال وإكثاف العَدَد واستِنْفار المُطَّوِّعة ، ونَدَب حاجبـه مُدبِّر دَوْلته بَدْر بن أحمد للخُروج بهذه الصائفـة ، وأنْفَذ الكُتُب إلى أهل الأطراف والثُغور بالذَهاب إليه والدُخول في عَسْـكَره واجْتِمـاع الأَيْدي والأَفْئِدة على جِهاد الكَفَرة والإيقاع بهم في وَسْط بَلَدهم ومَجْمَع حَشْدهم ، فتَمّ ذلك كما رَسَمه .

وفَصَل الحاجب بالجُيوش لهذه الصائفة يومَ الثلاثاء لخمس بَقِين من المُحرَّم منهـا ، فتَتامَّتْ إليه العَسـاكِر والمُطَّوِّعة في أَقْرَب ثُغـور المُسلِمين ، وتَزوَّدوا للدُخول الى دار الكَفَرة ، واستُجْمِعوا مِن أقاصي بِلادهم ، واعْتَصَموا بأَمْنَع جِبالهم ، فنـازَلهم الحاجب بَدْر بالمُسلِمين ، فكانَتْ له عليهم وقائع أَشْـفَت فيهـا صُدور المُسـلِمين مِن أعْداء الله المُشرِكين ، وقَتَلوا في هذه الغَزْوة مِن حُماتهم وأَبْطالهم / وصُلاة الحَرْب 96

---

(2) م. « محبين » .

منهم جُمَلاً غليظة تفوت الإحصاء . وكان أعْظَم الفَتْح عليهم في يَوْم الخميس لثلاث خلَوْن مِن ربيع الأوَّل (1) منها ويَوْم السَبْت تِلْوه ، في مَعارِك جليلة وَقَعت فيهم لم يَكُن في مُواقَعتهم أعْظَم منها صُنْعاً ولا إفشاء في أعْداء الله قَتْلاً وأسْرًا . ووَرَد الكِتاب بذلك إلى الناصر لدين الله يومَ الجُمُعة لإحدى عشرة خَلَتْ من رَبيع الأوَّل (1) منها ، فمَلأه سُروراً وأكْثَر الله عليه شُكوراً ، وأمَر بقِراءته في الجَوامِع وكَتَب به إلى الأطراف .

[الثغر الأعلى]

وفيها غَدَر عَمْرُوس بن محمّد ، صاحب مدينة وَشْقة مِن الثَغْر الأعْلى ، بأخيه عبد المَلِك بن محمّد ، فقَتَله داخِلَها وصار مَكانَه ، وذلك في رَجَب منها .

غزْوة الناصر لدين الله المعروفة ببَلْدة (2) إلى جَعْفَر [بن عُمَر] ابن حَفْصون المُسارِع في النَكْث ، التي قضاها في مرّتَيْن من عَقِب هذه السنة وصَدْر سنة سبع وثلاث مائة تِلْوَها

قال الرازيّ : وفي عَقِب هذه السنة غزا الناصر لدين الله الناكث المُمرّض في الطاعة جَعْفَر [بن عُمَر] بن حَفْصون غَزاته [المعروفة] ببَلْدة من كُورة رَيّه التي قَفَل عنها في سنة سبع وثلاث مِائة بَعْدَها ، فجَمَع عَسْكَره وبَذَل أمْواله واسْتَكْمَل أُهْبته .

فكان بُروزه لها يومَ الخميس لإحدى عشرة ليلة بقِيَتْ من ذي القَعْدة ، وفُصوله إليها يوم الثُلاثاء (3) للنِصْف من ذي الحِجّة من هذه السنة . إلى ستة وعشرين يوماً من بُروزه لها وتَعْبِئته لعَساكِرها ، وكان يوْم الثُلاثاء المذكوْر اليَوْمَ الثاني والعشرين من شَهْر مايُه (4)

---

(1) م. « الأولى » .
(2) كلمة غير منقوطة .
(3) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .
(4) الصحيح أن التأريخ القمري يطابق يوم 18 – 19 من شهر مايو .

الشَمْسيّ، وتَخلَّف في القصْر أكْبَر وُلْده المُرشَّح لمكانه ، الحَكَم ، ومعه خاصّة وُزَرائه موسى بن محمّد بن حُدَيْر . وفي خُروجه وكَمال عِدّته وفَخامة أُهْبته ، يقول الشاعر الجِنْذيذ أبو عُمَر أحمد بن محمّد بن عبد ربِّه في شِعر له ، أوّله (سريع) :

يا عَجَباً مِنْ مِثْلِهِ يُعْجَبُ
بَدْرٌ بَدَا يَحْمِلُهُ كَوْكَبُ
وَدَّ بِهِ ٱلْمَشْرِقُ شَوْقاً إِلَى
رُؤْيَتِهِ لَوْ أَنَّهُ مَغْرِبُ

واطّرَد له القَوْل ، فأَمْسَكْنا لطُوله .

ووافى الناصر لدين الله بعَساكِره فأصابها [و]زُروعُها قد قارَبَتْ ولمّا تُدْرَكْ ، فخَلَّف على حَصادها بعض القُوّاد في طائفة / مِن الحَشَم ، 97 وأمَر ببُنْيان صَخْرة عُودان المُشْرِفة على بسيط بَلْدة ، فانْتَظَم بُنْيانها بحِصْنَيْ صَخْرة عِصام وبَني بشير ، وهما مِمّا بُنِيا (1) في أيّام الأمير عبد الله (2) ، فكَنَف حِصْن بَلْدة الحِصار مِن جِهاتها ، وأخَذ بأكْظام أهلها ، وتَقدَّم الناصر لدين الله بَعْدَ إتقانه (3) حِصار بَلْدة في جميع عَساكِره الى فَحْص رُعَيْن وجِهاته ، إذ صَحّ لدَيْه ان الغَلّات هُناك قد أدْرَكَتْ أوان (4) حَصادها ، فأتاها واضْطَرَب بها مُنتسِفاً لها مُتتبِّعاً بِقاعها ، وأخْرَج الحاجب بَدْر بن احمد بالخَيْل إلى حِصْن دُوش أمانْتِش ، [وهو من] (5) أقْوى حُصون الناحية وأشَدّها ، فلمّا غَشِيَتْه الخَيْل بَرَز أهله الى الرَبَض للدِفاع عن أنْفُسهم ، ووَقَعَت الحَرْب بَيْنهم وبَيْن الحَشَم ،

(1) كذا في الأصل ، اقرأ « بُنِيَ » .
(2) على الرغم مما يقوله هنا فان هذا لا يذكر في « المقتبس » ج 3 ولكنه ذكر في « تاريخ الناصر » رقم 30 .
(3) كلمة غير منقوطة .
(4) م. « وأن » .
(5) كلمات ممحوة نفترضها .

فاستَظْهَر الحَشَم عليهم ، وأَوْضَعهم حتّى أزالوهم عن الرَّبَض ، وأَحْجَروهم في حِصْنهم ، ولاذوا بقَصَبته الشاهقة ، وأَضْرَم الجَيْش الرَّبَض وما كان فيه من الكَنائِس ناراً ، ثُمّ صارُوا الفَسَقة في أَعْلى القَصَبتَيْن ، وكَدُّوهم وأَخَذوا بمَخْنَقهم ، ولم يَكُن لهم تَوقُّف ولا صَبْر ، وفَرّوا على وُجوههم مُنقصِفين ، وأَخْلَوا القَصَبتَيْن بما فيهما (6) من الأَمْتِعة ، فمَلَكهما (7) السلطان وصَيَّر فيهما قائده مُساوِر بن عبد الرحمٰن في نَدْب من الحَشَم ، وذلك يومَ الجُمعة لخمس بقِين من ذي الحِجّة منها .

ثُمّ انْثَنى الناصر لدين الله إلى بَلْدة بجُمْهُور عَساكِره ، فاحْتَلّ عليها يومَ الثُلاثاء لثلاث بَقِينَ من المُحرَّم ، وأَمَر الحاجب بَدْر بن أحمد بمُنازَلتها والإحاطة بها ، واسْتَدار الحاجب بها ، ورَتّب العَساكِر عليها ، وجَدّ في حَرْب اهلها ، فاخْتَلَفَتْ كَلِمتهم عِنْدما احاط بهم من بأس ما رَعَبهم ، وتَداعى مَن كان فيهم من المُسلِمين للنُزول إلى السلطان على تأْمينهم على الأَنْفُس والأَهْلِين والذُرِّيّة ، فأجابهم (8) الناصر لدين الله إلى ذلك ، وأَنْفَذ أَمانهم ، فنَزَلوا إليه ، وصاروا في مُعَسْكَره ، وتَوَقّف مَن كان فيها من الكَفَرة عن الاستِئْمان ، ومَضَوْا على رأْيهم في الحَرْب عن أَنفُسهم ، فقاتَلهم رِجال السلطان قِتالاً شديداً ، وصَبَر الأَخابِث صَبْراً عظيماً ، وكان فيهم مِن أَعْيان رِجال / الخبيث جَعْفَر بن عُمَر وكِبار قُوّاده 98 عُصْبة حَشُّوا الحَرْب وذَمَّروا الرِجال ، فلم يَقْصُروا في الصاع (1) ، ثُمّ إن الله تعالى زَلْزَل أَقْدامهم فانهَزَموا ، واقْتَحَم الحَشَم عليهم حِصْنهم ، فجاسوا ساحته (2) ، وجاؤوا اهله من فَوْقِهم ومن أَسْفَل مِنهم [فقَتَلوهم] (3)

---

(6) م. « فيها » .

(7) م. « فملكها » .

(8) م. « احاط بهم » .

(1) م. « المصاغ » .

(2) نحن نتبع « تاريخ الناصر » رقم 30 ، م. « صاحة » .

(3) هذه الكلمة لا ترد في المخطوط أخذناها عن نفس المصدر ونفس الرقم .

أبْرَح قَتْل في أَقْنِيَتِهم (4) وبداخِل مَنازِلهم ، وأَسَروا منهم مَن اخْتاروه من قُوّادهم ووُجوههم ، فقِيدوا إلى سُرادِق السلطان ، فأمَر بِضَرْب أعْناقهم ساعةَ وَقفوا بَيْن يَدَيْه ، فقُتِلوا عن (5) آخِرهم بمَشْهَده ، واجْتَمَع بباب سُرادِق السلطان من رُؤوسهم مِائة وسبعون رأساً سِوى مَن لم يُعْرَف من محشودهم ، فكان فيها مِن قُوّادهم وفُرْسانهم حَسّان بن حمله ، كاتب المارق ، وجَعْفَر ، وعبد المَلِك بن موسى المعروف بالبابشكنه (6) ، وزَكَريّا بن لسن (7) ، وأبو المُغيرة بن أَصْبَغ ، وأبو جَهْم السَجّان ، واسجال (8) الأقْرَع ، ومشكريل المُرْتَدّ ، وعُثْمان بن أبي عِياض ، وأبو شَيْبة الأَبَذيّ ، وعُمَر بن أبيه ، وبَليط الأَبَذيّ ، وعبد المُؤْمِن الالباني (9) ، وغيرهم .

ففَتّ مُصابهم في عَضُد المارق جَعْفَر وبَدا عليه الانْكِسار ، وخامَره الوَهْن ، وشَدّ السلطان حِصْن بَلْدة برِجاله (10) ، وأَحْكَم النَظَر في مَصالِحه ومَصالِح جِهته ، فعاد وَبالاً على الفاسق جَعْفَر بَعْدَ أن كان مِن مَحارِنه ، وخَرَجَتْ هذه السنة والناصر لدين الله غائب عن الحَضْرة ، فتَحوَّل بعَسْكَره على وَطْء بِلاد الفاسق جَعْفَر بن عُمَر قُدْوة أهل المَعْصِية .

(4) م. « اقنيتهم » .
(5) م. « من » .
(6) كلمة غير واضحة قد تكون « الباشكنه » .
(7) قراءة غير واضحة اطلاقا .
(8) لعل القراءة صحيحة هي « امجال » .
(9) كذا في الأصل قد تكون « الهاني » ، انظر « المقتبس » ج 3 ص 68 .
(10) نحن نتبع « تاريخ الناصر » رقم 30 ، م. « ترجاله » .

سنة سبع وثلاث مائة

[غَزْوة طَلَجَيْرة]

وفي غُرّتها تَقدَّم الناصر لدين الله بالعَسْكَر إلى حِصْنَيْ [شَنْت أَوْلالِية] وشَنْت مُرِيّة (II) مِن حُصون الخبيث جَعْفَر بن عُمَر من كُورة رَيّه ، فأَمَر الحاجب بَدْر بن أحمد بمُنازَلتهما ومُناهَضة مَن فيهما ، وأَنْفَذ إلى كلّ واحد منهما رِجالاً مِن أُولِي البأس والنَّجْدة ، معهم عِدّة مِن الماشية بكثيف من العُدّة . فلمّا قاشَبوهم لم يَثْبُتوا ، وأَلْقَى الله الرُّعْب في قُلوبهم ، فتَرَدَّوْا من رُؤوس الجِبال على رُؤوسهم ، وتَفرَّقوا في الأرض أَيْدِيَ سَبَأ ، فمَلَك الجُنْد الحِصْنَيْن وغَنِموا ما كان فيهما مِن نِعَمهم وأَقْواتهم ، وكان ذلك يومَ الخميس / لليلتَيْن (I) خَلَتا من المُحرَّم منها . 99

ثم رَحَل العَسْكَر إلى حِصْن اللُّرة ، وهو من الحَصانة والمَنَعة ومَزِيّة الاطّلاع على قَلْعة بُبَشْتر ، عُشّ الضَلالة ، والإصابة لغِرّاتها بالمَكان المشهور ، فأناخ به الناصر لدين الله وهو غَيْر شاكّ في شَدّ (2) المارق جَعْفَر له بحُماة رِجاله واجْتِهاد[ه] في الذَبّ عنه . فلم يَكُنْ فيه فَضْل

(II) من وضعنا معتمدين على ما يجيء في ص 141 ولكن في المخطوط « الحصن ينسب بشنت » .

(1) م. « لثلثين » .

(2) م. « سد » .

لذلك بَلْ اصابه الناصر لدين الله قَفْرًا خَلاءً مِن ساكِنِيه ، فشَكَر الله تعالى على ذلك واعْتَدّه دليل الظَّفَر باللعين وحِزْبه ، وضَبَط حِصْن اللُّرة لنَفْسه بَعْدَ ان أَحْكَم شَدّه وأَكْثَف مِن شَحْنه فيه مِن رِجاله ، وقلّده وَليد بن محمّد بن فُطَيس ولَيْث بن ثابت ، فقاما فيه أحْسَن مُقام وأفتّه في أعْضاد الفجّار .

وتَقدَّم العَسْكَر عند ذلك إلى مدينة بُبَشْتر قاعدة (3) الفُجّار [و]مَعْقِل الكُفّار ، فنَزَل عليها مُقترِباً منها ، وزاحَف الحاجب بدر بن احمد لوَقْته حِصْن طَلْجَيْرة (4) باب دَرْبها ، فاحاط بها وأَجْحَر اهلها داخِل دُورهم ، ومَلَك الحَشَم أكْثَر سُورهم إذ كشَفَتْهم الرُماة عنه بمُدارَكتهم رَشْقهم بسِهامهم ، واشتَدّ على ذلك صَبْرهم ، فاتّصلت الحَرْب عليهم يَوْمَيْن قَدِمت عليهم في آخِرهما (5) من جِهات الحِصْن ، فكَرُّوا وشُغِلوا بأنْفُسهم وتَفرّقت جَماعتهم على الجِهات التي تُنوزِلوا منها ، فدَهِشوا وبانَتْ لأصحاب السلطان الغِرّة فيهم ، فاقْتَحَموا الحِصْن عليهم ، فنَزَلوا هارِبين والسيوف تَحْتَكِم فيهم ، وهم جادّون في هَرَبهم نَحْو قَصَبة بُبَشْتر ، إلى ان اعْتَصَموا ، وقد أُصِيب كثير منهم ، وخَلَّوْا عن طَلْجَيْرة ، وهي مُتْرَعة بالأطْعِمة والخَزائن ، مشحونة بالنِعَم والأمْتِعة .

فاصْطَفى السلطان الطَعام لأهل العَسْكَر وأنْهَب الناس ما سِواه ، فانْتَهَبَتْ أيْدِيهم مِن ذلك ما يَجِلّ قَدْره ، والمارق جَعْفَر يَنْظُر إلى ذلك بعَيْنه ، وقد تَقطَّع قَلْبه ، وخانه ظَنّه ، وأتاه ما لم يَحْتَسِبه .

وخَرَجَت الخَيْل إلى قُرى (6) عامس وطَلَبيرة (7) وكانَتا حاضِرتَيْن كبيرتَيْن للفَسَقة رافِدَتَيْن لقاعِدتهم ، قد شادوا فيهما (8) على تَطاوُل

---

(3) م. « فاعده » .

(4) م. « طلجره » وكذلك في ص 100 ، والصحيح « طلجيرة » انظر ص 136 و 145 و 150 .

(5) م. « اخرها » .

(6) كذا في الأصل قد تكون « قرْيَتَيْ » .

(7) نظن انه خطأ والصحيح « طلجيرة » .

(8) م. « فيها » .

أيّامهم قُصوراً فَخمة ومَنازِل عجيبة ، وهما مُتوافِرتا النِعَم ، مُتكاثِفتا الخُيرات ، مُحتجِزتانِ بأوْعار شاقّة تَمْنَع من التوصُّل إليهم ، فلم يَمْتَنِع على / خَيْل السلطان تَوقّل هِضابهما والاقتِدار على مَن كان 100 فيهما ، فأبادَتْهم السُيوف إلّا مَنْ شَرَد مِنهم ، ووُضِعَت الأيْدي على هَدْم طَلْجَيْرة وهُتَيْن القَرْيَتَيْن وما كان فيهما من قُصور وثيقة (1) ، وأُطْلِقت في ساحتَيْهما النار ، فعادت يَباباً كأن لم تُغْنَ بالأمْس ، وكان ذلك كلّه في يوم الخميس (2) لسبع خلَوْن من المُحرَّم منها .

[غَزْوة الحاجب بَدْر إلى بُبَشْتر]

ثُمّ أخْرَج الحاجب بَدْر بن احمد الخُيول والرِجال إلى أعالِي أسْناد بُبَشْتر ، مَعْقِل الضَلالة ، فهَتَكها من حَوالَيْها ، وأحاطَتْ بها إحاطة القِلادة بالعُنُق ، وبَرَز إليها أبْطال الفَسَقة كالوُحوش المُستنفَرة ، فتَناشَبوا الحَرْب ساعةً واحدة ما بَيْن بابَيْ بُرْتِقاط وباب طَلْجَيْرة من ابواب القَلْعة ، ثم استَغْلَق الفَسَقة وراء الأسْوار وانْقَبَضوا عن الحَشَم وخَلَّوْا عن الغُرْصة ، فاستَوْلى العَقْر على شَجَرهم والانْتِساف لنِعَمهم والقَطْع لكُرومهم انْبِقاثاً لأبِقتهم ومُجْنِيَّتهم (3) ، فلم يَكُنْ فيهم فَضْل [لمَنْع] ذلك (4) ، فارْتَدّ الحَشَم عنهم ظاهِرين وتَركوهم خاسِئين ، وتَحوَّل الحَوْل إلى حِصْن اللُرة لإتمام شَكّه وتَقْوية مَن فيه ، ومِنه إلى قصر بُنَيْرة ، إلى سكور ، إلى فرْذالِش ، فدَمَّرَتْ ما هُنالِك .

ثم كَرّ العَسْكَر أجْمعه على بُبَشْتر الخاسِئة لاستِتْمام التَدْمير على ما بَقِيَ بساحتها ، ووُضِعَت المَحَلّة بالقُرْب مِن باب بُرْتِقاط مِن أبوابها ، فكان

---

(1) م. « قصر وثيقة » .
(2) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .
(3) قراءة غير واضحة .
(4) م. « لذلك » .

هذا النُزول على المُلْجِد جَعْفَر أنْكى (5) مِمّا تقدَّم قَبْلَه وأشدّه إجهازا عليه وأثْقَلَه وَطْأةً على فُسّاقه ، إذ أرْهَقَه وخَيَّم على قَلْبه وأخَذ بمُخَنَّقه ، حتّى أرْسَل للناصر لدين الله يبُوء بالذَنْب ويَسْأل الإقالة ويَخْطُب الصُلْح ويَبْذِل الطاعة ويَبْخَع ببَذْل الرَهينة التي كان قد تَسحَّب في اعْتِيامها لدَيْه ويُظْهِر الاسْتِقامة على الطريقة ، فقَبِل الناصر لدين الله ما أظْهَر من ذلك تأنّياً به وسَبْرًا لسُقْم سَريرته ، فعَقَد أمانه وقَبَض رهينته بَعْدَ أن أطْلَق له الخبيث جَعْفَر جميع من قِبَله مِن أوْلاد إخوته المُستأمِنين إلى السلطان وعِيالهم ورَهائن مَواضِعهم ورَهْن المُستأمِنين إليه مِن أهل بَلْدة المُفتتَحة وجميع مَن كان عنده من أسْرَى المُسلِمين .

101 فتَمّ ذلك كلّه / على مَحَبّة الناصر لدين الله وعَلاء كَعْبه ، وتَحرَّك عند ذلك قافلاً عن بُبَشْتر بجميع عَسْكَره يومَ الخميس لسبع بَقِين من المُحرَّم سنةَ سبع وثلاث مائة ، فدَخَل إلى قَصْره بما فَتَح الله عليه في غَزْوته هذه ، فقال في ذلك أبو (1) عُثْمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدريس وأبو عُمَر أحمد بن محمّد بن عبد ربِّه كبيرهم وغَيْرهما أشعاراً حِساناً طِوالا تَرَكْناها لئلّا يطُول الكِتاب بها .

استِئمان عبد الرحمٰن بن عُمَر بن حَفْصون إلى السلطان

قال : وفيها [افْتُتِح] حِصْن طُرُّش خُشَيْن مِن أعمال الفاسق جَعْفَر ابن عُمَر بن حَفْصون ، فاستأمَن صاحبها عبد الرحمٰن بن عُمَر بن حَفْصون ، أخو المارق جَعْفَر بن عُمَر بن حَفْصون ، إلى السلطان ، فقَبِل أمانه ، وصار إلى باب سُدّته بقُرْطُبة ، فصار في مَصافّه وكَرَّم مَثْواه .

وكان سَبَب ذلك أنّه استَوْحَش أخاه (2) جَعْفَر الوالي بَعْدَ أبيهما وامْتَنَع عليه في حِصْنه هذا ، فحارَبه أخوه جَعْفَر وتَردّد عليه بالأذى والتَضْييق حتّى لاذ عبد الرحمٰن منه بالناصر لدين الله ، وراسله يَتألّب

(5) م . « أنكاء » .
(1) م . « ابن » .
(2) م . « أخيه » .

الأمان على نَفْسه ومَن معه ، على أن يَلْحَق بالحَضْرة ويُسلِّم الحِصْن إلى عامله ، فأجابه الناصر لدين الله إلى ما الْتَمَس مِن ذلك ، وأَخْرَج إليه يَحْيى ابن إسْحاق للنَظَر في شأنه وسَبْر طاعته ، وأَخْرَج معه يَحْيى بن زَكَرِيّا ابن أَنْتُلُه (3) في جَيْش ضَمّه إليهما لِحِماية عبد الرحمٰن ، إن عَزَم على الخُروج إلى الحَضْرة حَسَبَ ما الْتَمَسه ، فنَزَل يَحْيى بن إسْحاق أوّلًا على عُبَيْد الله بن فِهْر ، عامل السلطان بمالَقة ، وقدَّم ابن أَنْتُلُه نَحْوَ عبد الرحمٰن بحِصْن طُرُش خُشَيْن في طائفة مِن الحَشَم ، ليُعْلِمه مَكان ابن إسْحاق ويُعَرِّفه بما لَدَيْه ، فطَرَق ابن أَنْتُلُه الحِصْن بين العِشائَيْن في لَيْلة هائلة ، والأَقْفال قد ضُرِبَتْ ، فاستَفْتَح وتَعرَّف ، فلمّا فُتِح له اقْتَحَم بالحَشَم على عبد الرحمٰن مُنادِيًا بشِعار الخليفة الناصر لدين الله ، فاستَبْسَل عبد الرحمٰن بَيْن المُنْقاد والمغلوب ، وبادَر البُخوع بالطاعة ، وصبَّحه يَحْيى بن إسْحاق ، فاطْمَأَنَّ جأْشه ، وخَرَج معه إلى قُرْطُبة ، وأَسْلَم حِصْنه إلى ابن أَنْتُلُه ، فضَبَطه بالحَشَم وقدَّم عبد الرحمٰن بن عُمَر إلى / قُرْطُبة ، فأَمْضاه السُلْطان على استِئْمانه وشَمَله بإحسانه ووسَّع عليه في أَرْزاقه وأَنْزاله ، فأقام لَدَيْه بحال جميلة . 102

[خبر ثَغْر الجَوْف]

وفي جُمادى الأُولى وَسْط هذه السنة وافَت الأَخْبار مِن الثَغْر إلى الناصر لدين الله بتَهَيُّؤ الطاغية أُرْدُون بن أَذْفُونْش ، مَلِك جِلِّيقيّة ، لَعَنه الله ، للخُروج إلى تلك الناحية لانْتِهاز فُرْصة مِن المُسلِمين أهلـه ، على

(3) هؤلاء جميعا مذكورون في « تاريخ الناصر » ، رقم 35 . وابن زكريا هذا مذكور في ص ١١١ ، من هذا الكتاب على أنه عامل حصن « قشتره دكوان » المبني في عام 308 هـ . وفي « البيان » ج 2 ص 180 يسمى هذا الحصن بـ « قشتره ذكوان » (يجب أن يصلح الخطأ الوارد في « تاريخ الناصر » رقم 38 حيث يقول « وفيها بنى ذكوان حصن قاشتره ») ويحيى بن زكريا قد يكون هو يحيى بن أنتله المذكور في « المقتبس » ج 3 ص 128 ، بين أولئك الذين انفصلوا عن ابن حفصون حين

عادته ، واحْتِفاله في الاحْتِشاد لذلك والاستِعْداد لسَفَره ، فانْزَعَج لذلك [انْزِعاجاً] (١) شديدًا ، وأَمَر الوزير القائد إسْحاق بن محمّد المَرْواني بالخُروج إلى تلك الناحيــة في جَيْش كثيف جرَّده معه ، وخُوطِب القُوّاد والعُمّال والأُمَناء وغَيْرهم باستِنْفار الناس إلى ثَغْر الجَوْف وعَوْن إخْوانهم المُسلِمين على هذه المُعْضِلة ، وفَصَل القائد إسْحاق بن محمّد بالجَيْش نَحْو عَدُوّ الله أُرْدُون ، وكان قد تَحرَّك نَحْو بَلَد الإسلام .

فلمّا بَلَغه خُروج قائد الإسلام وانْجِفال الناس نَحْوه ونَفيرهم إليه ، خاف جَمْع المُسلِمين ، فنَكَص مُقَهْقِرًا إلى ما خَلْفَه ونَقَض غَزْوه ، فكفى المُسلِمين شَرّه ، وأقام الوزير القائد إسْحاق بِبَلَد الجَوْف مُدّة مُستظهِرًا على عِلْم خَبَر الطاغية ومَحْنه ما يكون منه ، فلمّا صَحّ عنده كُوعه عن الخُروج ، انصَرَف إلى قُرْطُبة .

وانبَعَث [بـ]هذه الغُصّــة من الناصر لدين الله عزيمــة صُلْبة على مُجاهَدة هذا الطاغية بنَفْسه والاحْتِساب في وَقْته بإعمال الغَزْو وبالصائفة إلى دار الكَفَرة جِلِّيقيّــة ، فشَرَع في ذلك لأوّل وَقْته ذلك ، وعَهِد بالنَظَر في أسْــبابه والاحْتِفال فيمــا يَجْمَعه من العَدَد والعُــدّة ، وأمَر بمُخاطَبة القُوّاد والعُمّــال بأقطــار الاندلس واســتِنْفار المُســلِمين لجِهاد أعْداء الله وتَرْغيبهم بالخُفوف نَحْوهم ، فنَفَذ عنه في ذلك كِتابه الطويل المشهور مِن إنشاء مُتقلِّد الكِتابة العُلْيا عبد الرحمٰن ابن الحاجب بَدْر بن احمد ، وكَتَب عنه ايضاً عبد الرحمٰن منشوراً أُهْتِف به على أهْل حَضْرته قُرْطُبة في مَسْجِدها الجامِع في الحَضّ على الجِهاد والاستِنْفار إلى الأعْداء ، ووالَوْا بقِراءته جُمَعاً مُتَوالية فثابَتْ نُفوس الناس / وتَحرَّكوا للجِهـاد ، وقَوِيَ 103

لعل هذا نفس ابنه ، ويذكر في عام ٣١٥ على انه عامل « قصر [illegible] » ، وفي عام ٣١٤ بعد مشاركته في الهجوم على قصبات « مورور » و « سهيل » و « منت نيس » عين عاملا على هذه القصبات ، انظر ص ٢١٧ و ص ٢٢٠ من هذا الكتاب .

(١) كلمة ساقطة نضعها نحن .

نَشـــاطهم لخُروجهم مع ســـلطانهم المَيْمون النقيبة وتَقدَّموا في الأعْداد والأُهْبة ، وانْتَسى بهم أهل الطاعة في سائر البِلاد ، فتَحرَّكت منهم جُموع جمـــة .

واستَعْمَل الناصر لدين الله التبريز بهذه الغَزاة بَعْثاً لعَزائم الناس ، فبَرَز لها أوَّل شَهْر ذي الحِجّة من هذه السنة ، ثُمّ لم يَفصُل حتّى انْقَضَتْ بكَمالها ، تَزْداد كلّ يوم أُهبة وتُوافِيه مِن المُجاهِدين طائفة وتَسْتَوْفي من تكامُل العَدَد طَبقات ، إلى أن كَمِلَتْ أُموره بحَسَب مَحَبّته ، وكان فُصوله لها في المُحرَّم سنةَ ثمانٍ وثلاث مِائة (1) .

(1) يضيف « البيان » ج 2 ص 175 هنا ما نصه « وفيها ولى الناصر محمد بن عبد الله الزجالي خزانة المال لتسع خلون من شهر رمضان . وفيها مات محمد بن سليمان بن وانسوس الوزير ، يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان ، وفيها مات حمدون بن بسيل » .

سنة ثمان وثلاث مائة

[غَزْوة مُونْش]

أَوَّل المُحرَّم فاتحتها يَوْم الاثنَيْن الثاني والعشرون (2) مِن شَهْر مايُه العَجَميّ .

[قال الرازيّ] : فيها كانت غَزْوة الناصر لدين الله المعروفة بغَزْوة مُونْش (3) إلى دار الحَرْب ، دمَّرها الله . غَزاها الناصر لدين الله بنَفْسه من الحَضْرة إلى أرض العَـدُوّ مُجـاهِدًا في سـبيل الله ، على ما تَرَكه بالمَوْسَطة خَلْفَه من دَغاوِل أهـل الخِلاف الصابِرين للعَصـا . فكانت غَزْوته هذه أوَّل غَزَواته بنَفْسه إلى أهل الشِرْك ، وكان فُصوله إليها بَعْدَ طُول تَلوُّمه على الاستِعْداد لها يومَ السَبْت لثلاث عشرة ليلة خلَتْ من المُحرَّم منها ، فاحْتَلّ مدينة الفَرَج ، المُسـمّاة وادي الحِجـارة ، يومَ السَبْت (4) لستّ بقِين من المُحرَّم منها ، وولّى يومَه ذلك سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ خُطّة الوِزارة ، فاستَعْمَله على مدينة الفَرَج ، واستَقْضى عليها

---

(2) م. « وعشرين » .

(3) هذا هو الرسم الدقيق الواضح المتكرر لاسم هذا المكان ، ولكن في « البيان » ج 2 ص 175 ، وفي « تاريخ الناصر » رقم 30 يرسم دوما « مويش » .

(4) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

محمّد بن مَيسور (5) ، ودَخَل منها بجُموع المُسلِمين إلى بَلَد أعْداء [الله] المُشرِكين ، فتَوسَّط بَيْضتهم وداس بسيطهم ، وبَلَغ قاصية أرضهم مُكتسِحاً ومُنتسِفاً ، فهَدَم منها حِصْن وَخْشَمة وحِصْن قاشتره مُورُش وما والاهما من المَعاقِل والأبْراج وكثيراً من الدِيارات والبِيَع .

وكان العِلْجان أُرْدُون ، صاحب جِلّيقيّة ، وشانْجُه ، صاحب بَنبلُونة ، قد اسْتَمَدّا بمن جاوَرهما مِن أهل تِلك الأطراف ومَن والاهما مِن أهل الكَفَرة ، وعَرِضا لعَسْكَر المُسلِمين ، فوَقَعَت الحَرْب بَيْنهم واشْتَدَّتْ ، فصَدَقهم المُسلِمون ببَصائر صادقة وعَزائم خالصة نافذة ، ولم يَكُ إلّا ساعة حتّى / كانت على المُشركين الدائرة التي هَدَّتْهم وبَدَّدَتْ شَمْلهم ، فجَعَل الله جُموع العِلْجَيْن اللعينَيْن افْرقة وكَثْرتهما إلى القِلّة ، وكانت هذه الوقيعة فيهم يومَ الثُلاثاء لستّ خلَوْن من ربيع الأوّل منها ، ونَجا من نَجا مِن الهزيمة إلى حِصْن مُونُش (1) ، فانْحَصَروا فيه وأُحِيط بهم حتّى هَلَكوا عَطَشاً ، فافْتُتِح الحِصْن عَنْوةً يومَ السَبْت لعشر خلَوْن من ربيع الأوّل منها ، واستُنْزِل أهله ومَن كان استَغْلَق فيه مِن قِبَل الكَفَرة ، فعُرِض مُقاتِلتهم على السَيْف وقُدِّموا للصَبْر بَيْن يدي الناصر لدين الله ، فقُتِل من قَوامِسهم ووُجوه فُرسانهم في المَوْقِف نَيْف على خَمْس مائة عِلْج ، وقَفَل الناصر لدين الله عن حَوْز ألبة ، فهَدَم في وَجْه صَدْره حِصْن مركش (2) وما اتّصل به من الحُصون ، واستمَرّ به السَيْر فدَخل إلى قُرْطُبة ، حَضْرته ، عزيزاً ظافراً ، وقد استَكْمَل في غَزْوته هذه مُقامه ثلاثة أَشْهُر .

وشَهِد هذه الغَزاة معه سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصون المُستأمِن إليه ، فأَبْلى فيها وبَرَز شَأْوه وارْتَفَع له ببَلائه فيها وصِدْق بأسه اسْم عالٍ

104

---

(5) نتبع هنا قراءة ما يرد في آخر ص 105 من هذا الكتاب لأن هذا الموطن من المخطوط ممحو بالتمام ، قد يكون «يسور» .

(1) كذا في الأصل انظر الصفحة السابقة الملاحظة 3 .

(2) في « تاريخ الناصر » رقم 36 « برَّلش » .

وصِيت بعيد ، انسَلَخ منه أثَرَ قُفوله بمُدَيْدة بالذي كان مِن ارْتِداده في غَيّه ولِحاقه بدار الخِلاف ، بُبَشْتر الرِدّة ، عِند قَتْل اهلها لأخيــه جَعْفَر اميرهم واستِدْعائهم له في السِرّ ، فنَكَث العَهْد وخَرَج عن قُرْطبة خِفْية ، فلَحِق بهم مَوْضِعاً في الغَواية فلم يُطِل الله أمَده (3) وكَبّه لوَجْهه حَسَبَ ما يجيء ذِكْره في مَكانه .

شَرْح عريب بن سعيد لخَبَر غَزْوة مُونْش (4) الذي أجْمَله الرازي

قال : بَرَز امير المُؤْمِنيــن الناصر لدين الله إلى غَزْوته المعروفة بغَزْوة مُونْش مِن دار الحَرْب ، دَمَّرها الله ، يومَ الخميس لثلاث عشــرة خلَتْ من ذي الحِجّة سنةَ سبع وثلاث مائة ، فتَلوّم في التَهيُّؤ لها وانْتِظار المُوافِين لشُهودها (5) إلى أن انْقَضَت السنة ، ثُمَّ فَصَل غازِياً مِن قصر الخِلافة بقُرْطُبة يومَ السَبت لثلاث عشرة خلَتْ مِن المُحرَّم ســنةَ ثمــانٍ وثلاث مائة ، وكان اليوم الثالث من شَهْر حَزِيران الشَمْسيّ ، وذلك بَعْدَ بُروزه بثلاثين يوماً ، وخلَّف في القَصْر بَعْدَه / ابنه الأكْبَر ، وَليّ عَهْده الحَكَم ، ومَن معه من الوُزَراء ، مِن صَفْوتهم موسى بن محمّد بن حُدَيْر . 105

فلمّا كان في اليَوْم الرابع مِن فُصوله ، وقد نَزَل بمَحَلّته بمَخاضة الفَتْح ، وَرَد عليه بها كِتــاب الفَتْح من عامل مدينــة الفَرَج ، المعروفة بوادي الحِجارة ، يَذْكُر فيه أنّ أعْداء الله المُشرِكيــن مِن أهل جِلّيقيّة ، دمَّرها الله ، أتَوْهم في جَمْع كثير ، فأغاروا على ما ألْفَوْه في بسيطهم من الدَوابّ والسَوائم ، ثُمّ أتَوْا حِصْنــاً لهم بقُرْبهم يُعْرَف بالقُلَيْعــة ، فأحْدَقوا به طامِعين في التَغلُّب عليهم ، فانْحَشَد إليهم جميع اهل البَلَد

(3) م. « املاه » .

(4) ان هذه الرواية مذكورة في « البيان » ج 2 ص 175 ـ 180 بتغييرات طفيفة وفي مخطوطنا هذا نقلنا هذه الرواية حتى ص 110 .

(5) م. « لشهوده » .

فارِســهم وراجِلهم وواضعوهم القِتال ، فأثْبَتوا بَصــائرهم ، فمَنَحهم الله أكْتافهم وأطال أيْدِيهم عليهم ، فقَتَلوا وأسَروا كثيراً منهم واتّبَعوهم مِن أوّل النَهار إلى آخِره ، والسـيْف يَعْمَل فيهم ، وبَعثــوا بجُمْلــة مِن رُؤوس أكابِرهم .

فاستَبْشَر الناصر لدين الله بما وَرَد عليه مِن ذلك وتَفاءَل باسْم المَحَلّة التي كــان فيهــا عِند وُرود الفَتْح عليــه . ونَهض امــًا لوَجْهه ، والحُشود والعَســاكِر تَتلاحَق به مِن أقْطــار الأندلس وجميــع جِهاتهــا ، فجَمْعه يَكْثُر وعَدَده يَجُمّ ، ونَزَل باب مدينــة طُلَيْطُلــة ، فخَرَج إليه صاحبهــا لُــبّ بن الطَرْبيشــة مُبادِراً إلى إرادته وغازيــًا معــه ، وهو في ذلك مُداجِـن يُظهِر طــاعة تَحْتَها مَعْصِيــة ، فمَضى معــه على سُقْم سريرته وتَنقــّل ، رَحِمــه الله ، بالعَســاكِر في مَناقِلــه حتّى نَزَل بمدينة الفَــرَج ، المُســمّاة وادي الحِجــارة ، وأهلها مُنْقــادون للطاعــة ، فنَظَــر في شأنهم وتَحرّى (1) مَصــالِحهم ، فعَزَل بَني سالِمة (2) عنهم ، إذ شَكَوْا إليه بهم ، واستَعْمَل عليهم مكانَهم سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ القائد ثِقته ، وقدَّمه في مَحَلّته هذه إلى خُطّة الوِزارة ، فأناله الذِرْوة وأخَذه بالغَزْو معه ، فاســتخْلَف الوزير ســعيد مكانَه على وادي الحِجارة ابن غزلان القُرَشيّ صِهْره ، واستَقْضى الناصر لدين الله (3) على وادي الحِجارة الفقيه محمّد بن مَيْسور (4) ، فصَلَحت أحوالهم وعَمّ الرِضا جميعهم ، وخَرَج للجهاد أكْثَرهم .

ونَهَض الناصر لدين الله عن وادي الحِجارة في جُيوش تَغَصّ بها السُبُل ويَضِيق عنها الفَضاء الأوْسَع ، حتّى احْتَلّ بثغْر مدينة / سالِم ، 106 فأظْهَر التَقدُّم إلى الثَغْر الأقْصى كِيادا للعَدُوّ ، وقَدّم المُقــدّمة لسبيله ،

---

(1) قراءة غير واضحة .

(2) في « البيان » ج 2 ص 176 « بني سالم » .

(3) في المخطوط يضاف هنا « سعيد » .

(4) في « البيان » ج 2 ص 176 « مسور » .

ثُمّ عرَّج بالجُيوش على سَنَنه إلى طريق ألبة والقِلاع وأغذّ السَيْر ، فطَوى مِن نَهاره ثلاث مَراحِل حتى احْتَلّ بوادي دُوَيْرَه ، فاضْطَرَبَت العَساكِر فيه وباتَتْ عليه ، ثُمّ أخْرَج في صَباح تلك اللَّيْلة الوزير القائد سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ في جَرائد الخَيْل وسُرْعان الفُرْسان إلى حِصْن وَخْشَمة ، فأسْرى مُغِذًّا للسَيْر حتّى قرُب مِن الحِصْن ، وسرَّح الخَيْل المُغيرة يَمْنةً ويَسْرةً ، والمُشرِكون بحال غِرّة في سُكون وغَفْلة ، إذ كان العِلْج المُتامِّر عليهم قد كاتَب الناصر لدين الله مُكايِدًا له يَسْألُه تَنكُّب بَلَده لمَواعِيد وَعْده بها عن نَفْسه ، أظْهَر له الإصغاء إليه مُنْطَوِياً على مِثْل الطَوِيّة ، وأرْسَل الخَيْل المُغيرة عليه ، فغَشِيَتْه وقَوْمَه على غِرّة ، فوَطِئَتْهم أثْقَل وَطْأة واصابوا سَوامهم ودَوابّهم سارِحة مُهْمَلة ، فاكْتَسَحوا جميعها وحَوَوْا ما للكَفَرة من مَعِيشة ونِعْمة ، وانْصَرفوا إلى العَسْكَر سالِمين أعِزّة .

فلمّا كان يوم الجُمعة لاثنتَيْ عشرة لَيْلة بقِيَتْ من صَفَر ، انْدَفَعَت الخَيْل في أكْمَل تَعْبئة وأهْذَب تَرْتيب وأثْقَف ضَبْط وأبْلَغ حَزْم إلى حِصْن وَخْشَمة ، فأصابوه خَلاء ، قد فَرّ عنه مَن (1) فيه ، وأضْرَموه نارًا ، وبات الناصر لدين الله في مَحَلّته لَيْلة السَبْت على وَخْشَمة .

ثم رَحَل عنها في اليوم الثاني إلى حصن قاشْتَرُه مُورُش (2) ، وهو شَنْت أشْتِيبَن ، بَيْضة الكَفَرة وقاعدة ثَغْرهم والمَوْضِع الذي [تَعوَّذوا فيه و] تَعوَّدوا (3) منه الاسْتِطالة على مَن أمَّهم (4) ومن طَرَقهم ، فلمّا رَأوا أوْلياء الله قد صَمَدوا لهم بَعْدَ إظهاره لهم على مَن قَبْلَهم نَخِبَتْ (5) قُلوبهم ، فأخْلَوا الحِصْن وخَرَجوا عنه هارِبين على وُجوههم ، فدَخَله المُسلِمون

---

(1) م. « ماء » .

(2) م. « مورس » .

(3) م. « تعودوه وأمنه » .

(4) م. « امامهم » .

(5) م. « بحيث » .

وغَنِموا جميع ما أصابوا فيه وخَرَّبوه ، وخرَّبوا حِصْن القَلْعة (6) المُجاوِرة له فلم يَتْرُكوا لأعْداء الله في ذلك الصُقْع نِعْمة يأْوُون إليها ، واضْطرَب العَسْكر بشَرْقيّ حِصْن قاشْترُه مُورُش وبات المُسلِمون فيها / بأسَرّ لَيْلة كانوا بها .

107

ثُمّ انْتَقَل الناصر لدين الله صَبيحةَ اليوم الثاني مِن مكان المُضْطَرَب بشَرْقيّ الحِصْن إلى غَرْبيّه ، ولم يَكُنْ بين المَوْضِعَيْن إلّا قَدْر مِيل ، فكَسَر العَسْكَر في ذلك المكان يوم الأَحَد مُتقصِّياً لآثار الكَفَرة مُعَفِّياً على ما بهم مِن بَقيّة نِعْمة ، ثُمّ ارْتَحَل إلى مدينة لهم أَوَّليّة (1) تُسَمّى قُلُونِية ، كانت مِن أُمَّهـات مُدُنهم القديمة ، فلم تَمُرَّ الجُيوش إليها إلّا على قُرى مُنتظِمة وعِمـارات مُنبسِطة ، فغَنِمت جميع ذلك ودمَّرت عليه وقَتَلَتْ مَن أَدْرَكت مِن عامِريه ، حتّى أَوْفَتْ على المدينة وأَلْفَتْها خالية ، قد شَرَد عنها أهلها وفَرّوا إلى الأَجْبُل الشُمَّخ المُجـاوِرة لها ، فقَسَم المُسلِمون مـا غادَروه منهـا واجْتَمَعَت أَيْدِيهم على تَخْريب دِيارها وكَنائسهـا . وكَسَر الناصر لدين الله عليها ثلاثة أيّام مُطاوِلاً لنِكـاية المُشرِكين ، مُتقصِّيـاً انْتِساف نِعْمتهم .

ثُمّ ارْتَحَل عن قُلُونِية يوم السَبْت لخمس بَقِينَ من صَفَر منها ، آمًّا ثَغْر تُطيلة قاصية الثَغْر الأعْلى ، مُصْرِخاً المُسلِمين مِن أهله ، إذ كان العِلْج شانْجُه بن غَرْسيّة البَشْكُنْسيّ صـاحب بَنْبَلُونة ، دمَّرها الله ، قد والى الخُروج إلى بَلَـدهم ، فضَيَّق عليهم وتَردَّد بكَفَرته عليهـم ، فأَخَذ الناصر لدين الله بالرِفْق في ارْتِقائه إلى ما هُنالِك لِئَلّا (2) يُعذِّب المُسلِمين وظَهْرهم تَحْتَ السَـيْر مع اتِّصـال السَفَر وبُعْد مَداه ، واسـتَقْبَل قَطْع المَفاوِز الأَعْظَم مُسـايِراً لوادي دُوَيْرُه الأَشْأَم ، وقَطَع ذلك في خمس

(6) في « البيان » ج 2 ص 177 « القبيلة » .
(1) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 177 ، م. « ازليه » .
(2) م. « ليلا » .

مَحَلّات حتّى احْتَلّ حَوْزة تُطِيلة ، فقدّم الخَيْل مع محمّد بن لُبّ اميرها إلى جِصْن قَلَهُرّة الذي (3) كان اللعين شانْجُه اتَّخَذه رِباطا على اهلها ، فلمّا ان قَصَدَتْه الخَيْل أخْلاه العِلْج وزال عنه ، وفَرّ منه مَن كان فيه مِن الكُفّار ، فضَبَطه المُسلِمون وغَنِموا ما كان فيه بأسْره ، ونَهَض الناصر لدين الله على أمَّه إلى حِصْن قَلَهُرّة ، فنَزَل عليه بمَحَلّته وكَسَر يومَيْن بفِنائه جامعاً لأيْدِي المُسلِمين على تَخْرِيبه وتَدْميره ، فاجْتَهَدوا في ذلك حتّى عَفَّوْا عليه ، وتَرَكوه كَأنْ لم يُغْنَ بالأمْس ، وانْتَسَفوا كلّ ما كان حَوالَيْه .

108 / ثُمّ رَحَل الناصر لدين الله بالجُيوش يومَ الأحَد لأربع خلَوْنَ من ربيع الأوَّل إلى ذِي شَره ، فأجاز إليها وادي إبْرُه (1) ، فخَرَج شانْجُه اللعين من حِصْن أرْنِيط (2) في جُموعه مُعترِضاً لمَن كان في مُقدَّمة العَسْكَر ، فتَبادَر إليه ابطال المُسلِمين (3) تَبادُر رَشْق السِهام ، فلم يَكُ إلّا كَلا (4) حتّى انْهَزَم الكَفَرة مُوَلّين الدُبُر ، ورَكِبَتْهم الخَيْل تَقْتُل وتَجْرَح ، حتّى تَوارَوْا بالجِبال ولاذوا بالشِعاب ، وحاز المُسلِمون كثيراً من رُؤوسهم ، تَلقَّوْا بها خليفتهم الناصر لدين الله رافِعين لها على أسِنّتهم ، ولا عِلْمَ عنده للمَعْرَكة التي دارَتْ بَيْن أعْداء الله وبَيْنهم ، فدارت الدائرة لهم ، واضْطَرَب العَسْكَر بهذا المَوْضِع ، فبات المُسلِمون فيه أوْدَع مَبِيت ظاهرين على عَدُوّهم ، مُنبسِطين في قُراهم ومَزارِعهم .

ووَرَد الخَبَر على الناصر لدين الله باجْتِماع العِلْجَيْن شانْجُه وأُرْدُون ، مَلِكَي النَصْرانيّة ، مُشْتَكِيَيْن لبَثّهما به ، واسْتَمَدّ بَعْضهما ببَعْض ، طامِعين في اعْتِراض مُقدَّمة المُسلِمين وانْتِهاز فُرْصة فيمَن في ساقتهم ، فانْزَعَج لذلك وأمَر القُوّاد وأصحاب الحَشَم بتَعْبئة العَساكِر وإقامتها على حُدودها وضَبْط أطرافها ، ثُمّ نَهَض بها على تَمام تَعْبئتها التي ارْتَضاها مُوغِلاً

---

(3) م. « الذين » .

(1) م. « ايره » .

(2) م. واضح تماما على أنه « رقيط » .

(3) م. « المسلمون » .

(4) تعبير أندلسي لم يثبته « دوزي » وهذا التعبير يرد في مواضع أخرى من كتابنا .

بها في بِلاد الكَفَرة مُستقدِمًا إلى مَكان مُجتمَعهم ، فأَطَلّوا عليه من كُدًى مُشرِفة وأَجْبُل منيعة ، ودَنَتْ منها كَتائب تَعرَّضوا لمَن في أطراف العَسْكَر ، وجَعَلوا يُوَلْوِلُون ويَتصــايَحون كَيْما يُدْهِشوا مَن يَسْمَعهم ويُضْعِفوا مِن قُلوبهم ، والدَهَش بَيِّن عليهم ، فعَهِد الناصر لدين الله إلى الناس بالوُقوف بمَكانهم ، وأَمَرهم بالنُزول والإناخة وإرســاء المَحَلّة وإقامة الأَبْنِية ، ففَعَلوا ذلك وابْتَدروا النُهوض إلى محــارَبة الكَفَرة ، وقد أَسْهَلوا من تلك الأَجْبُل واهْتَدَوْا إلى القِتــال وخالَطوا من سَـبَق إليهم ، وانْصَبّ عليهم حُمــاة حَشَم الناصر لدين الله وأبطــال الثَغْر يَضَعــون أَسْلِحتهم فيهم ويُمْطِرون مَزارِقهم عليهم ، فحَمِيَ الوَطيس بَيْنهــم ، ولم يَكُ إلّا كَلا (4) حتّى انْهَزَم المُشرِكون ، لا يَلْوُون على مَكــان / مُضْطَرَبهم ولا يَهْتَــدُون لوَجْه مُنْقَلَبهم ، والمُسلِمــون على آثارهم يَضْرِبون وُجوههم وأَدْبارهم ويَقْتُلون مَن لُحِق منهم ، حتّى حَجَز الظَلام بَيْنهم .

ولَجأ عِند الهزيمة مِن فَلّهــم أَزْيَد من خمس مِــائة عِلْج إلى حِصْن مُونش ، راجين التَمنُّع فيه ، فأمَر الناصر لدين الله بتَقْديم المِظَلّ وأَبْنِية العَسْكَر إلى ســاحة (1) الحِصْن والحُلول به والإحاطة بجِهــاته ، فابْتَدر المُسلِمــون ذلك ، وحُورِب الكَفَرة داخِلَــه حتّى تُغُلِّب على الحِصْن ، فاستُخْرِج جميع العُلوج منه وقِيدوا أَسْرى إلى الناصر لدين الله ، فضُرِبَتْ رِقاب جميعهم بَيْن يَدَيْه ، وأُصِيب في الحِصْن والمَحَلّة التي هَرَب منها (2) الكَفَرة ، وكانت بالقُرْب منه ، من الأَمْتِعــة والأَبْنِيــة والحِلى الفاخِرة والآنية ما لا يُحْصَى كُثْره ، وأُصِيب مِن خُيولهم نَحْوُ أَلْف وثلاث مائة فَرَس ، فتَجلّى له الفَتْح في مُونْش غَلَب اسمه على الغَزاة فنُسِبَتْ إليه .

وكَسَر الناصر لدين الله في هذه المَحَلّة المَيْمونة أربعة أَيّام ، يُغَيِّر جميع ما حَوالَيْها مِن نِعَم المُشْرِكيــن ويَهْــدِم دِيارهم ويَحْصِد مَزارِعهم

109

---

(1) م. « ساقة » .

(2) م. « عنها » .

ويقطَع أَشْجارهم ، ثُمّ انتَقَل مِن هُناك يوم الأَحَد لإحدى عشرة لَيْلة خَلَتْ مِن ربيع الأَوَّل مِنها إلى حِصْن كان قد اتَّخَذ[ه] شانْجُه بن غَرْسيّة رِباطاً على أهل حِصْن نقيرة (3) ، فأَلْفاه خالياً ، قد فَرّ منه (4) أهله ، فأَمَر بِهَدْمه فأُلْحِق أَعْلاه بأَسْفَله ، ولم يَبْرَح الناصر لدين الله من مَحلّته هذه حَتّى انْتَقَل إلى حِصْن بقيرة (5) من أَطْعِمة الكَفَرة أَلْف مُدي تَقْوِيةً لأهله .

ثُمّ انْتَقَل إلى حُصون المُسلِمين بالجِهة ، يَسْتَقْرِيها بمُشاهَدته وَيشُكّها بقُوّته ويَنْظُر في مَصالِح أهلها بتَدْبيره ، كُلّما أَلْفى قُرْبَها للمُشْرِكين مَعْقِلاً هَدَمه وأَحْرَق بسيطه ، حتّى لقد اتّصَل الحَريق في بِلاد المُشْرِكين عشرة أيّام (6) في مِثْلها ، واجْتَمَع عِند الناس مِن الأَطْعِمة ما أَسْرَفوا في تَبْذيره وعَجِزوا على ذلك عن احْتِماله ، ولم يَجِدوا بَيْنهم مُشْتَرِياً لهم ، فكان القَمْح (7) الفاخر يُبْذَل بَيْنهم ستة أَقْفِزة بدِرْهَم فلا يُوجَد (8) مَن يَشْتَرِيه ، فأَمَر الناصر / لدين الله فجُمِعَت الأَطْعِمة كلّها عند الرحيل وأوقِد عليها حتّى أُحْرِقَتْ بأَسْرها . 110

وقَفَل الناصر لدين الله آخِرَ ذلك كلّه عن دار الحَرْب عزيزاً ظافراً يوم الثُلاثاء لثلاث بقِينَ من ربيع الأَوّل منها ، حتّى انْتَهى إلي مدينة أَنْتشية (1) من ثَغْر مدينة سالِم الخَرِبة ، فكَسَر بها يوماً ووَصَل رِجالَ الثَغْر وحَمَلهم وكَساهم وأَذِن لهم في الرُجوع إلى مَواطِنهم ، وقَدّم الى قُرْطُبة من رُؤوس الكَفَرة التي أُصِيبَتْ في المَعارِك المذكورة أَعْداداً

---

(3) في « البيان » ج 2 ص 179 « بَقيْرة » .

(4) م. « عنه » .

(5) م. « نقيرة » كما جاء من قبل . أصلحناه اعتمادا على « البيان » ج 2 ص 179 ، لأننا نعتقد أنه موضع آخر .

(6) كذا في الأصل . وفي « البيان » ج 2 ص 179 « أميال » .

(7) م. « الفتح » .

(8) م. « يجد » .

(1) م. « انتينه » وفي « البيان » ج 2 ص 180 « انتيشة » .

عظيمة ، حتّى (2) عَجِزت الدَوابّ عن اسْتِيفـاء حَمْلهـا ، فرُفِعَتْ فوق الخَشَب حَوالَي المدينة .

ووَصَل الناصر لدين الله إلى قَصْر قُرْطُبة في قُفوله هذا يومَ الخميس الثالث عشر من ربيع الآخِر ، وقد استَكْمَل في غَزاته هذه تِسعين يوماً (3) .

مَقْتَل المارق جَعْفَر بن عُمَر بن حَفْصون ، صاحب قَلْعة بُبَشْتر ، عُشّ الضَلالة ومَصِير أخيه سُلَيْمان بن عُمَر مكـانَه ، فارًّا مِن مَصـافّ السلطان بقرطبة ، ناكثاً للعَهْد ، خالِعـاً للطاعة ، وسُرْعة النَبْذ إليه

وفيها في لَيْلة الأَحَد لثلاث عشرة خَلَتْ مِن جُمـادى الآخِرة منها قَتَل الله المارق جَعْفَر بن عُمَر بن حَفْصون ، عميد أهل الضَلالة ، صاحب مدينة بُبَشْتر ، قاعدة الخِلاف ، قُتِل داخِلَها غِيلةً ، فدَخَلها أخوه سُلَيْمان ابن عُمَر ، البَطَل المُطَّارِد [ذِكْره] قُدّامُ ، المُستأْمِن إلى سلطان الجَماعة ، في اليوم الثاني يومَ الاثنَيْن وَقْتَ الظُهْر لأربع عشرة خَلَتْ مِن جُمادى الآخِرة ، بالطائر المَشْؤوم ، فأَدْخَلوه وأَمَّروه مكانَ أخيه ، فملَكهم وقام مَقامه .

وكان الذين قَتَلوه رِجال والِده من النَصْرانيّة العَجَم الذين هُمْ أعَزّ الفريقَيْن لدَيْه ، تَوَلّاه منهم المعروف بِرُذْمِير ، وكان سَبَب ذلك أنّه كـان يُسِرّ الإسلام ويَكْتُم ذلك في حَياة والِده المُرْتَدّ عُمَر ، فلمّا صـار الأَمْر إليه أَظْهَر أثَرة المُسلِمين والانْحِراف إليهم ، فنَقِم النَصارى ذلك عليه ، ودبَّروا اغْتِيـاله ، فدَخَلوا عليه قَصْره وقَتَلوه وبادَروا باستِدْعاء أخيه سُلَيْمان ، غَرّوه (4) من عَسْكَر السلطان بقُرْطُبة ، فاستَجاب لهم وخَرَج

---

(2) يضيف المخطوط هنا « لا » بينما في « البيان » ج 2 ص 180 « لقد » .

(3) يضيف « البيان » ج 2 ص 180 هنا ما نصه « وفى هذه السنة بعد القفول، عزل الناصر محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة العليا ، وولى دريا مولاه . وفيها ولي العرض عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي » .

(4) م. « غزوة » .

111 من قُرْطُبة سريعاً / مُستخْفِياً بخُروجه ، فلم يُعْلَم به ، ولَحِق بالكَفَرة ، فأمَّروه واجْتَمَعوا عليه فأظْهَر الاستِمْساك بالطاعة . وكان الخليفة الناصر لدين الله يَعْرِف مَذْهَبه في الْتِزام الطاعة ، فأقَرّه وأسْجَل له ، فلم يَلْبَث أن نَكَث عَهْده فنَبَذ إليه .

وفيها افْتُتِحَت المَيْدات بحَـوْز قَرْطَبـة (1) من كُورة رَيّه ، وبَنى السلطان هنالك حِصْن قَشْترُه دكْوان (2) وأدْخَل فيها يَحْيى بن زَكَرِيّا بن أنْتَلُه بالحَشَم والعُدّة .

وكانت العَنْصَرة في هذه السـنة يومَ السَبْت الرابع من صَـفَر ، والنَوْرُوز فيها لأوَّل يوم مِن يَنَّيْر العَجَميّ منها ، يوم الاثنَيْن السابع عشر من شَعْبان منها ، انْقَضت السنة ثمانٍ وثلاث مِائة .

---

(1) في « البيان » جـ 2 ص 180 « والمندات بحذو قرطبة » و « قرطبة » هو رسم قديم لبلدة « قرطمة » .

(2) في « البيان » جـ 2 ص 180 وفي « تاريخ الناصر » رقم 38 « ذكوان » .

سنة تسع وثلاث مائة

[غَزْوة طُرُّش]

فيها غَزا الناصر لدين الله أهل الخِلاف بكُورة رَيّه غزاته المعروفة بطُرُّش ، بَرَز لها يومَ الخميس لسبع خلَوْن من ذي الحِجّة سنة تسع وثلاث مِائة ، وكانت اليوم العاشر من أيّار (3) ، فتَهيَّأ لها وتَعبَّا ، وفَصَل من قَصْره بقُرْطُبة غازياً يوم السَّبْت لثمانٍ خلَوْن من المُحرَّم من هذه السنة ، وهو العاشر من حَزِيران بعد (4) بُروزه إلى أَحَد وثلاثين يوماً .

وتَخَلَّف في القَصْر كبير وُلْده ووَليّ عَهْده ، الحَكَم ، (5) فصار في احْتِفال من جُيوشه وطَبقات رِجاله حتّى احْتَلّ على حِصْن طُرُّش المذكور ، وكانت النَصْرانيّة ناقضة عَهْد الذِمّة قد انْحَشَدَتْ إليه وتَحصَّنَتْ فيه . فأَحْدَقَت العَساكِر به من جميع جِهاته ، فأمَر الناصر لدين الله بمُناهَضتهم والجِدّ بهم والتَضْييق عليهم ، فأَبْلَغوا في ذلك ونَصَبوا المَجانِيق على

---

(3) هذا التأريخ والتأريخ الذي يليه لا يتوافقان مع اليومين المذكورين في المخطوط من سنة 309 .

(4) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 180 ، م . « نفذ » .

(5) قد سقط من هنا ذكر الحاجب وصاحب المدينة المدبرين للدولة اثناء غياب الخليفة .

مُرتقى لهم تَصِل منه حِجارتها إلى الكَفَرة ، وكانوا في أوّل المُنازَلة لهم يَبْرُزون إلى الحَرْب ويُظهِرون المُدافعة عن حريمهم ، حتّى عَضَّتهم الحَرْب فمَزَّقَتْهم وفَلَّلَتْ غَرْبهم ، فبادَروا بالاستِغلاق في داخِل حِصْنهم ، وتمادى التَضْييق عليهم والإحاطة بهم حتّى أخَذهم الجَهْد وأشْفَوا على الهَلاك ، فاستَغاثوا الناصر لدين الله ضارِعين اليه في تأمينهم على أن يُسْلِموا الحِصْن .

ثُمّ هُدِمت قِصابه وحُطّت أسْواره وأُلقِيَت أحْجاره في النَهْر ، وأمَر فبُنِيَ / مَوْضِعَ الكنيسة فيه مَسْجِد جامِع ، ونَظَر الناصر لدين الله أيّامَ 112 مُقامه على مُحاصَرة حِصْن طُرُّش في تَوْجيه القُوّاد في [عَدَد] كثيف من الأجْناد إلى حِصْن بُبَشْتر ، قاعدة الضَلالة ، وحِصْن أقُوط وجَبَل الحِجارة وما بَينهـا من أعمـال الناكث سُلَيمـان بن عُمَر بن حَفْصون الناصب للتَضْييق عليهم والانتِقـاص مِن أعْدادهم ، فاجْتَهَـدوا في ذلك ، ثُمّ قَفَل الناصر لدين الله من مَحلّته على حِصْن طُرُّش يوم الاثنَيْن لأربع عشرة لَيلة خلَتْ من ربيع الأوّل منها ، فدَخَل قَصْر قُرطُبة يوم الخميس لثلاث عشرة بقِيَتْ منه ، وقد استَتَمّ في غَزاته تسعة وستّين يوماً .

[رِواية الرازيّ لغَزْوة طُرُّش]

وزَعم احمد بن محمّد الرازيّ أنّ فَتْح حِصْن طُرُّش جَرى بَعْدَ قُفول الناصر لدين الله عن غَزْوته هذه ، وأنّه لمّا أخَذ بمُخَنَّق أهله وأبْطَأ عليه فَتحه وتاق إلى القُفول الى حَضْرته ، أبْقى الوزير القائد سعيد بن المُنْذِر في مُعظَم الجَيْش على حِصاره ، ورَجَع هو إلى دار مُلْكه ، فشَدّ سعيد حَصْر أهل طُرُّش ولم يَزَل يَقتُل واحدًا منهم ويأسِر [آخَر] ويُوالِي حَرْبهم ، حتّى دَعَوْا إلى الطاعة مُذْعِنين وأرسَلوا رُسُلهم في الْتِماس الأمان إلى الناصر لدين الله ، فأخْرَج إليهم لتأمينهم واستِنْزالهم أفْلَح صاحب الخَيْل مَوْلاه ، فنَزَلوا على يَده فتَلَقّاهم بأمان الناصر لدين الله الذي بَذَله لهم ،

فأسْلَموا الحِصْن ولَحِقوا بالجَماعة واعْتَصموا بالطاعة ، وأُلْحِق من رِجالهم في دِيوانِ الجُنْد مَن استَحَقّ الإلْحاق وشُهِر بالبأس ، وكان منهم سَيِّد [بن] ابيه (1) ، اخو عُمَر ، المعروف بالضَبِّيّ ، وخَيْر الحَدّاد . وأَمَر الناصر لدين الله بإخراب حِصْن طُرُّش وتَسْوِيتِـه بالأرض فصُيِّر قاعاً صَفْصَفاً .

[استِنْزال بعض العُصاة]

وفيها استَنْزَل الناصر لدين الله مِن أهل الخِلاف بالمَوْسَطة بَني سعيد بن ناصِح ، المعروفين ببَني مَسْتَنة (2) ، مِن حُصونهم بكُورة باغُه ، المعروفة بربوش (3) وعالبة وبَناتها ، واستَنْزَل بَني مُهَلَّب من حُصونهم فيها ايضاً المعروفة بقَرْدَيْرة (4) وأُشْبَرَّغَيْرة وغَيْرهما ، واستَنْزَل موسى ابن يَزِيد ، اخا جِمْصيّ ، من الصُخَيْرة المعروفة بجِمْص / وهَدَم جميعها . 113

[وَفيات]

وفيها تُوُفِّيَ الحاجب ابو (1) الغُصْن بَدْر بن أحمد ، مَوْلى الناصر لدين الله ، المُدبِّر (2) لدَوْلته لَيْلةَ الجُمعة لسِتّ خلَوْن من رَجَب منها ، فوَلِي الحِجابة بمكانه الوزير موسى بن محمّد (3) بن حُدَيْر ، وقد مضى ذِكْر ذلك في خَبَر بَدْر .

---

(1) من المحتمل ان يكون سيد [بن] ابيه هذا اخا عمر بن ابيه المذكور في ص 98 .
(2) راجع « المقتبس » ج 3 ص 27 خاصة حيث تذكر ثورة سعيد بن وليد بن مستنة .
(3) في « البيان » ج 2 ص 181 ، وفي « تاريخ الناصر » « ربرش » ، وفي « المقتبس » ج 3 ص 27 « لقونش » .
(4) في نفس المصادر المذكورة سابقا وفي « الجمهرة » لابن حزم ص 501 « قرذيرة » .

(1) م. « ابا » .
(2) نتبع قراءة « تاريخ الناصر » رقم 41 ، م. « المدير » .
(3) في « البيان » ج 2 ص 182 « موسى بن احمد » .

[وُفود ابن أَضْحى صاحب حِصْن الحامّة]

قال : وفيها وَفَد محمّد بن أَضْحى بن عبد اللطيف بن خالِد المُلقَّب بالغريب ابن يَزِيد بن الشِمْر الهَمَدانيّ ، صاحب حِصْن الحامّة ، على الخليفة الناصر لدين الله وهو يُنازِل حِصْن طُرُّش مُستأمِناً إليه باخعاً بالطاعة ، وجاء معه ابنه أحمد بن محمّد ، وكان من أَحْسَن الناس وَجْهاً وأشْهَمهم نَفساً وأَفْصَحهم لِساناً وأَوْسَعهم أَدَباً ، فأَجْمَل الناصر لدين الله لِقاءهما وأَحْسَن تَقبُّلهما وأَغلى مَنازِلهما ، فأَجْزَل إعطاءهما ، فقام أحمد ابن محمّد يَوْمئذٍ في مَلأ الناس خطيباً بين يَدَيْه فحُفِظ من كَلامه : « الحَمْد لله الذي احْتَجَب بنُور عَظَمته عن أَبْصار بَرِيّته ، الدالّ بأَحْدَث خَلْقه على أَزَليّته ، المُنفرِد بما أَتْقَن من عَجائِب دَهْره وشَرَع من سُنَن رُسُله ، وأَشْهَدُ أن لا إله إلّا الله وَحْدَه ، لا شريكَ له ، إقرارا لإلٰهيّته وخُضوعاً لرُبوبيّته ، وأَشْهَد أن محمّداً عَبْده الأُمّيّ ورَسُوله المَكّيّ ، انْتَخبه من أَكْرَم الأرومة ، واصْطَفاه من أَطْيَب البُيوتات (4) ، وحَباه بأَبْهَر الآيات ، ثُمّ قَبَضه الله واخْتار له ما لَدَيْه ، فصَلَوات الله ومَلائكته عليه وسلَّم تَسْليماً . ثُمّ إنّ الله، تَبارَكَت أَسْماؤه وتَقدَّسَتْ آلاؤه ، جَعَل الخِلافة في أهل بَيْته ، فكان منهم أَئِمّة مُهْتَدُون يَقْضُون بالحَقّ وبه يَعْدِلون ، وجَعَل الله الأمير سَيِّدنا وارِث ما خَلَّفوه وباني ما أَسَّسوه وواعي ما حَفِظوه ، حتّى أَمَّن به [المَمالِك] وأَمَّن به المَسالِك ، وسَكَن إليه الخائف ، وكَبّ الجامِح ، رَحْمةٌ مِن الله لعِباده أَلْبَسه كَرامتها وطَوَّقه فضيلتها ، والله يُؤْتي فَضْله من يَشاء ، والله ذو الفَضْل العظيم (رجز) :

اَللهُ أَعْطَاكَ ٱلَّتِي لَا فَوْقَهَا ،
وَقَدْ أَرَادَ ٱلْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلَّا سَوْقَهَا
إِلَيْكَ حَتَّى قَلَّدُوكَ طَوْقَهَا

---

(4) م. « البيتوتات » .

114 ثمّ أتى عبد / الأمير ، أيّده الله ، الناشئ في نِعْمته المُنْخَلِع في مَحَبّته ، فأدّتْ بي سِمة أخَذَتْ بضَبْعي ، ورَفَعَتْ ناكِس طَرْفي وأحاطَني (1) مِن الاعتراف ما يُعْجَز عن بُلوغ مَدى صِفته التي تَحْسُر بَلاغة المُنْتَظِم في أساليب مَجْده . ماذا عَسى قائل [أن] يُثْني عليك ، وقد ناداك في الوَحْي تَقديس وتَطْهير ، وقد قُلْتُ فيك ، أيُّها الأمير ، مَقالاً شرَّفْتُه بذِكْرك وأزْهَيْتُه بسَناء مَجْدك ، فأنْعِمْ باسْتِماعه بكَرَمك (طويل) :

أيَا مَلِكٌ تَزْهَى بِهِ قُضُبُ ٱلْهِنْدِ
إذا لَمعَتْ بَيْنَ ٱلْمَغَافِرِ وَٱلسَّرْدِ

وَمَنْ بَأْسُهُ فِي مَنْهَلِ ٱلْمَوْتِ وَارِدٌ
إذَا أنْفُسُ ٱلأبْطَالِ كَعَّتْ عَنِ ٱلْوِرْدِ

وَمَنْ أَلْبَسَ ٱللهُ ٱلْخِلَافَةَ نِعْمَةً
بِهِ فَأتَتْ نُعْمَى (2) فَجَلَّتْ عَنِ ٱلْعَدِّ

تَجلّى عَنِ ٱلدُّنْيَا فَجلّى ظَلامَهَا
كَمَا ٱنْجلَتِ ٱلظَّلْمَاءُ عن قَمرِ ٱلسَّعْدِ

إمَامُ هُدًى زِيدَتْ بِهِ ٱلْعُرْبُ بَهْجَةً
مُلَبَّسَةً نُورًا كَمَوْشِيَّةِ ٱلْبُرْدِ

فَلَوْ نَظَمَتْ مَرْوَانُ فِي سِلْكِ فَخْرِهَا
لأصْبَحَ مِنْ مَرْوَانَ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ

كَفَانِي لَدَيْهِ أنْ جَعَلْتُ وَسِيلَتِي
ذِمَامًا شَامِيَّ ٱلْهَوَى مُخْلِصَ ٱلْوُدِّ

يُؤَكِّدُ مَا يُدْلِي بِهِ مِنْ شَهَامَةٍ
بِبَأْسِ أبِيهِ (3) عَبْدِكَ ٱلْفَارِسِ ٱلنَّجْدِ

فَتًى مَنْ رَآهُ وَٱلرِّمَاحُ شَوَاجِرُ
وَخَيْلٌ إلَى خَيْلٍ بِأبْطَالِهَا تَرْدِي

---

(1) م. « أجابني التي » .
(2) م. « النعمى » وهذا يكسر الوزن .
(3) كلمة غير منقوطة .

رَأى أَسَـدًا وَرْدًا يَخُبُّ إِلَى ٱلْوَغَى
وَرُبَّتَمَـا أَرْبَى عَلَى ٱلأَسَـدِ ٱلْـوَرْدِ
فَأَنْعِمْ عَلَيْـهِ فِيَّ يَـا خَيْرَ مُنْعِـمٍ
بِإِظْهَـارِ تَشْرِيفِي وَعَقْـدٍ عَلَى جُنْدِ
وَلَا تُشْمِتِ ٱلْأَعْدَاءَ أَنْ جِئْتُ قَاصِدًا
إِلَى مَلِكِ ٱلدُّنْيَا فَأُحْرَمَ فِي قَصْـدِي
فَعِنْدَ ٱلْإِمَـامِ ٱلْمُرْتَضَى كُـلُّ نِعْمَـةٍ
وَشُكْرُ ٱلَّذِي يُولِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ عِنْدِي
فَلَا زَالَ فِي ٱلدُّنْيَا سَـعِيدًا مُوَقَّرًا
وَبُوِّئَ فِي دَارِ ٱلْعُلَا جَنَّـةَ ٱلْخُلْـدِ

فأُعجِب به الخليفة وأَدْنى مَنْزلته وأَوْسَع جائزته وأَسْنى خِلْعته ، وعَقَد له على جُنْد بِدِمَشْق الشاميين ، وصَرَفه مع أبيه إلى الحامّة حِصْنها ، فاعْتَلى بَعْدُ قَدْرهما في الدَّوْلة ، واستَقْدَم الخليفة الناصر لدين الله أحمد إلى قُرْطبة ، / فاستَعان به في مُهِمّ أُموره وصَرَفه في وِلاية الأعْمال السُلْطانيّة ، ووَلّاه كُورة جَيّان ، فجَرَتْ له فيها النادِرة المشهورة مع العريف المعروف بالقَلْفاط ، وكانت له من الناصر لدين الله مَنْزِلة يُرْسِله لها في الأُمور المُهِمّة ، فأخْرَجه إلى أحمد بن محمّد بن أَضْحى إلى جَيّان ، مُحرِّكاً له في استِعْجال حَدْر (1) الخَشَب المُستقْطَع لمَبانيه مِن تبنشكه عَمَله ، مُعِيناً على حَدْرها في النَهْر وَقْتَ مَدّه ، فتَعَجْرَف على ابن أَضْحى وانْبَسَط عليه وارْتَقى إلى شَوْكته في نَظَره ، واستَبَدّ عليه بكثير منه ، ثَناه عنه ابن أَضْحى وكَفّه ، فأَغْلَظ الرَدّ عليه ، فانْبَعَثَت أَنَفة ابن أَضْحى ، وأَبَتْ له نَفسه احْتِماله ، فبَطَش به ، وساطه مائة سَوْط ، وهَمّ بقَتْله ، فهَرَب عنه ، وكثَّر عليه عِند الناصر لدين الله ، فأَغْضَبه وهَمّ بعِقاب ابن أَضْحى ، حتّى فَثَأ مِن غَضَبه عليه الوزير عبد المَلِك بن جَهْوَر ، وكان

115

(1) م. « جدر » .

مُغتَبِناً بابن أَضْحى ، مُحترِساً بمكانه لدى السُلْطان ، فأسلك خَبَر القلفاط عِنده سبيل النادرة وأنْشَده فيها أبياتاً هَزْلِيّة منها (كامل) :

داوَي آبْنُ أضْحَى هَامَةَ آلْقَلْفَاطِي
بِعَقَــاقِرٍ لَــمْ تَــأْتِ عَنْ بُقْــرَاطِ
دَاوَاهُ مِنْ بَـــرْدٍ عَلَى يَافُوخِـــهِ
بِعِصَــابَةٍ كَآلنَّــارِ مِنْ أَسْــوَاطِ

وأَضْحَكَ الناصر لدين الله واحْتَمَلها لابن أضْحى . وإنّما سُمِّيَ جَدّهم خالِد بن يَزِيد الغريب لإنّه أوّل مَوْلود مِن الشاميِّين وُلِد بكُورة إلْبيرة .

سنة عشر وثلاث مائة

[غَزْوة مُنْت رُوي]

فيها كانت غَزْوة الناصر لدين الله الى كُورة إلْبيرة من المَوْسَطة ، وهي غَزاته المُسمّاة بمُنْت رُوي ، بَرَز لها يومَ الخميس لثلاث خلَوْن من ذي الحِجّـة سـنةَ تسع وثلاث مائة المُنصرِمة ، وكان اليوم الرابع من نَيْسان الشَمْسيّ ، وفَصَل غازياً لها من قَصْره بقُرْطُبة يومَ السَبْت لعشر خلَوْن من المُحرَّم من هذه السـنة ، وكان اليوم الحادي عشر من شَهْر أيّار الشَمْسيّ ، وخَلَفه في القَصْر ابنه الأكْبَر الحَكَم ، وَليّ عَهْده ، وتُرِك معه من الوُزَراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر .

116 وسار في جُيوشه وعُدّته حتّى احْتَلّ بحِصْن مُنْت رُوي / من أُمّهات الخِلاف يومَ الاثنَيْن لاثنتَيْ عشرة بقِيَتْ من مُحرَّم للعام المُؤرَّخ ، وكان جَبَلاً بعيد المَرام ، منيع المَنال ، كثير السُكّان من أعاجِم من نَصارى الذِمّة ، نَبَذوا العَهْد وسارَعوا في الخِلاف ، وانْحـاشوا إلى المِراق ، وأشاعوا الفَساد في الأرض ، وامْتَنَعوا بجَبَلهم هذا الأشِب ، وهو مُتوسِّط بَيْن كُورتَيْ إلْبيرة وجَيّـان ، وعلى قارِعة طريق مدينة بَجّـانة ، فُرْضة الأندلس القِبْليّة . فكان مَن سَلَك ذلك الطريق مِن صادِر ووارِد لا يَسْلَم

مِن عادِية أهل ذلك الحِصْن ، وكانوا يُخِيفون السبيل ويَسْفِكون الدِماء ويَسْلُبون الأمْوال ، فجَثَم عليهم الناصر لدين الله بجُموعه ، وناهَضهم في حِصْنهم من جميع جِهاته بالمَجانيق ، وأمَر بالبُنْيان عليه والشَدّ لمُحاصَرته ، حَسْبَ ما فَعَله بحِصْن طُرُّش شبيهه ، فأخَذ بمُخنَّق أهلها ، وحَبَسهم مَحْبَس خَسْف في جَوْفه ، فأقام عليه خمسة وثلاثين يوماً محاصِرا مُضيِّقاً حتى أباد كثيراً منهم ، وقَطع أشْجارهم ، وغيَّر نِعَمهم ، ثُمّ تَقدَّم عنهم في جُموعه ، بعد أن أذلَقهم بالحِجارة ، وأبْقى على صِلة حَرْبهم وشِدّة حَصْرهم سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ الوزير القائد في طائفة مِن الجُنْد للإجهاز عليهم ، فواصَل سعيد بَعْدَ ذَهابه حَصْرهم ووالى حَرْبهم ، حتّى كان لا يَدْخُل إليهم داخِل ولا يَخْرُج عنهم خارج ، فجُهِدوا وعِيل صَبْرهم ودَعَوْا إلى الطاعة قماة صَغرة ، وحكَّموا الوزير سعيداً في أنفُسهم ، فخاطَبَ الناصر لدين الله في تأْمينهم ، فأذِن له في ذلك ، فأمَّنهم سعيد بأمانه واستَنْزَلهم من مَعْقِلهم ، فوَفى لهم الناصر لدين الله بما أَعْطاهم سعيد وأَلْحَق في الجُنْد من استَحْسَن منهم ، وهَدَم الحِصْن ، كفِعْله بطُرُّش أخيه .

وكان الناصر لدين الله قد تَقدَّم من هذا الحِصْن مُنْت رُوي إلى حُصون كُورة إلْبيرة المُخالِفة ، فعَمّ جميعها بالنِكاية ، ثُمّ عَرَج منها إلى كُورة مَوْرُور ، ثُمّ إلى كُورة شَذُونة ، فوَطِئ دِيار أهل الخِلاف فيها ودوَّخها ، واستَنْزَل كثيراً مِمَّن كان تَأمَّر هُنالِك بالباطِل وصَدَع عَصا الجَماعة ، ثُمّ نَزَل إلى كورة رَيّه ، فقَصَد قَلْعة بُبَشْتر ، عُشّ النِفاق ، / 117 فنَزَل بساحتها يومَ السَبْت لسبع خلَوْن من ربيع الأوّل منها ، وقَطَع ما كان بَقِيَ في أسْناد جَبَلها مِن الشَجَر ، وحَطَم ما نجا فيها من أسباب المَعِيشة ، ورَتَّب لمُحاصَرة أهلها عِدّة مِن أكابِر القُوّاد النازِلين في الحُصون التي اتَّخذها عليهم .

ثُمّ قَصَد كُورة تاكُرُنّا واستَصْلَح أحوال أهلها بالنَظَر ، واستَوْثَق من طاعتهم ، ونَقَل من رأى نَقْله إلى قُرْطبة من وُجوههم . ثُمّ وَصَل

نَظَره فيها بالنَظَر في كُورة أُشُونة وما يَلِيها ، وطالَع في طريقها كُورتَيْ إشبِيلية وقَرْمُونة ، فوَطِئ أرَضِين واسعة وأبْرَم أُمُوراً فارِعة (1) ، فرَزَّزَها بجميل نَظَره ، فضَمّ بها الله نَشْر الأُمّة . وقَفَل أثْرَ إحكامه جميع ذلك إلى حَضْرته قُرْطُبة ، فاحْتَلّ قَصْره فيها يومَ السَبْت لسِتّ خلَوْن من ربيع الآخِر من هذه السنة ، وقد اسْتَكْمَل في غَزاته هذه خمسة وثمانين يوماً .

[تَوْلِيَة]

وفي أيّام مُحاصَرة الناصر لدين الله لحِصْن مُنْت رُوي ما استَنْزَل صاحب مدينة مَرْشانة المعروف بأبي الحَكَم ، ووَلّى عليها مكانَه احمد بن مُؤَمَّل .

وفيها ايضاً افْتَتَح قَصْر بُنَيْرة من حصون الخِلاف بكُورة رَيّه ، فانحاز إليه اهل الطاعة وولّى عليها يحيى بن زَكريّا بن أنْتُلُه ، ونَدَب عنده رِجالاً من ثِقات الحَشَم ، فتردّدوا مِن قِبَله على مُغاوَرة مدينة بُبَشْتر ، قاعدة الخِلاف ، وضُويِقَتْ من كل جِهة .

وفي هذه الأيّام صار اهل بَجّانة البَحْرِيّين (2) إلى الطاعة والانحِياش إلى ظِلّ الجَماعة والتَحكُّم في أنْفُسهم ، ووالَوْا بذلك كُتُبهم ورُسُلهم ، فانْعَقَد أمانهم ، وقُدِّرت مَغارِمهم ، وولّى الناصر لدين الله احمد ابن ابي طالب الأَصْبَحيّ القُرْطُبي ببَلَدهم (3) .

[الوُزَراء]

وفي هذه السنة ولّى الناصر لدين الله ابا سعيد عبد المَلِك بن محمّد الشَذُونيّ الوِزارة للنِصْف من ربيع الآخِر منها . وفيها ولّى الوِزارة

---

(1) م. « فارجة » .

(2) كذا ، قد تكون « البحريون »

(3) في « تاريخ الناصر » رقم 44 « وولى ... احمد بن ابي طالب القضاء ببلدهم » .

أيضاً يَحْيى بن إسْحاق الطبيب وهي أَوّل وِلايتـه لها ، نَقَله إليهـا مِن الشُرْطة الصُغْرى وولّى هذه الشُرْطة مكانَه محمّد بن محمّد بن أبي زَيْد المعزول عن الشُرْطة العُلْيا ، وذلك يوم السَبْت / لخمس بَقِين من شَوّال منها (I) .

(I) يضيف « البيان » ج 2 ص 183 هنا ما نصه « وفيها عزل أفلح بن عبد الرحمن عن الخيل ووليها صاحب المدينة محمد بن عبد الله الخروبي أياما يسيرة ، ثم أعيد اليها افلح ، وفيها ولي أحمد بن موسى بن حدير ، ونمارة بن سليمان الخزانة في شوال . وفيها ولي أحمد بن عبد الله الخروبي العرض » .

سنة احدى عشرة وثلاث مائة

[غَزْوة شــاط]

فيها غَزا الناصر لدين الله الى مدينة بُبَشْتر وحُصون رَيّه لمُنازَلة المارق سُلَيْمـــان بن عُمَر بن حَفْصون ، وهي غَزْوته المعروفة بغَزْوة شاط ، فبَرَز لغَزاته هذه يومَ الخميس لستّ خلَوْن من ذي الحِجّة ســنةَ عشر وثلاث مائة وهو اليوم السابع [والعشرون] (2) من آذار الشَمْسيّ ، وفَصَل غازياً يوم الاثنَيْــن غُرّة المُحرَّم ســنةَ إحدى عشرة ، وهو اليوم الثاني عشر[ون] من نَيْسان (3) بعد بُروزه بخمسة وعشرين يومــاً .

فطَوى المَراحِل حتّى نَزَل على مدينة بُبَشْتر ، فبدأ المارق سُلَيْمان ابن عُمَر بمُكاتَبته ومُلايَنته ، راجياً لصَرْف مَعَرّته عنه ، لهَوًى كان لَدَيْه وَقْتَه ذلك من خِلاف كان بَيْنه وبَيْن أصحابه ، فأعْرَض الناصر [لدين الله] عنه ، ولم يَذْهَب عليــه ما أراده من مُكــايَدته ، وأَخَذ بالجِدّ والعَزْم في مُنازَلته وشِدّة الحِصــار عليه ، وقَطْع باقي أشْجــاره وكُرومه واصْطِلام

---

(2) نضيف هذه الكلمة لأن التأريخ الهجري يتوافق مع 27 من شهر اذار / مارس ويؤكد هذا « البيان » ج 2 ص 183 ، الذي يورد « السابع عشرين » .

(3) فعلا التأريخ هو 21 من شهر نيســان / أبريل وفي « البيــان » ج 2 ص 183 « الثاني عشرين » .

مَعايِشه ، فأقام عليه سبعة أيّام يَصِل الغُدُوّ بالرَواح والمِساء بالإصباح ، في التَغْيير والتَدمير والنِكاية والاستِبْلاغ في سَحْت العِمارة وإعمال صُنوف النِكاية ، ثم تقدَّم عن مدينة بُبَشْتر مُستقرِيًا لحُصونها التي حَوْلها ، مُبيحًا جِماها ، كحِصْن فرذارش وحِصْن بُمارِش (4) وحِصْن الجش وحِصْن شَنْت بِيطَر (5) وأَخَواتها ، فهَتَكها واشْتَدّت وَطْأته عليها .

ونَزَل حَفْص بن عُمَر بن حَفصون اخو المارق سُلَيْمان بن [عُمَر بن] حَفصون ، من حِصْن قامِرة منها ، فأمَّنه الناصر لدين الله ، وأقَرّه في بعض حُصونه ، لِما راه في (6) ذلك من السِياسة ووُجوه المَصْلَحة فيه وفي الغاوي سُلَيْمان اخيه ، ثم تَقدَّم إلى حِصْن شاط ، و[مَرْسى] المُنَكَّب و[حِصْن] مشكريل (7) ، فاقْتَحم عَساكِره في (8) الطريق إليها أوْعارًا لم يَقْتَحِمها جَيْش قَبْلَه ، سهَّل الله له حُزونتها عليه ، فنازَل حِصْن شاط منها ، وكان مِن أمْنَعها ، فأحاط به وحاصَره حتّى تَغلَّب على أرْباضه ، ومَلَك ما حَوالَيْه ، فلم يَمْتَنِع منه إلّا قَصَبته ، واستَنْزَل أكْثَر مَن بِجِهَته من تلك الحُصون الأَشِبة ، واستَصْلَح قُلوبهم الدَغِلة .

ثُمّ قَصَد / مدينة بُبَشتر ، وقد كان أهلها أرادوا الفَتْك بأميرهم سُلَيْمان بن عُمَر ، ثُمّ إنّه احْتال مع بَقيّة أصحابه ، حتّى دَخَل المدينة معهم ، وفُتِح له باب من ابوابها ، دَخَل منه مُتلثّمًا لم يُعْرَف وَجْهه ، فعاد إلى آمْراته ، وأَطْمَع السواد في أَمْوال القائمين عليه ، فثاروا معه وبادَر إلى قَتْل مَنْ ظَفِر به منهم ، فأهْلَك كثيرًا منهم ، و[سلَّط] (1) الله بعض الكفرة على بعض لِيَقْطَع دابِرهم .

---

(4) اول حرف غير منقوط وقد تكون « قمارش » . نقرأ هنا على هذا النحو معتمدين على ما ياتي في ص 140 وعلى ما ياتي في « البيان » ج 2 ص 196 .

(5) في « البيان » ج 2 ص 184 « كحصن قرذارش وحصن نجارش وحصن الجش » .

(6) م. « من » .

(7) في « البيان » ج 2 ص 184 « مرسى شاط والمنكب وحصن مشكريل » .

(8) م. « من » .

(1) تنقص هنا هذه الكلمة التي نضعها معتمدين على « البيان » ج 2 ص 184 ، كذلك يمكننا قراءتها على هذا النحو « بغض بعض الكفرة الى بعض » .

وبَقِيَ سُلَيمان بقَصَبة بُبَشْتر مشغولاً بنفْسه ، مُرْتابا بمَن حَوْله ، فاحْتَلّ الناصر لدين الله احْتِلاله الثاني في غَزْوته هذه ، وذلك يوم الأَحَد لأربع خلَوْن من ربيعِ الأوَّل منها ، فلم يَكُنْ له ولا لأَحَد من كَفَرته إطلال عند إناخة العَسْكَر عليهم على ما كانوا تعوَّدوه مِن قَبْلُ ، فرتَّب الناصر لدين الله كَتائب مِن خَيْله في الحُصون والمَراقِب حَوْلَهم ، مع مَن وَثِق بهم مِن قُوّادهم ، ألْزمهم الحَصْر لهم والتَضْييق عليهم ، ثُمّ قَفَل بجَيْشه ، فدَخَل القصْر بقُرْطُبة يوم السَبْت لعشر خلَوْن من ربيعِ الأوَّل ، وقد استَتَمّ في غَزاته تسعة وستين يوماً .

[رِواية ابن مَسْعود لغَزْوة شاط]

وقال ابن مسعود في كِتابه الأنيق : قُتِل جَعْفَر بن عُمَر بن حَفْصُون [ب]بُبَشْتر وَتولّى الأمْر بَعْدَه أخوه سُليْمان بن عُمَر ، فابْتَدَر الناصر لدين الله غَزْوه بالجُيوش ، على أثَر قَتْل جَعْفَر أخيه ، في المُحرَّم من سنة إحدى عشرة وثلاث مائه . وهي الغَزْوة المعروفة بغَزْوة شاط ، فنازَله وحاصَره ، واتَّفَق عليه عند ذلك أن اضْطَرب أصحابه من النَصارى وغَيْرهم عليه ، ودبّروا الفُتْك به ، وعاقَدوا ابن مقسِم الأَسْقُف زعيمهم على ذلك ، ونَذِر سُلَيْمان بخَبَرهم وظَهر على تَدْبيرهم ، فعاجَلهم فقَتَل رُذْمِير (2) ، صاحب حَرْبه ، وكان مَفْزَعه في مُهِمّه ، وأَكْبَر رِجاله ورِجال أبيه قَبْلَه ، وأكْثَرهم بَلاءً حَسَناً عِنده ، وهو الذي قَتَل جَعْفراً أخاه ، وأرْسَل إليه وهو بقُرْطُبة يستَدْعيه ، فأدْخَله بُبَشْتر وأَمَّره . وكَبْكَبه مُظاهِرًا من أعْلى الجَبَل ، وكان خاصّته وثِقته ، فمُزّق شِلْوه ، وقُتِل ، وعَذَّب غَيْره (3) مِمَّن اتَّهَمه من ثِقاته بصُنوف من العَذاب . وعَدَل عنه الناصر لدين الله إلى حِصْن شاط ، / فنازَله وفَتَح أرْباضه ، واشْتَدّ ظُهوره عليه ، وفَتَح 120

---

(2) م. « سيد أمير » انظر هذا الكتاب ص ١١٥ .

(3) م. « غيرهما » .

ما حوالَيْه من الحُصون ، فكان ذلك سَبَباً لإذعان المارق سُلَيْمان بن عُمَر ، ودعا الى الدُخول في الطاعة على أن يَتخلّى للسلطان عن قِصاب تاط وعن حِصْن مُنْت مَيُور وغَيْرهما من الحُصون التي مَوْرُور (1) على الشَرْقيّ (2) عنها إلى الأمين المُخْرَج إليه ليَتَسلَّمها ، عبد الرحمٰن بن عُمَر بن فلسل (3) ، فارْتَفَعت الحَرْب عنه لذلك .

وفيها افْتُتِحت قَصَبة حِصْن مَوْرُور وسُهَيْل ومُنْت نِيس (4) من أُمَّهات حُصون الخِلاف ، وقد كانت مَفْزَع المارق عُمَر بن حَفْصون ووُلْده عِند المُنْضِلات ، فكان الفَتْح فيها عظيماً ، وكان المُوكَّل بحَرْبها أَفْلَح ، صاحب الخَيْل ، مَوْلى الناصر لدين الله في جَيْش للسُلطان ، فأحْسَن التَدْبير لحَرْبها وشَدّ التَضْييق على مَن فيها ، وكان سَبَب تَغلُّبه عليها أنّه مال بالحَرْب يوماً مِن آخِر أيّام مُنازَلته لها إلى جِهة واحدة منها ضَيَّق عليها وكَدّ مَن فيها ، حتّى مال جميع مَن كان داخِلَها إلى تلك الناحية للدِفاع عنها ، وأَخْلَوْا سائر جَنَباتها ، فافْتَرص يحيى بن أَنْتُلُه عند ذلك الجانب الخالي منها ، واقْتَحَم منه الحِصْن مُهاجِمةً ، فافْتُتِحَتْ عَنْوةً . ومُلِك مَن فيها ، فشَدّ أَفْلَح ، صاحب الخَيْل ، قَصَباتها بالحَشَم ، واستَعْمَل يحيى بن أَنْتُلُه عليها .

[وقيعة بقيرة]

وفيها كانت وقيعة بَقَيْرة (5) مِن قاصية الثَغْر الأَعْلى على المُسلِمين ، التي أصاب العَدُوّ فيها خَلْقاً منهم ، ومُحاصَرة أعْداء الله البَشْكُنْس من أهل بَنْبَلُونة ، مع أميرهم شانْجُه ، لَعَنه الله ، لمحمّد بن عبد

(1) م. « مورن » الذي هو اسم مكان .
(2) لم يفهم الناسخ هذه الكلمة ولذلك قد رسمها دون فهم معناها .
(3) كلمة غير منقوطة .
(4) وافق الناسخ على هذه الكلمة . في « تاريخ الناصر » رقم 47 « شنتيش » ولم يتحقق منها الناشران . قد تكون قراءة خاطئة من الناسخ لـ « ميشش / Mijas »
(5) كلمة غير منقوطة ، نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 184 .

الله (6) بن لُبّ القَسَويّ أميرها فيها ، حتّى تَغلَّبوا عليه وصار في يد أميرهم شانْجُه ، فقُتِل وهو في إساره . وقد كان دَخَل معه في حِصْن بقيرة مُطَرِّف بن موسى بن ذي النُون ، ومحمّد بن محمّد بن ذي النُون ، وأحمد بن محمّد بن ذي النُون ، ويحيى بن فَتْح بن ذي النُون ، ووُجوه من رِجالهم ، فأسَرهم شانْجُه ، لَعَنه الله ، وصاروا في قَبْضته ، فحَمَلهم إلى حِصْن بَنْبَلُونة ، وصيَّرهم في سِجْنه . ثُمّ إنّ مُطَرِّف بن موسى بن ذي النُون [...] (7) من بَيْنهم لصِدْق بَسالته وشِدّة جُرْأته ، كَسَر وِثاق كُبوله / وكُبول (1) المُوكَّلين به ، وفَرّ من (2) الحَبْس الذي كان فيه ، فظَفِر خارِجَه بفَرَس رَكِبه ، فنَجا عليه ، فحَزِن العِلْج شانْجُه بن [غَرْسيّة] (3) لنَجاته وأَسِف لفَوْته .

121

وبسَبَب هذه الوقيعة وشُنْعة الحادِث فيها على المُسلِمين ، وجَّه الناصر لدين الله عبد الحميد بن بَسيل مَوْلاه إلى الثَغْر الأقصى في جَيْش كثيف (4) عِدّته ، أغاث به أهله على شُغْله بما بَيْن يدَيْه من حَرْب أهل الخِلاف بالمَوْسَطة ، فجرَّد عبد الحميد إلى ذلك الفَرْج ، وقَوّى عِدّته واستَقْوى عُدّته ، واستَقْوَده على الجَيْش الذي ضَمّه إليه ، وشرَّفه بتَقْديمه إلى خُطّة الوِزارة ، نَقَله إليها من خُطّة الخِزانة [للمال و]صَرْفه (5) ،

---

(6) م. « لعبد الله بن محمد » وكذلك في « البيان » ج 2 ص 184 . نصلح ما يجيء في النص لأن عبد الله بن محمد كان قد توفي سنة 303 هـ ، انظر « البيان » ج 2 ص 169 و « المسالك » للعذري ص 38 الذي يورد « وتوفي عبد الله بتطيلة بعد انطلاقه الى شهرين من سم أطعمه اياه شانجه في بنبلونة وذلك سنة ثلاث وثلاثمائة » ، ولذا فاننا نعتقد أنه ابنه محمد بن عبد الله .

(7) يبدو أنه سقطت هنا كلمة قد تكون « المعروف » أو « المشهور » .

(1) كذا في الأصل لكن قد تكون « كبل » أو « قتل » .

(2) م. « عن » ، وفي « المسالك » ص 50 يسرد رواية مختلفة عن خروج مطرف من سجنه .

(3) م. « ابن شانجه » هنا وأسفله .

(4) يصلح الناسخ هذه الكلمة على الهامش على هذا النحو « اكثف » .

(5) م. بشكل واضح « ضربه » .

فمضى لوَجْهه ذلك مُنصلِتاً حتّى دَخَل الثَغر الأعْلى ، واجْتَمع إليه خَلْق من اهل الثغر وغَيْرهم ، ودَخَل مدينـة تُطِيلـة قاصيتــه ، واهلها بَعْدُ مُمرَّضون في الطاعة ، فمَلَكها للناصر لدين الله ، وكان ذلك أوّل مَلْكها (6) ، وقاتَل العِلْج شانْجُه بن [غَرْسيّة] (3) ، صاحب بَنْبَلُونة ، لَعَنه الله ، مِن تِلْقائها ، وكان قد اسْتَطال على أهل ذلك الثَغْر ، فنال مِنهم وقَطَع سبيلهم وضَمّ أطْرافهم ، فقاتَله الوزير عبد الحميد مِن مَكانه تُطِيلة وبَثّ بأرضه الغارة ، حتَّى كَسَّر حَدّه ، وفَلّ غَرْبه ، ووَسَّــعه عاديةً ، ولاقاه قُبُلاً في جَمْعه ، فأوْقَع به ، وفَلّه ، فارْتَدَع بذلك المُشرِكون وانْبَسَط المُسلِمون (7) .

[هــلاك ابن الجِلّيقيّ وأُرْدُون بن أذْفُونْش]

وفيهـــا قُتِل عبد الله بن محمّد بن عبد الرحمٰــن المعروف بابن الجِلّيقيّ ، صاحب بَطَلْيَوْس ، المُنْتَزِي فيها على الخِلاف للجَماعة ، وِراثة عن آبائه ، وكانوا أُولِي شأْو بعيد في المَعْصِية وذَوِي حَوادِث عظيمة ، قَتَله اصحابه لاخْتِلاف وَقَع بَيْنهم ، فرَفَع الله به عن المُسلِمين شَرًّا شديداً .

وفيها هَلَك الطاغية أُرْدُون بن أذْفونْش ، مَلِك الجَلالِقة ، ووَلِيَ مَكانَه اخوه فَلويرة (8) بن أذْفونْش ، لَعَنهم الله .

---

(6) م. « مليكها » .

(7) يضيف « البيان » ج 2 ص 185 هنا ما نصه « وفيها ولي محمد بن احمد بن حدير خطة العرض ، وعزل محمد بن محمد بن أبي عبدة عن الشرطة الصغرى ، ووليها يحيى بن يونس القبري » .

(8) كلمة غير منقوطة .

سنة اثنتَي عشرة وثلاث مائة

[غَزْوة بَنْبَلُونة]

فيها غَزا الخليفة الناصر لدين الله إلى دار الحَرْب ، دمَّرها الله ، غَزْوته المعروفة ببَنْبَلُونة ، بَلَد أعْداء الله الكَفَرة البَشْكُنْس ، فبَرَز لهذه الصائفة مُبكِّراً قَبْلَ مِيقات الصَوائف ، إذ أحْفَظه ما دار على / بَنِي لُبّ وبَني ذي النُون بحِصْن بقيرة (1) ، أقْصى الثَغْر الأعْلى (2) . وكان تَبْريزه لغَزْوته هذه يومَ الخميس للَيْلتَيْن خَلَتا من ذي الحِجّة سنةَ إحدى عشرة وثلاث مائة ، وكان اليوم العاشر من شُباط العَجَميّ (3) الكائن فيها ، وفَصَل من قَصْر قُرْطُبة نافذاً لها يوم السَبْت لأربع عشرة لَيْلة بقِيَتْ من المُحرَّم سنةِ اثنتَيْ عشرة ، وهو اليوم السابع عشر من نَيْسان الشَمْسيّ (4) ، وذلك بَعْدَ بُروزه بثلاثة وأربعين يوماً . وتَخلَّف في القَصْر بقُرْطُبة ابنه الأكْبَر ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، ومن الوُزَراء أحمدُ بن محمّد ابن حُدَيْر .

122

---

(1) كلمة غير منقوطة انظر ما جاء في ص 120 .

(2) م. « الشرقي » وفي هذا الكتاب ص 120 يقول « من قاصية الثغر الأعلى » ويورد كذلك « الثغر الشرقي » في نفس هذا الكتاب ص 127 .

(3) هذا التاريخ خطأ لأنه يتوافق مع 11 من شهر اذار / مارس عام 924 .

(4) التاريخ الموافق هو 24 من شهر نيسان / ابريل .

وسَلَك الناصر لدين الله في سَفره هذا طريق الشَرْق ، فاحْتَلّ لأوّل يَوْم مِن خُروجه مَحَلّة بالِش (5) ، وكَسَر بها يَوْمَيْن مُتلوِّماً على لُحوق المُجاهِد[ين مـ]عه مِن أَجْناده ورَعيّته ، والمحشودين من أقْطار كُوَره ، وتَوافِيهم بمَحَلّته تِلْك ، ثُمّ رَحل مُيَمِّناً كُورة تُدْمير وكُورة بَلَنْسِية ، بادئًا بمَن هُنالِك من أهل (6) الخِلاف والمَعْصِية ، فنازَل مدينة لُورْقة ، وكان فيها عبد الرحمٰن بن وَضّـاح (7) ، المُسْتَبْصِر في المَعْصِية ، الشديد القَسْوة ، فاستَنْزَله بالأمان وأَشْخَصه إلى قُرْطُبة بعِياله ، ثُمّ تَقدّم منها إلى مدينة مُرْسِية ، فاستَنْزَل يَعْقوب بن أبي خالِد التوزري (8) وعامِر بن أبي جَوْشَن (9) وغَيْرهم ، مِن مَواضِعهم التي كانوا فيها مُتأمِّرين ومُتَعاصِين عن النُزول عنها ، فقَطَع الفِتْنة التي كانت بَيْن يَعْقوب بن أبي خالِد وبَيْن عامِر بن أبي جَوْشَن ، وأَنْهَض يَعْقوب معـه في غَزْوته إلى بَنْبَلُونـة ، والْتَوى عليه مع ذلك محمّد بن عبد الرحمٰن بن الشَيْخ (10) ، إذ تَمنَّع من النُزول إليه والغَزْو معه ، وكان بمدينة العَسْكَر مِن أَحْواز بَلَنْسِية ، فنازَل حُصونه ، ووَطِئ بِساطه ، وأَوْقَع به ، ورَتَّب عليه قائدًا من كِبار قُوّاده في جَيْش كثيف ، وكّلهم بحَرْبه وحَصْره ، فأَصْلَح كُورتَيْ تُدْمير وبَلَنْسِية ، ووَطَّد دَعائم الطاعة فيها ، وأَصْلَح حال أهل طُرْطُوشة القاصية فَوْقَهما ، قاصية الأندلس ، ورَدّ عليها ما كان تُحُيِّفَ مِن أَحْوازها .

123 ثُمّ تَقدّم بَعْد ذلك كلّه إلى الثَغر الأَعْلى / في عَساكِر كعَدَد الحَصى ، وصار حتّى نَزَل بمَحَلّته بحِصْن قانِسِـية (1) من أَحْواز سَرَقُسْـطة ، ثُمّ

(5) نتبع قراءة « البيان » جـ 2 ص 185 التي يورد « بمحلة بالش » وفي م. « بألش » .
(6) م. « مثل » .
(7) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن وضاح بن يحيى بن الوضاح حسب « المقتبس » جـ 3 ص 22 .
(8) في « البيان » جـ 2 ص 186 « التوبري » . انظر كتابنا هذا ص 125 حيث يذكر مرة أخرى هذا الاسم .
(9) انظر نسب عامر بن أبي جوشن وأعماله في « المسالك » ص 14 وص 15 .
(10) يقول صاحب « المسالك » ص 13 بعد ذكر نسبه وأعماله أنه عرف بالشيخ الجزاعي الأسلمي وأنه استنزل عام 316 .
(1) م. « قلنشية » .

صاعَد مِنها إلى مدينة تُطيلة . وخَرَج إليه التُجيبيّون ارباب سَرَقُسْطة . وغَيْرهم . وتلقّاه عُمّــال الثَغر في جُنود عظيمة وعُدد كاملــة . فدَخَل بمجموعه بَلَد المُشرِكين يَنْبَلُونة . دمّرها الله . يومَ السَبْت لأربع خلَوْن مِن ربيع الآخِر منها ، بأنْفَذ عَزْم وأوْكَد حَزْم وأقوَى نِيّة في الانْتِقام لله تعالى ولدِينه مِن الأرْجاس (2) [مِن] الكَفَرة . فاحْتَلّ مِن أوّل بَلَــدهم بحِصْن قَلَهُرّة ، وكان العِلْج شانْجُه ، اميرهم ، لَعَنه الله ، قد أخْلاه . فأمر بهَدْمه وإحراق جميع ما فيه ، ثُمّ انْتَقَل منه إلى مَوْضِع يُعْرَف بقَنْطَرة ألْبَة (3) . وكانت حَوْلَه حُصون منيعة قد أخْلاها الكَفَرة ، وتَخَلّفوا في بَسائطها جميع أمْتِعتهم وأطْعِمتهم ، إذ أُعْجِلوا عن انْتِقالها . ولَجأ عُلُوج مِنهم بأهْلِيهم وأوْلادهم إلى ثلاثة غِيران في شفير جُرْف على النَهْر . فلم يَزَل المُسلِمون يَتَوقّلون إليهم فيهــا ويَتسوَّرون عليهم مِن أعاليهــا ، حتّى فَتَح الله تِلْك الغِيران عليهم . فقَتَلوا العُلوج وسَبَوا الذراريّ وغَنِموا الأمْتِعة . فكان ذلك أوَّل ما أفاء الله تعالى على أهل العَسْكَرَيْن (4) مِن النَفَل ومَنَحهم من الغنيمة . وهُدِمت حُصون الكَفَرة التي كانت في تلك الجِهــة . فلم يَبْقَ فيها صَخْرة قائمة .

ثُمّ تَنَقّل الناصر لدين الله مِن هذه المَحَلّة بَعْدَ أن أقام فيها يوماً إلى حِصْن فالْجَش ، فأُضْرِمت نارًا أرْباضه واستُقْصِيَت زُروعه ونِعَمه بالنَسْف والاستِئْصــال ، ثُمّ ارْتَحَل إلى حِصْن طَفــالْية (5) . وكان من حُصونهم الشريفة ، فأُلفِيَت الأطْعِمة فيه كثيرة والنِعَم فائضة ، فانْتَهَب المُسلِمون جميع ذلك ودَأبوا في تَخْريب الدِيار وتَغْيير الآثار . ثُمّ انْتَقَل الناصر لدين

---

(2) م. « الأرجاء » .

(3) كذا ، بلا شك في المخطوط . وقد تكون « القناطر » / Alcanadre الموجودة على الضفة اليمنى من نهر « ابره » . حيث توجد اثار مجار مائية رومانيــة . في « البيان » ج 2 ص 180 « ببيطرة ألتة » وهو حصن على نهر « ارغا » .

(4) في « البيان » ج 2 ص 180 « العسكر » .

(5) نتبع قراءة « البيان » . م. « طيالـه » .

الله منه إلى حِصْن قرنيل (6) على وادي أرَغُون ، ماحياً (7) ما هُنالِك مِن عِمارة ، ثُمّ استَعْزَم على الإيغــال في بَلَد الكَفَرة والاقتِحــام لسَرَواته والتَوصُّل (8) إلى مَوْضِع قَرارهم ومُجتمَع كُفّــارهم ونِكــايتهم في عَقْر دارهم ومَكان أمْنهم (9) ، فتَأهَّب لذلك وأَخَذ بالحَزْم في إتيانه بعَهْد بِضَبْط / مُجنِّبــات العَسْـــكَر وإقامة مَراتِبــه ، وضَمّ أطرافه وتَقدَّم مِن فَجّ 124 البَشْـكُنْس (1) في أتَمّ تَعْبئة وأهْذَب تَرْتيب ، وذلك يوم السَــبْت لإحدى عشرة خلَتْ من ربيع الآخِر منها ، فدَخَلت الجُيوش مَواضِع لم تُدْخَل قَبْلَ ذلك ، وأحْرَقت الحُصــون وهَدَمت الدِيار ، حتّى نَزَل العَسْـــكَر بقَرْية بَشْكُونْسُه (2) التي إليها يُنْسَب العِلْج شانْجُه [بن غَرْسيّة] (3) ومنها أَصْله ، اجْتَثّه الله ، فهَدِمت مَبانيها وأحْرَقَت كلّ شَيْء كان فيها .

وانْبَعَثت لذلك أنَفة العِلْج ، فجَمَع كَفَرته واشْتَمَل بنَصْرانيّته من كلّ مَكان طَمِع أن يُغاث منه ، حتّى تَوافى إليه جَمْع من الكُفّار ، ورَجا أن يُقاتِل المُسلِمين به ، فتَطلَّعت له خَيْل ثقيلة فَوْقَ بعض الأَجْبُل المُنِيفة على العَسْكَر ، وذلك لَيْلةَ الأربعاء للنِصْف من شَهْر ربيع الآخِر منها ، فأَمَر الناصر لدين الله بتَعْبئة الكَتــائب وتَرْتيب المَقانِب وشَــكّ العَسْــكَر وإتْقان النَظَر ، وصابَح النُهوض على تَعْبئته والتَقدُّم لوِجْهته ، واثقاً بالله ربّه تعالى ، مُتوكِّلاً عليه ، فسَــلَكت الجُيوش بَيْن أَجْبُل شــامخة (4) وشَواهِق مُنقطِعة ، ورَجا أَعْداء الله بانْتِهــاز الفُرْصــة مِن المُسلِمِيــن والاعْتِراض لهم في مُجنِّبة أو ساقة .

---

(6) في « البيــان » ج 2 ص 186 « قرقستال » ، وفي « المســالك » ص 30 وص 154 « فرنبيل » وقد تكون قراءة خاطئة لـ « فرتبيل » .

(7) كلمة غير منقوطة .

(8) نتبع « البيان » ج 2 ص 186 وفي م. « التوضع » .

(9) نتبع « البيان » ج 2 ص 187 وفي م. « أمكنهم » .

(1) في « البيان » ج 2 ص 187 « المركوير » .

(2) نفس المصدر « بشكونشة » و « بنكوشة » ، وقد تكون خطأ لــ « شنكوشة ، شكونسة ، شنكوسه » / Sangüesa كما افترض الأستاذ غ. لاكارا .

(3) م. « ابن شانجه » ، انظر ص 121 .

(4) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 187 ، في م. « شانجه » .

فلمّا تَوسَّط الجَيْش بعض تِلْك المَواضِع المُتضايِقة على وادٍ يُعْرَف بوادي هِيغة (5) ، هَبَطَتْ للمُشرِكين خَيْل من تِلْك الأَجْبُل جالَتْ إلى سَرَعة المُسلِمين ، فجَرَتْ بينهم مُنـاوَشة يسـيرة ، فتَوقَّف الناصر لدين الله ، رَضِيَ الله عنه ، وعَهِد بإنزال الأثقـال ورَفْع المِظَلّ والتَعبِّي للحَرْب ، فنَهَض المُسـلِمون إلى أعْدائهم نُهوض الأُسْد المُحرَّبة ، وعَبَروا النَهْر إليهم ، وضَمّوا بالجُمْلة عليهم ، حتّى أَقْلَعوهم عن مَوْضِعهم ، ووالَوا الشَـدّات عليهم ، فهَزَموهم ووَضَعوا سُـيوفهم ورِماحهم فيهم ، حتّى اضْطَرّوهم إلى مُرْتَقى وَعْر في جَبَل مُنقطِع ، تَسنَّمه المُسلِمون لاتِّباعهم ، فسهَّل الله وَعْره عليهم ، فقَتَلوا خَلْقـاً منهم وبسَّـطوا الأرض بجُثَثهم ، واستَمرّت الخَيْل المُغِيرة في بسيطهم ، فأصابت الغَنـائم وضُروب النِعَم واسْتاقت السَوام ، وانْصَرف المُسلِمون سالمين غانمين ، لم يُصَبْ منهم غَيْر يَعْقوب بن أبي / خالِد التوزري (1) المُستَنْزَل من حِصْنه ببَلَنْسِـية صَدْرَ هذه الغَزْوة ، في نَفَر يسير من الحَشَم ، فازوا بالشَهادة ، وخَتَم الله لهم بالسَعادة . واجْتَمَع من رُؤوس المُشرِكيـن عَدَد كثير ، مُنِع من البَعْثة بها إلى قُرطُبة بمَنْع الطريق وبُعْد المسافة .

125

ثم ارْتَحَل الناصر لدين الله إلى مَحَلّة لُنبيرة (2) ، ثُمّ إلى مَحَلّة بغير (3) ، والجُيوش في ذلك لا تَمُرّ بمَوْضِع إلّا اصْطَلَمَتْه ونَسَفت زُروعه ، وأفْسَدت ما لم تَسْتَوْفِ أَكْله (4) ، وهَدَمت قُراه وحُصونه ، إلى أن بَلَغ مدينة بَنْبَلُونة التي إليها يُنسَب الإقْليم ، فأصابها خالية مُقْفِرة ، فدَخَلها الناصر لدين الله بنَفْسه وجال [في] ساحاتها ، وأَمَر بهَدْم جميع مَبانيها وتَخْريب كَنيسة الكَفَرة المُعظَّمة ومَوْضِع بَيْعتهم ومَكان مَنْسَكهم ، فجُمِعَت الأَيْدي عليها حتّى جُعِلَتْ قاعاً صَفْصَفاً .

---

(5) م. « هيعه » .

(1) في « البيان » ج 2 ص 187 « التوبري » انظـر ما يأتي في كتابنـا هذا ص 122 ملاحظة رقم 8 .

(2) كلمة غير منقوطة وهنا نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 188 .

(3) م. « بغير » وفي « البيان » ج 2 ص 188 « لغين » .

(4) م. « أهله » .

ثُمّ تَنقّل الناصر لدين الله إلى صَخْرة قَيْس ، وكانت بها كنيسة قد شيَّدها العِلْج شانْجُه [بن غَرْسـيّة] (5) وأَتْقَنها ، وطاوَل الأيّام بالتّأنّق فيها والتَحْصين لها ، فلمّا حَلّت بها الجُيوش وأَخَذت في هَدْمها . تَطلّع العِلْج مِن جَبَل كان أَسْنَد إليه ، طامِعـًا في حِمايتها والشّغْل عنهـا ، فشَدَّت نَحْوَه عِجالاً أَسْرَع من رَجْعة الطَرْف ، فلم يَكُ إلّا كَلا ولا حتّى اقْتَلَعوه من مَوْقِعه ، فولّى الدُبُر مَهْزوماً [هزيمةً] أَقْبَح مِن هزيمته الأُولى . وصُرِع من فُرْسانه ووُجوه أصحابه عَدَد كثير مِمَّن كان عنه مُحاميًا ودُونَـه مُستهلِكـا ، وأُخْرِبت الكنيسة وما أحـاط بها ، وعادت القَرْية بأَسْرِهـا ناراً مُوقَدة .

ثُمّ تَنقّل الناصر لدين الله إلى مَحلّة أَسارِيه . وكان في مَمَرّه فَجّ يُقال له هرقله ، ضَيِّق المَسـالِك وَعْر النَجاز ، تَقدَّم الكَفَرة إلى جانِبه يَرُومون انْتِهاز الفُرْصة في المُسلِمين به ، فأَمَر الناصر لدين الله بإتقان التَعْبِئة والْتِزام الاحْتِراس وضَبْط الأَطْراف ، وتَقدَّم على أَتَمّ التَرْتيب حتّى تَجاوَزت العَساكِر ذلك المَضِيق وخَرَجَتْ عنه ، وتَظاهَر أَعْداء الله لأهل الساقة ، مُتسنِّمين في جَبَل شاهق ، مُلْتَمِسين الفُرْصة ، فنَهَضت الخَيْل إليهم سريعاً ، فكَشَفتهم وهَزَمتهم ، وقَتَلت طائفـة منهم ، فانْقَشَـعوا / مُدْبِرين لائذين لا يَلْوُون ولا يُعرِّجون ، وتَقـدَّم المُسـلِمون بعِزّة القَهْر وسَوْرة النَصْر حتّى نَزلوا مَحلّة أَسارِيه .

126

ثُمّ ارْتَحَل الناصر لدين الله مِنها إلى مَحلّته بقَرْية بُنتِيَره (1) ، ومِنها إلى مَحلّة بدِى شَرَه (2) المُجاوِرة بحِصْن شَنْت أَشْتِيَن ، وكان مَوْضِع اسْتِراح (3) العِلْج شانْجُه ومَكان طُمَأْنِينتـه ، فحَلّت (4) الجُيوش بهذه

(5) م. « ابن شانجه » .

(1) في « البيان » ج 2 ص 188 « مَنْبِيرُ » .

(2) كلمة غير منقوطة . نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 188 .

(3) لغة أندلسية بدلا من « استراحة » .

(4) م. « فحملت » .

المَحَلّة يومَ الاربعاء لثمانٍ بَقِين من ربيع الآخِر . فعاد العِلْج الى التَظاهُر في أعْلى الجَبَل ، قد جَمَع جُموعه وحَشَد رِجاله . واسْتَجاش بِمُدود أتَتْه من بِلاد ألبة والقِلاع ، طَمِع معهم في مُعارَضة المُسْلِمين . يُقيم بها عُذْره عِند أهل مِلّته ، فناشَبه المُسلِمون الحَرْب والْتَحَم بَيْنهم القِتال . فهَزَم الله جُموع المُشْـرِكين (5) ، فانْقَبَضوا إلى أعْلى جَبَلهـم خاسئين . وتَفرَّق كثير مِنهم في شَعْراء مُتَّصِلة بهم أجْنَّتْهم (6) . وبات المُسلِمون في مَحَلّتهم ، وانبَسَطت العَلّافة في قُرى الناحية . فانْتَسَفَت ما فيها .

ثم انْتَقَل الناصر لدين الله إلى مَحَلّتـه بِمَوْضِع يُعْرَف بربينـة سُرِتة (7) . وهو يُريد العِلْج (8) . اللَجُوج في التَظاهُر له بجُموعه مَرّةً ثالثة في المَوْضِع الذي كان مُشْرِفاً منه ومُعْتَصِمـاً به ، فتَبادَر إليه فُرْسـان المُسلِمين على عادتهم ، فانْهَزَم أقْبَح هزيمة (9) . وقُتِل له رِجال وعُقِرَتْ له خَيْل ، فباء بالصَغار المُرَدَّد .

وانْتَقَل الناصر لدين الله إلى حِصْن قَلَهُرّة وهو خالٍ . فأمَر بِهَدْمه والتَسْوية عليه ، ثُمّ انْتَقَل إلى حِصْن بلتيرة (10) ، آخِر حُصون المُسلِمين الواغل في بِلاد الكَفَرة ، فعَهِد بادِّخار الأطْعِمة عِندهم وتَفْريق الأمْوال عليهم تَقْوِيةً لهم على الثَبات بالفَرْج الذي هُمْ فيه . ثُمّ رَحَل إلى مدينة تُطيلة قاصيـة الثَغْـر الأعْلى ، وذلك يومَ الاثنَيْن لثلاث بَقِين من ربيع الآخِر ، فكَسَر بها يوماً .

[خُضوع بني ذي النُون]

ثُمّ رَحَل عنها قافلاً إلى الحَضْرة ، قرير العَيْن ظاهر العِدّة ، فصيَّر مُروره على بلاد شَنْت برية ، مَكان بني ذي (11) النُون المُتأمِّرين بالكُورة ،

(5) م. « المشركون » .
(6) كلمة غير منقوطة .
(7) في « البيان » ج 2 ص 189 « برُبية سُرِتة » قد تكون « بِرُنْبية » .
(8) في « البيان » ج 2 ص 189 « وهو يريد قلهرة » .
(9) على الهامش يصحح الناسخ « انهزام » .
(10) كلمة غير منقوطة ، وفي « البيان » ج 2 ص 189 « بلْتِيرَة » .
(11) م. « ذا » .

وكان زعيمهم يَحْيى بن موسى بن ذي النُون قد مرَّض في الطاعة واسْتَراب بالناصر لدين الله ، فتوقَّف عن الجِهاد معه ، فدارت عليه مَعَرّة الجَيْش حتّى أذْعَن مُنقادًا وخَرَج خائفاً وَجِلاً ، فتلقّى الناصر / لدين الله مُعْترِفاً بذَنْبه مُستقيلاً عَثْرته ، فأوْسَعه عَفْوه ، وفَعَل مِثْل ذلك بابن أخيه يَحْيى بن أبي الفَتْح ، واسْتَقام سَيْره في قُفوله . فدَخَل إلى قَصْره بقُرْطُبة يومَ الخميس لثمانٍ بَقِينَ من جُمادى الأُولى من هذه السنة ، وقد اسْتَتمّ في غَزاته هذه أربعة أشْهُر .

127

[رواية ابن مسعود]

[قال] ابن مسعود في الأنيق : في سنة اثنتَيْ عشرة وثلاث مِائة سار الخليفة الناصر لدين الله من حَضرته قُرْطُبة بالصائفة ، يَؤُمّ بَنْبلُونة ، بَلَد أعْداء [الله] (1) الكَفَرة البَشْكُنْس ، دَمَّرهم الله ، فنازَل في طريقه عبد الرحمٰن بن وَضّاح المُنْتَزي على مدينة لُورْقة من كُورة تُدْمِير ، وضايَقه حتى أذْعَن (2) بالطاعة وسَأل الأمان لِيَنْزِل إليه ، فأعْطاه إيّاه ونَزَل إليه ، فأشْخَصه إلى قُرْطُبة بعِياله وماله ، فدَخَلها في يَوْم مشهور ، واحْتَفَل فيه الناس لرُؤْيته ، وكان ضَخْم الجُزارة عظيم اللِحْية جِدًّا ، تَشاهَر الناس ضِخَمها ، وتَحدَّثوا عنه ، كَما استَغْرَبوا شأْن كَلْب ضَخْم الخَلْق ، جاء به مُقدَّماً أمامَ حَمُولته ، مُوثَّقاً في سِلْسِلة ، مُحْتَفًى به ، تُحُدِّث عنه أنّه عَقُور كان يُعاقِب الناس به .

فقال في شأنه بعض عُتّاب (3) الشُعَراء بقُرْطُبة (بسيط) :

أَتَى ٱبْنُ وَضّاح [بِ]ٱلْوَضّاح قُرْطُبَةَ
قَدْ قَدَّمَ ٱلْكَلْبَ [لَيْسَ ٱلْكَلْبُ] مُؤْذِينَا (4)

---

(1) كلمة نسيها الناسخ .
(2) م. « أضعن » .
(3) قراءة بالتخمين .
(4) سطر غير مستقيم الوزن وبمفردات عامية .

أتَى وَلِحْيَتُـــهُ فِي ٱلأَرْضِ مُسْـــبَلَةٌ
تَرَاهُ حِينــاً وَيَخْفَى بَيْنَهــا حِينــا
تَجِيءُ فِي كُـلِّ يَـوْمٍ مِنْ حَصَـائِلِهــا
وَلَيْسَ يَنْقُصُهَـــا سَـبْعُونَ (5) عُثْنُونَـــا
فِيهَا مِنَ ٱلصُّوفِ وَٱلأَشْعَارِ إِنْ نُسِــجَا
عِبْءٌ بِفَضْلَتِـهِ يَكْسُـــو ٱلْمَسَـاكِينَـا

وَبعْدَ هذا ما يَفحُش ذِكْره .

قال : ثُمَّ نازَل الناصر لدين الله محمّد بن عبد الرحمٰن بن الشَيْخ ، فلم يَقْدِر عليه لمَنَعة حِصْنه ، وانْتَهى إلى أحْواز طُرْطُوشة ، قاصية الثَغْر الشَرْقيّ ، وانْتَهى إلى أحْواز سَرَقُسْطة أمّ الثَغْر الأعْلى ، فدَخَل منها إلى بَلَد بَنْبَلُونة وانبَسَطت عَساكِره فيها ، فأداخها طُولاً وعَرْضاً ، وأضْرَمها ناراً ، وأوْسَعها دَماراً ، والْتَقى بالطاغية شـانْجه ، أمير البَشْكُنْس في جَمْعـه ، فأوْقَع به ، وهَزَمه مَرّةً بَعْدَ أُخرى ، وقَتَل له جُمَلاً من القَتْلى ، واتَّبَعه في السَهْل حتّى اضْطَرّه / إلى تَسنُّم الجِبال ، فارْتَقى في قُنَنِهـا الوَعْرة ، وأسْلَم بسيطه ، فصَيَّر المُسلِمـون بِلاده حُمَمـاً ودَمَّروا على قُراه وحُصـونه ، وظَهَروا على مدينة بشكونسه (1) ، فألْحَقوا أعاليها بالسافِلة . 128

ثُمّ تَقدَّم الناصر لدين الله مِنها إلى أرض قَشْتِيلِية مُتاخِمتها من بَلَد الكَفرة ، فلَقِيَ قُومِسها فَرْذِلَنْد ابن غُنْدِشَلْب كِفاحاً ، فهَزَمه أيضاً وأعْظَم النِكاية في بَلَده ، ووَطِئ بِساطه ، وهَدَم كثيراً من دِياره وكَنائسه ، ثُمّ قَفَل الناصر لدين الله من جِلِّيقيّة ، فسَلَك في قُفوله على شَنْت برية ، واطئاً هام بَني ذي النُون ، أرْفاد المُمرِّضين في الطاعة ، فهَدَم بها حِصْن رطلقة من أحْوازهم ، وكان فيه مُنتِيل بن يَحْيى ، فعدَّل مَيْل بني ذي النُون في وِجْهته هذه ، وقَفَل من هُناك إلى قُرْطُبـة حائزاً لفُتوح عظيمـة ، وكان وُصوله إلى قَصْره فيها لتَتِمّة (2) أربعة أشْهُر من مَغيبه عنها .

---

(5) م. « سبعين » .
(1) راجع ملاحظة b ص 124 .
(2) م. « لتتمة » ، انظر كتابنا هذا ص 32 ملاحظة 2 .

[عَزْل وتَعْيِين]

وفي هذه السنة عَزَل الناصر لدين الله احمد بن محمّد بن زِياد عن قضاء الجَماعة بقُرْطُبة ، وأعاد إليه أَسْلَم بن عبد العزيز ، وولّى الصَلاة بها احمد بن بَقِيّ بن مَخْلَد .

[وَفَيات]

فتُوُفِّيَ فيها القاضي المعزول أحمد بن محمّد بن زِياد أَثَرَ قُفول الناصر لدين الله من غَزْوته إلى بَنْبَلُونة المُقدَّم ذِكْرها ، إلى جُمعة .

وفيها رقُتِل المُنْذِر بن عبد الرحمن التُجِيبيّ المُنْتَزِي بمدينة [قَلْعة أَيُّوب مِن أعْمال] سَرَقُسْطة (3) ، وتُوُفِّيَ أخوه محمّد بن عبد الرحمٰن التُجِيبيّ ب[مدينة سَرَقُسْطة] (4) للنِصْف من شَوّال من هذه السنة .

---

(3) في « المسالك » ص 49 جاء أن المنذر هذا قتل وهو يحارب مطرف بن ذي النون يوم الاثنين الموافق يوم عاشوراء سنة 309 وأنه كان عاملا بقلعة أيوب من ثغر سرقسطة .

(4) م. « بها » صححناها معتمدين على « المسالك » ص 42 .

سنة [ثلاث] (5) عشرة وثلاث مِائة

[غَزْوة أَشْتِبِين]

فيها غَزا الناصر لدين الله غَزْوته المعروفة بأَشْتِبِين (6) ، مِن بَقايا حُصون الخِلاف بكُورة إلبيرة . فبَرَز إليها يومَ الخميس لإحدى عشرة خَلَتْ من المُحَرَّم من هذه السنة . وكان اليَوْم السابع من شَهر نَيْسان الشَمْسيّ ، وفَصَل غازيًا يَوْمَ الخميس (7) لثمان بَقِينَ من صَفَر منها واليَوْم السابع مِن أَيّار ، وذلك بعد بُروزه باثنَيْن وأربعين يَوْمًا ، وخلَّف في القَصْر ابْنه الأَكْبَر ، وَلِيّ عَهْده ، الحَكَم ، ومعه مِن الوُزَراء أَحْمَد بن مُحمّد بن حُدَيْر . وعلى المدينة مُحمّد بن عبد الله الخَرُّوبيّ .

129 واستَقْدَم سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ / الوزير القائد مِن كُورة تُدْمِير ليَغْزُو معه ، وأَخْرج إلى تُدْمِير مُحمّد بن إسحاق القُرَشيّ القائد بديلًا له ، وقدَّم عبد الحميد بن بَسِيل الوزير القائد إلى كُورة جَيّان لاستِنْزال جميع مَن كان بَقِيَ في حُصونها مِن أهل الخِلاف والنِفاق ، وسار هو

(5) لقد نسي الناسخ هذا العدد .

(6) في « البيان » ج 2 ص 189 « اشتين » وفي « تاريخ الناصر » رقم 52 « اشتبين ».

(7) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

في جَمْعه بادئًا بكُورة جَيّان ، فاحْتَلّ في طريقه بحِصْن المُنْتِلون منها ، وأَنْزل عنها عبد الله بن سعيد بن هُذَيْل ، وعَزَله عن جميع الحُصون التي كانَتْ في يَده ، واستَعْمَل على الجميع عبد العزيز (1) بن مَسْلَمة وعبد الله بن عَمْرِو بن مَسْلَمة ، وعَهِد إليهما بهَدْم أَكْبَر الحُصون المُبْتناة أيّام الهَمْل وقِصابهـا ، إذْ كانَتْ مُشتركنًا (2) لأهل الخِلاف والنِفاق عِندهم ، صُوِّر إليهما في بَقائها ضَرر على أهل الطاعة والاسْتِقامة ، ووَطِئَ هو أَكْثَرها ، فاقْتَـدَر عليهم واسـتَنْزَلهم من صَيـاصِيهم ، وعَمّ بالخَراب حُصونهم ، وأَنْزَلهم البَسائط ، وضارّهم (3) على الطاعة ، وكذلك ما فَعَل بحُصون كُورة إلْبيرة ، تَخطّى إليهـا من جَيّـان ، فوَطِئ أرض مَن كان بَقِيَ فيها مِن أهل الخِلاف ، فأنْزَلهم السَهْلَ وضارّهم (3) على الطاعة ، ونَظَمهم في سِلْك الجَمـاعة ، فحَسُن أَثَره في ذلك ، واسْتَبان الناس به فَضْل الاسْتِقامة على الطريقة ، وهذا هو الاستِنْزال الثاني الذي قَصَد (4) فيه جِهات كُورتَيْ جَيّان وإلْبيرة .

وهَدَم [... حتّى احْتَلّ بحِصْن أَشْـتِيَبِن] (5) من حُصـون إلْبيرة القَوِيّ الشـكيمة يومَ الاثنَيْن لإحدى عشرة خَلَتْ من ربيعِ الأوّل منها ، وكان أهله على مُكايَدة باطنة وإظهار طاعة تَحْتَها مُداهَنة ، فعَرَض عليهم الناصر لدين الله النُزول عن حِصْنهم إلى البَسائط حَوْله أُسْوةَ الجَماعة ، فاضْطَربوا في أَمْرهم ، ولاذوا عن رُشْدهم ، فأداخت العَساكِر بهم وأَخَذت في الجِدّ والعَزْم في مُحـاصَرتهم والإحاطة بهم من جميع جِهاتهم ، حتّى بَلَغت من التَضْييق مُنْتَهاه بهم ، وبُنِيَتْ عليهم سِتّة حُصون يُقابِل بَعْضها

---

(1) م. « عبد الله » ، نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 190 .

(2) « البيان » ج 2 ص 190 « مستركحا » .

(3) م. « ظارهم » .

(4) م. « يصف » .

(5) سهو واضح من الناسخ اذ سقط هنا سـطر أو أكثر فهو لم يذكـر اسم المكان ولذلك فاننا نعتمد على « البيان » ج 2 ص 193 لكي يستقيم ، وفي « تاريخ الناصر » رقم 52 « ثم احتل على حصن » .

بعضاً أُلْزِمَتْ أعداداً مِن الرَّوابِط عليهم ، [حتّى] عادوا في مِثْل حَلْقة الخاتَم ضِيقاً وحَصْراً ، وامْتَدَّتْ أيّامُ مُقام الناصر لدين الله على حَصْرهم حتّى اكْتَمَلَتْ خمسة وعشرون (6) يوماً ، وهو يَدْأَب مع ذلك / في إصلاح أُمور رَعيّتــه وتأميــن سُــبُلهم وقَلْع الأذى والخَوْف عنهم ، ويَشْــخَص بنَفْسه (1) إلى كلّ جِهة مِن جِهاتهم .

130

واستَوْحَش أيّام مُقامه (2) على هذا الحِصْن لنأي (3) وَلَده ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، خليفته بقُرْطُبة ، وتاقَتْ نَفْسه إليه ، فاستَجْلَبه مِن قُرْطُبة إلى مُعَسْكَره ، وقَدِم عليه بهذه المَحَلّة مع ثِقات رِجاله ، وسِنّه وَقْتَ ذلك عشر سِنِين وثمانية أَشْهُر ونِصْف شهر ، وقد اســتَجْلَب له مِن القَصْر أخاه شقيقه عبد العزيز بن الناصر لدين الله ، كَيما تُنفَذ الكُتُب باسْمه إلى وقت مُنْصَرَفــه ، فكانت أوّل خَرَجات الحَكَم التي عاوَدها بَعْــدَه ، فأنِس بالحَكَم وارْتَضى هَدْيه ، فلمّا أَعْيا عليه أَمْر حِصْن أَشْتِبِيَن ، وامْتَدَّت الأيّام بمُقامه عليه ، واحْتاج إلى القُفول إلى دار مُلْكه ، أَكْثَف عِدّة شَحْن الحُصون التي ابْتَنــاها عليه ، وألْقى على حِصاره الوزير القائد عيسى ابن أحمد بن أبي عَبْدة في قطيع من الحَشَم ، قائداً يُكافِحه من أَحَــد جانبَيْه ، وصاحب الشُرْطة دُرّيّ بن عبد الرحمٰن مَوْلاه ، قائداً من الجانِب الآخَر ، فيمن ضَمّه إليهما من الرِجال ، و[ما] وَضَعه لديهما من العُدّة (4)، وصَدَر عِند ذلك قافلاً إلى قُرْطُبة ، فدَخَل إلى قَصْره بها يومَ الخميس لاثنتَيْ عشرة خَلَتْ مِن ربيع الآخِر منها ، وقد استَتَمّ في غَزاته خمسين يوماً .

---

(6) م. « عشرين » .

(1) م. « بغيته » ، انظر « البيان » ج 2 ص 190 .

(2) م. « مكامه » .

(3) يبدو أن الناسخ لم يفهم هذه الكلمة .

(4) كذا في مخطوطنا ، مع أن « البيان » ج 2 ص 190 يذكر أنه « قفل ... بعد أن أرتب الوزيرين سعيد بن المنذر وعبد الحميد بن بسيل على حصن اشتيبين محاصرين لأهله في كثف من الحشم » الأمر الذي يكاد يثبته ما روي عن مقتل سليمان بن عمر بن حفصون في ص 132 أسفلها .

فلم يَبْعُد عيسى بن أحمد ودُرّيّ القائدان المُوكَّلان بحَرْب حِصْن أشْتِيَبن إلى أن افْتَتَحاه واستَنْزَلا مَن كان فيه ، فألْحَقا منهم في حَبْل السُلْطان مَن استَحَقّ الإلحاق . وكفى الله شَرّهم .

[صَلْب أبي نَصْر]

وفيها صُلِب على الرصيف بباب قَصْر قُرْطُبة الرامي العَجَميّ المعروف بأبي نَصْر ، من أصحاب المارِق ابن حَفْصُون ، الذي كان ذَهَب له الصِيت في أيّام عُمَر بن حَفْصون في الحِذْق بالرِماية وإصابة الأغْراض البعيدة ، قَلَّ ما يُخْطِئ رَمْيته ، أوْدى بكَفّه خَلْق كثير من المُسلِمين ، واشْتَدّ الذُعْر منه ، فأُسِر في هذا الوَقْت وجِيء به إلى باب السُدّة ، فأَمَر السلطان بصَلْبه وشَكّه بالسِهام لسُوء ما أسْلَفه في رِجاله وغَيْرهم مِمَّن حارَب الأخابِث الّذين كان (5) يُناضِل عنهم ، فعُولي فَوْقَ جِذْعه ، في مَشْهَد حافل / من الناس استَنْشَقُوا دَمه ، وتَعاوَرَته الرُماة بالسِهام ، حتّى أُصِيبت مَقاتِله وانتَظَمت جَوارِحه ، وأُتِيَ على نَفْسه الخبيثة ، وتُرِك كالقُنْفُذ فوق خَشَبته ، فمَكَث كذلك أيّاماً ، ثُمّ أُمِر بإنزاله وإحراق جِيفته ، فنُفِّذ ذلك عليه وشُفِيَت النُفوس منه ، والحَمْد لله (1) . 131

[مَهْلَك الطاغية فلويرة]

وفيها هَلَك الطاغية فَلويرة ، أمير الجَلالِقة ، لَعَنهم الله ، فوَلِيَ مكانَه أذْفُونْش ، فلم يَلْبَث أذْفونْش أن تَرهَّب واعْتَزل الأمْر ، فوَلِيَ أخوه رُذْمِير مكانه سنةَ تسع عشرة وثلاث مِائة .

---

(5) م. « كانوا » .

(1) أقوى الاحتمال أن الناسخ أسقط من هنا وفاة ثابت بن حزم العوفي التي يجري ذكرها « تاريخ الناصر » رقم 50 ، و « البيان » ج 2 ص 191 على منوال واحد . ذلك الى حذف ذكر الوزراء والعمال للسنة الوارد في « البيان » بنفس الموطن : « وفي هذه السنة ، ولي خلف الفتى الكبير الطراز ، وفي شوال منها ولي يحيى ابن يونس القبري السوق . اذ اعتل أحمد بن بهلول علة أبطلته عن الحركة ، ثم ولي يحيى بن يونس المواريث في ذي القعدة ، وولي عبد الله بن محمد الخروبي خزانة السلاح » .

سنة أربع عشرة وثلاث مائة

[غَـزْوة سُـرِتة]

فيها أَغْزى الناصر لدين الله قُوّاده بالصَوائف ، ولم يَكُنْ له فيها بِنَفْسه حَرَكة ، لمَحْل كان فيها ، وقَحْط شديد ، فأَغْزى الوزير القائد عبد الحميد بن بَسِـيل إلى الثَغر الأعْلى ، الذي فيـه بنو ذي النُون ، وهُمْ مُصِرّون على الخِلاف ، مُستبصِرون في المَعْصِية ، مُكْثِرون في الفَسـاد في الأرض والاسْـتِطالة على مَن جاوَرهم من المُسلِمين وأهل الذِمّة . فأَوْقَع ببَني ذي النُون ، وقَتَل مِنهم مَن استَحَقّ القَتْل ، وقَتَل كبيرهم محمّد ابن محمّد بن ذي النُون ، وعِدّة من رِجالهم ، وأداخ بَلَدهم شَنْت برية . وافتَتَح منه مدينة سُرِتة ، فدَخَلها ووَلّاها عامِلًا للسلطان ، وفارَق أهلها ما كانوا عليه من الخُلْعان ، فدَرَّتْ جِباية شَنْت برية مِن لَدُن ذلك الوَقْتْ . وسارَتْ بسبيل سائر الكُوَر المُنْحاشة إلى الطاعة .

وكانت وقيعـة عبد الحميد بن بسـيل ببَنِي ذي النون في المُحرَّم منها ، وكان بَنُو (2) ذي النُون قد كادوا خَلَف بن عَبْدُوس المعروف بابن قطين ، صاحب سُرِتة ، فأَسَروه رَجاءً في تَمَلُّك الحصن . ثُمّ قَتَلوه في

---

(2) م. « بني » .

حَبْسهم ، فمَلَكَتْ أُخْته الحِصْن ودافَعت بني ذي النُون عنه ، وخاطَبَت الناصر لدين الله تَدْعُوه إليه ، فأَخْرَج عند ذلك الجَيْش إلى بني ذي النُون مع عبد الحميد بن بَسِيل ، فأَوْقَع بهم ومَلَك سُرِتة ، ودوَّخ بني ذي النُون ، فاسْتَقامت على يَدَيْه الناحية .

[غَزْوة بُبَشْتر]

ثُمّ صَدر عنها ، فأَخْرَجه الناصر لدين الله إلى دار الرِدّة ، مدينة بُبَشْتر ، فيمَن كان معه من الجَيْش ، ليُجامِع من استُجْمِع هُنالِك من القُوّاد على مُناهَضة المارق سُلَيمان / بن عُمَر بن حَفْصُون صاحِبها ، لمّا كَشَف وَجْهه في نَبْذ العَهْد وجاهَر بالمَعْصِية . وأَغْزى إلى بُبَشْتر أيضاً مَوْلاه أَفْلَح صاحب الخَيْل ، فيمَن ضَمّه إليه من الجَيْش اللُهام ، ففَصَل سائرًا إليها يوم السَبْت (1) للنِصْف من ربيع الأَوَّل منها . فنازَل هؤلاء القُوّاد الخبيث سُلَيْمان بداره بُبَشْتر ، ووالَوا التَضْيِيق ، وشَدّوا حَصْره ، وقَطَعوا أَوْجُه المَعِيشة عنه ، وافْتَتَحوا حِصْن مُنْت رُوي (2) من أُمَّهات حُصونه ومانِعات مَعاقِله ، ففَلُّوا به غَرْبه وأَوْهَنوا كَيْده .

132

مَقْتَل المارق سُلَيمان بن عُمَر بن حَفْصون

قال : وفيها أَهْلَك الله للناصر لدين الله المارق الغَوِيّ سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون ، وأَباح للمُسلِمين فيه جليل الفَتْح على يَدي الوزير القائد عبد الحميد بن بَسِيل . وكان السَبَب في ذلك أَنّه خَرَج مِن قَلْعته بُبَشْتر يوماً ، يَرْجُو انْتِهاز الفُرْصة من أصحاب السُلْطان المُكْتنِفين له بالحِصار ، فكان هو المُفْتَرَس منهم ، وتَبادَرَت إليه الخَيْل من الجِهة التي كان فيها الوزير القائد عبد الحميد بن بَسِيل ، فقَتَله الله بأَيْدِيهم ،

---

(1) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .

(2) في « البيان » ج 2 ص 191 « روبي » .

وذلك يومَ السَبْت (3) غُرّة ذي الحِجّــة ، وكان اليوم الثالث مِن شَهْر مارِس (4) العَجَميّ الكائن فيها ، وافَقَتْــه مِن يَد محمّد بن يُونُس (5) العريف ورَجُل من بني مُظاهِر (6) العَجَم ضَرَبات ، فصُرِع عن فَرَسه واحْتَزّ رأْسه سعيد بن يَعْلَى العريف المعروف بالشفه (7) ، وكان ابن مُظاهِر قد ضَرَبه بالسَيْف ، وهو الذي قَطَع يَده ، وتَولّى نَزْع خاتَمه مِن أُصْبُعه محمّد بن يونُس العريف ، فعَجِل به الى الوزير ، ونُقِلَتْ أعْضاؤه إلى عبد الحميد جُزْءًا جُزْءًا ، فأَرْسَل بها عبد الحميد إلى الخليفة الناصر لدين الله ، كما أَتَتْه مُفَصَّلة مُفرَّقة مع هامته الملعونة ، فأمَر بتَأْليف جُثّته ورَفْعه مَصْلــوباً على باب السُدّة من قَصْر قُرْطُبــة ، فرُفِعَتْ هُنــالِك في خَشَبة عالية . وكان الفَتْح فيها عظيمًا ســارًّا للمُسلِمين ، جامعًا لشَمْل الدِين .

وكان القَحْط في هذا العام شديدًا والمَحْل عامًّا ، واستَسْقى للناس فيها أحمد بن بَقِيّ بن مَخْلَد ، صــاحب الصَلاة ، وأَنْفَذ الخليفة الناصر لدين الله ، إلى الكُوَر في الاستِسْقاء ، فوافى / بقُرْطُبة نُزول غَيْث مُغيث يومَ رَفْع جُثّة المارق سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصون صَلْبًا على باب السُدّة ، فقالت الشُعَراء في ذلك أشعارًا كثيرة ، منها (طويل) : 133

سَحَابٌ يَمُورُ ٱلْغَيْثُ مِنْهَا (1) وَدِيمَةٌ

دِمَاءُ ٱلْعِدَى تَهْمِي بِهِ وَتَمُــورُ (2)

---

(3) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .

(4) هذا التأريخ يتوافق مع 7 من شهر شباط / فبراير .

(5) م. « موسى » ولكن انظر ما يجيء في هذا المخطوط وفي نفس هذه الصفحة وكذلك في « البيان » ج 2 ص 192 .

(6) في « البيان » ج 2 ص 192 « مُطاهِر » .

(7) كذلك يمكن لنا قراءة هذه الكلمة « الشبه » ، وفي « البيان » ج 2 ص 192 : « الشفة » .

(1) في « البيان » ج 2 ص 192 « فيها » .

(2) م. « تفور » .

غِيَاثَانِ فِينَا وَاكِفَـانِ مِنَ ٱلْحَيَـا
وَلٰكِـنَّ ذَا رِجْسٌ وَذَاكَ طَهُـورُ
وَذَاكَ نَجِيـعٌ لَيْسَ يَقْبَلُـهُ ٱلثَّرَى
وَذَا نَاجِـعٌ يَسْـرِي بِهِ وَيَغُـورُ
تَدَنَّسَـتِ (3) ٱلدُّنْيَـا بِهِ فَتَطَهَّـرَتْ
بُطُـونٌ لَهَا مِنْ رِجْسِـهِ وَظُهُـورُ

[رواية ثانية لمَقْتَل سُلَيْمان بن عُمَر بن حَفْصُون]

وقال غيره إن الوزير القائد عبد الحميد بن بَسِيل كان المُتوحِّد بالفَتْح في المارق سُلَيْمـان بن عُمَر بن حَفصون ، وإنّه غزاه أَثَرَ إقلاع أَفْلَح صاحب الخَيْل عنه ، فنَزَل بعَسْكَره ناحيةً غيْرَ دانٍ إليه ، لِما قدَّره الله من حَيْنه ، لتَقْديره في عبد الحميد النُكول عن مُنازَلته ، وشَدّ الأرصاد حَوْلَه ، وأذْكى العُيون عليه يُنْهُون إليه حَرَكاته ، فانْبَسَط سُلَيْمان لبُعْده عنه حتّى رَكِب يوماً من مدينته ، يُرِيد الشَرْب في دَيْر قَرْية قَنلّش ، فخَرَج مخْرَج فُرْجة في خَيْل يسيرة من ثِقاته ، وسُبِق بخَبَره إلى عبد الحميد ، فرَكِب في جَمْعه مُستعجِلاً مُفترِصاً له ، فغَشِيَتْه سُرْعان خَيْلـه وأَحاطت به ، فثَبُت لها في العِدّة التي كانت معه ، فلمّا كَثَرَتْه أَراد اللِياذ منها بجَبَل بَيْنه وبَيْن ذلك ، ودارت مَلْحمة غاب فيها سُلَيْمـان ، فلم يُعْرَف مَكانه ، وانْفَضّ من كان معه ، واقْتَفَر الجُنْد أثْره .

فإذا به قد انْكَبّ به فَرَسه في أَصْل دَوْمة ، فسَقَط سَقْطة رَضَّتْـه وطَحَنَتْه ، فلم يُطِق الحِراك ، وبَقِيَ سادرًا مُنتقِضاً ، لا حِراك به ، يَحْسِبه كلّ مَن مَرّ به قتيلًا من أصحابه ، إلى أن مَرّ به سعيد بن يَعْلَى المعروف بالشفه (4) ، فميَّزه ولم يُقْدِم أن يَدْنُو منه ، لخَوْفه أنّ به بَقيّة ، حتّى

(3) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 192 ، في م. « تزينت » .
(4) هذا يؤكد ما قرأناه في ص 132 ملاحظة رقم 7 .

تَبصَّر جِسّــته واسْتَبان حاله ، فأقْدَم عليه عِند ذلك فحَزّ رأســه وقَطَع أُصْبُعه بخاتَمــه . وكان فِضّة نفيسـًا ، فتَسرَّع بالرأس إلى القائد عبد الحميد فعجّل إرساله معه إلى السلطان ، وأَشْرَك معه مَن أراد نَفْعه مِن عبيده ، فأُغْنُوا . ونَهَضوا وجِيء بأشْلاء سُلَيْمــان ، قُطِّعت أوْصــاله ، وصُلِب / بباب السُدّة . 134

قال الرازيّ : وقام مَقام سُلَيْمان بقَلْعة الضَلال بُبَشْتر حَفْص بن عُمَر بن حَفْصُون ، فاجْتَمَع عليه أصحابه ، وغاشِية الإدبار عليهم مُطِلّة ، والحِصار مِن قُوّاد السلطان في ذلك مُتمادٍ عليهم ، إلى أن أذِن الله تعالى باستِئْصال شأفتهم عَمّا قليلٍ بنِعْمته .

[هَلاك الطاغية شانْجُه]

وفيها وَرَد الخَبَر بهَلاك الطاغية شانْجُه ، مَلِك البَشْكُنْس ، بِبَنْبَلُونة ، دار الحَرْب ، دمَّرها الله ، أثَرَ (1) صَلْب جُثّة [سُلَيْمان بن](*) عُمَر بن حَفْصُون ، وكان في ذاته [و]في أذَى المُسلِمين ونِكايتهم كسُلَيْمان ، مُوافِقه في وُروده حَوْض المَنيّة . وكان السَبَب في مَهْلَكه أنّه قَفَل عن غَزاة كانت له إلى بعض أعْدائه مِن الأُمَم خَلْفَه ، وقد فَتَح وغَنِم ، فلمّا صار بأرضه وعايَن ما فَتَح الله له وأفاء عليه مِن الغَنائم والأسْرَى ، لَحِقَتْه أرْيَحيّة أشَر ، حرَّك لها فَرَسه مُجْهِدًا (2) له ، إلى أن[...] (3) سَهْب من الأرض لا يَعْرِفه فانْطَلَق مالئًا فُروجه ، فردّاه في مَهْواة أقْحَمه إيّاها ، فصَرَعه ورَضّه ، وأُخْرِج منها مَيّتاً ، لَعَنه الله ، فاقْتَرَبَت بذلك النِعْمة وتَضاعَفَت المَسَرّة .

---

(1) م. « أين » .

(*) كلمتان نسيهما الناسخ .

(2) م. « مجريا » .

(3) يبدو أنه سقطت هنا عدة كلمات أو أنه زيدت « أن » .

[صلاة استِسْقاء]

وفيهــا أَمْحَل الناس بقُرْطُبة وما يَلِيهــا ، فغَلا سِــعْرهم وضاقَتْ مَعايِشهم ، وبَرَز صاحب الصَلاة أحمد بن بَقِيّ بن مَخْلَد ، فاستَسْقى لهم في مُصَلّى الرَبَض ، ونَفَذَتْ كُتُب الناصر لدين الله إلى عُمّاله في الكُوَر بالاستِسْقاء ، ففَعَلوا ذلك مَرّات ، حتّى مَنّ الله عليهم بالغَيْث وكَشَف عنهم الإزْل .

[عَزْل وتَعْيِين]

وفيها عَزَل الناصر لدين الله أَسْلَم بن عبد العزيز عن قَضاء الجَماعة بقُرْطُبة لضَعْفه عن العَمَل ، ووَلّى القَضاء مكانَه أحمد بن بَقِيّ بن مَخْلَد إلى ما يَتوَلّاه من الصَلاة .

وفيها ولّى الناصر لدين الله محمّد بن عبد الله الزجّاليّ خُطّـة الوِزارة للنِصْف من جُمادى الأُولى منها (4) .

(4) يبدو أن الناسخ أسقط من هنا ذكر أصحاب الخطط الــوارد في « البيان » ج 2 ص 193 « وفيها ، ولي أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف خزانة المال ، وولي عبيد الله بن عبد الله الزجالي العرض . وولي خزانة السلاح حسين بن محمد بن عاصم ، وأحمد بن يحيى بن حسان ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف . وفيهـا توفي محمـد بن عبد الله الخروبي ، صـاحب المدينـة ، مستهل صفر ، وولي المدينة مكـانه عيسى بن أحمد بن أبي عبدة بعد وفاته الى ثمانية أيام » .

سنة خمس عشرة وثلاث مِائة

[غزاة بُبَشْتر]

فيها غَزا الناصر لدين الله بنَفْسه إلى مدينة الضَلال وعُشّ النِفاق ، لمُنازَلة شَيْطانه حَفْص بن عُمَر بن حَفْصُون ، المُستمسِك بحَبْل الغَواية ، فبَرَز لغَزاته يومَ الخميس لثلاث /عشرة خَلَتْ من صَفَر من هذه السنة ، 135 وهو اليوم التاسع عشر من نَيْسان العَجَميّ ، وفَصَل غازيًا يومَ الخميس (1) للنِصْف من ربيعِ الأوّل (2) منها ، وهو اليوم الحادي عشر[ون] من أيّار (3) ، وذلك بعد بُروزه باثنَيْن وعشرين (4).يوماً ، وأغْزى مع نَفْسه ابنه الأكْبَر ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم بن عبد الرحمن ، وسِنّه يَوْمَئذٍ اثنتا عشرة (5) سنة وتسعة أشْهُر (6) ونِصْف ، إذ كان قد عوّده الخُروج معه في غَزَواته من أوّل سنة ثلاث عشرة وثلاث مِائة ، وتَخلّف

---

(1) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم .

(2) في المخطوط وفي « البيان » جـ 2 ص 193 « الآخر » .

(3) هذا التأريخ يتوافق مع 20 من شهر أيار / مايو .

(4) م. « ثلاثين » وكذلك في « البيان » ، نحن نصححها لأن هذا التاريخ لا يتوافق مع التاريخ الهجري ولا مع التأريخ الميلادي .

(5) م. « اثنا عشر » .

(6) نصحح ما يجيء في المخطوط حيث يذكر خطأ « عشر » .

في القَصْر عبد العزيز ، شقيق الحَكَم ، ومعه من الوُزَراء أحمد بن محمّد ابن حُدَيْر المُعْتاد المُقام هُنالِك ، وعلى المدينة أحمد بن عيسى بن أبي عَبْدة ، خليفة لأبيه الوزير عيسى بن أحمد [بن أبي عَبْدة] .

فاحْتَلّ الناصر لدين الله بجُيوشه وخَيْله ورَجْله وعُدَده على بُبَشْتر نُزولَ اعْتِلاءٍ يومَ الثُلاثاء لسبع بَقِينَ من ربيعٍ الأوَّل (7) منها ، فوَطِئها بكَلْكَله وداسها بقَدَمه ، ومَلَك مُخنَّقها بيَده ، وتَضاعَف عَزْمه في نَظْم البُنْيان عليها ، والجِدّ في مُحاصَرتها ، فانْتَهى من ذلك مُراده ، فرَتَّب عليها من جِلّة قُوّاده مَن يُلازِمها في طَوائف مِن رِجاله . ثُمّ تَنقّل منها في جُمْهُور عَسْكَره إلى حِصْن ألْجَش (8) من حُصون الخبيث حَفْص الأشِبة ، فافْتَتَحه واستَنْزَل مَن كان فيه ، وأخْرَج إليه أهله مع جَعْفر بن مِقْسِم العَجَمي ، فتَلَقَّوْه بالإذعان للطاعة ، فقَبِلهم وأمَّنهم ، وأخْلى الحِصْن الطويل بَلاؤه على المُسلِمين مِن ساكِنيه ، وأمَر بهَدْم ما كان شِيد من البُنْيان فيه ودَكّ أسْواره وتَعْفِية آثاره ، فجُمِعت [الأيْدي] عليه ، وصُيِّر دَكًّا ، وباشَر ذلك ابنه ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، والحاجب موسى بن حُدَيْر ، وكانا المُوَجَّهَيْن لامْتِحان خَبَر هذا الحِصْن ومُباشَرة خَبَره ، فتَولَّيا إخلاءه من أهله والوُقوف على إخرابه ، حتّى تَمّ هَدْمه ، خَلا قَصَبته الشاهقة وَحْدَها ، فإنّها تُرِكَتْ بحالها وأُدْخِل فيها مِن الحَشَم مَنْ يَضْبِطها . ثُمّ أمّ الناصر لدين الله حِصْن شَنْت بِيطَر ، وما قَرُب منه مِن حُصون الكَفَرة ، فنازَلهم وقَطَع أشْجارهم واجْتَثّ كُرومهم وحَطَم مَعايِشهم .

136 ثُمّ تَنقّل بجُيوشه إلى مدينة / مالَقة ، قَصَبة كُورة رَيّه ، المُلتزِمة للطاعة ، فاحْتَلّ ساحِلها وكَسَر فيها ثلاثة أيّام في مِثْل ذلك في الحُصون المُجاوِرة لها من حُصون الفَسَقة ، وولّى مدينة مالَقة عبد المَلِك بن

---

(7) في « البيان » ج 2 ص 193 « الآخر » .

(8) كذا في الأصل هنا وكذلك في ص 144 وفي « تاريخ الناصر » رقم 56 « الحش » وفي « البيان » ج 2 ص 193 « الحنش » .

العاصي ، وألْزَم معه فيها كَتيبة من الحَشَم لمُغاوَرة تلك الحُصون المُتربِّصة ، وأمَرهم بحَمْل السَيْف على كلّ داخِل إليهم أو خارِج عنهم ، وأُجْرِيَت السُفُن في بَحْرها بَيْن يَدَيْه ، وافْتَتَح حِصْن أُيْرُش وما اتَّصَل به من حُصون اللعين [حَفْص بن عُمَر] بن حَفْصون وتَحَيَّف أطْرافه .

ثُمّ عَطَف أثَرَ ذلك على مدينة الضَلال بُبَشْتر ، فاضْطَرَب عليها ثانيةً من ناحية لَماية ، ورأى أنّ البُنْيان بها مِن أنْكى الأمور للفُسّاق وأشَدّها عليهم ، فأمَر بِبُنْيان صَخْرة هُنالِك للأوائل تُعْرَف بالمَدينة ، ووَكَّل بذلك أحمد بن محمّد بن إلْياس ، فصَرَف إلى (1) كُورة تاكُرُنّا وما اتَّصَل بها من لَماية قُوّة على لُزوم مَكانه ، وألْزَم عبد الحميد بن بَسِيل مَكاناً يُشرِف منه على جميع الطُرُق إلى مدينة اللعين ، ويَحْتَرِس فيه بالمُنْتَشِرين من أهل العَسْكَر في العِلافات وطَلَب المَرافِق والمُخْتَلِفين من العَسْكَر إليه من كلّ المَواضِع . وأقام في مَحَلّته هذه لإحكام ذلك وتَقْريره سبعة أيّام ، لم يَدَعْ فيها للفَسَقة مُرْتَفَقاً ولا مَعاشاً ، وضايَق اللعين حَفْص بن عُمَر ومَن معه من أهل بُبَشْتر ، بأخْذه لسَوائمها وانْتِساف زُروع أهلها وحَطْم مَعايِشهم .

ثم انْتَقل إلى مَحَلّة طَلجَيْرة ، إلى جانب قَلْعة بُبَشْتر ، وقد كان عَهِد أيّام نُزوله الأوّل بالبُنْيان فيها أخْذاً بمُخنَّقها ، فجُمِعَت الأيْدِي عليه حتّى سما شَخْصه ، ثُمّ مَكَث عليه حتّى كَمِل بُنْيان حِصْن أشِب . ألْزَمه سعيد ابن المُنْذِر القُرَشيّ ، فأخَذ به بكَظْم اللعين حَفْص بن عُمَر ومَن معه ، اللائذين بحَصانة مَعْقِلهم ، واستَيْئَسوا من المُقام معه ، فاسْتَتَمّ سعيد بِناءه وأسْكَنه الرِجال ، ونَقَل إليه الأبْطال ، وقَوّاه بالمِيرة ، وعَمَّره بالأسْواق ، فصار السَبَب في فَتْح مدينة بُبَشْتر بَعْدَ مُدَيْدة ، حَسَبَ ما يَجيء ذِكْره ، إن شاء الله .

---

(1) م. « اليه » .

13؛ ورأى الناصر لدين الله في ذلك الوَقْت إقفال ابنه / ، وَليّ عَهْده ، الأمير الحَكَم ، من غَزْوته هذه ، قَبْلَ قُفوله هو ، إلى حَضرته قُرْطبة ، إيثاراً لتَوْديعه وحِرْصًا على مُعاوَدته لنَظَره ، فوجّهه مع ثِقات من رِجاله يُبْلِغونه إليها ، فيهم مَوْلاه دُرّيّ بن عبد الرحمن صاحب الشُرْطة العُلْيا ، والعارِض محمّد بن أحمد بن حُدَيْر (1) ، فجاءا معه حتّى أوْرَداه قَصْر قُرْطُبة ، وانْصَرَفا من فَوْرهما عن باب السُدّة ، راجِعين إلى العَسْكَر ، من غَيْر أن يُلِمّ أَحَد منهم بمَنْزِله ، أو يَتقدَّم إلى داره ، أوْ يرى أحَدًا من أهلـه ، فعَجِب الناس من مَوْقِع طاعة السلطـان مِن نُفوسـهم ، وقَفَل الناصر لدين الله عن غَزْوته هذه بَعْدَ أن أخَذ بكَظْم دار الضَلالة بُبَشْتر ، وقد تَرَك مَكايِده مَبْثوثة حَوْلَها ، وأشْراكه عالِقة بها . وبغَزْوته هذه إليها وحِكْمة تَدْبيره عليها عَجّل الله بقُدْرته ما كان تَباطَأ مِن فَتْحها ، ويسَّر ما كان قد تَعاسَر من أمْرها[...] (2) بقُرْطُبة يومَ الثُلاثاء لعشر بَقِين مِن (3) [جُمادى الآخِرة] (4) وقد استَكْمَل في غَزاته هذه أربعة أشْهُر .

فَتْح مدينــة بُبَشــتر

لمّا اشْتَدَّت المُحاصَرة على حَفْص بن عُمَر بن حَفْصون بمدينة بُبَشْتر ، وأُحيط (5) بالبُنْيان عليه مِن كلّ جانب ، ورأى من الجِدّ والعَزْم في أمره ما عَلِم ألّا بَقاءَ معه في الشاهق الذي تَعلَّق به ، مع حَدّ أسباب المَعيشة عنه ، كَتَب إلى الخليفة الناصر لدين الله يَسْأله تَأمينه والصَفْح

(1) كذا في « البيان » ج 2 ص 194/5 على أنه في ج 2 ص 193 يذكر أن الموفى في 314 كان هو عبيد الله بن عبد الله الزجالي وأن محمد بن أحمد بن حدير عين سنة 311 ولم يثبت أنه عين تعيينا ثانيا .

(2) يبدو أنه قد سقطت هنا بعض الكلمات وقد تكون ما يجيء في « البيـان » ج 2 ص 194 « وصدر عند ذلك قافلا الى حضرته يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة فدخل الى قصره » .

(3) م. « منه » .

(4) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 194 .

(5) نتبع هنا قراءة « البيان » ج 2 ص 195 ، م. « احتط » .

عنه ، على أن يَخْرُج من الجَبَل مُستسلِماً لأمْره ، راضيـاً بحُكْمـه ، فلم يَمْنَعـه الناصر لدين الله ذاك ، وأخْرَج إليـه الوزير أحمد بن محمّد بن حُدَيْر ، فتولّى هو والوزير سعيد بن المُنْذِر القُرشيّ العاكف على حِصاره شأن تأمينه ومُعاناة استِنْزاله ، فاستَنْزَلاه وآله وجميعَ النَصـارى الذين كانوا معه ، وأخْلَوْا مدينتهم .

فدَخَلها الوزيران أحمد وسـعيد في رِجال السلطان وحَشَـمه يومَ الخميس (6) لسبع بَقِينَ من ذي القَعْدة من هذه السنة ، ومَلَكاها للسلطان ورَفَعا (7) أعْلامه بسُورها ، وصار حَفْص بن عُمَر وآله وأصحابه في قَبْضتهما ، فوَفَيا بأمانهم ، وقَدِم بهم الوزير أحمد بن محمّد بن حُدَيْر إلى

138 قُرْطُبة ، / فدَخَلها حَفْص مع بَقايا أهله مع أهْلِيهم وأوْلادهم يومَ الجُمعة (I) غُرّة ذي الحِجّة من هذه السنة ، ووَفَى له الناصر لدين الله بأمانه وأوْسَعه ومَن معه صَفْحاً ، ووَسّع نُزُله ، وصَيَّره في أعلى مَنازِل حَشَمه وجُنْده . وأقام الوزير القائد بَعْدَه بمُدَيْدة بمدينة بُبَشْتر ، ضابِطاً لها وبانياً لما عُهِد إليه بُنْيـانه فيها وإحكامه منهـا ، فأزال الله بزَوالها مُلْك الضَلال ، آل حَفْصون ، وجَبّ بقَهْرهم غارِب الفِتْنة ، وأعْظَم الله بذلك على المُسلِميـن المِنّة .

وأنْفَذ الناصر لدين الله أيضاً صاحب الشُرْطة ، القائد دُرّيّ بن عبد الرحمٰن ، مَوْلاه ، إلى ابن الزيّات المُنْتَزي بالجَزيرة ، وكان بعيد الشأو في الضَلالة ، حليفـاً لآل حَفْصُون الفَسَـقة ، فلمّـا أن وافى عليه دُرّيّ بعَسْكَره ، خَرَج هارِباً قُدّامَه ، لائذاً من خَوْفه ، فدوَّخ دُرّيّ ناحيته ، وظَفِر في وَجْهه هذا بهابِل ، قائد كان لابن حَفْصون ، وبأصحاب له سبعة من النَصار[ى] ، كانوا أتَوا ابنَ الزَيّات مُمِدّين له ، فعَلِقوا بوُقوعهم في يد

(6) هذا التاريخ خطأ اذ كان يوم الاثنين أو الثلاثاء .

(7) م. « رفع » .

(I) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

القائد دُرّيّ ، فأَسَرهم وأَوْثَقهم بالحديد ، وقَدِم بهم قُرْطُبة ، فصُلِبوا في المَرْج بالشَّط أَسْفَلَ باب القَصْر يومَ الأحَد لسبع خلَوْن من شَهْر رَمَضان ، وأَضْحَوْا على جُذوعهم مُصلَّبين ، مُواسِين بأميرهم (2) اللعين ، عِظةً للمُتوسِّمين ..

وفيها وَلِي فُطَيْس بن أَصْبَغ الوِزارة في صَدْر شَوّال منها (3) .

(2) م. « موسين بأمرهم » .

(3) يبدو أن الناسخ أسقط من هنا ذكر أصحاب الخطط الوارد في « البيان » ج 2 ص 195 « و[ولي] ابنه عيسى [بن فطيس بن أصبغ] الخزانة ، وعبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبي العرض ، وعبيد الله بن عبد الله الزجالي المواريث . وتوفي الوزير محمد بن عبد الله الزجالي في شعبان ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وتوفي العارض محمد بن أحمد بن حدير في آخر هذا العام ، وكان حدثا ، قد توجه ذكره ، وتمكن محله ، فعظم أسف الحاجب عمه والوزير أبيه عليه ، وولى الناصر خطتـه أخاه موسى بن أحمد بن حدير ، وهو صغيـر ، لم يبلغ الحلم ، تعزية لأبيه وعمه عن المفقود ، وإحياء لذكره » .

سنة ست عشرة وثلاث مائة

[ضَبْط بُبَشْتر]

فيها كانت غَزْوة الخليفة الناصر لدين الله الى مدينة بُبَشْتر المُطهَّرة مِن أَنْجاس الضَلالة ، أَثَرَ افْتِتاحه لها ، لتَدْبير أمْرها وإحكام ضَبْطها ، ففَصَل من قَصْره بقُرْطُبة دون بُروز يوم الاثنَيْن (4) للنِصْف من المُحرَّم منها ، وهو اليوم السابع من شَهْر أذار الشَمْسيّ . وأَغْزى مع نَفْسه ابنه الأَكْبَر ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، وتَخلَّف في القَصْر بَدَله أخاه شقيقه عبد العزيز بن الناصر لدين الله لتَنْفيذ الكُتُب إليه ، ومعه من الوُزَراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر المُعْتاد تَخْليفه ، وعلى المدينة أحمد بن عيسى ابن أبي عَبْدة ، خليفة لأبيه عيسى بن أحمد ، وكان الحاجب موسى بن / محمّد بن حُدَيْر عليلًا ، فتَخلَّف عن هذه الغَزاة . 139

وكان طريق الناصر لدين الله إليها على أَسْتَجه (1) إلى مدينة أُشُونة ، فاحْتَلّ بمدينة بُبَشْتر يومَ الأَحَد لعشر بَقِينَ من المُحرَّم منها ،

(4) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم ، وفي « البيان » ج 2 ص 196 « الثلاثاء » .

(1) كذا في الأصل ، وتكتب عادة « أسْتِجة » / Astigi .

فدَخَل المدينة وجال في أقْطارها ، وعايَن مِن شَرَفهـا وحَصانتها وعُلُوّ مُرْتَقاها وانْقِطاع جَبَلها من جميع جِهاتها ما أيْقَن معه ألّا نظيرَ لها بأرض الأندلس حَصانة ومَنَعة واتّساع قَراره واجْتِماع مَنافِع وإراضة بَسيطه ، فأكْثَر حَمْد الله تعالى على ما أُتيح له منها ويُسّر له فيها ، والْتَزم الصَوْم أيّام مُقـامه وأنْعَم تَصفُّح آثار الطَواغِيت الذين اقْتَعَـدوها ، ماحِيـاً آثارها (2) ، طامساً أعْلامها ، ومشى إلى مَسْجِدها الأقْدَم المهجور منهم ، فصَلّى فيه ، وأمَر أن تُوصَل فيه الصَلَوات المفروضة التي كانت ممنوعة منه .

وكَشَف الله من غَيْب المُلْحِد عُمَر بن حَفْصُون ، مُتبوِّئ هذه القَلْعة لضَلاله ، وأبان من تَذَبْذُبه بَعْدَ إظهار الإسـلام ، وتَشبُّثه بالنَصْرانيـّة والْتِباس أمْره على مَرّ الأيّام ، ما حَمَله على نَبْش صَداه من مَرْمَسه (3) واسْتِثارة (4) رِمّته على قُرْب عَهْده ، فانْكَشَفَت دِفْنة (5) جُثّته الخبيثـة عن سُنّة مَدْفوني النَصـارى غَيْر شَكّ ، لأنـّه أُصِيب مُلْقًى على ظَهْره ، مُستقبِلاً وَجْهَ المَشْرِق بوَجْهه ، موضوعاً ذِراعه على صَدْره ، كَما يتَدافَن النَصارى ، عايَنه على تلك الهَيْئة الخَلْق من أهل العَسْكَر وغَيْرهم ، وشَهِد ذلك منه عامّة (6) الفُقَهاء الغازين مع الناصر لدين الله ، وأيْقَن جميعهم بِهَلاك المُشرِك على دِين النَصْرانيـّة لا مَحـالَةَ ، فهَتَك الله بذلك سِتْره ، وفَضَح شِرْكه .

وأمَر الناصر لدين الله باسْتِثارة صَداه الخبيث من مَلْحَده ، وبحَمْل أوْصاله الخبيثة النَجِسة إلى باب السُدّة بقُرْطُبة ، ورَفَعه هُنالِك في أعْلى

---

(2) م. « اثارها » .

(3) كذا في الأصل ، في « البيان » ج 2 ص 196 « جيفتي عمر بن حفصون وابنـه (جعفر) » ويطرد ذكرهما فيه على التثنية .

(4) م. « استيثار » .

(5) م. « دافنة » .

(6) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 196 ، م. « علية » .

الجُذوع المُنيفة ، مُعْتبَراً لعُيون الناظرين إذ لاحَتْ جَليّة أمْره عن ارْتِداده عن الإسلام الذي وُلِد عليه واعْتِقاد النَصْرانيّة ، وأبانَتْ عن سُوء النِيّة ، فنُفّذ ذلك ، ورُفِع شِلْو عُمَر الخبيث في أعْلى جِذْع ، واسِطاً ما بَيْن جِذْعَي ابنَيْه الصليبَيْن هُنالِك قَبْلَه ، / حَكَم وسُلَيمان ، قد تكنّفاه من جانِبَيْه ، وأناف جِذْعه عليهما ، عِظةً للناظرين وقُرّةً لقُلوب المُسلِمين ، فلم تَزَل جُذوعهم مُقيمة هُنالِك ومائلة قَصْد أعْيُن الناظرين مِن وقت تُوافيهم عليها إلى سنة احدى وثلاثين وثلاث مِائة ، فإن مَدّ النَهْر المُوافي في تلك السنة طما ، فذَهَب بجُذوعهم .

140

وكان مِن عجيب الاتِّفاق ، في اجْتِماع عُمَر وابنَيْه ، حَكَم وسُلَيْمان ، في الصَلْب على باب السُلطان ، أن حقَّق القَضاء مِن ذلك ما قد تَفاءَل به عليهم مُقدّم بن مُعافَى الشاعر قَبْلَ ذلك بدَهْر طويل ، وعُمَرُ في رَيْعان غَوايته وعُنفُوان شَرّه ، إذ يقول في مَدْح القائد أحمد بن محمّد بن [أبي] عَبْدة ، وهو مُنازِل لابن حَفْصون ببَلْدة ، في شِعر له ، أوّله (وافر) :

حَلَلْتَ بِبَلْدَةٍ فِي عَسْكَرَيْنِ
مُقِيمًا لِلْعَدُوِّ قِيَامَتَيْنِ
كَأَنِّي بِٱبْنِ حَفْصُونٍ وَشِيكًا
عَلَى جَرْدَاءٍ بَيْنَ دِعَامَتَيْنِ
وَقَدْ أَضْحَى خُنَيْنِصَاهُ مِنْهُ
عَلَى مَتْنِ ٱلرَّصِيفِ بِجَانِبَيْنِ

وأُقيمَت الدَعْوة للناصر لدين الله بجامِع بُبَشْتر المُعَطَّل ، واتّصَلت فيه الصَلَوات والخُطَب ، وعُمِرَتْ فيها المَساجِد المُقْفِرة ، وهُدِمَتْ منها الكَنائس المَعْمورة ، وقد كان حُسْن عِمارة هذه الكَنائس واتِّصالها بقَصْر اللعين عُمَر ، وإقفار المَساجد بها واستِيلاء الدُثور عليها ووَحْشتها مِمَّن يُعَمِّرها مِن أقْوى الأدِلّة على رِدّة اللعين عُمَر وأقْطَعها بكُفره . وأَحْسَن

الناصر لدين الله النَظَر في مَصالِح بُبَشْتر واسْتِباحة حَرَم الشِرْك بها ، وإخراج مَن لا يُوثَق به عنها ، وشَحْن قَصَبتها بثِقات الأَوْلياء ، والأَخْذ فيها وفيما يَلِيها بأَحْزَم الآراء ، حتّى استَتَبَّ ذلك كلّه على أَكْمَل وُجوهه ، ثُمَّ قلَّدها الوزير القائد سـعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، وأَلْزَمه المُقام بها والضَبْط لها ، وإكمال ما رَسَمه من البُنْيان فيها وإيساع (1) النَظَر في ما حوالَيْها .

فاستَنْزَل سعيد أهل حِصْن شَنْت بيطَر وبُمارِش (2) وبطْرون (3) وغَيْرها من مَعاقِل الكَفَرة ، وأَهْبَطهم مِن أَجْبُلهم ، فتَفرَّقوا في بَسائطهم ، واستَقْصى الحُصون خَرابًا / ونَسْفًا ، فلم يَبْقَ للنَصْرانيّة في تلك الجِهة جِصْن مذكور ولا مَعْقِل مَعْمور ، فعادت بذلك كُورة رَيّه الواسعة الأقطار ، على كَثْرة ما كان فيها مِن الحُصون المانعة والمَعاقِل القاصيـة ، لَيْس فيها جَبَل مضبوط ولا عَدُوّ مرهوب (1) .

141

واحْتَمَل الناصر لدين الله على مِثْل ذلك في حُصون تاكُرُنّا وحُصون مَغِيلة ، إلّا ما وَجَب التَمسُّك بها منها ، ونَظَر في إزعاج من وَجَب إزعاجه إلى حَضْرته قُرْطُبة ، مِمَّن ظُنَّ به تَشَوُّف إلى الفِتْنة ، ليَكُون الناس أُمّة واحدة ورَعيّة ساكنة وادعة .

وأَنْفَذ الناصر لدين الله من بُبَشْتر الوزير عبد الحميد (2) بن بَسِيل إلى كُورة شَذُونة في جَيْش كثيف ، وتَقدَّم إليه في تَبْسيط الرَعايا فيما هُنالِك ، وهَدْم حُصون الكُورة المُتَّخَذة للخِلاف على الجَمـاعة ، وجَمْع اهلها إلى مدينة قَلْسانة قَصَبة كُورة شَذُونة ، فأَحْكَم عبد الحميد ما حُدّ

---

(1) م. « الساعة » .

(2) أول حرف من هذه الكلمة غير منقوط وكذلك في هذا المخطوط ص 118 ، نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 196 .

(3) أول حرف من هذه الكلمة غير منقوط وفي « البيان » ج 2 ص 196 « جطرون » .

(1) في « البيان » ج 2 ص 197 « محذور » .

(2) م. « الملك » .

له من ذلك ، واستَنْزَل بَني داوُد عن حُصونهم التي كانوا فيها إلى الحَضْرة ، وولّاها مِن عُمّال السلطان وثِقاته مَن يُحْسِن (3) السِيرة ويَبْسُط العَدْل في رَعيّته بتِلْك الجِهة . واستَنْزَل أيضاً مِن جبال شَذُونة رِجالاً من رُؤساء الخِلاف ، أنْفَذهم إلى قُرْطُبة ، وأُلْزِموا سُكْناها ، فانْتَظَم صَلاح هذه الكُوَر الثلاث ، التي هي سَنام الأندلس في هذه الغَزْوة المُبارَكة ، وارْتَفعت عنها شآبيب الفِتْنة .

ثُمّ قَفَل الناصر لدين الله عنها أيْمَن قُفول قَفَله مَلِك سعيد ، قارَنه السَعْد والتأْييد ، يومَ الأَحَد لخمس خلَوْن من صَفَر منها ، فكان وُصوله إلى مُنْية الناعورة ، مِن مَحالّه بقُرْطُبة حَضْرته ، يومَ السَبْت لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ من صَفَر ، وقد اسْتَتَمّ في سَفْرته هذه ستة وعشرين يوماً .

[كتاب الناصر إلى العُمّال عن فتْح بُبَشْتر]

وكان مضمون الكتاب النافذ عن الناصر لدين الله في دُخوله لمدينة بُبَشْتر أنّه ضَبط قَصَبتها العُلْيا فَقَطْ لنَفْسه ، وأَحْكَم تَحْصينها بما أَحْدَثه من البُنْيان فيها على تَقْديره ، وتَفرّق رِجاله على هَدْم حُصونها وقِصابها وبياراتها الخارِجة عنها المُحِيطة بها ، مِثْل شَنْت أوْلالية وشَنْت مَرِيّة وقَصَب صُهَيْب ، وكان / جميعها مُخْدَقاً بجَبَل بُبَشْتر مُمتنِعاً بمَنَعته ، 142 لا نظيرَ لها في مَنَعتها وحَصانتها ، ثُمّ أَمَر بهَدْم المَسْجد الجامِع الذي كان اتَّخَذه اللعين عُمَر بن حَفْصُون أوّل ثَوْرته ، خُدْعة لمَنْ كان مَعه مِن فَسَقة المُسلِمين قَبْلَ تَصْمِيمه (1) في اجْتِباء النَصارى ، إذ كان اللعين أَسَّسه على غَيْر تَقْوى من الله ورِضْوان ، وأَنفَق عليه مِن غَنائم المُسلِمين وأَسْلابهم ، فسُوِّيَ بالأرض وأُحْرِق مِنْبَره الذي حُمِل عليه الدُعاء للعين

(3) م. « تحسن » .

(1) م. « تضسينه » .

المُرْتدّ ونَسَله الخبيث ، وجرى عليه ذِكْر وَلِيّه عُبَيْد الله الشِيعيّ ، الذي كان عَلِق حَبْله وتَشبَّث بدَعْوته .

ثُمّ أخْرَج القُوّاد في طَوائف الرِجال إلى جميع حُصون كُورة رَيّه ، وتقدَّم إليهم بتَخْريب جميعها ، وحَطّ أسْوارها ، وهَدْم قِصابهـا ، وقَلْع أساسها ، وتَفْريق أحْجارها ، وأخْذ أهْليها بالنُزول إلى السَهْل وعِمارة القُرَى بالبَسائط ، حَسَبَ ما كانوا عليه أيّام الجَمـاعة . فبَلَغوا من ذلك الغاية ، وأمَدّهم الله عليـه بالمَعُـونة ، وكان عِدّة مـا هَدَموه من هذه الحُصون الأشِبة المُسمّاة في هذا الكتاب ثلاثين حِصْنًا ، فعادت كُورة رَيّه مِن لَدُن هذا الوَقْت على كَثْرة ما كان فيهـا مِن المَعـاقِل المنيعة (2) بسيطاً واحدا مُوطَّد الدِعام ، تَدُوسه الأقْدام ، لَيْس فيه حِصْن مضبوط ولا عَدُوّ محذور . واحْتَمَلـوا على مِثْل ذلك في حُصـون كُورة تاكُرُنّا المُتاخِمة لها من التَقْديم والاستِنْزال ، إلّا في بعض ما وَجَب التَمسُّك به منها لبعض الحَزْم ، ولم يَدَع الناصر لدين الله مع ذلك إزعاج من وَجَب تَرْحيله مِن وُجوه أهل هذه النَواحي ، الذين عَرَفوا أيّام هذه الفِتْنـة ، ولابَسوا الثُوّار ، وكان على الرَعيّة منهم بعض الاسْتِطالة ، وإلى عُمّالهم بعض المُعارَضة ، فأُزْعِجوا جميعاً إلى قُرْطُبة دار الجَماعة ، وأُلْزِموا سُكْناها تَحْتَ جَناح الخليفة كَيْما يَعُود الناس أُمّة واحدة ، سامعة ، ساكنة ، مرؤوسة ، غير رئيسة ، ومُحْتكَماً عليها ، غير حاكمة .

[مَدْح الشُعَراء للناصر]

وهَنَّأت الشُعَراء الناصر لدين الله بفَتْح مدينة بُبَشْتر وضَمّ النَشْر / بها ، لأوّل ما وافت البُشْرى بنُزول حَفْص بن عُمَر بن حَفْصُون أميرها منها ، ودُخول أحمد بن محمّد بن حُدَيْر الوزير فيها ، ثُمّ بخُروجه هو

1

(2) م. « المبتعة » .

إليها وبُلوغه شِفاء نَفسه بمَلْكها ، وبما هُدِيَ له مِن نَفس الكافر عُمَر بن حَفصُون مُتَبَوِّئها ، والوُقوف على صِحّة ارْتِداده ، وارْتِفاع عَلَم الشِقاق (I) بصَلْب أشْلائه ، وما تَهيَّأ له من إقامة الخُطْبة لنَفسه بمَسْجِدها الذي طال ذِكْره وذِكْر سَلَفه فيه ، والمَشْي نَحْوه للصَلاة فيه ، شُكْرًا لله على ما مَنَحه من ذلك .

فقالت الشُعَراء في ذلك أشعارًا كثيرة حَسَنة ، منها شِعْرا أبي عُثمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدريس ، الأوّل عند وُرود البُشرى بالفَتْح ، والثاني عِند دُخول الناصر لدين الله بُبَشْتر الشرّ ، وكِلاهما بارِع ، والأوّل منها (طويل) :

أَحَقًّا خُضُوعُ ٱلْمَعْقِلِ ٱلْمُتَجَبِّـرِ
وَفَتْحُ أَمِيـنِ ٱللهِ حِصْنَ بُبَشْتِـرِ
كَفَى خَبَرًا مُسْتَشْنَعًا مِنْ مُخَبِّـرِ
وَحَسْبُك بُشْرَى أُعْظِمَتْ مِنْ مُبَشِّرِ

وأوّل الثاني منها قَوْله (طويل) :

أَلَا هٰكَـذا فَلْيَنْصُرِ ٱللهُ نَاصِـرَهْ
وَيَشْكُرُ بِٱلنُّعْمَى ٱلْعَظِيمَةِ شَـاكِرُهْ

وقال في ذِكْر بُبَشْتر في شِعر آخَر (طويل) :

جَلَتْ ظُلُمَاتُ ٱلْكُفْرِ عَنْهَا فَأَشْرَقَتْ
وَلَاحَتْ عَلَيْهَا شَمْسُهَـا وَبُدُورُهَا

اخْتَصَرنا إيرادها بجُمْلتها لطُولها .

ولأحمد بن محمّد الرازيّ في صَلْب أوْصال عُمَر بن حَفْصُون من قصيدة (طويل) :

(I) م. « الانسان » .

تَبَدَّى لِرأْيِ ٱلْعَيْنِ مَرْأَى مُجَسَّمَا
وَقَامَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ خُلْفاً مُتَمَّمَا
فَمَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ مَنْ نَامَ نَوْمَةً
فَأُنْبِهَ عَنْهَا حِينَ أَغْفَى وَهَوَّمَا
ثَوَى فِي ٱلثَّرَى حَتَّى إِذَا صَارَ رِمَّةً
أُعِيدَ إِلَيْهِ جِسْمُهُ فَتَلَأَّمَا
رَقَى فَوْقَ جِذْعٍ بِٱلْهَوَاءِ مُعَلَّقٌ
يُحَاوِلُ مِنْهُ بِٱلنُّجُومِ تَحَوُّمَا
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاهُ لِلْخَلْقِ سَامِكاً (2)
وَبَوَّأَ مِنْهُ ٱلنَّفْسَ قَعْرَ جَهَنَّمَا

[رواية الرازيّ لافْتِتاح مدينة ببشتر]

وقال أحمد بن مُحمّد الرازيّ : غزا الخليفة الناصر لدين الله مدينة بُبَشْتر ، / كَهْف الضَلالة ، سنة خمس عشرة وثلاث مِائة ، وفيها حَفْص ابن عُمَر بن حَفْصُون ، فكان فُصوله لغَزْوته هذه صَدْرَ ربيع الأوّل منها ، فحَلّ بُبَشْتر حُلول إحاطة ، ونازَلها بالقِتال وضَيَّق عليها بالحِصار ، وتَتَبَّع حُصون حَفْص بكُورة ريّه بمِثْل ذلك مِن النِزال بالقِتال والتَضْييق بالحِصار والأَخْذ للأَبْواب والحُؤول بين مَن فيها والإضْرام ، فافْتَتَح مِن أَوائلها حِصْن أَلْجَش الذي هو على مَقْرُبة مِن بُبَشْتر ، وكان جَناحًا لها وسَدًّا دُونَها ، فلمّا أن فَتَحه دَخَل منها الوَهْن الشديد على بُبَشْتر ، وخالَطها الفَتْق الذي لم يُرَقَّع ، وذلك أنّه خَرَج إليه أهلها عندما أَجْهَدهم الحِصار ، مجهودين مُحَكَّمين في أَنْفُسهم ، فأَنْزَلهم بالأمان ، وأَخْلى الحِصْن منهم .

(2) م. « سامقا » .

ثُمّ انْتَقَل مِنه إلى مدينة بُبَشْتر ، فنَزَل عليها ، مُستقِرًّا فيها ، مُحِيطًا بها ، مُحاصِرًا لها ، مُضيِّقاً عليها ، وأَخْرج العَساكِر من مَحَلّته عنها إلى حُصون رَيّه المُستَضِيفة إليها ، المُستحِيلة في امْتِناعها ، فنازَلها [...] (1) وتضيق [...] (1) ، فوجَّه إلى حِصْن بُمارِش (2) زعيمها بعَسْكَر يَجُرّ فيها مَساعير مِن أبْطـال رِجاله ، قاتَلوا أهله ، حتّى كَشَفوهم عن أصحـابه بفِنائه واضْطَرّهم إلى التَواري عنهم في حِصْنهم ، وَلَوْ شاؤوا ألّا يَبْرُزوا لَمْ يُدْنَ مِن بابهم لحَصانة مَعْقِلهم ، وأَرْسَل أيضاً إلى حِصْن بطْرون (3) ، وهو حِصْن حصين فَوْقَ جَبَل شامخ في أَعْنان السَماء ، قد أحاط به من أَكْثَر نَواحيه وادٍ شَتويّ ذو مَهاوٍ عظيمة ، لا يُدْنَى منها ولا يُتَعَلَّق بها ، وَقْياً من الحِصْن الذي رسا برأس الجَبَل ، وبَيْنَ أَسْفَل الوادي والمَهاوِي حَوالَيْه عَمائر واسعة وكُروم اَلْفاف وأَشْجار مُتَّصِلة ومَسارِح للمَواشي عريضة ، تَظَلّ فيها سَوام أهل الحِصْن راتعة ، لا تَلْحَقها مَخافة ، قد صار الحِصْن باباً إليها وقُفْلاً عليها ، ويَتَّصِل بالحِصْن من جِهة الشَرْق سَهب من الأرض سَهْل المَدْخَل إليه والمَخْرَج عنه منه ، كان مُنْذُ كان مُتأبِّيـاً قُبالةً ، وكان جميع أهله نَصارى لا مُسْلِمَ فيهم ، وكذلك حِصْن بُمارِش (2) المُتقدِّم ذِكْره ، وإخْوته شَنْت بيطُر وشذلية ، وحُصـون تلك / الناحية مُخْتَصّة للنَصارى على قديم الأيّام ، فعَمّ (1) الناصر لدين الله جميعهـا بالقِتال والتَضْييق ، حتّى أَشْرَقهـا بالرِيق ، ثم تَنقَّل إلى الساحل بناحية مالَقة ، فكَسَر فيها ثلاثة أيّام مُستريحاً ، يَلْعَب بَيْن يَدَيْه المَراكِب وتُصْطاد أمامَه أنْواع السَمَك البَحْريّ ، فقَضى وَطَرًا من غَزْوته ، ثُمّ قَفَل إلى قُرْطُبة حَضْرته .

149

---

(1) يبدو أنه سقطت هنا بعض الكلمات .

(2) أول حرف من هذه الكلمة غير منقوط انظر في هذا الكتاب ص 140 .

(3) أول حرف غير منقوط انظر هذا الكتاب ص 140 . قد تقرأ « فطرون » أو « جطرون » .

(1) م. « فعمر » .

وكان عِند زَواله من ساحة بُبَشتر أَمَر ببناء حِصْن طَلجَيْرة (*) على مِثال رَسْمه ، وأكَّد في تَمامه ، فسُورِع في أمْره ، فأحَلّ قُوّاده بطلجيرة هذه مع الأجْناد ، وألْزمهم صِلة حَصْر بُبَشْتر والتَضْييق عليها ، والأخْذ ببابها ، فالْتَزَموا ذلك وتَناغَوْا فيه ، فلم يَكُ إلا كَلا حتّى كَثُرت عِمارة طَلجَيْرة واتَّسَعَت مَساكِنها ، وانْتَقَل الناس إليها ، فكَثُر قُطّانها ، وقامَتْ بها الأسْواق ، ومالَتْ إليها الرِفاق ، واتَّسَعَتْ فيها الأرْزاق ، فحَسُن عَيْش أهلها (2) وتَبارى الناس في سُكْناها ، فناقَضَتْها دار الشِقاق بُبَشْتر عمّا قليلٍ ، وساء عَيْش أهلها ، فضاق رُحْبها على مَن فيها ، فأصْبحَتْ محصورة ممنوعة مهجورة ، يَوَدّ مَن فيها لَوْ يَجِدون مَفرًّا إلى النار عنها ، فصار نَظَر الخليفة الناصر لدين الله في نَصْب أُخْتها طَلجَيْرة عليها من أعْظَم ما به كادها وصار المِفتاح المُيَسِّر لفَتْحها .

فلمّا رأى حَفص بن عُمَر ، يَعْسُوب ضَلالتها ، ما نَزَل بها (3) ، وتَفكَّر في عاقِبة أمْره ، ونَظَر إلى مدينة شديدة القُوّة وثيقة البِنْية قد رَسَتْ على حِصْنه ، وأَخَذَتْ بكَظْمه ، يَئِس من المُقام فيه وانْقطع أمَله من إمساكه ، وعلِم أن الله قد أذِن بقَطْع دابر[ه] ورَفْع باطِله وقَبْض دَوْلته ، ورأى أنّه إن أمْكنه العَيْش الوبيل تَحْت الاصْطِبار الشديد على ما نَزَل به ، فإنه مَتاع قليل ، وأنّ آخِره إلى مَوْت الجُوع ، إن انْدَفع عنه القَتْل ، فإلى أشَدّ منه يَدْفعه ، مع أنّه لا يأمَن مِن رِجاله ، الذين قد وَقَذهم الحَصْر ونَهَكهم الضَرّ ، أن يُنْزِلوا به كالذي أنْزَلوه بجَعْفَر أخيه ، والذي أشْرَف عليه منهم أخوه سُلَيْمان بَعْدَه ، مع أنّ الأسْباب في وَقْته (4) آكَدّ وأشَدّ مِمّا كانت عليهم في وَقْت إخوته ، فصدَّق / نَفْسه واستَعْجَل لها ما لم يَرَ أنّ لها بُدًّا منه ، فباء بالذَنْب ولاذ بالطاعة ، ودعا إلى الأمان ، فبَذَله

146

(*) م. « ببشتر » .

(2) يضيف المخطوط هنا « فضاق رحبها » .

(3) مصحح على الهامش « به » .

(4) م. « فوقها » .

الناصر لدين الله وأجابه إليه ، وأَرْسَل إليه ثِقته الوزير احمد بن محمّد بن حُدَيْر بتأمينه وتأمين مَن كان داخِلَ المدينة من اصحابه ، ليُسْلِمها إلى احمد ويَهْبُط إلى الحَضْرة ويَلْحَق بالجَماعة .

فأتاها احمد ودَفَع إلى حَفْص (1) أمانه ، وأنْزَله عن بُبَشْتر فقَدِم به إلى قُرْطبة ، وأنْزَل جميع مَن كان فيها آمنين على أنْفُسهم ، فوَفى لهم بامانهم ، يَحْمِلون ما أطاقوا حَمْله من أمْوالهم وأمْتِعتهم ، ويُسْلِموا ما لم يُطيقوه وعَجِزوا عن حَمْله ، فتَفرَّقوا (2) في البسيطة ، وأمّ كلّ واحد منهم وِجْهته ، وابْتَدر اهل الطاعة مِمَّن كان حَوْلَ بُبَشْتر إتيانها مِن كلّ وَجْه ، لنَهْب ما ألْفَوْا فيها مِن بَقايا أمْتِعة اهلها الظاعنين والاتهم ومَواعِينهم التي استَثْقلوا حَمْلها ، لمّا أباحهم السلطان ذلك .

فظَهَروا من كَثْرتهم وسَعَته على ما كاد يَعُمّهم ، وقَلَّ ما بَقِيَ بَيْت من بُيوتهم إلّا وحَصَل فيه شَيْء مِن الاتهم ومَواعِينهم ، حتّي انّهم الآن ليَعْرِفونها بالنِسْبة إلى بُبَشْتر فيما بَيْنهم ، إذ كانت بُبَشْتر اللعينة وَكْر الفِتْنة ومُنْبَعَث الفُرْقة وأمّ الدَواهِي وسَبَب البَلاء ، بَعَثَتْ على الأنام شَجاً ، وللدِين غُصّة ، ولعِمارة الأرض إخراباً ، وبمسكون مُدُنها أجَلاً ، وعلى جَماعة الإسلام شَتاتاً ، ولأهل المُروق نِظاماً ، وللمُشرِكين مُنْزِلاً ومَعاناً ، أعْيا دَواؤها الأمَراء وأعْجَز عِلاجها الحُكَماء ، إلى ان اتاح الله لها الخليفة الناصر لدين الله جِماماً مُواشِكاً ، فوَكَّل بها هِمّته (3) ، وأعْمَل فيها جِدّه وجَدّه ، وصَرَف إليها عِنايته ومَكِيدته ، ووالى إليها جِهاده وقَصْده ، فلم يَزَل يَتَحوَّف (4) حُصونها ، ويَتخرَّم أحْوازها ، ويَعُمّ شُعوبها ، ويُوهِن قُواها ، ويُشَتِّت جُموعها ، ويُفَرِّق ألْفتها ، ويَبْتَني

---

(1) م. « بعض » .
(2) كلمات بلا تنقيط ، انظر « البيان » ج 2 ص 196 .
(3) قراءة مفترضة وقد رسم الناسخ هنا هذه الكلمات بلا فهم لمعناها .
(4) كلمة غير منقطة .

البُنْيان عليها ، حتّى اتَّصَل بُنْيانها وضَعْضَع كِيانه بأَرْكانها ، فلم يكَدْ يَخْرُج من حَلَباتها (5) خارج ، ولا يهُمّ بالدُخول إليها داخل ، إلّا وَقَعت عليه

147 عَيْن ، وصَدّه حِصْن ومَنَعه جِذْر ، ولا يَهْبُط منها / مُتجسِّس إلّا تَخَطَّفه مُتقنِّص ، فأَصْبَح الفَتْح فيها يَجِلّ عن الشُكْر ، وتَقْصُر دُونَه الأمانِيّ ، وتَعْجَز عنه مُواتاة الزَمان ، فاعْتَدّ بَهْجة (I) السُرور ، وعُهْدة الحُبور وعُرْس الدَهْر ، ومَنْفَذ الشُكْر ، والحَمْد لله الذي يُعْطِي كما يَمْنَع ، عَزّ وَجْهه .

وكان بَدْء افْتِتاح بُبَشْتر الأَعَزّ يوم الخميس لعشر بقِينَ من ذي القَعْدة سنة خمس عشرة وثلاث مائة .

نُسْخة كتاب الناصر لدين الله إلى الآفاق بفَتْح قَلْعة بُبَشْتر

« بسم الله الرحمٰن الرحيم .

الحَمْد لله الذي عَلا فقَهَر ، ومَلَك فقَدَر ، وأَحْكَم ما دبَّر ، وأَعَزّ الإسلام ونَصَر ، وأَذَلّ الكُفْر ودَمَّر ، باعِث الرُسُل ومُنْزِل الكُتُب ، الذي اخْتَصّ محمّدًا ، صلّى الله عليه وسلّم ، بالنُبُوّة وشَرَّفه بالرِسالة ، وجَعَله البشير النذير والسِراج المُنِير ، وأَوْضَح به اليقين ، ونَهَج به الدِين ، وخَتَم به النَبيّين ، فصلّى الله عليه وسلّم ، وقدّس وعظّم وشرّف وكرّم ، ثُمّ اصْطَفى لخِلافة نَبيّه ، واجْتَبى لإمامة دِينه أفاضِل خَلْقه وخِيار عِباده المُتَّقِين المُرْتَضَيْن ، أهل الإمامة والأمانة ، أَقاموا السُنَن وأَطْفَؤوا الفِتَن ، واتَّسَق بهم نِظام الدِين مُتَّصِلاً ، ومَثُل عَمُود الإسلام مُعتدِلاً ، وقام رِواقه مُمْتَدًّا ، واسْتَوى رُكْنه مُشْتَدًّا .

والحَمْد لله الذي جَعَل الإسلام نَجاة مَن تَمسَّك به ، ومُؤدِّيًا له إلى رَحْمته ، وجَعَل الشِرْك به خِزْية لِمَن تَقلَّده ، وسائقًا له إلى عَذابه ،

---

(5) م. « جلبابها » .
(I) كتابة ملتبسة .

ومُستوجِباً عليه عِقابه ، وجَعَل جِهاد أهله من فَرائضه العُظْمى ، وجَعَل للمُجاهِدين لهم اليَد العُلْيا ، ووَعَدهم الزُلْفى في الآخِرة والأُولى .

ثمّ إنّا لم نَزَل ، مُذْ شرَّفَنا الله بخِلافته واخْتَصّنا بإمامة عِباده ، نَبْتَغِي الغاية القُصْوى في جِهاد أعْدائه ، ونَدْأب في نَصْر أوْليائه ، ولا تُلْفِتنا عن ذلك لَفْتة سأمة ، ولا يُلْهِينا عنه تَملّي دَعة ، حين امْتَلأت الأرض كُفراً ، وفاضَت شِرْكاً ، وتوطّد النِفاق ، واستَعْجَل الشِقاق ، وهَدَر كلّ ناعِق في طَوْد مَنعة ، ونَبّ كلّ وَغْل في رأس شاهِقة ، قد تَأثّلوا بكَثْرة العَدَد [والعُدّة] ، / واغْتَرّوا بطُول المُهْلة وتَراخي المُدّة ، فرَفَلوا (1) بَيْن الخليقة (2) ، واتّسَعَتْ (3) بهم البسيطة ، وابْتَعَثنا الله بقُدْرته لنَثْنِيهم عن الضَلال وحَمْلهم عن الطريقة . فلم نَزَل نُبْخِعهم (4) ونَتَحرّاهم (5) واحداً بعد واحد ، ونستَنْزِلهم عن مَعْقِل بَعْدَ مَعْقِل ، ونَقْصِد (6) منهم جانباً بَعْدَ جانب ، نَؤُمّ الأدْنى بَعْدَ الأدْنى ونَسْتَقْرِي الأقْصى فالأقْصى ، حتّى أذَلّ الله عِزّتهم ، وسكّن ثَوْرتهم ، وأوْهَن كَيْدهم ، وشَتّت جَمْعهم ، وزَلْزَل بهم وأخْلَى مَعاقِلهم ، وقِيدوا الى الطاعة صَغَرة بجَرائمهم ، واصْطَفى السَيْف مُجْرِميهم وفُسّاقهم ، وأفْنى القَتْل أنصارهم وأشْياعهم ، فعادَت البِلاد بَعْدَهم مُطْمَئنّة ساكنة ، قد أَمِن بها المَخوف ، وقَوِي فيها الضعيف ، وانْقَمَع أهل الشَرّ والعِناد ، وقُبِضَتْ أيْدي أهل الباطل والفَساد ، وعَلَتْ عن كل مُسْتَرْهَف ومُسْتَضْعَف ومظلوم غير مُنْتَصِف ، لا نَكِلُ استِصْلاح جميع ذلك إلى غَيْرنا ولا نَرْضى فيها إلاّ بمُناظَرتنا ، عاماً بعد عام ، وصائفة أثَر صائفة ، حتّى يسَّر الله بقُدْرته من الصَلاح ما

148

---

(1) م. « مدىلوا » .

(2) م. « الخليفة » .

(3) كلمة غير منقوطة .

(4) كأنه من صيغة افعل لبخع .

(5) كلمة غير منقوطة .

(6) م. « نحسد » .

أمّلناه ، وأدركنا منه ما رَجَوْناه ، وبَلَغنا منه إلى أقصى حُدود ما أحْبَبْناه ، بفَضْل عَوْن الله لنا وتأييده لأمْرنا ، وحُسْن أقْضِيته في جميع أسْبابنـا ، وإفراغه الصَبْر علينا ، وتَسْهيلـه كلّ عسير عِندنا ، فالحَمْد لله المانّ الكريم ، ذي الآلاء والفَضْل العظيم .

وكانت مدينة بُبَشْتر قاعدة الشِرْك ، ودار الكُفْر والإفك ، ومكـان عِزّ النَصْرانيّة ومَوْئلها (7) ، ومَفْزَعها ، وقرارتها ، وبَيْضتهـا المُنْتجِعة من أقطارها وحَرَمها ، الذي مَن صار فيه اعْتَصَم ، ومَن عاذ بها سَلِم ، قد امْتَدَّت بها المُدّة ، وتَداركَتْ عليها النِعْمة ، وساعَدَتْها الأيّام باتّصال الدَوْلة ومُحـادّة مُتقلّدي الخِلافة ، مُنْذُ خمسـين سنة ، ظَلّوا يُوالونهـا بالحُروب ، ويُرْهِقون لها المَكايِد ، فتُدافِع عنهـا المُدّة المكتوبة وتَشْتَدّ بها الفِتْنة المَشْبوبة ، لا يَنْتهي إليها طَمَع طامع ، ولا يَرْتَقي إليها أمل آمِل ، قد عَمَّتْ بضَرّها كلّ بَلْدة ، ووَصَل شرّها إلى أهل كُوره (8) ، وأقْفَرت كلّ مدينـة ، وسَلَبت كلّ بَهْجـة ، / واحْتَوتْ على كلّ فائدة ، ومَنَعَتْ من سِواها كلّ عائدة ، إلّا النُبَذ اليسيرة واللُّقَى الحقير[ة] ، وهي من شَرَف المكان وسَماكة (ا) البُنْيان ، مع سُمُوّ الذِرْوة وعُلُوّ الرِفْعة مِن كلّ جِهة ، لا شبيهَ لها ولا نِدّ يُقارِنها شُرْفة البُنْيان ، مَساكِنها على اتّساعها مُتضاغِطة الأبْنية بأهلها على فُسْحة رِباعها ، نَشأ فيها الصغير مُحْرَبا وعَشا فيها الكبير مُحْلِبًا ، وصاحِبهـا ، مِن الثِقة والأمَل المَيْسـور لها والواقيـة المَمْدودة عليها ، فيما وهُمه ألّا زَوالَ لها ، ولا انْتِقاصَ لعِدّتها ، ولا انْتِقاض لعُقْدتها ، ولا يد للدَهْر تَدْخُل فيها ، ولا صَرْف من صُروفه يَعْتَريها .

149

وكان جِدّنا المجرد لها ونَظَرنا المُحيط بهـا ، المُمهّـدان لكلّ ما مهّدْنا ، الباسطان مِن المَعـاقِل لجميع ما بَسَطْنـا ، واستِنْزالنا مِن قُروم

---

(7) م. « موملها » .

(8) كذا ولعلها « كل كورة » .

(ا) يبدو انها « سمكة » .

النِفاق لكلّ ما استَنْزَلْنا ، حَزْمًا وتَغْريجا إليها ، وسَعْيــًا في الفَراغ لها ، والانْفِراد لمُحاصَرتها ، وعَمَلًا في إدخال النَقْض عليها والإيهان لقُوّتها ، يَستَصْغِر لذلك كُلّ عظيــم ويسْتَخِفّــه ، وإنْ جَلّ عِندنا في مُداولَتهــا كلّ جسيم ، سُمُوًّا بالأمَل إليها ، وتَقدُّمًا بناهض الرَجاء فيها بعزيمة تَرْمِي الأبْعَد من الأُمْنِيّة ، وتَقطَع كَدًّا أعْناق المَذاهِب السَنيّة ، حتّى إذا خَلَتْ من حُصونها المُتّصِلة بها ، وأُفرِدَتْ من مَعاقِلها المُجاوِرة لها ، وانْقَطَعَتْ قُواها ، وجَفَّتْ جَداوِلها ، وانْجَذَمَتْ مَرافِقهــا ، فلم يَبْقَ إلّا هي بغَيْنهــا ومُدَّخَر القُوت فيها ، قَصَدْنا لها بأنْفُسنا وأمَمْناها بعَزائمنا ، فابْتَنَيْنــا عليها المَدائن الشريفة ، ورَفَعْنا فَوْقَها الحُصون المُنيفة ، وأنْزَلْناها القُوّاد والقُوّة ، وكثَّرنا فيها من العَدَد والعُدّة ، وتَقدَّمْنا إليهم بمُداوَمة التَضْييق على مَن فيها ، وصِلة المُحاصَرة والتَردُّد بالأرْصاد ، والمُضايَقة وقَطْع المِيرة من كلّ جِهة ، وتَرْك تَقبُّل النُزوع من كلّ طَبَقة ، وحَمْل السَيْف على كلّ مَن خَرَج عنهــا او دَخَل إليها ، وسَــبْي مَن وَجَب سَبْيه من نِسائهــا ووِلْدانها ، فـ[نبَذ]وا ذلك من عَهْدنا ، واحْتَمَلوا فيه على أمْرنا ، وأخَذوا بأجَدّ عَزْم وأشَدّ حَزْم ، فأكَلهم جَهْد الحِصار ، / والارْتِصاد باللَيْل والنَهار ، وذَهَبَتْ طَوائف منهم بالقَتْل وجَماعات بالسِباء ، وعايَنوا ما لا صَبْرَ لهم ولا قَرار بهم معه ، ولا اسْتِيطان به ، ولم يَجِدوا مَلْجَأ يَلْجَؤون إليه ، ولا مَحِيصًا عَمّا صاروا فيه ، وراموا إخداعنا بعَرْض طاعتهم وثَنْي عَزْمتنا بِبَذْل إذعانهم ، على ان يَدْخُلوا مَدْخَــل الجَماعة ويَسْلُكوا طريق اهــل الطاعة ، رجاءً مِنهم في التَنْفيس عنهم والإرجاء من مُخنَّقهم ، فلم نُصْغِ لهم مِن مَطالِبهم الى مَطْلَب ، ولا أجَبْنــاهم من مَذاهِبهم إلى مَذْهَب ، إذ عَلِمنا ان تلك الدَعْوة الكافرة والقُلوب النافرة الثابتة على الغِلّ والغائلة ، لا تَزال مريضة بما نُشِر بها ، مائلة الى الشِرْك الذي فَتَنها ، فصَدَدْناهم عن الاستِقْرار بعُشّ ضَلالتهم ، وأبَحْناهم النُزول خارجين عنها ، مُتبدِّدين منها ، فأسْرَعوا إلى ما أبَحْنا لهم من ذلك إسراع الاضْطِرار ، ناجين من ضِيق الحِصار ، وأعْطَيْناهم على ذلك أمانًا وَسِعهم .

150

وعَهِدْنا إلى الوزير أحمد بن محمّد بن حُدَيْر بالتقدُّم إليهم لحُضور خُروجهم ، ومُباشَرة نُزولهم ، وإكمال الأمان لهم ، وقَبض الأيْدي عنهم ، فنَهَض إلى ذلك وقَصَد له ، فلمّا صار بمدينـة طَلجَيْر[ة] المُبْتَناة على مدينة بُبَشْتر ، هيَّت (I) بالظاعِنين عنها ، فتَسارَبوا خارجين ، وتَهافَتوا ذاهبين ، وتَفرَّقوا أيْدِيَ (2) سَبَا إلى جَوانب شَتّى ، فقَصَد كلّ واحد إلى مَنْزَعه ، وأمَّ مكان طَماعِيته ، ولحِقوا بمدائن الطاعة ، فصاروا في غُمار الرَعيّة ، وتَمكَّث خَلْفَهم عميدهم ، حَفْص بن عُمَر ، طائر الفُؤاد ، خافِق القَلْب ، لَمْ تَطِبْ نَفْسه على الخُروج خَـوَراً ، ولا سكَّن منه الأمان نِفاراً ، يَخْشى كلّ يد أنْ تَضْبُط عليه ، وكلّ شَجرة أن تَتعلَّق به ، قد خامَره مِن الرُّعْب ما كاد أن يُوفِي به على العَطَب ، فطـامَن الوزير احمد بن محمّد ابن حُدَيْر من جَزَعه ، وسكَّن من جأشه ، ووَقّاه من أماننا المبسوط (3) لِيناً وَثِق بـه واطْمـأنّ إليه ، فخَرج آخِر الخارجيـن ولَحِق بالآمنيـن ، فأَصْبَحت مدينته ، بُقْعـة الضَلالة ومِنْبَر الخِلاف ومَعْدِن الغَواية ، بمـا أحاط بها من أسْوارها وأبْنيتهـا وقِصابهـا ، / وداخِلَها من جَنّاتهـا ومَصانِعها ، مُقْوِية من قَطِينها ، خاوِية على عُروشها ، كأنْ لم يَغْنَ بهـا ساكِن ، ولا استَوْطَنها قاطِن ، قد ﴿ أَتَاهُـمُ ٱللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِـبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (I) بما اقْتَرفوا ، وصار جميع ما كانوا فيه مِن ظِلّ العافية وأنَق النِعْمة ثُبوراً ، وكلّ ما مَنّـاهم الشَيْطان غُروراً ، فكَمْ بُقْعة فيها كانت بالكَثْرة مأهولة وبالثَرْوة معمورة ، فقد صارت أخْلى مِن قَفْر وأوْحَش من قَبْر ، وكذلك فَعْل الله تعالى جِـدّه ، وإن طالت نَظِرتـه للكافرين ، ومُهْلته للقَوْم المُجْرِمين ، ﴿ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (2) .

151

(I) قراءة ملتبسة .
(2) م. « الذي » .
(3) م. « امالنا المبسوطة » .
(I) القرآن ، سورة 59 ، الآية 2 .
(2) القرآن ، سورة II ، الآية 102 .

وأَمَرْنا عند ذلك بتَخْريب مدينــة بُبَشْتر ، وحَطّ أسْوارها ، وإنزال جِذرانها ، وهَدْم كلّ قائم فيها من قُصورها ودُورها ومَخازِنها ومَبانيها ، وإعادتهــا جَبَلًا أَجْرَد ، على ما كانت عليه لأوّل خَلْقهــا وقديم أمْرها ، مَحْوًا لمَحَلّة الكَفرة الظالمين ، ونَسْــفاً لقَرارة المُشرِكيــن المُعْتَدّين ، وطَمْساً على دار الشِرْك ، وقَطْعًا لآثار الإفْك ، ﴿ فأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ (3) ، ثم استَقْدَمْنــا حَفْصــاً اللائذ بالتَّوْبة إلى ما تفَضَّلْنا عليه من التأميــن والتَمْكين ، وعُدْنا عليه من العَفْو والتَضْميــن (4) ، وأخَذْنا فيه بالفَضْل المُبِين ، الذي جَعَلَنا الله أهله ، وغَلَب على مَذْهبنا إيثاره ، وجمَعْنــا له من ذلك ما اغْتَبَط به ، وسَكَن إليه ، وقَرَّر نفسه عليه .

فاَعْلَم ذلك ، وقِفْ عليه ، واستَشْعِر حَمْد الله ، ومُرْ بقِراءة كِتابنا هذا إليك على المُسلِمين قِبَلَك ، في جامع مَوْضِعك ، ليَحْمِدوا الله ، عَزّ وَجْهه ، على عظيم ما اصْطَنَعه إليهم ، ووَهَبه لهم ، وليُحْدِثوا مِن شُكْره ، تعالى ، على ما دَرَأ عنهم ، والتَقرُّب بنَوافِل الحَمْد إليه ما يُسْــتَدام به رِضاه ، عَزّ وَجْهه ، ويُستجْلَب به المَزيد مِن نِعَمــه ، إن شاء الله ، وهو المُستَعان .

وكُتِب يوم الخميس لخمس [خلَوْن] (5) من ذي الحِجّة سنة خمس عشرة وثلاث مائة » .

[رواية الرازي عن ضَبْط بُبَشْتر]

قال الرازي : وخَرَج أمير المُؤمِنين الناصر لدين الله إلى بُبَشْتر ، أثْرَ ما فَتَحها الله عليه ، صَدَرَ ذي الحِجّة سنة خمس عشرة المُؤَرَّخة ،

(3) القرآن ، سورة 68 ، الآية 20 .
(4) م. « التظمين » .
(5) نضيف هذه الكلمة لأن « البيان » ج 2 ص 195 و « تاريخ الناصر » رقم 57 يذكران أنه « دخلها أو ملكها في مستهل ذي الحجة » .

لتقَع عَيْنه عليها ، ويَتملّى السُرور بالصُنْع فيها ، ويُماثِل (6) برُؤْيته ما
15 وُعِز (7) / بنَفسه من بديع خِلْقتها وشُنْعة مَنَعتها ، ويَزْداد في شُكْر الله ،
عَزّ وَجلّ ، على ما مَنَحه من الاقْتِدار عليها والظَفَر بمُجْرِميها .

فخَرَج إليهـا يَوْمَ الاثنَيْن (1) للنِصْف من مُحرّم سـنة ست عشرة وثلاث مِائة ، فأتاها بجَيْشه وعُدّته ، وارْتَقى إليها وجال [في] أكْنافها ، فأبْصَر من ذلك ما هاله وعَظُم عنده ، وتَبرّأ إلى الله تعالى من تَمام القُدْرة على إزالته ، وأمَر بهَدْم المدينة عن آخِرها ، حاشَى القُصور والقِصاب التي أبْقى لعُمّاله وحَشَـمه ، الذين بَوّأهم للمُقام بهـا ، فدُكّتْ أسْوارها ، وحُطّتْ أعْلامهـــا ، واعْتَدّتْ قاعاً صَفْصَفـــاً ، كأنْ لـم تُغْنَ بالأمْس ، فاستُخْرِجَتْ أوْصـال اللعين عُمَر بن حَفْصون ، مُقْتَعِدها ، من مَدْفِنـه ، وأُصِيبَتْ مُجتمِعة غير مُنقطِعة ، وأمَر فحُمِلَتْ إلى قُرْطبة ، فعُولِيَتْ فَوْقَ جِذْع مُنِيف ببـاب قَصْر الخِلافة [بـ]قُرْطُبة ، إلى جانبَيْ جِذْعَيْ ابنَيْـه الحائنَيْن قَبْلَه ، حَكَم وسُلَيْمان ، فأضْحَوْا للناس تَذْكِرة وعِبْرة ومَوْعِظة ، وقضى الله للناصر لدين الله مأرَبه من بُبَشْتر (2) وذَواتها ، فقَفَل عنهـا ووَصَل إلى قَصْره [بـ]قُرْطُبة إلى ثمانية (3) وعشرين يوماً من فُصوله .

[كِتاب الناصر لدين الله بهَدْم ببشتر]

وأنْفذ الكُتُب بمـا كان منه في هَدْم بُبَشْـتر إلى عُمّـاله بنَواحي الأندلس ، فكانت نُسْختها :

« بِسم الله الرحمٰن الرحيم ،

(6) م. « وماثل » .
(7) كذا في الأصل وقد تكون « وجد » .
(1) هذا التأريخ لا يقع في نفس اليوم وقد كنا ذكرنا ذلك في ص 138 ملاحظة رقم 3 ، وفي « البيان » ج 2 ص 196 « الثلاثاء » .
(2) م. « ماربه من مبشر » .
(3) في « البيان » ج 2 ص 197 « ستة وعشرين » .

أمّا بعدُ ، فالحَمْد لله الذي قضى بالعِزّ لمن أطاعــه ، وخَتَم بالذِلّ على مَن عَصاه ، وتولّى أمْر من تَوَلّاه ونَصَره وكَفاه ، وتَبرَّأ مِمَّن عاداه وخَزَله وأخْزاه ، الذي لا يزال يُؤيِّد الإسلام ويُسدِّد من قام به ، ويُوَفِّق من دعا إليه ويُعين مَن اعانه ، ويُغلِّبه على من غالَبه ، اخْتِياراً له وإظهاراً لفَضْلــه ، وصلّى الله على محمّد الحافي بــه ، والداعي إليــه ، والمُعِزّ بإعلائه ، والمُؤلِّف لنِظامه ، وسلّم تَسْليماً .

وإنّا لمّا أعْظَم صُنْع الله تعالى عِنْدنا ، وحَسُن بَلاؤه لدَيْنا ، وعَرَّفَنا النَصْر والظَفر في كلّ ما تولَّيْنـا ، وأعَزّ وَليّنـا ، وأذَلّ عَدُوّنا ، ومكَّن سُلْطاننــا ، وشرَّف أيّامنا ، وأوْطَأنا دِيار المُشرِكين ، وملَّكنا مَعاقِلهم ، وأحلَّنا مَنازِلهم ، فتَبَوَّؤوا منها حَيْثُ نَشاء ، حتّى استَتَمّ لنا ذلك بالقاعِدة العُظمى ، والمَنْزِلة العُلْيا ، / والغاية القُصْوى ، بُبَشْتر ، مدينة المُجْرِمين 153 التي أعْجَـزَت الماضِيــن ، وأتْعَبَت الباقِين ، وجُعِلَتْ عِبْرة للعالَميــن ، وأُعْجوبة للناظرين ، قَصَدْنا إليها لنُسَرّ (1) بها ، ونَنْظُر فيها (2) ، ونُعظِّم قَدْر نِعْمة الله تعالى فيها ، ولنُحْكِم تَدْبير أمْرها وتَعْريف حالها ، بضَبْط ما يَجِب ضَبْطه منها ، واستِقْصاء ما كان أمَرْنا به مِن تَخْريبها وتَدْميرها ، فصِرْنا إليها واحْتَلَلْنا بها وعايَنّـا مِن شَرَف خِلْقتها ، وحَصانة قِعْدتها ، وبديع نِصْبتها ، وامْتِناع (3) وعُلُوّ مُرْتَقاها ، وانْقِطاع مَهْواها ، ما لم نظُنّ أن يَكُون في الأرض شِبْهُها ، ولا أنّ عامراً عَمَر مثْلهـا ، ولا عاقلاً عَقَل نظيرها ، فأكْثَرْنا حَمْد الله تعــالى ، على ما يَسَّر منهــا وسهَّل من خَطْبها ، وعَلِمْنا أن لا حَوْلَ بنا ولا قُوّة إلّا به اللطيف بما يَشاء ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (4) ، إذ أراد أمْرًا قضى به ، وسهَّل مَرامه ، وذلّل

---

(1) قراءة مشتبهة ، م. « لسربها » .

(2) م. « منها » .

(3) كذا في الأصل بفصل المضاف عن المضاف اليه .

(4) القران ، السورة 57 الآية 2 . والسطران التاليان يحتويان على تعابير قرانية .

صَعْبه ، وقرّب بعيده ، وألان شديده ، فذلك الله الذي لا إله إلّا هو العَلِيّ العظيم ، فتمّ ما أرَدْنا وانتهى إلى ما حَدَدْنا ، وأَحْكَمْنا من ضَبْط قَصَبتها وبُنْيانها على أحْسَن (5) وأكمَل التفكير ما حَبَبْنا .

ثُمّ فرّقْنا رِجالنا عُصَبًا ، ووزّعْناهم نَوْبًا على هَدْم حُصونها وقِصابها والدِيارات الخارجة عنها المُحِيطة بها ، مِثْل شَنْت أوْلالِية وشَنْت مَرِيّة و[قَ]صبة صُهَيْب ، التي (6) كان جميعهـا مَحُوقاً بجَبَل بُبَشْتر ، وكلّها نظير لها في الحَصـانة والمَنَعة ، وأمَرْنا بهَدم المَسْجِد الذي كان أقامه الكافر عُمَر فيها أوّل أمْره لمَن كان فيه مِن فَسَـقة المُسلِميـن ، وطَمْس أعْلامه ، إذ كان مَسْجِدًا أُسِّس على غَيْر التَقْوى ، وبُوعِد عن البِرّ والهُدَى ، وابْتُنِي مِن غَنائم المُسلِمين وأَنْهابهم ، فأُلْحِقَتْ قَواعِده ببَواسِقه ، وصُيِّر قاعاً صَفْصَفاً ، وعَهِدْنا بإحراق مِنْبَره الذي دُعِي فيه للخِنْزير الضالّ ، ومَنْ خَلَفه مِن نَسْله الخبيث ، وأُعْلِن عليه بدَعْوة الشِيعيّ الفاسق الدَعِيّ ، صاحب إفْرِيقِيّة ، الذي كان الكافر قد تَعلّق بدَعْوته ، وموّه على الناس الاتّصال بالإسلام في كُبار بِدْعته .

ثُمّ قلّدْنا أمْر بُبَشْتر ، والكَوْن فيها ، والتولّي لِما يَلِيها ، الوزير / 154 سعيد بن المُنْذِر القرشي ، لِما عرَفْنـا مِن كِفـايته فيما يَتولّاه وضَلاعته فيما يُحَمَّله . وكان قد بَقِيَ مِن شُعَب الكُفر ، وعُصَص الشِرْك ، وأعْضاء الشَيْطان ، وعِباد الأوْثان ، أهل الحُصون الثلاثة المُمْحِضة الطُغْيان ، بُمارِش (1) وشَنْت بِيطَر وبطْرون ، وهُم يَعْتَدُّون في أُلوف ويُقَدِّرون (2) الأنَف لهم بالزُحوف ، قد طاوَلَتْهم المُـدّة وتَكـاثَرَتْ منهـم ، وأنْظَرَتْهم النِعْمة ، واستَقَرّتْ بهم الدار ، وأمِنوا صُروف الأيّام ، ولا تَرُوعهم رائعة

(5) كذا في الأصل بفصل المضاف عن المضاف اليه .

(6) م. « اللائي » .

(1) أول حرف من هذه الكلمة غير منقوط انظر كتابنا هذا ص 140 .

(2) قراءة غير واضحة لأن الكلمة غير منقوطة .

الدَهْر ، ولا دارت عليهم دائرة الزَمان ، عِنْـدما نِلْنـاهم في صائفتنـا الماضية . من حَطْم زُروعهم ونَسْف كُرومهم وقَطْع شَجَرهم . وكُنّا أمَرْناهم بتَخْريب أسْوارهم وقَصَباتهم والبَقاء في أجْبُلهم وشِعابهم . تَدْريجًا لهم وتَسْهيلًا لصُعوبتهم ، فانْطاعوا لذلك عِنْدما مَلَكْنا لبُبَشْتر عاصِمتهم ، وما فارَقهم مِن عِزّها ، وأسْـلَمهم من حِرْزها ، وأذَلّهم من فَقْد نَصْـرها ، وانْكَشَف من سِتْرها .

ثم لم نَقْنَع بذلك منهم عند انْكِشاف ظِلّ بُبَشْتر عنهم ، حتّى أمَرْناهم بالهُبـوط من تِلْك الأجْبُل الشـامخة ، التي عَلِقوا بذِراها ، والهِضـاب الباذحة التي رَكِبوا إلى حِماها ، إذ كانت منيعة دون أسوار صَعْبة المَرام من جميع الأقطار ، مع غِلَظ الشَوْكة وشَهـامة الحِيلة واتّسـاع الطاقة ، وكَثْرة العَدَد والعُدَد ، وأخَذْناهم بالوَعْد والوعيد واللِين والشِدّة ، فبَلَوْا عن عَزائمنا التي باشَروها في أمْثالهم وامْتَحَنوها في أشْكالهم ما لم يَكُنْ لهم معه بُدّ من التَنْفيذ لِما أُمِروا به ، والانْقِياد فيه ، والطَوْع له ، وبَعْدَ لأي ما أذْعَنوا ، وبشَقّ الأنْفُس منهم ما انْقادوا ، فخَرَجوا عن تِلْك المَعاقِل راحلين ، وهَبَطوا إلى قُراها السَهْلة ذاهبين ، ووكّلْنا الوزير محمّد بن عبد الله بن حُدَيْر (3) ، مَوْلانا ، لمُشاهَدة خُروجهم واسْتِيعاب نُزولهم ، حتّى خَرَجوا عن آخِرهم إلى بسيطهم الذي كانوا وأسْـلافهم فيه نازلين على قديم الدَهْر ، وخَلَتْ تِلْك الأجْبُل المانعة منهم ، وأقْفَرَتْ مِن جميعهم ، وآضَتْ خَرابًا على أيْديهم ، وحَلّ الله عَقْدهم وبدَّد شَمْلهم .

155 وأمَرْنا الوزير ابن حُدَيْر بإخراج العُرَفاء عنهم ، الذين كانوا / أوَوْا إليهـم وأكْثَروا عَدَدهم ، وحَدَدْنا لهم تَمْييزهم وإبعـادهم عنهم ، وألّا يَسْكُنـوا في قُراهم ولا يَنْبَسِطوا ببسـيطهم ، وأن يَذْهَبوا على وُجوههم

---

(3) لا يثبت اسمه مع أسماء أصحاب الخطط للسنة (راجع ص 160 أسفله) ، فلعل الصواب هو عبد الحميد بن بسيل مساعد الخليفة على هذه الحملة (راجع ص 155 أسفله) .

وَيتشتَّتوا (1) في الأرض العريضة ، مُتفرِّقين إلى أُصولهم منهـا ، التي مِنهـا أتَوْا إليهم ، ومِن قِبَلها اجْتَمَعوا لديْهم ، وعنهـا تألَّفوا بهم (2) ، تَفْليلاً (3) لعَدَدهم ، وتَقْليلاً (4) لكَثْرتهم ، وتَقْليصًا لجماعتهم ، فتَفرَّقوا مُنقطِعين إلى جِهاتهم ، ولم يَبْقَ للنَصْرانيّة حِصْن مَذْكور ولا مَعْقِل معمور ، والله بذلك محمود مشكور .

ثُمّ أنفَذْنا مِن ثِقات مَوالِينا وكُفاة خَدَمتنا رِجالاً عَدَدًا ، فرَّقْناهم على حُصون كُورة رَيّه ، التي كانت مُتَّخَـذة مَعـاقِل ، بسَبَب أولئك الكَفَرة ، نَصارى الذِمّة المُنتقِضين المُجتَمِعين على كِيـاد المِلّة ، وتَقدَّمْنـا إليهم بتَخْريب جميعها ، وحَطّ أسْوارها ، وهَدْم قِصابها ، وثَغْر (5) أجْنابها ، وإبعاد أحْجارها ، وقَطْع آثارها ، فأنْفَذوا ذلك وأتَوْا على المُراد مِنهم ، ولم يَدَعُوا مُعْتقِد ذِمّة مِن مُنتقِضي النَصارى الكَفَرة ، يميل إلى مَعْقِل[...](6) على أربعين حِصْنًا جميعها (7) بكُور[ة] رَيّه ، لم يَبْقَ منها ، بحَمْد الله ، حِصْن مضبوط ولا بها عَدُوّ محذور ، بقُوّة الله وحُسْن تأييده .

واحْتَمَلْنـا على مِثْل ذلك في حُصون كُورة تاكُرُنّا وحُصون مَغيلـة مِن كُورة شَذُونة ، إلّا ما وَجَب التمسُّك به منها ، ولم نَدَع مع ذلك إزعاج من وَجَب إزعاجهم إلى قُرْطُبة من أكابر أهلها ، الذين عَرَفوا أيّام الفِتْنة ، ولابَسوا أهلها ، وكانت لهم على الرَعيّة بعض الاسْتِطالة ، وإلى عُمّالها بعض المُعارَضة ، ﴿ لِيَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّـةً وَاحِدَةً ﴾ (8) ، ورَعيّة ساكنة ، مرؤوسة ، غير رائسة ، مُتحكَّماً فيها بما يَجب لله ، عَزّ وجلّ ، عليها ،

---

(1) كلمة غير منقوطة .

(2) م. « بالفوابهم » .

(3) م. « تقليلا » .

(4) م. « تعديلا » .

(5) كلمة غير منقوطة .

(6) يبدو انه سقطت هنا عدة كلمات .

(7) م. « جمعها » .

(8) القرآن ، السورة 43 الآية 33 .

غير حاكمة . ورَجَوْنا مِن الله تعالى على جميع ما باشَرْناه مِن ذلك وكابَدْنا وقاسَيْناه وتَجشَّمْناه ، الجَزاء الجميل والثَواب الجزيل ، فما (9) تَولَّيْنا منه شَيْئًا إلّا ونَحْنُ نُريد به وَجْهه ، ونَتَحرّى به رِضاه ، وأمَرْنا الوزير عبد الحميد بن بَسِيل ، مَوْلانا ، بالتَقدُّم إلى كُورة شَذُونة ، لإنزال الرَعيّة إلى البسائط وهَدْم حصون الكُورة وجَمْع (10) أهلها إلى مدينة قَلْسانة ، /

156 واستَنْزَلْنا ابنَيْ داوُد عن الحُصون التي كانا بها إلى ما قِبَلها ، ووَلَّيْناها عُمّالنا .

فكانت سَفْرتنا هذه أيْمَن سَفْرة وأجْمَعها لكلّ خَيْر ، وأحْسَمها لكلّ ضَرّ ، وأجْلَبها لكلّ سُرور ، وأرْفَعها لكلّ محذور ، وأشَدّها تَمْكيناً مِن الصَلاح وإبعاداً للجُناح وتَقْريبًا للنَجاح . ثُمّ قفَلْنا بَعْدَ إكمالنا لجميع ذلك ، حامدين لله تعالى ، على ما أعان عليه ووفَّق له وألْهَم إليه ، حَمْدًا يَتقبَّله ويَرْضاه ويُؤدّي حقّ نِعْمته وجَزاء صُنْعه ويُستدام معه ما مَنّ به وأحْسَن فيه ، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم .

فأمُرْ بقِراءة كِتابنا هذا في المَسْجِد الجامع في مَوْضِعك على أوْليائنا ورَعيّتنا قِبَلك ، يَبْشَروا به وَلْيَحْمِدوا الله تعالى ، على عظيم نِعْمته عِندهم وإحسانه إليهم ، مِن قَمْع عَدُوّهم ، ونَصْر حَقّهم ، وشَعْب عَصاهم ، وتأمين سُبُلهم ، وصَلاح أحْوالهم ، وانفِتاح طُرُقهم ، وَلْيَشْكُروه ، تَبارَك وتعالى ، على ما أسْبَغه من فَضْله بذلك ، فإنّه شاكِر يُحِبّ الشاكرين ، ويُكافئ بفَضْله الحامدين و ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (1) ، إن شاء الله وهو المُسْتعان » .

تَوالِي الفُتوح

وفي هذه السنة تَوالَتْ فُتوح البِلاد بشَرْقيّ الأندلس ، واستُنْزِل مَن كان فيها من المُخالِفين ، واستَوْسَقت بها الطاعة ، فكان [مِ]مّا افْتُتِح

---

(9) م. « فيما » .

(10) م. « جميع » وان صح هذا فقد سقط هنا الفعل .

(1) القرآن السورة 9 الآية 120 .

منها قَلْيُوشة (2) ، على يَدَي الوزير القائد أحمد بن إسْحاق القُرَشيّ ، ومدينة لَقَنْت المُوفية على البَحْر الرُوميّ ، وجميع الحُصون المُنْضَوية (3) إليها والقِصاب التي كانت حَوالَيْها من قَواعِد بَنِي الشَيْخ ، واستُنْزِل عنها بَنو الشَيْخ المُنْتَزُون بكُورة تُدْمير ، فقُدِم بهم إلى قُرْطُبة يومَ السَبْت للنِصْف (4) من شَعْبان منها ، ثم افْتُتِحَتْ مدينة الجزيرة المَنْسوبة إلى شُقَر من كُورة بَلَنْسِية ، والمَعاقِل المُستضِيفة إليها عَنْوةً ، واستُنْزِل منها بَنُو ابن أبي جَوْشَن المُنْتَزُون فيها ، وظُفِر فيها بأخي الأمير منهم وقَوْم من رِجالهم ، كانوا قد أهْمَلوا أنْفسهم في هذه الفِتْنة ، وأَحْدَثوا الأحْداث العظيمة ، وتَعرَّضوا لما أنْزَل الله بهم من النَقِمة ، فأُوثِقوا / في الحديد مع بني الشَيْخ ، وجِيءَ بهم إلى باب السُدّة بقُرْطُبة ، وكان عَدَدهم ثلاثة وستّين (1) رَجُلاً ، أَمَر الناصر لدين الله بتَمْييزهم من بَيْن جَماعة مَن استُنْزِل معهم وتَعْجِيل ضَرْب رِقابهم يومَ دُخولهم ، لعِظَم أجْرامهم ، فأُنْزِلوا إلى المَرْج بشَطّ النَهْر بَيْن يدَي القَصْر ، مَثْوى الجارمين ، فضُرِبَتْ رِقابهم أجْمَعين ، واستُبْقِيَ بنو الشَيْخ ، وذلك في النِصْف من شَعْبان المُؤرَّخ .

157

وافْتُتِحَتْ فيها أيضاً مدينة شَنْتجيلة (2) وحِصْن شَنْت بِيطَر وذَواتها مِن كُورة تُدْمِير ، وانْتَشَرت الطاعة بشَرْقيّ الأندلس .

فَتْح مدينة مارِدة وما يَلِيها

وفيها أيضاً افْتُتِحَتْ مدينة مارِدة ، قاعدة بَلَد الجَوْف وأُمّ مَدائنه ، صُلْحاً ، على يدَي الوزير القائد أحمد بن محمّد بن إلياس ، واستنزل

---

(2) كلمة غير منقوطة نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 197 .

(3) م. « المنصوبة » .

(4) في « البيان » ج 2 ص 197 « يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت » .

(1) م. « ستون » .

(2) م. « شنتحيلة » .

فيها مسعود بن تاجيت وأهل بَيْته ، فأُسْكِنوا قُرْطُبة ، ودَخَل عبد المَلِك ابن العاصي ، عامل الناصر لدين الله ، مدينة مارِدة فمَلَكها ، واستَوْسَقَتْ فيها الطاعة .

وكان السَبَب في إذعان أهل مارِدة لأَمْر الناصر لدين الله لمّا قَوِيَ في النواحي وامْتَدّ امْتِداد الشَمْس المُشْرِقة ، وصار إليه بَلَد الأَصْنام وما حَوْلَها من جَوْفيّ الأندلس ، [أنّه] اسْتَقَرّ به على تِلْك الناحية الوزير أحمد بن محمّد بن إلياس ، وأقامه بها في كثيف من الحَشَم ، تَطاوَل بهم إلى الحُصون المجاوِرة ، بَعْدَ حُروب طِوال جَرَتْ بَيْنه وبَيْن أهلها ، واقْتَرَب آخِرًا من حِصْن أُمّ جَعْفَر ، قاعدة نَفْزة في ذلك الجانب ، وكان المُقدَّم فيه المعروف بابن عيسى من بني ورجول ، فلما تَمرَّس به ابن إلياس وضيَّق عليه ، لم يَثْبُت له وخَطَب في رِضى الخليفة الناصر لدين الله ورَغِب الانْحِياش إلى الطاعة ، فالْتَمَس ذلك على يدَي الحاجب موسى بن محمّد ابن حُدَيْر ، وكان للخَيْر مَظِنّة ، ودعا إلى تَسْليم حِصْنه والنُزْول إلى الحَضْرة ، على أن يُؤَكِّد أمانه ويَصير في الدِيوان ويُتَوَسَّع له في الرِزْق ، فأُجيب إلى ذلك ، فلَحِق بقُرْطُبة وأَسْلَم / حِصْنه إلى الوزير أحمد بن محمّد بن إلياس القائد بالجِهة ، واتَّصَلَتْ طاعة السلطان بذلك إلى باب مدينة مارِدة . 158

واشْتَدّ ذلك على أهلها وتَجلَّدوا للحادثة وأقاموا على النُفور والمَعْصِية والأذى لأهل الطاعة ، فتَجرَّد القائد أحمد بن محمّد بن إلياس لحَرْبهم ونِكايتهم والتَضْييق عليهم ، حتّى بَلَغ مِن ذلك إلى غاية غَلَبَتْ صَبْرهم ، ثُمّ جَمَع حَشْده وجَيْشه وقَصَد حِصْن الحَنْش مِن عَمَل مارِدة ، وقد أَمَدّوهم بالخَيْل لمّا سَمِعوا بقَصْد أحمد بن محمّد بن إلياس إليهم ، فغَرَّتْهم كَثْرتهم وطاشوا بالخُروج إلى ابن إلياس لمّا دَنا إليهم ، وناشَبوه الحَرْب ، فما اعْتَدَلَتْ حَسَبًا (1) حتّى وَلّوا أَدْبارهم مُنهزِمين ، واتَّبَعَهم

---

(1) قراءة غير واضحة .

الحَشَم يَقتُلون ويُرْجِلون ويأسِرون ، حتّى أدْخَلوهم قَلْعة حِصْن الحَنْش ، وقد أصابوا خَلْقاً منهم ، فاكْتَسَح القائد ابن إلياس أمْوالهم وأباد خَضْراءهم وأخَذ بأكْظامهم ، فتمكَّن الذُعْر منهم ولم يُطِيقوا بالثَبات على أمْرهم ، مع إحاطة أهل الطاعة بهم ، فاجْتَمَعوا عند ذلك ومسعود بن تاجِيت أميرهم على الاعْتِصام بالطاعة والدُخول في الجَماعة ، واخْتاروا للمُضِيّ عنهم إلى قُرْطُبة ، حَضْرة السلطان ، لالْتِماس ذلك لهم المعروف بابن مُنْذِر منهم ، وكان رَجُلاً من بَرابِر مارِدة يَتفقَّه فيهم وله في ذاته رأي ودَهاء ومَعْرِفة بالحاجب موسى بن محمّد بن حُدَيْر ، رَجَوا الانْتِفاع بها لدَيْه ، فاتَّفَقوا على إشخاصه إلى الحَضْرة ورَفَعوا إليه كُتُبهم ، وحَمَّلوه شُروطهم ، وقَرَنوا به أربعة مِن ثِقاتهم ، فوافى ابن مُنْذِر إلى قُرْطُبة وبَدأ بالحاجب موسى بن محمّد بن حُدَيْر ، ونِعْمَ الواسِطة كان للكافّة ، فأحْكَم معه شأن قَوْمه أهل مارِدة ، وأخَذوا الأمان لهم ولابن تاجِيت أميرهم ، على الشَرائط التي اشْتَرَطُوها ، وضَمَّنها ابن مُنْذِر اشْتِراطه لنَفْسه وِلاية القَضاء عليهم .

فأجابه السلطان إلى ذلك كلّه ، وعَقده على نَفْسه ، وأوصِل إليه ابن مُنْذِر وافِدهم ، فرَفَع مَنْزِلته ، وأحْمَد وِساطته ، واستَقْضاه على مارِدة ، وكَساه ووَصَله وأمَر فدُفِعَتْ أجْوِبة كُتُبه ، فرَجَع بها إلى أهل ماردة ، / فسَرَّتْهم ، وصَرَفوه إلى الناصر لدين الله بَعْدَ أيّام ، يُعْلِمونه بوُصول كُتُبه إليهم ، ويَتشكَّرون ما كان مِن إحسانه فيهم وبإقراره لهم على ما في أيْدِيهم ، وتَحْرِيرهم (1) مِن الوَظائف المَحْمولة على غَيْرهم ، وإلحاقه بفُرْسانهم في دِيوانه ، ويَسْتَدْعون مِنه عاملاً مِن قِبَله يَقُوم بالبَلَد ، ويَتسلَّمه من مسعود بن تاجيت رئيسهم بخُروجه عنهم إلى الحَضْرة ، فوَقَف الناصر لدين الله على صِحّة طاعتهم ، وأمَر عبد المَلِك بن العاصي بتَعْجيل الخُروج

(1) م. « تجهزهم » .

إليهم واليًا عليهم ، فوَصَل إليهم في اليَـوْم الثالث في ألْف مِن العُرَفاء ومِثْلهم من الطَنْجيّين (2) وخمس مِائة من الرُمـاة وخمس مِائـة مِن المُلْحَقين ، فدَخَل عبد المَلِك مارِدة بقُوّة وعُدّة ، وضَبط قَصَبتها المُنيفة ، وأرام أهلها الطاعة ، فتوطّات قواعِدها لدَيْهم ، وشَمَلَتْهم النِعمة . وجَمَع الناصر لدين الله لعاملهم مِكْناسة وهَوّارة ونَفزة ولَقَنْت ، فاستَوْسَع عَمَله واتَّصَلَتْ وِلايته ، ولَحِق مسعود بن تاجيت بقُرْطُبة في بني عَمّه وأهله ، فصار في المَصافّ على تَوْسِعة مِن الرِزْق والنُزول والمَنـازِل والجاه ، واستَقَرَّتْ به الدار .

[تَسْمِية الناصر بامير المُؤمِنين]

وفي هذه السنة استَكْمَل الناصر لدين الله مَرْتَبة الخِلافة ، واستَتَمّ مِيسَمها بتَسْمِيته بأمير المُؤْمِنين ، وأخْذه رَعيّته بذلك في جميع ما يَجْرِي منه ذِكْره ، وإنفاذ كُتُبه بها في أقْطار مَمْلَكته ، وقَطْعه على استِحْقاقه لهذا الاسْم ، الذي هو بالحقيقة له ولغَيْره بالاسْتِعارة ، إذ هو ابن (3) أُمَراء المُؤْمِنين وسُـلالة الهُـداة الفاضِلين والأئِمّـة المُتَّقين القائمين بالحَقّ السالكين سبيل الرُشْد ، وقد تَقدَّم ذِكْره لذلك ونَظْمه فيما مضى مِن هذا الكِتاب (4) ، وأنّ أوّل دَعْوة أُقيمَتْ له على مِنْبره الأعْظَم في المَسْـجد الجامع بحَضْرته قُرْطُبـة ، بنُطْق صـاحب الصَلاة فيها ، الفقيه القاضي أحمد بن بَقيّ بن مَخْلَد بن يَزيد ، بالدُعاء له في خُطْبة الجُمُعة مُسْتَهَلّ ذي

---

(2) م. « الطنجين » .

(3) في « البيان » ج 2 ص 198 « ابر » .

(4) تلميح الى القسم المفقود من هذا المخطوط الذي يحتوي على نص الخطـاب الذي وجهه الخليفة الى عماله ، وقد احتفظ لنا بهذا النص « تاريخ الناصر » رقم 59 و « البيـان » ج 2 ص 198 – 199 ، « واعمـال الأعلام » لابن الخطيب ص 30 ، وفي « الحلل الموشية » ص 20 :

« بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على نبيه محمد الكريم .

اما بعد فان احق من استوفى حقه ، واجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة

الحِجّة من هذه السنة . فاستَمَرَّتْ عليه وعلى عَقِبه مِن بَعْدِه هذه السِمة ، إلى أن انْقَرَضَتْ دَوْلتهم ، والبَقاء لله تعالى ، عَزّ وَجلّ ، المُنفرِد به ، / عَزّ وَجْهه ، وعَظُم سُلْطانه . 160

[الوُزَراء]

وفيها عُزِل عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة عن الوِزارة في عَقِب شَعْبان منها ، فقَلّ فيها عَدَد الوُزَراء ، وانْسَلَخَتْ [هذه السنة] وعِدّتهم سِتّة : الحاجب موسى بن محمّد بن حُدَيْر ، أخوه أحمد بن محمّد بن حُدَيْر ، سعيد [بن] المُنْذِر القُرَشيّ ، عبد الحميد بن بَسِيل ، عبد المَلِك ابن جَهْوَر ، فُطَيْس [بن أَصْبَغ] (1) .

الله تعالى ما ألبسه ، فنحن للذي فضلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا ادراكه ، وسهل [بنا و] بدولتنا مرامه وللذي أساد في الآفاق من ذكرنا ، وأعلى في البلاد من أمرنا ، وأعلق من رجاء العاملين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا ان شاء الله ، ولي [النعمة و] الانعام بما انعم به وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه — ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه .

وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق لنا أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه .

فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله ، [والله المستعان] .

وكتب [يوم الخميس] لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316 » .

(1) في « البيان » ج 2 ص 199 « وولي أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف المدينة وعزل عنها عيسى بن أحمد بن أبي عبدة ، وقبل ذلك ما كان عزل جميع خزان المال ، وكانوا خمسة ، وهم : سعيد بن سعيد بن حدير ، وأحمد بن موسى بن حدير ، وأحمد ابن عبد الوهاب المنقول الى المدينة ، وخالد بن أمية بن شهيد ، وعيسى بن فطيس ، وولى الناصر مكانهم أربعة خزان ، وهم : محمد بن جهور ، وأحمد بن عيسى بن أبي عبدة ، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ، وأحمد بن محمد بن أبي قابوس .

وفيها عزل أفلح ودري موليا الناصر عن الخيل والشرطة ، وولي الخيل عبيد الله الزجالي ، والشرطة أحمد بن أبي قابوس ، ثم أعيد أفلح الى الخيل ، ودري الى الشرطة بعد شهر .

اتّخـاذ دار الضَرْب

وفيها أَمَر الناصر لدين الله باتّخاذ دار السِكّة داخِلَ مدينة قُرْطُبة لضَرْب (2) العَيْن من الدنانير والدَراهِم ، فاتُّخِذَتْ هُنـاك على رَسْمه . وولّى خُطّتها أحمد بن محمّد بن حُدَيْر يوم الثُلاثاء لثلاث عشرة بَقِيَتْ من شَهْر رَمَضان منها . فقام الضَرْب فيها من لَدُن هذا التأريخ مِن خالِص الذَهَب والفِضّــة ، وصحّح في ذلك ابن حُدَيْر وأجاد الاحْتِراس مِن أهل الدُلْسة ، فأَضْحَت دَنانيره ودَراهِمه عِيارًا مَحْضًا .

وقال أحمد بن محمّد الرازيّ : فيهـا اتَّخَذ الناصر لدين الله دار السِكّة لعِياره ، وقد كان الضَرْب للنَقْد مُعطّلاً قَبْلَه بدَهْر ، فعَظُمت به مَنْفَعة الناس واكْتَمَلَتْ خِصال دَوْلته . وكانت أَوّل وِلاية (3) على دار السِـكّة أحمد بن محمّد بن موسى بن حُدَيْر ، ثُمّ يَحْيى بن يُونُس القَبْريّ سـنة عشرين وثلاث مِائة ، ثم محمّد بن فُطَيْس سنة إحدى وعشرين ، ثُمّ سعيد ابن جَسّاس سنة اثنتَيْن وعشرين ، ثُمّ عبد الله أخوه سنة سبع وعشرين ، ثُمّ أعاد إليها سـعيدًا فخان أَمانته واستَغَشّـه وامْتَحَن عِياره ، فكَشَف غشّه ، فسَخِط عليه ، وسَجَنه ، وقلّد السِـكّة قاسِم بن خالِد ، صـاحب العِيار الجَيِّد المضروب به المِثْل إلى اليَوْم ، ثُمّ قُتِل قاسم بأَيْدي عبيده

وفيها ، تولى ابراهيم بن محمد بن اللبرفي خطة العقل .

وفيها ، عزل غالب بن محمد بن عبد الرؤوف عن خطة الضياع ، ووليها محمد بن عبيد الله بن مضر ، في انسلاخ جمادى الآخرة . ثم عزل عنها ابن مضر ، ووليها خلف ابن أيوب بن فرج الكاتب ، وكان يكتب للحاجب موسى بن محمد ، وذلك لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وفيها توفي محمد بن هشام القرشي المعروف بابن الشبانسية بكورة شذونة ، وهو عاملها » .

ويبدو كذلك انه سقط من هنا ما معناه « وفيها عزل عن المدينة عيسى بن احمد ابن أبي عبدة . ووليها أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف » نعيدها معتمدين على وقائع سنة 316 وسنة 317 .

(2) م. « بضرب » .

(3) كذا في الأصل .

في ذي القَعْدة سنة اثنتَيْن وثلاثين وثلاث مِائة ، فولّى الناصر لدين الله مكانَه ابن عَمّــه عبد الرحمٰن بن يَحْيى الأَصَمّ ، ثُمّ محمّد بن أحمد بن حُدَيْر ، ثُمّ عبد الله بن محمّد الخَرُّوبيّ .

ثُمّ نَقَل الناصر لدين الله السِكّة إلى مدينــة الزَهْراء الجديدة عند سُكْناه بها ، فعَطَّل دار السِكّة بقُرْطُبة وأَغْلَق بابها ، واتَّخَذ دار الضَرْب عِوَضها بالزَهْراء ، أَنْقَل السِكّة إليها ، وقلَّدها عبد الرحمان بن يَحْيى ، فاتَّصَل الضَرْب / بها بَقيّة حياته وحِيناً من الدَهْر بَعْدَه . 161

سنة سبع عشرة وثلاث مائة

[غَزْوة إلى كُوَر الغَرْب]

[فيها] كان وَطْء الناصر لدين الله لكُوَر غَرْبيّ الأندلس وبَدْء الفُتوح بهـا ، كانَتْ بهـا عَوْدة الناصر لدين الله إلى كُوَر الغَـرْب لمُمارَسـة المُستمسِكين بالخِلاف عليه فيها ، فبَرَز لغَزاته هذه على عادته في اليَوْم الخميس لعشر خلَـوْنَ من ربيـع الأَوَّل منهـا ، وهو اليَـوْم الثالث والعِشْرون (1) من شَهْر نَيْسان الشَمْسيّ ، وفَصَل لها من قَصْره بقُرْطُبة يَوْم السَبْت (2) لإحدى عشرة خَلَتْ من ربيع الآخِر منها ، و[هو] اليَوْم الرابع والعشرون (3) من شَـهْر أَيّار ، وذلك بَعْدَ بُروزه بأَحَد وثلاثيـن يوْمًا ، وأَغْزى معه اثنَيْن من وُلْده ، الأمير الحَكَم ، وليّ عَهْـده ، وأخاه المُنْذِر بن الناصر لدين الله ، وتَخلَّف في القصر ابنه عبد العزيز ، شقيق وَلِيّ العَهْد الحَكَم ، ليُنْفِـذ الكُتُب إليه ، ومِن الوُزَراء أحمد بن محمّد بن حُدَيْر على عادته ، وعلى المدينة أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف .

---

(1) م. « عشرين » .

(2) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم بل في يوم الأحد .

(3) م. « عشرين » .

وقد كان قدَّم رُسُله وأَخْرَج أُمَناءه إلى جَماعة الثُوّار بكُوَر الغَرْب المُستمسِكين بالخِلاف ، النابِذين للطاعة ، صَدْر هذه السنة ، قَبْلَ حَرَكته ، مُعْذِرًا إليهم في الدُخول في عِصْمة الجَمـاعة واللِياذ بالطاعة واللِحاق ببـاب سُدّته ، الناظمة لحَبْل الأُلْفة ، والتَخلّي عمّا انْتَزَوْا عليه مِن البِلاد ومَن اضْطَهَدُوهم مِن الرَعيّة ، على إعاضتهم مِن ذلك بالزُلْفى والتَوْسِعة والإيثـار والكَرامة ، وإيعـادهم على خِلافه بالغَزْو والمُناجَزة ، فلاذوا عمّا (4) عَرَضه عليهم ، واشْتَطّوا في سَوْم إنابتهم ، فابْتَعَثوا جِدّه بهم ، ومضى نَحْوهم بجُنوده وعديده ، وبَدَأ منهم بصاحب بَطَلْيَوْس ، وكان يَوْمَئذٍ عبد الرحمـٰـن بن عبد الله بن عبـد الرحمٰن بن مَرْوان المعـروف بالجِلّيقيّ ، وارث إمارته عن أربعة مِن آبائه ، أُولِي شأْو في الغَيّ وقَدَم ثابتة في الضَلالة ، فاحْتَلّ الناصر لدين الله عليه بباب مدينة بَطَلْيَوْس ، كَهْف الخِلاف وعُشّ الضَلالة ومُبْتَـدأ أبي جَدّه عبد الرحمٰن بن مَرْوان ، حليف الشَيْطـان وجُرْثومة الغَواية ، يومَ الخميس لسبع بقِينَ من ربيـع الآخِر منها ، / فأساء الأدَب ، وأفْحَش في القَوْل ، وجَمَح (1) في الجَهالة ، وسارَع إلى الحَرْب ، فأخْرَج رِجاله وأهل بَلَده مُتعرِّضين لحَرْب الأوْلياء ، فأَمَر الناصر لدين الله بالنَبْذ إليهم والجِدّ بهم ، فواضَعهم القُوّاد القِتال وأحالوا عليهم الأبْطال ، واحْتَمى مارِقهم سُوَيْعة ، ثم انْهَزَم عنها الأخابِث مُوَلّين أدْبارهم ، فاقْتَحَم الجُنْد عليهم داخِلَ أرْباضهم وكَدُّوهم ، إلى أن تَواءَوْا داخِلَ مدينتهم ، [و]قد عَضَّتْهم الحَرْب وأدْهَشهم الخَوْف ، وقُتِل جَماعة من فُرْسانهم .

162

وتَوجَّهت عليهم في اليَوْم الثاني مِن إناخة العَسْكَر بعَقْرهم وتَنْويه المُضْطرَب عليهم وَقْعة أخرى ، قُتِل فيها جُمْلة منهم ، بُعِثَتْ رُؤوسهم إلى قُرْطُبة ، ثُمّ وُضِعَت الأيْدِي في قَطْع أشْجارهم وتَحْريق ما أَخْلَوْه مِن دِيارهم

---

(4) م. « بما » انظر هذه الكلمة في ملحق القواميس العربية لـ « دوزي » .
(1) م. « جمع » .

بخارِج سُورهم وإفســاد عِمــاراتهم وحَطْم مَعايشهم ، فبَقُوا محصورين بداخِل مدينتهم ، ذابِّين (2) لحريمهم (3) . ووكَّل الناصر لدين الله بحَرْبهم وحَصْرهم والتَضْييق عليهم أحمد بن إسْحاق القُرَشيّ القائد في كَثيف من الجُنْد ، خَلَفهم معه ، ومَضى إلى مدينة مارِدة المُرْتبِطة بالطاعة قُرْبهم ، فباشَر أحْوالهم واستَصْلَح أهلها ، وأبْدَلهم من عاملهم محمّد بن إسْحاق القُرَشيّ أخي أحمد بن إسْحاق القُرَشيّ .

ونَدَب معه عِدّة مِن الحَشَم ، ثُمّ كَرّ مِن هُناك إلى مدينة بَطَلْيَوْس ، فاضْطَرَبَتْ عَساكِره عليها في كَرّته هذه مِن غَيْر الجِهة التي كانت اضْطَرَبتْ فيها ، إبلاغاً في نِكايتهم ، فتولّى من ذلك ما أذاقهم به وَبال عِصْيـانهم وعاقِبة ضَلالهم ، وأبْقى عليهم أحمد بن إسْحاق القُرَشيّ القائد في جَيْش كثيـف ورِجال مُنْتَقَيْـن وعُدَد كاملـة ، وأمَرهم بالتَشـدُّد في حَصْرهم والاستِبْلاغ في مَضـايِقتهم ، ونَدَب في الحُصون التي تَكنَّفهم طوائف من أنْجاد رِجاله مع أكابِر مِن قُوّاده ، تَردّدوا بالحَرْب عليهم وتَحيَّفوا كلّ حِين مِن أطْرافهم ، حتّى [صاروا في مِثْل كِفّة الحابِل من ضِيق الإحاطة والأخْذ بالأقطار] (4) عليهم ، فأذْعَنَتْ مَقادتهم بَعْدَ الإباية واعْتَرَفوا لنُكْرانهم ، وأقام بها الناصر لدين الله [هُنَيْهة] .

ثُمّ وكَّلهم إلى مَن استَخْلَف على تَنْكيلهم ، وســار عنهم في جُمْهور عَساكِره إلى مدينة / باجة ، وفيها يَوْمَئذٍ عبد الرحمٰن بن سعيد بن مالِك ، على مِثْل ابن مَرْوان في الخِلاف وفي نِصـابه من وِراثة الجَراءة ، فنَزَل بسـاحته يَوْم الأحَد غُرّة جُمادى الآخِرة منها ، وتَقدّم بالإعذار الى عبد الرحمٰن ودعا به إلى الطاعة ، فالْتَوى ولم يَقْبَل النصيحة ، فأحاط العَسْكَر بها مِن جِهاتها ونَصَب لها الحَرْب من جميع نَواحِيهـا ، وحَصَر أهلها ،

163

(2) في الأصل « بابى » .

(3) كلمة غير منقوطة .

(4) نصحح هذه العبارة معتمدين على كتابنا هذا ص ١٩١ .

وقد تَوارَوْا خَلْفَ السُور ، فمَنَعوهم (1) المِيرة حتّى مَسّهم الجَهْد وحُمُوا الماء ، فنالهم العَطَش ، وتَهافَت كثير منهم ظَمأً وتَساقَطوا جَهْدًا ، فلمّا رأى ذلك أميرهم عبد الرحمٰن [بن سعيد] بن مالِك ضَرَع في الأمان ودعا إلى الطاعة ، فأجابه السلطان إلى ما الْتَمَس من ذلك وأَمّنه ، وأَمَّن إخْوته وأهل بَيْته ومَن كان بداخِل المدينة مِن رِجاله ، ونَزلوا على حُكْمه ، وخَرَج جميعهم إليه ودَخَلوا مُعَسْكَره ، فوَفى لهم بأمانه ونَقَلهم إلى قُرْطُبة وصاروا في عِداد حَشَمه .

فافْتُتِحَتْ مدينة باجة للنِصْف مِن جُمادى الآخِرة منها ، ومَلَكها الناصر لدين الله ، فأَمَّن أهلها ورَدّ مَظالِمهم ونَظَر في مَصالِحهم ، ثُمّ ولّى عليهم عبد الله بن عَمْرو (2) بن مَسْلَمة غُرّة رَجَب من هذه السنة ، ونَدَب معه فيها قُوّة وأكثف لها الجَمْع والعُدّة ، وأَمَر بابْتِناء قَصَبة فيها يَنْفرِد فيها العامل عليها ويَسْكُنها بِرجاله . وكان مُقام الناصر لدين الله على باجة خمسة عشر يوماً .

ثُمّ انْتَقَل عنها بعَسْكَره قاصدًا مدينة أُكْشونُبة (3) ، قُرْبَ الساحل الغَرْبيّ من البَحْر المُحيط ، فاحْتَلّ بها يوم الاثنَيْن لسبع بَقِينَ مِن جُمادى الآخِرة منها ، و[فيها] المُنْتَزِي ، مِن مُجْرِمي أهل الخِلاف المُستبصِرين في الغَواية ، خَلَف بن بَكْر ، وقد كان الناصر لدين الله افْتَتَح له في طريقه حِصْنـًا يُسَمّى حِصْن الرقاع (4) ، أصاب فيه لابن بَكْر مالاً وعُدّة وسِلاحاً ، نَقَل ذلك أهل العَسْكَر ففَتّ في عَضُد ابن بَكْر ، فأَرْسَل رُسُلاً من ثِقاته بَلَغت الناصر لدين الله مُظهِرًا للإنابة إليه ، مُبادِرًا الى طاعته ، مُحكِّماً في نَفْسه ، مُتوسِّلاً ببُعْد داره وقاصية مَكانه ، فأَخْرَج إليه النَزائل وأقام الوَظائِف ودعا إلى إقراره بمَكانه ، على / أن يُمْحِض الطاعة ويَلْتَزِم 164

(1) م. « فمنعوه » .
(2) في « البيان » ج 2 ص 200 « عمر » .
(3) م. « اشكونبه » .
(4) في « البيان » ج 2 ص 200 « الوقاع » ، قد تكون « الجزيرة » أو « مدينة التراب » من عمل عامر بن أبي جوشن حسب ما جاء في « المسالك » ص 14 .

إدرار الجِباية الوافرة ويُحْسِن السِيرة في الرَعيّة ، وقد أظْهَر رَعيّته فيه رَغْبة شديدة ووَصْفَته بسِيرة حميدة ، فقَبِل الناصر لدين الله إنابته ، وأوْسَعه حُسْن رأيه ، وأقرّه على وِلاية بَلَده ، وفارَقه على عَدَد مُقرَّر في جِباية بَلَده يَحْمِله لمِيقاته في كلّ عام إلى حَضْرته ، وأخَذ عليه إحسان السِيرة في رَعيّته ، وألّا يَقْبَل نازعًا ولا يَكْشِف هاربًا ، فالْتَزم جميع ما شُرِط عليه ، ووَقَف عند ما حُدّ له ، وجدّد الناصر لدين الله سِجِلّه على كُورة أُكْشُونُبة (1) عِنْد إيابه (2) عن غَزْوته الميمونة ، يومَ السَبْت لليلتَيْن بَقِيَتا مِن جُمادى الآخِرة منها ، فدَخَل قَصْر الخِلافة بقُرْطُبة ، حَضْرته ، يوم الأحَد لأربع عشرة ليلة خَلَتْ مِن رَجَب منها ، وقد اسْتَتَمّ في غَزاته تسعين يومًا وثلاثة أيّام زائدة عليها .

ولازم أحمد بن إسْحاق القُرَشيّ القائد المُقام على حِصْن بَطَلْيَوْس ، وكَدّهم بالحَرْب ووَقَمهم بالذُلّ ، فجَرَتْ بَيْنه وبَيْنهم وَقائع صَعْبة كانت عليهم ، بَعَث ابن إسْحاق منهم في هذه السنة إلى باب سُدّة السلطان بسبعين أسيرًا مِن فُرْسانهم ، ضُرِبَتْ رِقابهم بالمَرْج بَيْن يَدَيْ قَصْر الخِلافة بشَطّ النَهْر ، فاسْتَكانوا أثَرَ هذه الحَطْمة .

الفُتــوح

وفيها افْتُتِحَتْ مدينة شاطِبة وحِصْن سَمَغُوس (3) وذَواتها مِن كُورة بَلَنْسِية ، ومُلِكَتْ قِلاعها الشاهقة المُحيِّرة (4) الخِلْقة ، واسْتُنْزِل عنها عامر بن أبي جَوْشَن المُنْتَزي عليها بَعْدَ أن تَردَّدت الجُيوش عليه ، واتّصَلت الحُروب معه ، وأحْدَقت القُوّاد به من سنة اثنتَيْ عشرة وثلاث مِائة إلى هذا الوَقْت بتداوُل حِصاره ، قائدًا أثَرَ قائد ، وتَوالي نِزاله

---

(1) م. « اشكونبه » .

(2) كلمة غير منقوطة .

(3) في « تاريخ الناصر » رقم 63 ، « شغونس » وقد قراها ناشرا هذا الكتاب « شَغُونْت » .

(4) كلمة غير منقوطة .

عَسْكرًا بَعْدَ عَسْكَر ، حتّى أعْطى النَقادة عن صُغْر ، وكان المُستَنْزِل له إنّه بَلَغ الآن وَقْتِه . صاحب الشُرْطة العُلْيا ، المُرتَّب عليه ، دُرّيّ بن عبد الرحمْن . واشْتَرط عامر عند إنزاله بالحُلول بحِصْن شَنْت برية من حُصونه في الجِهة (5) مُدّة ذَكرها كَيْما يأخُذ في انْتِقال أثْقاله وعِياله إلى قُرْطبة بالإنابة ، فأُجِيب / إلى ذلك وزال أمْره . 165

المُطالَعة [لبُبَشْتر]

في آخِر هذه السنة كانت للناصر لدين الله ، الساهر العَيْن في ضَمّ شَتات المَمْلَكة ، حَرَكة مُفاجِئة ، انْبَعَث لها مِن قَصْر الناعورة ، مَقامه للفُرْجة ، فركِب في غَيْر حَفْلة آمًّا لمدينة بُبَشْتر الحديثة المَلَكة ، مُطالِعًا لما (1) وَكَل بها مِن عزيمته ، ومُعايِنًا لِما أقام فيها من بِنْية وتَمّ من تَحْصين وتَوْثِقة ، فمَضى لذلك يَوْمَ الخميس لثلاث عشرة خَلَتْ مِن شَوّال ، وأتاها يَوْمَ الخميس لعشر بَقِينَ منه ، فدَخَل المدينة وجال فيها ووَقَف على ما تَمّ مِن حُدود مَراسِمه في بُنْيان قَصَبتها ، وأكَّد في إكمال ما بَقِيَ من ذلك كلّه ، ثُمّ صَدَر عنها في اليَوْم الثاني ، فعاد إلى قَصْر الناعورة يَوْمَ الثُلاثاء لاربع بَقِين من شَوّال منها . فكانت مُدّة مَغيبه عن حَضْرته ثلاثة عشر يومًا .

الشِـدّة

وفيها أمْحَل الناس واحْتَبَس الغَيْث ، ونال ضَرر ذلك الزَرْع وغَلَت الأسْعار وكَلَح الزَمان ، فأمَر الناصر لدين الله الخطيب بجامع حَضْرته قُرْطُبة بالاستِسْقاء ، فابْتَدأ ذلك في خُطْبة الجُمْعة التي يَلِيها ، ثُمّ بَرَز

---

(5) م. « جهد » .

(1) م. « لها » .

بالناس إلى مُصلّى الربَض يوْمَ الاثنَيْن لثمانٍ خَلوْنَ من صَفَر منها (2) ، وكان اليَوْم الثالث عشرين من شَهْر مارِس الشَمْسيّ ، فلم يَسْقِ الله البِلاد ، واستَمرّ القَحْط ، فاتّهَمَت الناس أنْفُسهم ، وخَرَجَتْ كُتُب الناصر لدين الله إلى جميع العُمّال على الكُوَر بالأمْر بالاستِسْقاء على نُسْخة واحدة :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم ،

أمّا بعدُ ، فإن الله عَزّ وجَلّ ، إذ بَسط رِزْقه ، وأغْدق نِعَمه ، وأجْزَل بَرَكاته ، أحَبّ أن يُشْكَر عليها ، وإذا زَواها وقَبَضها ، أحَبّ أن يُسْألها ويُضْرَع إليه فيها ، و ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (3) و ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (4) ، ﴿ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(5) ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ، وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(6) ، فأوجَبتْ به الرَغْبة إليه ، عَزّ وَجْهه ، فيه والخُنوع لعِزّته والاسْتِكانة له والإلحاح في المَسْألة / فيما احْتَبَس به ، والتَوْبة من الأعْمال المُنْكرة التي تُوجِب سُخْطه ، وتَبْذل نِقَمه ، وتَسْتُر وَجْه رِضاه ، تعالى جِدّه .

166

وقد أمَرْنا الخطيب فيما قِبَلنا بالاستِسْقاء في المَسْجِد الجامع يومَ الجُمُعة والجُمُعة الثانية التي تَليها ، إن أبْطأت السُقْيا ، والبُروز يومَ الاثنَيْن بَعْدَهما ، بجَماعة المُسلِمين عِندنا إلى مُصلّاهم ، أوْ يأْتِيَ الله قَبْل ذلك بغَيْثه البَعِيّ عنه ، ورَحْمته المُنتظَرة منه ، المَرْجوّة عنده . فمُرْ الخطيب بمَوْضِعك أن يَحْتمِل على مِثْل ذلك ويأْخُذ به مَن قِبَله مِن المُسلِمين ،

---

(2) في « البيان » ج 2 ص 199 « يوم الجمعة لليلة بقيت من المحرم وذلك في شهر آذار » ، وهذا التأريخ لا يتوافق مع ما يجيء في هذا المخطوط لأنه سابق لما يأتي من تأريخ هنا وذلك لأنه اذا كان يوم الاثنين الثامن من شهر صفر يتوافق مع 23 من شهر اذار / مارس وهذا صحيح فان يوم 29 من شهر محرم من عام 317 لا يقع في يوم الجمعة .

(3) القرآن ، السورة 51 الآية 58 .

(4) اقتباس عن القرآن ، السورة 2 أو 9 .

(5) القرآن ، السورة 42 الآية 25 .

(6) القرآن ، السورة 42 الآية 28 .

وليَحْمِلْهم ذلك المَحْمَل ، ولْتَكُنْ ضراعتهم إلى الله تعالى ضَراعة مَن قد اعْتَرَف بذَنْبه ورَجا رَحْمة الله ، والله غَفور رحيم ، وهو المُستعان ، لا شريكَ له ، إن شاء الله » .

وأبْطأت [السَماء] فتردّد الاستِسْقاء في المَسْجِد الجامِع وبمُصلّى الربَض بَعْدَ الاستِسْقاء الأوّل مَرّاتٍ ، ثُمّ بَرَز الناس إلى مُصلّى المُصارة أيضاً تاراتٍ ، والسَماء في كلّ ذلك مُمْسِكة لِما قدّر الله تعالى .

تَثْليث خُطّة الشُرْطة

فيها اخْتَرع الناصر لدين الله في خُطَط المُلْك خُطّة الشُرْطة الوُسْطى بَيْن الشُرْطتيْن العُلْيا والصُغْرى ، ولم تَكُن قَبْلَه ، فكان أوّل مَن رَسَمها وثلّث عَدَدها ، ولم يكن قَبْلَه سِوى اثنَتَيْن الكُبْرى والصُغْرى ، فتعرَّفَتْ في دَوْلته واستَمَرَّتْ بَعْدَه ، وتَرتّب رِزْقها وَسَطاً بَيْن رِزْقي العُلْيا والصُغْرى ، ووَلّاها يَوْمَئذٍ سعيد بن سعيد بن حُدَيْر ، فكان أوّل مَن تَقلّدها .

[الوُزَراء]

وفيها عَزَل الناصر لدين الله فُطَيْس بن أَصْبَغ عن خُطّة الوِزارة في صَفَر منها ، وأعاد عيسى بن أحمد بن محمّد بن أبي عَبْدة إلى الوِزارة في ربيع الآخِر منها . وقدَّم عبد المَلِك بن عُمَر بن شُهَيْد إلى خُطّة الوِزارة في ربيع لآخِر أيضاً . فانْسَلَخت هذه السنة والوُزَراء سبعة رِجال ، أوّلهم الحاجب موسى بن محمّد بن حُدَيْر ، أخوه أحمد بن محمّد بن حُدَيْر ، سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، عبد الحميد بن بَسِيل ، عيسى بن أحمد بن محمّد بن أبي عَبْدة ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، عبد المَلِك بن عُمَر بن شُهَيْد (*) .

(*) يضيف « البيان » ج 2 ص 202 هنا ما نصه « وفيها ولي خالد بن أمية بن شهيد الخزانة ولاية ثانية ، وولي عبد الرؤوف بن أحمد بن عبد الوهاب خطة العرض » .

طُرْطُوشة القاصية وثَغرها : عُثْمان بن عُبَيْد الله بن محمّد بن أبي عَبْدة .

كُورة إلْبيرة : موسى بن سعيد بن حُدَيْر ، بَعْدَ أن خُزِلَتْ عنه باغُه وأحْوازها ومَواضِع بَني مُهلَّب وبني حِمْصيّ لأحمد بن قاسم الكَلْبيّ .

كُورة إشْبِيلِية : احمد بن محمّد الزَجّاليّ .

كُورة شَذُونة : عُبَيْد الله بن فِهْر .

كُورة أسْتِجة : أُمَيّة بن محمّد بن شُهَيْد .

كُورة تاكُرُنّا : عبد الله بن محمّد بن بُخْت (2) .

كُورة قَبْرة : طَرَفة بن عبد الرحمٰن ، بَعْدَ أن خُزِل (3) منها حِصْن بُلاي وأحْوازه لسعيد بن أبي القاسِم الخال ، وحاضِرة بَيّـانة وما يَلِيها لأحمد بن شَراحِيل .

كُورة الجزيرة الخَضْراء : عبد الله بن إسْحاق .

[كُورة لَبْلة : شُهَيْد بن مُفضَّل] (4) .

كُورة (5) أُشُونة : بِلْهاث بن محمّد .

كُورة مَوْرُور : عبد الوَهّاب بن محمّد ومحمّد بن بَدْر [جميعًا] (6) .

---

(1) قراءة محتملة . م. « باراع » .

(2) في الأصل « لُبّ » بشكل واضح ، صححناه معتمدين على قراءة « تاريخ الناصر » رقم 65 لأنه لا يذكر أن عبد الله بن محمد بن لُبّ قد اجتاز الثغر الأعلى ليصبح عاملًا على « تاكُرُنّا » ، ولأنه كان قد توفي في تطيلة عام 303 كما يذكر كتابنا هذا ص 120 و « المسالك » ص 38 .

(3) م. « اخزل » وهي لغة اندلسية .

(4) نضيف هذه العبارة معتمدين على « تاريخ الناصر » رقم 65 لانه عزل من منصبه في عام 321 ، انظر كتابنا هذا ص 223 .

(5) م. « كورتا » .

(6) م. « عبد الوهاب بن محمد بن محمد بن بدر » ، نصححها معتمدين على « تاريخ الناصر » رقم 65 ، ويؤكد هذا أن هذا الشـخص لا يذكر مرة اخرى وان عبد الوهاب بن محمد الأشوني يظهر في كتابنا هذا ص 87 على انه قائد الجيش

كُورة رَيّه : [عبد الله بن محمّد بن أُميَّة] بَعْدَ ما فرّق أَعْمالها على عِدّة من العُمّال .

[كُورة جَيّان] (7) : محمّد بن أحمد بن أبي عُثْمان .

كُورة بَسْطة : عبد الله بن أحمد بن أبي عَبْدة .

كُورة تُدْمِير : أحمد بن محمّد بن إِلْياس .

كُورة بَلَنسية وشاطِبة معًا : عبد الله بن محمّد بن عقيل .

كُورة شَنْت برية : يَحْيى بن أبي الفَتْح بن ذي النُون .

[طَلَمَنْكة : غَرْسيّة بن أحمد] .

كُورة قَلْعة رَباح : شَبيب بن [أحمد] (8) .

طَلَبيرة : عبد المَلِك بن مَرْوان بن الشَمّاس القُرَشيّ .

مَجْرِيط : عبد الله بن محمّد بن عبد (9) الله .

أَنْتشية (10) : إِسْماعيل (11) [بن] لُبّ ..

مدينة الفَرَج : ارزاق بن مَيْسَرة .

مدينة بَرْبَشْتر (12) وبَرْبطانية والقَصْر وأَحْوازها من الثَغْر : عَمْروس [بن] محمّد .

قَصْر بن أَدانِس (13) بالساحِل الغَرْبيّ وما يَليه مِن الجَبَل : يَحْيى ابن أَدانِس وعبد الله بن عُمَر بن أَدانِس بن أخيه معاً ببَلَدهما المَنْسوب إليهم .

الذي احتل حصن « مارية » تجاه ببشتر عام 304 ومرة أخرى في العام التالي على انه قائد لجيوش الخليفة التي حاربت سليمان بن عمر بن حفصون ، انظر كتابنا هذا ص 93 ، محمد بن بدر عين عام 321 عاملا على باغُه وعزل عنها في العام التالي ، انظر كتابنا هذا ص 223 ، وص 240 .

(7) نص غير مستقيم وغير كامل ، نصححها معتمدين على « تاريخ الناصر » رقم 65 .

(8) ان ذكر « طلمنكة » وعاملها اضافة واردة في « تاريخ الناصر » رقم 65 الذي لا يصف قلعة رباح على أنها كورة ولذلك فقد ينبغي محو هذه الكلمة .

(9) في « تاريخ الناصر » رقم 65 « عبيد » .

(10) م. « انتيشة » وفي « تاريخ الناصر » رقم 65 « انتنسية » .

(11) قراءة غير واضحة .

(12) كلمة غير منقوطة .

(13) يرد هذا الاسم في النصوص على انه « ابي دانس » .

مدينة مارِدة : محمَّد بن إسحاق .
مدينة تُرْجِيله : أحمد بن سَكَن .
كُورة أُكْشُنوبة (14) : خَلَف بن بَكْر المُقدَّم عليها عند دُخولها في الطاعة .
مدينة يابُرة : عبد المَلِك بن بِشْر .
كُورة باجة : عبد الرحمٰن بن سعيد بن مالِك .
168 مدينة شَنْتَرين : خطيب بن أَيُّوب/العريف ، إلى أَصاغِر مِن الأَعْمال يَطُول اقْتِصاصها ، أَعْرَضْنا عنها .

امْتِداد هِمّة الخليفة الناصر لدين الله إلى اسْتِدْعاء أكابِر أُمَراء البَرابِر بالعِدْوة إلى وِلايته وثَنْيه (1) لهم عن وِلاية الدَعِيّ عُبَيْد الله الشِيعيّ ، المُنْتَزِي على بَلَد إفْريقيَة ، المُضلِّل للناس بما شَرَع مِن بِدْعته الغالية (2) وإطفاء من نُور السُنّة ، وما تَهيّأ له من اسْتِجابة كثير مِنهم لدَعْوته ، وتَصْييره لهم حَرْبًا لعُبَيْد الله عَدُوّه . وتَذرُّعه بذلك إلى عُبور بَحْر الجزيرة المعروف بالزُقاق ، القريب المَرام ، الحاجِز بَيْن بَلَد الأندلس وبَلَدهم العريضة ، واسْتِيلائه قريباً على مدينة سَبْتة ، فُرْضة المَجاز إلى بَلَده من قِبَلهم ، ومَصِيرها في مَمْلَكته ، وانْبِساطه بذلك في أَرْضهم ، وأَمانه من مَكْروههم الذي منه أتى أهل الأندلس قريباً واقْتَحَم عليهم ، وذلك أَمْر لم يَتَهيّأ لأحد من سَلَفه أَمْلاك الأندلس ومَن قَبْلَهم ، مُنْذُ افْتُتِحَتْ ، وكَيْفَ توجَّهت أسباب ذلك واطَّرد تَدْبيره إلى أن اسْتَوى وسنّى الله بقُدْرته تَمامه .

لم تَزَل نفس الخليفة الناصر لدين الله ، مُنْذُ استَوْلى على أَمْر المُلْك ، وأُعِين بالنَصْر ، وتَسلَّط على أهل الخِلاف ، وقدَّر الله به رَجْع الائْتِلاف ،

(14) م. « اشكونبه » .
(1) كلمة غير منقوطة .
(2) م. « غالبة » .

دؤوبًا على ما سخّر له من ذلك ، طُمُوًّا إلى دَرْك أقصاه ، متخطيا موسطته الى نِهايته ، مُعْمِلاً فيه رُؤْيته ، مُوقِظاً له فِكْرته ، [ف]تأمّل مَكان هذا الفَرْج البَحْريّ ، ساحِل البَحْر الرُوميّ المُفِيض للأنْكَر (3) فَوْقَ الإسلام ، [و]مُجاوَرة جَبَل البَرابِر الحالِّين بِلاد المَغْرِب لمَلَكتهم لعِدْوتهم الراكِبَة لعِدْوة بَلَد الأندلس ، تَكاد عِدْوتاهُما تَتراءَانِ لضِيق بَحْر الزُقاق الحاجز بَيْنهما ، وسُهولة مَرامه أيَّ أوْقات الزمان رِيم رُكوبه ، فمِنْه طَرَقت الأندلس في [أوَّل] الزَمان الجالِية ، واكْتَسَب اهلها المَخافة ، فدَعَتْه هِمّته العَلِيّة وفِكْرته المُصِيبة إلى التَوقُّل إلى تِلْك الناحية المَرْهوبة والسُمُوّ لتلك العَوْرة المكشوفة ، وذلك عِنْدما كَشَف بكَنَف ذلك الساحِل الغَرْبيّ مِن طَنْجة

169 الفِتْنة ، / وضَمّ ما كان أوْهَنه مِن صَدْع الفُرْقة ومَلَك مِفْتاح الجزيرة الخَضْراء ، فُرْضة الأندلس الدُنْيا الراكِبة فَتْح ذاك البَحْر المرهوب ، المُحاذِية (I) لضَرّتها مدينة سَبْتة ، فُرْضة المَجاز مِن بَلَد العِدْوة .

فأذكى نَظَر عَيْنه ما كان مثَل بخاطِره مِن الرَغْبة ، فأرْهَف العَزْم وألْطَف الحِيلة وابتدا ، فَفَتَح ذلك بمَخاطبة مَن تقدّمت له بأسلافه ، مُلوك بني أُميّة ، مِن امراء تِلك البِلاد وَصْلة ، أو ائْتَلَفتْ بَيْنهم آصِرة ، يَسْتثير وَصائِلهم ويَصِل أحْبُلهم ويَسْتَدْعِي وِلايتهم ، ويُسبِّب ذلك بإسناء مُهاداتهم وإكرام أسبابهم وقَضاء حَوائجهم ، فلم يَلْبث ان هَوِيَتْ إليه أفْئدة كثير مِن زُعَمائهم ، بَيْن مُصحِّح في وِلايته ، مُستجِيب لدَعْوته ، مُغْتنِم لعَطِيّته ، مُستعِين بقُوّته على مُدافَعة مَن قد هَدّ رُكْنه من بني عُبَيْد الله ، إمام الشِيعة ، المُقتحِم أرْضه عليه ودونه ، وبَيْنَ مُنافِق له ، مُقِيم لسُوقه بَيْنه وبَيْن تلك الشِيعة ، مُنذُ بَدَتْ بَيْنهما العَداوة ، مائل مع الدَوْلة ، مُجْتلِب لعاجل ما اشْتَمَل به مِن الرَشْوة ، [ف]اسْتَوى للناصر لدين الله مِن الطائفتَيْن أوْلياء ، قاموا بدَعْوته ورَفَعوا فَوْقُ أعْلامَه ، وعاظُوا عُبَيْد الله

(3) قراءة غير واضحة ، م. « لانكر » .
(I) م. « المحاضية » .

الشِيعيّ ، صـاحب إفريقيّـة ، مُضطَهِداً بدَعْوته ، وقَلَبـوا مَجانّهم إليه ونَصبوا الحَرْب لِرجاله ، فكَفْكَفُوهم عن الإيغـال في بَلَدهم مِن قاصيـة المَغرِب ، يَهُضّوهم (2) بالكَيْد والمَكْر ، فتَمكّنَتْ بذلك قَدَم الناصر لدين الله فيما حازه (3) من مدينة سَـبْتة والقِطْعة التي اسْتَضَمّها إليها مِن ارض العِدْوة ، واجْتَذَب من أجْله كثيراً مِن فُرْسان البَرابِر وحُماة رِجالهم إلى حَضرته ، اسْتَعان بهم في حُروبه ، وتَمكّن بذلك مِن ارْتيـاد عِتاق الخَيْل بوادي البَرْبَر واسْتِنْتاجِهم الفاضل لبَرازِين الاندلس ، فمَتُنَتْ بذلك اسباب مُلْكه ، وجَلّ مِقْداره ، وبَعُد صِيته ، وهابَتْه مُلوك الأُمَم حَوْلَه .

وظَهرَتْ نَتيجة ما عاناه مِن مُواصَلة أُمَراء البَرْبَر ، وسَعى له سَعْيه لِصَدر دَوْلته الفاضلة مِن سَـنة سبع عشرة وثلاث مِائة وما يليهـا ، إذا تَرَدَّدَتْ فيها عليها كُتُب محمّد بن خَزَر ، عظيـم أُمَراء زَناتة في وَقْته ، وأنفَرهم / عن عُبَيْد الله الشِيعيّ ، وأدْناهم مِن داره ، وأوّل مَن تَناوَله 170 الناصر لدين الله مِن جَماعتهم بمُكاتَبته واجْتَذَبه بوَصْلته ، إذ كان جَدّه الأعْلى ، صقلاب بن وَزُومار (1) الزَناتيّ ، أَسْـلَم على يَدَيْ عُثْمـان بن عَفّان ، رَضِيَ الله عنه ، بزَعْمهم ، فتَولّاه الخُلَفاء من بني أُمَيّة مِن بَعْده ، وتَرَك وِلايته وَصِيّة في عَقِبـه ، قام محمّد بن خَزَر وَقْتـه هذا بحِفْظها ، فهوى الى الناصر لدين الله بقَلْبه وتولّيه لصِدْقه ، وصَدَف عن عُبَيْد الله واله دِيانةً ، واستَبْصَر فى حَرْبهم حِسْبةً .

---

(2) م. « يهظوهم » .

(3) م. « جاره » .

(1) كذا في الأصل ، وهي قراءة غير واضحة ، وفي « العبر » ج 7 ص 24 لابن خلدون اسمه « صولات بن وزمار » اذ قال « [مغراوة من اهل الطبقة الأولى من زناتة] ... وكانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مدبولة وما اليها ولهم مع اخوانهم بني يفرن اجتماع وافتراق ومناغاة في احوال البدو وكان لمغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير ادركهم عليه الاسلام فاقره لهم وحسن اسلامهم وهاجر اميرهم صولات بن وزمار الى المدينة ووفد على امير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فتلقاه برا وقبولا لهجرته وعقد له على قومه ووطنه وانصرف الى بلاده محبوا محبورا مغتبطا بالدين مظاهرا لقبائل مضر

فجَرَتْ له معهم خُطوب طويلة ، وتردّدت كُتُبه هذه السَنَةَ إلى الناصر لدين الله مُتاحِفاً بغَرائب هَداياه ، مُطالِعاً بجَليّات أَخْباره ، مُنهِيًا (2) لآثاره في حَرْب عُبَيْدُ الله وأَصْحابه ، غُواة كُتامة ، على طَرْدهم عمّا امْتَدّوا إليه من بَلَد الزاب وطُبْنة ، ومُقارَعتهم دونه ، يُنوِّه في أكثرها بآسْم وَلَده ، الخَيْر بن محمّد ، وإخْوته عبد الله ومسعود ابْنَيْ خَزَر ، والناصر لدين الله يَتَقبّلها منه ويُحْسِن عنها مُجاوَبته ، ويَشُدّ في وِلايته بَصيرته ، ويُغرِ[ي] بالجِدّ في حَرْب المُلْحِد الشِيعيّ عُبَيْد الله وأصحـــابه كلّ وَقت بأنْواع مِن هَداياه وأَلْطافه وخِلَعه وتُحَف ، حتّى خَلَّص محمّد بن خَزَر هذا ومَن يَتْبَعه مِن قَبائل زَناتة في حِزْب الناصر لدين الله ، وتحقّقـوا بوِلايته ، وقاموا بدَوْلته .

وجَرَتْ لمحمّد بن خَزَر مع قُوّاد عُبَيْد الله الشِـيعيّ بالغَرْب وَقائع يَطُول شَرْحها ، أصاب منهم فيهـا ومن أهل وِلايتهم خَلْقًا كثيرًا ، وكان الناصر لدين الله لا يزال يُنفِذ إليه ، تَفْيِئة ذلك ، السفير بَيْنه وبَيْنه محمّد ابن عبد الله بن أبي عيسى ، يُشافِهه بما يَجِب من تَوْطِيد الدَوْلة بأرض المَغرِب ، والتَذرُّع بذلك إلى جِهاد الشِيعة والضَلال ، وبتَجاوُزه إلى مَن هُناك مِن أهل الوِلاية ، فيُحْسِن السِفارة ويُحْكِم التَدْبير ، إذ كان ابن أبي عيسى في ذاته رَجُل الزَمان جَزالةً ورُجْلة ودَهاءً ومَعْرِفةً ، إلى ديانـــة

فلم يزل هذا دأبه وقيل انه قبض عليه اسيرا أول الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فاشخصوه الى عثمان لمكانه من قومه فمن عليه وأسلم فحسن اسلامه وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمـــان وأهل بيته من بني أمية وكانوا خاصة لهم دون قريش وظاهروا دعوة المروانيـــة بالأندلس رعيـــا لهذا الولاء على ما تراه بعد في أخبـــارهم » . وفي ج 7 ص 154 و ص 108 « وزمار بن صـــولات » اذ قال : ... ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زحوف وقتل وسبي حتى لقد حصل في أسرهم يومئذ من ملوكهم وزمار بن صقلاب جد بني خزر وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة ورفعوه الى عثمان بن عفان فأسلم على يديه ومن عليه وأطلقه وعقد له على قومه ويقال انما وصله وافدا » .

(2) م. « منها » .

رَيِّقة انْتَظَمَتْ [بها] طاعة أهل العِدْوة . وصاروا مِن السُكون إليه على غاية ، وهو الذي حَمَل من عند محمّد بن خَزَر إلى (3) الناصر لدين الله أنه أخْرَج أخاه عبد الله بن خزر ، في مَن / قِبَله من أصحابه ، إلى مَوْضِع يُقال له المَسِيلة ، كان الشِيعيّ ـ ويُسمِّيه اليهوديّ في كُتُبه ـ قد بَنى فيه مدينة ، وتَرَك فيها رابطة من أصحابه . قدَّم عليهم قائدًا مِن ثِقاته ، رَجُلًا أَصْله مِن الأندلس مِن قَلْعة يَحْصُب ، افْتَتَن به فغَوِيَ بَعْدَ رُشْده . اسْمه عَلِيّ ، يَشْتَهِر بالأندلس ، فلمّا قَدِم عليه عبد الله ، حاد عن لِقائه وطَلَع إلى القَلْعة المَنيعة بالجَبَل قُرْبَ المَكان ، فارًّا عنه ، فوَثَب عليه عبد الله مَن يُحاصِره ، واتَّقاه مَن حَوْله مِن القَبائل بالطاعة ، فأَخَذ رِهانهم ، وأقام في جَيْشه بسُوق ابن ماها ، مُغاوِرًا لأهل مدينة تِيهَرْت ، قاعدة الشِيعة ونُقْرة مَشايِنها (1) ، قاطِعًا للمِيرة عنهم ، حاجِزًا بين إفْرِيقيّة وبَيْنهم .

171

قال : وكان الخَيْر بن محمّد بن خَزَر يُخاطِب الناصر لدين الله أيضًا بآسْمه ، مُعرِّفًا له بما يَجْري مِن الأخبار على يده في الجِهة التي يَقُوم بها لأبيه محمّد من مدينة وَهْران وما يَلِيها مِن الساحل ، فيُنْفِذ أَجْوِبته ويَتَوخّى إلطافه ومَسَرّته ، حَسَبَما يَفْعَل بأبيه (2) محمّد ، فذَكَر في بعض كُتُبه إلى الناصر لدين الله أن قال :

« وقد كان ، أَعَزّ الله أمير المُؤْمِنين ، وَقْتَ نُزول اليَهُوديّ عبد الرحمٰن وَلَد الشِيعيّ ، مُبدِّل الإيمان ، بالساحل لدَيْنا في نَهْضته الثقيلة ، حَلّ بحِصْن يُدْعى مغرفة (3) ، من فُتوح الخليفة الوَلِيد بن عبد المَلِك ، رَضِيَ الله عنه ، وهو وِراثة في أَيْدينا عنه ، رَحْمة الله عليه ، أَوَّل الزَمان ، مُتْقَن البُنْيان ، اعْتَزّ به لمّا عَرَف بشأنه ، فجَمَع الأَيْدِيَ

---

(3) م. « الى محمد بن خزر من عند الناصر ... » ومن الواضح أنه خطأ والصواب ما أثبتناه .

(1) م. « ثغره مسايلها » .

(2) كلمة غير منقوطة .

(3) م. « معرفه » . ولعلها « معزونة » القريبة من شلف ومستغنم .

على هَدْمــه ، وبَنى بخَشَبه وصَخْره حِصْنــاً مُنيفاً في المَوْضِع المعروف بهندرج (4) ، شَحَنــه بالرِجال والعُدّة ، وقدَّم عليهم الفاسق محمّد بن مَهْــديّ (5) ، وكان من أَضَلّ مَن صَحِبه من البَرْبَر وأَشَدّهم شَــكيمة ، فاسْتَخَرْتُ الله كثيراً ، وزَحَفْتُ إليه وإلى مَن معه مِن الغُواة بَعْدَ أن قدَّمت الإعذار إليهم ثلاثاً ، فأَصَرُّوا واستَكْبَرُوا ، وخَرَجُوا إليَّ لمّا قَرُبْتُ منهم على أميــال مِن حِصْنهم ، فشَدّ عليهم الأَوْلياء كَشَدّة رَجُل واحد ، فوَلَّوْا مُنْهَزمين نَحْوَ حِصْنهم ، والسَيْف يأْخُذ مَأْخَذه منهم ، فاقْتَحَمْنا الحِصْن خَلْفَهم ، فقَتَلْنا مَن لاذ به منهم وسَبَيْنــا / ذراريّهم ، وأَحْرَقْنــا الحِصْن ، فطَهَّر الله الأرض مِن دَنَس الفاســقين ، وأَخْلى الناحية منهم ، فلَيْس لهم اليَوْم في الساحل مَكان ولا مُنْبَسَط ، ما خَلا مدينة تاهَرْت ، دار المُشْرِكين ومَأْوى المُلْحِدين ، وكان بهــا مأْخَذه بقُدْرة رَبّ العالَميــن ، وقَتَل الله بأَيْدِينا في هذه الوقيعــة محمّد بن مَهْدِيّ ووَلَده في مِائة رَجُل مِن رِجال الشِيعة لَعَنهم الله » . 172

ورَدَف هذا الكِتاب في هذه السَنة كِتاب آخَر للخَيْر بن محمّد بن خَزَر بفَتْحــه لمدينتَيْ شلف وتيس (1) من الأَعْمــال المُنْحاشة إلى اللعين صُلْحاً ، وإقامته فيهما الدَعْوة للخليفة الناصر لدين الله . وكان العامل بمدينة شلف ، وَلَد مصاله ، لمّا أَحَسّ بدُنُوّ الخَيْر بن محمّد منه ، هَرَب في اللَيْل إلى مدينــة تاهَرْت ، كَهْف الفاســقين ، فصــالَحه أهل البَلَد عن أنْفُسهم واتَّقَوْه بالطاعة ، فتقبَّل ذلك منهم وأَخَذ رَهائنهم ، فأَنْفَذهم إلى حَضْرة والده ، محمّد بن خَزَر ، وعدا أهل تيس (1) عند دُنُوّه (2) منهم على عامل الشِيعيّ الذي كان وَلَده عبد الرحمٰن استَخْلَفه عليهم ،

(4) قراءة محتملة .

(5) م. « سندي » هنا واسفله .

(1) قراءة غير واضحة والكلمة غير منقوطة ، قد تكون « تسف » كما يجيء في هذا الكتاب ص 201 أو « تنس » وهي أفضل قراءة .

(2) م. « دنوه » .

فقتَلوه وأرسَلوا برأســه إلى الخَيْر واتَّقَوْه بالطاعة ، فقبلهم ، وأخَذ رَهْنهم وأمَّنهم .

ومِمَّن خاطَب امير المُؤمِنيــن الناصر لدين الله ايضــاً ، مِن أمْلاك البَرابِر بالعِدْوة ، وقَوى إليه بالمَحَبّة ، وأظْهَر البَراءة مِن دَعْوة الشِيعة ، والاعْتِقــاد لدَعْوة الأُمَويّة الهادية ، مَنصور بن سِــنان ، وكان ابْتِداؤه لذلك في سَــنة ستّ عشرة (3) وثلاث مِائة ، كَتَب يَمُتّ بالوِلاية ويَخْطُب القَبُول ، وازْدَلَف بهَديّة حَسَــنة مِن خَيْل وإبْل وأنْعــام وغِزْلان ، حَسُن مَوْقِعها من الناصر لدين الله لغَرابتها بأرضها ، فأضْعَف له عنها المُكافاة ، وأسْجَل له على عَمَله ، وألْحَقه بأهل وِلايته ، فاسْتَقام على الطريقة بَقيّة عُمْره .

ومِنهم موسى بن ابي العافية ، وكان استِفْتاحه باب الوِلاية بمُكاتَبة الناصر لدين الله ومُهاداته في سَنة سبع عشرة ، وأسْجَل له على أعْماله ، فصار إسْوة أوْليائه بأرض العِدْوة ، واتَّصَلَتْ منهم إليه المُكاتَبة .

ومنهم صالح بن سعيد ، وكان مِمَّن انحــاش إلى الطاعة ولَحِق / 173 بأهل الوِلاية ، وناغاهم في الألْطاف والهَديّة على تأخُّره عنهم في سَعة العَمَل وإسعاد القُدْرة .

ذِكْر الأشْراف الحَسَنيّين المُتامِّرين ببَلَد العِدْوة

قال : وكان أقْرَب أُمَراء العِدْوة هُنــالِك من ســاحل الاندلس هذا الغَرْبيّ ، السَهْل المَجاز ، المحذور المُباغَتة ، بعَهْد الخليفة الناصر لدين الله ، عِصابة الأشْراف العَلَويّين الصُرَحاء مِن وُلْد إدْريس بن عبد الله بن حَسَن بن الحُسَيْن بن عَليّ بن ابي طالِب ، رِضْوان الله عليه ، الناجي من وَقْعة فَجّ الجارية ، بَيْنهم وبَيْن وُلْد العَبّاس بن عبد المُطّلب ، أيّام موسى

---

(3) م. « عشر » .

الهادي بمَكّة ، الساقط لبُعْد مَفرّه إلى أرض طَنْجة مِن أَقْصى المَغْرِب ، بَلَد البَرابِرة ، المُتهيِّئة له عِندهم الإجارة والإمارة ، التي تَوارَثها وُلْده دَهْرًا ، وشارَكهم في طَرَف منها بنو عَمّهم ، وُلْد سُلَيْمان بن عبد الله بن حَسَن بن الحُسَيْن بن عَلِيّ ، رَضِيَ الله عنه ، الناجي مِن تِلْك الوَقْعة مَنْجاة اخيه إدْريس ، فأَوْطَنا هذه القاصية ، ودَعَوْا سُكّانها البَرابِرة إلى رأْيهم ، واسْتَأْلفاهم برَقائقهم ، وأَصْهرا إليهم ، فتَوالَتْ وِلادتهما منهم ، وتَهيَّأت لهما ولأَعْقابهما الإمارة عليهم ، تَداوَلوا قِطَعًا بَيْن مدينــة فاس ، عُلْيا هذه العِدْوة فسُفْلاها مدينة سَبْتة ، فُرْضة المَجــاز إلى الأندلس الراكبة شَفاها ما كان مُعْظَم ذلك للأدارِسة ، وُلْد إدْريس السابق [ذِكْره ، وكان] جَدّهم إدْريس الأَوّل [هو مَن شَرَع في] تَبَوُّئ (I) هذه الناحية والتَمْهيد لإمارته على أهلها لوُلْده من بَعْده ، إلى أن اخْتَلَفوا وتَقاطَعوا وتَفرَّقــوا أَوْزاعًا ، ثم تَغَشَّتْ بِلادهم [المُسمّاة] (2) الآنَ طَنْجة دَوْلة الضَلالة ، دَوْلة عُبَيْد الله الشِيعيّ ، الناجم بإفْريقيّة ، الشهير الدَعْوة ، الغالي الدَعْوة ، مُسامِي جَماعتهم بالحُسَيْنيّة ، المُستخلِصة لديهم لحَقّ الإمامة دون إخْوتهم الحَسَنيّة ، فجــاء بأَمْر جَلل ، قَلْقَل به البِلاد وضَلّل العِبــاد ، وأشــاع الفَساد ، فهوى الى دَعْوته الضالّة أَكْثَر هؤلاء الأُمَراء الأدارِسة ، نَصْرًا للعَصَبيّة وإغماضًا على الدينيّة ، وإيعاداً في الأذِيّة ، وانْحِرافاً عن / هَوادة بني أُمَيّة ، للأحْقاد القديمة ، على عِلْم منهم بما يُحقّقونه مِن الجَراية (I) ، استَهْدَف بذلك بعضهم إلى الناصر لدين الله ، فاكْتَسَب منــه ومِن وُلْده بَعْده أَحْقادًا مُوبِئة (2) جَنَتْ عليهم بَعْدَ حِين ، فأَحَلّتْ بهم الفاقِرة .

174

وناقَضهم فيه يَوْمَئـذٍ ابن عَمّهم إدْرِيس بن إبراهِيـم السُلَيْمــانيّ الحَسَنيّ ، أمير أَرْشَقُول (3) ، مِن أرض العِـدْوة بالانْحِراف انْعِطــافاً

(I) نص مشوش .
(2) سهو من الناسخ .
(I) كلمة غير منقوطة ، قد تكون « جراءة » .
(2) قراءة غير واضحة ، كلمة غير منقوطة .
(3) في « البيان » ج 2 ص I94 « أَرْشْقُول » وفي « العبر » لابن خلدون ج 4 ص I4I « ارشكوك » .

وبالقطيعة وِصالاً ، فصار من أرْبَحهم صَفقةً وأجْمَلهم عاقِبةً ، فإنّه انْحَرَف عن عُبَيْد الله الشِيعيّ . وعاداه ووالى الناصر لدين الله وتَوخّى رِضاه ، وابْتَدَا مُكاتَبته في سَنة سِتّ عشرة (4) وثلاث مِائة ، فيها يَخْطُب وِلايته منه ويَمُتّ بنَسَبه إليه واجْتِماعه في عبد مَناف معه ، وأَهْدى مع كِتابه هَديّة حَسَنة مِن خَيْل وإبل وحَيَوان غريب ، تَقبّلها الناصر[لدين الله] منه وضاعَف مُكافائته عليها ، وقَبِل صاغِيته ، فوَصَل حَبْله ، فصار في أهل وِلايته .

وكان في فَصْل مِن كِتابه :

« قد انتَهى إلى أمير المُؤمِنين سَيِّدي مُباعَدتي (5) لِلْكَلْب السَوْء اليَهُوديّ ، الخِنْزير المُبدِّل لدِين رَسول الله ، صلعم ، المُعْلِن الكُفْر الجاحِد للتَنْزيل (6) ، وقِيامي مع ابن خَزَر ، وَليّ أمير المؤمنين عليه ، وخُرُوجي عن جميع الحُسَيْنيّين (7) قَوْمي في مُنابَذته واجْتِناب طَرائقه ، وأنّي لم أدْخُل له قَطُّ مَدْخَلاً ، ولا أَقَمْتُ له عِندي عَلَماً ، مع نَصْبي (8) له ، ونِكايتي لشِيعته ، وقَتْلي لرِجاله ، ومَقْتي لذَوِي مَحَبّته . وأَرْجُو عِند قِيامي بدَعْوة الإمام سَيِّدي ، أعَزّه الله ، ونُهوضي برايَته ، أن تَكُون كَلِمتي العُلْيا ويدي الطُولى ، بنِعْمة الله ومِنّته » .

ووَرَد (9) على الحاجِب مُوسى بن مُحمّد بن حُدَيْر كِتاب آخَر سنةَ سبع عشرة وثلاث مِائة لإدريس بن إبراهيم هذا السُلَيْمانيّ ، يَصِف له مُنابَذة بني عَمّه الحُسَيْنيّين (10) له وما ارْتَكَبوه منه ، نُسْخة فَصْل منه :

---

(4) م. « عشر » .

(5) م. « مباعدة » .

(6) م. « التزيل » .

(7) كذا في المخطوط ولكن انظر الملاحظة رقم 10 من هذه الصفحة .

(8) م. « نصيبي » .

(9) م. « وور » .

(10) كذا في الأصل ولكن في تسلسل أنساب الأدارسة هو : ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كما يؤكد ذلك ما يأتي في هذا المخطوط ص 195 حيث يجيء « فعل جدنا الحيسن بن علي » .

« كُنّا ، أعزّك الله ، نَفرًا مِن قُرَيْش في هذا الصُقْع من بَلَد البَرْبَر ، الذي رَمَتْ بِنا الأَقْدار إليه ، أَبْناء (11) رَجُل واحِد ، مُحمّد بن سُلَيْمان بن عبد الله بن حَسَن بن الحُسَيْن (12) بن عَلِيّ بن أبي طالِب ، رَضِيَ الله عنه ، صالِحاً ذات بَيْننا ، لا مَدْخَلَ لأحَد فيه إلّا / مِن طريق الإصلاح ، إلى أن فرَّق الله مَلأنا بقِيام هذا الدعيّ الغَوِيّ ، صاحب إفْرِيقيّة ، وافْتِتان أكْثَرنا بالتَعصُّب له، فلمّا ان نَجاني الله مِن ضَلالته ، [و]عَصَمني بوِلاية أمير المُؤْمِنين سَيِّدي ، وحَباني بمَحَبّته ، تَسامَع بذلك بنو عَمّي وبَلَغهم ما صَنَعْتُه في ذاته ، أيَدَه الله ، فتَبرَّؤوا مِنّي وتَمالأوا علَيّ ، ورَمَوْني عن قَوْس واحِدة ، وقالوا لَيْس هذا الرَجُل مِنّا ، إذ فارَق دَعْوته إلى ضِدّها ، وخَرَج من عِتْرة عَلِيّ بن ابي طالب ، رَضِيَ الله عنه ، إلى عُداتها ، وعادى اهل بَيْته واسْتَحاش عليها بصاحب جزيرة الأندلس شانِئنا ، وذلك شَيْء لم يَرْضَ به قَطُّ أحَد من أهل بَيْته ، ولا فَعَله جَدّه ولا أبوه . فصاروا لي حَرْباً وآذَوْني جِدًّا ، وإنّما الباعث لهم على ذلك ، والمُتوكِّل بتأليبهم علَيّ مُحمّد بن إدْريس وابن أخيه الحَسَن بن عِيسى ، المعروف بابن أبي العَيْش ، الإدْريسيّان ، أخَذهما الله بما قَطَعاه من رَحِمي وأخْفَراه من ذِمّتي ، وإنّما ذلك من أجْل وِلايتهما للدَعيّ الشِيعيّ ، مَن لا أصْلَ له ولا خَيْرَ فيه ، حَمِيّة جاهِلِيّة وعَصَبيّة مُزْدية (1) ، فالدَعْوة عِندهما له ، قبَّحه الله وقَطَع دابِره ، ثُمّ وحَقّ قَرابتي برَسُول الله ، صلعم ، ما أجَبْتُ دَعْوَته ، مُنْذُ قامَتْ ، ولا عُولِيَتْ له عِنْدي راية ، ولا ذُكِرَ لي على مِنْبَر ولا في مَسْجِد ، مُنْذُ حَلَّتْ فِتْنته عُراها (2) ، وما زِلْتُ أخاف عادِية ذلك وأصْبِر على مَكْروهه احْتِساباً ، حتّى أخَذْتُ بالعُرْوة الوُثْقى مِن وِلاية سَيِّدي أمير المُؤْمِنين وعُذْتُ بدَعْوته المَنْصورة » .

(11) م. « ابنا » .

(12) كذا في الأصل .

(1) قد تكون « ازْدِمَزْدِيّة » الفارسية وهي الشُعوبية .

(2) قراءة غير واضحة قد تكون « غربنا » .

ومنهم القاسِم بن إبراهيم الحَسَنيّ ، كانَت سَبيله كسَبيل إدْريس بن إبراهيم ، المُتقدِّم ذِكْره ، في الانْحِياش إلى الناصر لدين الله والاعْتِصام بوِلايته والإسْداء لعَطيَّته وصِلته بالمُكاتَبة والمُلاطَفة . وكان ابْتِداء اتِّصاله في سَنة سبع عشرة وثلاث مِائة هذه ، فأحْسَن الناصر لدين الله تَقبُّله ، وأوْسَع مُكافاته على هَديّته وصار صَدْرًا في ذَوِي وِلايته .

ومِنهم ، مِمَّن تَولَّى أمير المؤمنين الناصر لدين الله مِن هؤلاء الأشْراف المُؤمَّرين بالعِدْوة ، الحَسَن بن عِيسى / الحُسَيْنيّ ، وكان ابْتِداؤه بمُكاتَبته خاطِبًا لمَوَدّته ، مُعترِفًا بطاعته ، سنة ثماني عشرة وثلاث مِائة ، تِلْوَ هذه السنة . وأهْدى مع كِتابه هَديّة حَسَنة ، فيها نَيِّف وعِشرون فَرَسًا مِن جِياد الخَيْل العِدْويّة ، اثْنان منها مِن مُغْرِباته العِتاق لرِكابه بمَراكب ثِقال ، وثلاث وعشرون من كِرام الإبل ، فيها جَمَل مُبدَّن ، كامِل الخِلْقة والحِلْية ، مِن مَطايا المُلوك ، عليه عَمّاريّة مُكلَّلة مُصنَّفة بالفِضّة ، كِسْوتها دِيباج تُسْتَريّ (1) مُبطَّن ، ومِنْطقة مُحلّاة بفِضّة ، وعشر من الضأن الدَمانيّة مِن نُخْبة ما بأرض السُودان من جِنْسها ، وغزالان جميلان وثمانية مِن النَعام ، لم يَكُ في هَدايا المُلوك بالمَغْرِب قَبلُ مِثْل هَدّيته . فأرْضاه الناصر لدين الله بالتَوسُّع له بالمُكافاة عليها بما اسْتَغْرَق مِقْدارها ، وقَبِل فَيْئَته وعَقَد وِلايته ، فلَحِق بأهل طاعته .

مُحمّد بن خَزَر

قال : وافى كِتاب لمُحمّد بن خَزَر ، أمير زَناتة ، ببَيْعة الناصر لدين الله آخِرَ هذه السَنة ، قد ضَمَّنه فَصْلًا بالاعْتِراف بحَقّ الناصر لدين الله :

« ووالله ، يا أميرَ المُؤْمنين ، ما أعْلَم على وَجْه الأرض أحَدًا أعْرَف بما أوْجَب الله لك مِنّي ، لأنّي ما قُمْتُ بدَعْوتك إلّا تَقرُّبًا إلى الله تعالى ،

---

(1) كلمة غير منقوطة .

وتَوصُّلاً إلى قِتال كُفّار المَشارِقة بحَقّها وصِدْقها ، فقدْ يَعْلَم الله تعالى أنّي لم أتعرَّض لِلمَشارِقة . أَهْلَكهم الله على يَدك ، ما تَعرَّضوني ، كما أنِّي كَفَفْتُ زَماناً عنهم قَبْلَ استِحْكام البَصِيرة فيك . فكَفُّوا عَنِّي ورَضُوا بذلك مِنِّي ، حتّى رَأَيْتُ أَمْرهم قد عَمّ الناسَ شَرُّه ، وقد حاوَلوا أن يُبْطِلوا نُور الإسلام بما كادُوا به أهله . فاسْتَخَرْتُ الله في جِهادهم ، وقُمْتُ أَدْعُو رَبّي في جَوْف اللَيْل في التَوْفِيق والتَسْدِيد ، وأن يَخِير لي وللمُسْلِمين في مُناهَضتهم ويَكْشِف عَنّا ما أَغَمّنا من غَيِّهم وشَرّهم ، وفكَّرْتُ في إمام أَعْتَلِق حَبْلَه ، وأَكُون على بَيِّنة مِن أَمْري في الدُعاء إليه ، وقد تشَبَّثْتُ في حِبال المُسَوِّدة مِن بَنِي العَبّاس . واستَدْعاني أخِي المُقِيم عِنْدهم بمِصْر ، وأَتَتْني كُتُب تِكِين التُرْكيّ (2) ، صاحِبهم بمِصْر ، في أَوّل الأَمْر ، يَرُوم ثَنْيِي إليهم / واستِجْلابي نَحْوهم ، فعَصَمني الله من ذلك باتِّباع الحَقّ ، وأَخْذي برأي الناصح المُرْشِد ، وإصغائي إلى ما أَوْضَح مِن الأَمْر ، حتّى عَلِمْتُ ، يا أميرَ المؤمنين ، أَنَّك أَحَقّ الناس بالخِلافة ، أنّها بيَدك مِيراث لا يُنازِعك فيها إلّا مَن دَفَع الحَقّ وعَصى الله ورَسوله . 177

فاطَّرَحْتُ الهَوادة وآثَرْتُ الحَقّ ، وهَرَبْتُ بنَفْسي إلى أمير المؤمنين بنِيّةٍ صادقة وبصيرة نافذة ، وبَرِئْتُ مِن الناس إلّا منه ، ودَفَعْتُ الإمامة إلّا هو (1) ، ورَجَوْتُ أن يَنْصُرني الله تعالى به وعلى يَدَيْه ، وأن يَنْظُر في أَمْري وأَمْر المُسلِمين مِن أهل إفْرِيقيّة المُضطَهَدين النَظَرَ المَأْمول منه ، حتّى يَكْشِف الله تعالى عنهم ما هُم فيه مِن البَلاء والرِدّة ، وأن يُعِزّنا الله ، مَعْشَرَ زَناتة ، بهذه الدَعْوة الحَقّ المنصورة ، حتّى تَرْفَعنا على جميع الناس بها ، فنكون أَوْلِياء دَعْوتك وأَنْصار دَوْلتك ، فإنَّك ، يا أميرَ المؤمنين ، مَوْلى كلّ بَرْبَريّ على الأرض ، إذ [بـ]بني أُمَيّة (2) هَداهم الله

---

(2) هو أبو منصور تكين بن عبد الله الخزري الخاصة عامل مصر في السنوات التالية 303 – 297 و 9 – 307 و 309 و 21 – 311 ، انظر زامباور « معجم الأنساب » ص 42 .

(1) كذا في الأصل .

(2) م. « أبيه » .

للإسلام ، وعَساكِرهم هي الّتي أدْخَلتْهم فيه وأخْرَجتْهم من المَجوسيّة ، بإذن رَبّهم ، فمَن كَفَر منهم هذه النِعْمة ، فهو كافِر بالله ورَسوله مُولِّيها ، ثُمّ لا يَقبَل الله له صِدْقًا ولا عَدْلًا ، ووالله ، ما حابَيْناك ، يا أميرَ المؤمنين ، بالإقرار لك ، إذ وَجَدْنا الحَقّ في يَدك ، والإجماع مِن الناس على أنّك أوْلى بالخِلافة من كلّ مَن يَنْتحِل اسْمها معك ، كذلك يَشْهد لي كلّ مَن تَقدّم إلينا مِن المَشْرِق مِن نَواحي إفْريقيّة ، فكلّهم يَشْكُر فِعْلي ويُقِرّ لي بأنّ الحَقّ مَعي ، وبه أحْمَدُ رأْي مَن نَصَحني ، وبالحَقّ عرّفني ، وعليه حَضّني (3) ، حتّى تِكين صاحب مِصْر ، فقد رَضِيَه وسَرّه وما ساءه ، فالحَمْد لله على هذه النِعْمة الذي جَعَلني من أهلها ووَفّقني لقَبُولها » .

الهَديّة

قال : وأهْدى مُحمّد بن خَزَر ، مع كِتابه هذا في هذه السَنة ، إلى الناصر لدين الله عشرة نُجُب مَخْصيّة عجيبة الخَلْق مُتَخيَّرة في جِنْسها ، بسُروجها وأرْسانها وأزِمّتها وأجْلالها وأرْجُواناتها وقَرابِيسها ، مُعَلّقًا عليها عشر دَرَقات مِن نَفائس دَرَق اللَمْط ، وعِشرين ناقة ، حَوامِل عِشارًا وغَيْرها ، معها فَحْل لها جليل الخِلْقة رفيع / البِنْية ، معها راعيها عَبْد أسْوَد ماهِر برَعْي الإبل بصير بأدَواتها ، وثمانية عَشَر فَرَسًا مِن جِياد الخَيْل الغَرْبيّة (1) ، منها فَرَس أصْفَر أسْوَد العُرْف والذَيْل مَهْضوم ، وفَرَس كُمَيْت أزْرَق العَيْنَيْن بذَيْله سَواد ، وفَرس أشْقَر خُماسيّ (2) أغَرّ مُخضَّب الأرْبَع ، وفَرَس أشْهَب خُماسيّ بأُذُنَيْه وطَرَف ذَنَبه وَرْدة ، وأربعة مِن عِتاق الخَيْل ، قُيود للعُيُون ، بَزّتْ مَقُودات الناصر لدين الله ببَراعة الحُسْن وغَرابة الخِلْقة ، فلم يَكُنْ لها في جميع خَيْل رِكابه على كَثْرتها أشْباه لها ، آثَرها على جميع الهَديّة . وقَرَنَ

178

---

(3) م. « حضى » .

(1) م. « العربية » .

(2) م. « عناسي » .

بذلك من غريب الحَيوان ببَلَد الأندلس أسَدَين ضارِيَيْن مع سَبّاع يَسُوسهما ، وأَرْبَع نَعائم .

فأضْعَف الناصر لدين الله مُكافَاة مُحمّد بن خَزَر على هَديّته هذه بما عَجّل مُكافاته به مِن هَداياه النفيسة مِن المَلابِس السَنيّة والكِسى المُرْتَفِعة والحِلى الفَخْمة والطَرائف العجيبة .

وكان الذي اخْتَصّه به في تَطْريزه لِما اصْطَنَعــه مِن خاصّ لهَديّته هذه مِن المَلابِس ، في طِرازه الخاصّ ، باسم مُحمّد بن خَزَر ، أعْظَم قَدْرًا مِن ذلك ، إذ كان شَيْئًا لم يَتقدَّم لمَلِك قَبْلَه إلى وليّ مِن أَوْلِيائه ، قد اعْتَدّ به عليه الناصر لدين لله لإنافة قَدْر المَنْزِلة (3) في الجَواب النافذ إليه ، إذ قال في فَصْل منه جرَّده آخِر الكِتاب :

« ولَمّا حَلَلْتَ مِن حُسْن رأي أمير المؤمنين المَحَلَّ الذي حَلَلْتَه ونَزَلْتَ مِن نَفْسه المَكان الذي نَزَلْتَه ، ذَهَب ألّا يُهادِيك مِن لُبوسك إلّا بما استَعْمَله لنَفْسه في طِرازه الخاصّ على اسْمك ، وهذا أمْر لم يَفْعَله مَن تقدَّم مِن الأعاظِم بالمَشْرِق والمَغْرِب بأحَد قرُب وعظُم مَحلّه ، فخَصّك مِن ذلك بعشر قِطَع مُختلِفة الأجْناس مِمّا استَعْمَل لكِسْوته الخاصّة ، مِن عتيق الخزّ العُبَيْديّ وغريبه وبديعه في التأْليف والصَنْعة ، مُطرَّزة باسْمك ، لم يُعْمَل قطُّ مِثْلها في طُرُز بني العَبّاس ولا غَيْرهم ، وهذا ما يَبْقى لك فَخْره ويَخْلُد لك ولعَقِبك سَناؤه وذِكْره ، ما بَقِيَتْ لكم باقية وثَواب الله خَيْر عُقْبى » .

179 وكانت عِدّة قِطَع الثياب الرفيعة المُختلِفة الأجْناس في هذه / الهَديّة خمسين قِطْعة فائقة (1) القِيَم ، ومع ذلك سَيْف صارم إفْرَنْجيّ الجِنْس ، مُحلّى بفِضّة مُذهَّبة مُنقَّشة في غِمْد سَفَن حُوت ، بنَعْل ، وغاشية فِضّة خالصة مُنقَّشَيْن بفَتائل كِبار مُزيَّنة بالذَهَب إفْرَنْجيّة ، تَرامِسها من جِنْس صَنْعتها ، عَدَدها أربع وعشرون تُرْمُسة ، في شِراك مَكْسُوّ بديباج تُسْتَريّ أخْضَر ،

---

(3) كلمة غير منقوطة .

(1) م. « قايتة » .

ومِهماز ذَهَب ، مُحبَّبا الأعْمِدة (2) مَنْظوما الأطْراف بلآلئ كِبار ، ومِنْطَقة ذَهَب في صَنْعة حِزام شِراك صِينيّ عِراقِيّ (2) ، مَنْظوم بلآلئ كِبار حَوالَيْ ترامِسها وعِنْد طَرَفِهـا ، عَدَد التَرامِس أربعة وعشرون تُرْمُسـة بطَرَف مُزيَّن ، وإبْزيم في طَرَفها المُرْسَل ثماني تَرامِس مَوْصولة الأعْلى ، حَوالَي الطَرف لُؤْلُؤ كُبار ، قد زُيِّن بأحْجار ياقوت رفيعة القِيمة ، انْتَهَت الهَديّة .

(2) قراءة غير واضحة .

سنة ثماني عشرة وثلاث مِائة

فَتح مدينة بَطَلْيَوْس

[وفيها كانت] مُراجعة قوّاد الخليفة الناصر لدين الله على مدينة بَطَلْيَوْس بالمُطاوَلة ومُوالاتهم بالتَضْييق والمُحاصَرة ، حتّى نالَتْهم مَعرّة الجُيوش ، ولَزِمهم الحِصــار وطاوَلَتْهم الحُروب ، فَفَلَّتْ حَدّهم ، وقَلَّلَتْ عَدَدهم ، واستُبِيحَت نِعَمهم ، وقُطِعت أَشْجارهم ، ورَأَوْا عَزْماً لا فَتْرة فيه وجِدًّا لا بَقاء لهم عليه ، وتَوَجَّهَتْ لِلْأَوْلياء آخِرَ ذلك عليهم وَقْعة شديدة بَدَّدَتْهم قَتْلًا ، وذَلَّلَتْهم أَسْرًا ، وأُرْسِل منهم إلى باب السُدّة بقُرْطُبــة نَيِّف على سبعين أسيرًا مِن فرْسانهم ، ضُرِبَتْ رِقابهم بالمَرْج بَيْن يدَي الباب ، فاسْتَكــان أَثر هذه الحَطْمة أميــرهم الفَظّ ، عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مَرْوان المعروف بالجِلِّيقيّ ، أَذْعَن بطــاعة السُلْطان عن ذِلّة وصَغــار ، وأَرْسَل يَطْلُب الأَمان ، فأَجابه السلطان إليه ، وأَوْسَعه عَفْوه ، وأَعْطاه أَمانه هو وأَهْلَه وذَوِي الشَوْكة مِن رِجاله ، فأَسْــكَنهم حَضْرته قُرْطُبــة ، وأَوْسَعهم مِن إحسانه ما أَوْسَع أَمْثالهم قَبْلَهم ، وأَلْحَقهم بالمَلاحِق الحَسَنة ، ومَلَك مدينة بَطَلْيَوْس وعَمَلها ، فسيَّرها بســبيل الكُوَر المَوْطوءة ، وقدَّم

180 على عِمالتها يَوْمَ مَلَكها عُثْمــان بن عبد الله ، / ثم تداوَلَتْها العُمّــال ، وانْضَمَّتْ (1) إلى الجَماعة .

خَبَر سُمُوّ الخليفة الناصِر لدين الله لملك طُلَيْطُلة ، أُمّ مَدائن الأندلس المُبرَّزة ، ودار مَمْلَكة القُوط الذين نَسَخَتْ دَوْلتهم الدَّوْلة العَرَبيّة ، وما جَرى له في مُساوَرته للقُساة مِن أهلها إلى أن أتاح الله ظأرهم على الطاعة

قال عِيسى بن أحمد الرازيّ : كان الذي بنى مدينة طُلَيْطُلة ، وسَبَق إلى اخْتِيارها ، واهْتَدى لبديع خِلْقتها وقُوّة حَصانتها ومَنَعتها دِيُوسُقِيُوس (2) ، المَلِك الجاهِليّ ، وذلك قَبْلَ أن يَسْتَكْمِل العالَم من تأريخ آدم البَشَريّ ، صلعم ، خمسة آلاف سنة بيسير ، فتَأثَّل شَرَفها (3) ، واتَّصَلَتْ عِمارتها ، وشُهِر اسْمها ، فلمّا مَلَك قُوّاد رُومة أرض الأندلس أصــابوا دار مَمْلَكة الأفارِقة فيها مدينة طالِقة مِن بَلَد إشْبِيلِية ، فلم يَسْتَجِبّوا نُزولها لبُعْدها مِن بِلادهم ، التي منها قُوَّتهم ، ونَقَلُوا المُلْك عنها إلى مدينــة طُلَيْطُلة ، فجَعَلوها أُمّ مَدائن الأندلس وقاعِدتهــا ودار مَمْلَكتهــا ، دانت لها مدائن الأندلس وأَذْعَنَتْ لأميرهم ، واجْتَبَوْا كُوَر الأندلس مُدّة مِن قِبَلها .

ثُمّ إنّها انْتَاثَتْ على قُوّاد رُومة قَبْلَ دَوْلة القَيــاصِرة بمُــدّة ، وقام عليهم قائم فيها من لُجدانية (4) ماردة ، المُسمّى برِّباط (5) ، مَلَكها على القائد الذي كان بالأندلس مِن قِبَل رُومة ، ودَفَعه ورِجالَ رُومة عنهــا ، فكانت أَوَّلَ ثَوْرة (6) كانت لأهل طُلَيْطُلة مُنْذُ بدأت ثَوْرةُ (6) برِّباط هذا ،

---

(1) م. « انضت » .

(2) في « كتاب العبر » ج 4 ص 140 « ديرنيقيوس » .

(3) م. « شرقها » .

(4) تقع في منطقة « لوسيتانيا » انظر « أخبار مجموعة » ص 129 ، وفي « العبر » ج 4 ص 140 ، « نجدانية » .

(5) كذا في الأصل هنا وفيما بعد ولكن الصحيح هو « بِرْياط / فِرْياط » وفي « العبر » أخذًا عن ابن حَيّان « برباط » .

(6) م. « ثروه » .

وصارت بَعْدُ لأهلها دَيْدَناً وعادة ، فلم يَزَل قُوّاد رُومة يَتكرّرون بصَوائفهم عليهـا عاماً بَعْدَ عام ، وبِرْباط مُسـتَظْهِر عليهم ، عالٍ في الحَرْب على عَسـاكِرهم ، إلى ان غَدَر به بعض اصحـابه ، فقتَله بداخِل المدينة بَعْدَ سبعة اعوام مِن ثَوْرته فيها ، وقد أحْسَن حِمايتها (7) وأشْجى اهل رُومة المُنـازِعين له مُلْكهـا ، وقَتل العَدَد الجَمّ مِن رِجالهم ، وعلا ذِكْره في الآفاق ، وقام رَجُل من اهله بَعْدَ قَتْله مَكانَه ، فضَبَط طُلَيْطُلة وسَلَك سبيل بِرْباط في مُدافعة قُوّاد رُومة / ومُحارَبتهم ، وكانوا قد قَصَدوها أثَرَ مَقْتَل بِرْباط في جُموعهم لحِصارهم ، فأعْجَزهم مَنالها وقاوَمهم بأس اهلها [...] (I) يُرغِّبهم في العَطـاء ويَعِـدهم الإعلاء (2) والإحسـان ، فقـاموا في تَشْتيت اهلها ، وأمْكَنتْ بَعضهم الفُرْصة في الثائر الذي مَلَكهـا ، فقتَله وأنفذ رأسـه إلى قائد اهل رُومة ، ودَعاه هو ومَن مالأه إلى دُخولها ، فتَعجَّل إليها ودَخَلها لَيْلاً ، فصـار فيهـا مَلِكاً لها ، وأدْخَل فيها رابطة رُومة ، فاسْتَقرّوا بها على عادتهم ، واسْتَقام لهم مُلْك الأندلس باحْتِوائهم على طُلَيْطُلة الغَرّاء .

181

وقد كانت مُضطَرِبة الحال جِدًّا طُولَ أيّام خِلافها عليهم ، فاسْتَقام أوَدها واعْتَدل مَيْلها ، واستَوْسَق مُلْكهم بَعْدَ ارْتِجاعهم لطُلَيْطُلة (3) مائة سنة في تَورايخهم مُحصَّلة ، ثُمّ إنّ طُلَيْطُلـة خالَفَتْ بَعْدُ على اهل رُومة ودَفَعتْ طاعتهم ، وأخْرَجتْ قائدهم ، فصارت سَبَباً لشَتات اهل الأندلس عليهم وفُرْقتهم ، واتَّخَذ بَعْضهم الحُصـون على بَعْض ، وانْهَمَكـوا في الحُروب والغارات ، حتّى قَلّت أعْدادهم ودَرَسَـتْ عِمـارتهم ، وضـاقت مَعايِشهم لقِلّة الزِراعة عِندهم ، وعَدِموا الأقْوات وأشْرَفوا على الهَلاك ،

(7) م. « بحمايتها » .
(I) يبدو انه سقطت بعض الكلمات بمعنى « الى ان اخذ قائد رومة » .
(2) م. « الأعلى » .
(3) م. « اطيطله » .

وصارت إمارتهم إلى رَجُل مِنهم يُسمَّى أَنْتنِش (4) ، فاحش السِيرة فيهم ، واعْتَنى بعِمارة مدينتهم ، فابْتَنى سُورها العظيم الشأْن ، وعَقد قَنْطَرتها المُنقطِعة [النظير] ، وغزاها يُولِيُش مَلِك رُومة الأكْبَر ، أوّل القَياصِرة الذي قَطع أَسْماء القُوّاد ، وتَسمَّى قَيْصَر فتَوالَتْ بَعْده القَياصِرة ، وخَرج بَعْد اجْتِماع اهل رُومة عليه من أَرْض رُومة في جُموعه الكِبار الى الأندلس ، فأَلْفاها على سَـفا هَلَكة ، وقد شَمَل أهلها البَلاء ، وقَتَلَتْهم الفِتَن (5) ، وانْحَجَزوا في الحُصون ، فقَصَد دار المُلْك طُلَيْطُلة وأحاط بها ، مُحاصِراً أميرها أَنْتُنِش فيها ، وقد امْتَنَع بحَصانتها ، فأطال الثَواء عليه ، فأَعْيـا عليه شَأْنهـا ونَبا به مَكانهـا ، وفَنى ما كان اسْـتَعَدّ بـه ، ولم يَجِدْ ما يَعْتاضه ، فرَجَع إلى بَلَده خائبًا خاسرًا دون أَثَر في غَزْوت[ه] (6) ، فاستَقْصَر اهل رُومة سَعْيه ونَسَبوه إلى العَجْز وقِ[لّة] الجُرْأة ، ولم تَزَل طُلَيْطُلة شَجًى على القَياصِرة بَعْدَ يُولِيُش (7) ، وقِيل مَبْعَث المَسِيح / عِيسى بن مَرْيَم ، صلعم ، فقَلَّ ما دانَتْ لهم ، بل تَمادَتْ غُصّةً عليهم ، إلى ان انْقَرَضَتْ من الأندلس دَوْلتهم .

182

[رِواية ابن مَسْلَمة لأَخْبار دَوْلة القُوط]

قال إسْحاق بن مَسْلَمة (1) : كان أَوَّل القائمين بدَوْلة القُوط بمدينة طُلَيْطُلة شنتيلة (2) ، تَبَوَّأها ودانَتْ له الأندلس ، وحَماها مُلوك رُومة ، وكانت وِلايته قَبْلَ هِجْرة النَبيّ ، صلعم ، بسَنة ، وغزا إلى رُومة ، فافْتَتَح بها مَدائن وعارَضه البَشْكُنس أَوّل وِلايته ، فغَزاهم حتّى نَفَروا مِن السَهْل إلى الوَعْر ، ولاذوا بالأَجْبُل الحصينة ، فمَلَك سبعة أعوام وهَلَك بطُلَيْطُلة ،

---

(4) م. « امير » وفي « العبر » ج 4 ص 140 « انيش » .
(5) م. « الفتر » .
(6) م. « اثر اثر في غزوة » .
(7) م. « بولس » .
(1) في مخطوطنا هذا ص 29 « اسحاق بن سلمة » .
(2) م. « كسيلة » نصححه معتمدين على « العبر » ج 4 ص 140 .

ثُمَّ وَلِيَ مَكانَه للقُوط بِشنادُس (3) ، فكانت وِلايته ستّ سنين ، لم يَغْزُ في شيء منها .

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَه للقُوط حنْدس ، فغزا إفْرِيقيّة ، فظَفِر وغَنِم ، ثُمّ رَجَع إلى طُلَيْطُلة ، فهَلَك .

ووَلِيَ بَعْدَه للقُوط فانْبَـه (4) ، فكانت لدَوْلته غَضـارة وبَهْجة ، وهو الذي زيَّن كَنـائس طُلَيْطُلة ، وأَتْقَن بُنْيانهـا ، ونَقَش الرُّخام على أَبْوابهـا ، وإليه انْتَهى خَبَر النَبيّ ، صلعم تَسْليماً كثيراً ، وتَغَلُّبه على كلّ مَن حارَبه ، فجَمَع الأَسـاقِفة ووُجوه أهل الأندلس وأَعْلَمهـم بما انْتَهى إليه مِن خَبَره ، صلعم ، فقال له يُلْيان ، وكان مِن أَعْظَم رِجاله : « أَحْسِب أَنَّ أُمّتـه سـيَغْلِبون (5) على أهل الأندلس » . فقـال : « وما عِلْمك ؟ » . قال : « أَجِده في شِعْر مَطْرَيُوس العالِم مِمّا يُؤْثَر عن دانيال » . فلَبِث في مُلْكه ثماني سِنين .

ثُمّ وَلِيَ بَعْدَه أَرْوِي مِن القُوط ، وكان مَسْكَنه بطُلَيْطُلة ، وفي دَوْلته جاعَت الأندلس جُوعًا شـديدًا ، حتّى هَمّ أهلها بالخُروج عنها ، وكانت وِلايته سبع سِنين .

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَه وَلَده ، كان سَيِّء السِـيرة ، مُتحامِلاً على الرَعيّة ، مُجْحِفاً بها بثِقَل المَغارِم ، ودامت وِلايته ست عشرة (6) سنة .

ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَه غَيْطَشة بن ونقُه ، من القُوط ، وكانت وِلايته سنة سبع وسبعين مِن الهِجْرة ، وكان جميل المَذْهَب حَسَن السِيرة ، مُحبَّباً إلى الرَعيّة ، مَلَك اثنتَيْ عشرة سنة ، وهَلَك .

---

(3) م. « للقوطيين كسيلة » نصححه معتمدين على « العبر » ج 2 ص 236 ولكن في ج 4 ص 140 « بسيلة » .

(4) م. « فنتان » وفي « العبر » ج 2 ص 236 « مانيه » وفي ج 4 ص 140 « قتبان » و « فنبان » .

(5) كذا في الأصل وفي « العبر » ج 4 ص 140 « يملكون » .

(6) م. « ستة عشر » .

فوَلِيَ بَعْـدَه أَمْر القُوط لُذْرِيق منهـم ، فكان اخِرهم الذي دَخَلَت العَرَب عليه أثَر فَتْحه لباب البَيت المَمْنـوع الذي كان بطُلَيْطُلة ، وخَبَره مشهور ، وجاءت / دَوْلة الإسلام بَعْدَه ، فاسْتَمرَّتْ طُلَيْطُلة في غُلُوّها ، وتَزَيّدَتْ في عُتُوّها ، إلى أن أتى الله بالإسـلام ، ومَدّ سُلْطان العَرَب ، حتّى دَخَل (1) بأرض الأندلس ، فابْتَـدَر طارِق بن زِياد أوّل الداخِليـن بالعَرَب إليها على افْتِتـاح طُلَيْطُلة في أوائل الفَتْح بريح الدَوْلة وإقبال الإسلام وعِزّ الدِيانة الحَنيفيّـة ، إذ كانت الفِتَن بَيْن أهلها مع ذلك قد شَعَّثَتْ حالهم وقَلّت كَثْرَتهم .

183

ثُمّ لم يَزَل مِن أيّام تَداوُل عُمّال الأندلس في مَمْلَكة الإسـلام تَلْتاث عليهم وتَخْرُج عن طاعتهم ، ولا يَعْدَمون في الوَقْت بَعْدَ الوَقْت اضْطِراباً منهم وانْتِكاثاً في طاعتهم ، ومَضَت على سبيلها أيّام تَداوُلها عُمّال الخُلَفاء من بني أُمَيّـة ، الذين صار أمر الأندلس إليهم ، لا تزال تَلْتاث طاعتهـا ويَخْتَلِف أهلهـا ، فلا يُعْـدَم في الوَقْت بَعْدَ الوَقْت حادِثـة ولا بادرة ، إذ كانت نَفَقتها (2) تُعْطِي ذلك بالخاصّة المَطْبوعة ، لِأنّ تُرْبتها أنْكد تُرْبة ، وبِنْيتها أَخْبَث بِنْية ، لم تَزل تَتقلّب على الأمْلاك ، وتُعْجِز مَن رامها مِن أُولِي القُوّة والحِيلة ، ولَطال ما أَتْعَبَت الخليفة الأوّل ، المُقيم الدَوْلة بالأندلس وأوّل الداخلين إليها من بني أُمَيّة ، عبد الرحمٰن بن مُعاوِية بن هِشام ، رَحِمه الله ، وقد دانت له الأندلس بحَذافيرها ، وامْتَنَعَتْ هي عليه أعواما سبعة ، فما افْتَتَحها إلّا بَعْدَ حَرْب عَوان ومَشَقّة وعن قَهْر وغَلَبة ، ثم لم تَلْبَث أن انْتَقَضَتْ على ابْنه ، الإمام الرِضى ، هِشام بن عبد الرحمٰن ، رَحْمة الله عليهما ، مع اتّفاق (3) أهل الأندلس عليه ، حتّى راضها ، فعادت إليه ذليلةً ، وطاعت له قليلةً ، ثُمّ تغلّبت على ابنـه الخليفة الحَكَم ، وهو ظَـرّ (4)

---

(1) م. « رحل » .
(2) كذا في الأصل .
(3) م. « اصفاق » .
(4) م. « ضل » .

الصَّفا الذي لم يَتمرَّس به أحَد إلّا كَبا ، فداوَلها حتّى افْتَتَحها مَرّة بعد مَرّة ، وداسها دَوْس الحَصَى ، وأذاقها وَبال أمْرها ، ما بَيْن المُغاوَرة والمُكايَدة ، واخْتَلَفْتْ بَعْدَه على ابْنه ، الإمام عبد الرحمٰن بن الحَكَم ، رَحِمه الله ، الخفيف الوَطْأة المُحبَّب إلى الأُمّة لدُموثة خُلُقه وسُكون الناس إلى كَنَفه ، فأعْنَتَتْه حِيناً حتّى غَيَّر (5) لها خُلُقه ، وجَمَع لها رأيه ورُؤْيته ، فمَلَكها مُلْكاً راضها به ، مَلَك /معه زِمامها طُول أيّامه ، ولم يَكَدْ أمْره يَزُول حتّى انْتَكَث على ابْنه ، الخليفة مُحمّد ، رَحِمه الله ، على لِين جانِبه وسَلامة ضَميره ، فصَمَد لها لأوّل وَقْته ، وغَزاها بالصَّوائف عاماً بَعْدَ عام حتّى أثَّرَتْ فيهم ونالت مِنهم ، فصاروا إلى طَلَب الأمان والإذعان بإيتاء الجِباية وقَبُول العُمّال وبَذْل الرَهْن على الْتِزام الطاعة ، لَبِثوا بذلك مُدَيْدة ، فلمّا مَضى لسبيله ، وقد نَجَمت ببَلَد الأندلس الفِتْنة واضْطَرَب الحَبْل ، ابْتَدَرُوا النَكْث وسارَعوا في المَعْصِية ، فأخَذوا مِن ذلك بأوْفَر نصيب ، وجاهَروا بالخُلْعان ، ونَبَذوا الطاعة ، وتَكشَّفوا في الغَواية ، واتَّفَق أن شُغِل السلطان عنهم بمَن هو أقْرَب إليه مِن العُصاة بالمَوْسَطة ، فلَجّوا في غَوايتهم أيّام الأمير المُنْذِر بن مُحمّد ، ووَصَلوا ذلك أيّامَ الأمير عبد الله بن مُحمّد اخيه ، رَحْمة الله عليهم ، على امْتِدادها ، فلم يُقْلِعوا عن غَواية ولا تَمَسَّكوا بعُرْوة مِن عُرَى (1) الطاعة ، وجاء الله أثَر ذلك بأيّام الإمام الناصر لدين الله ، كاشِفة الطَخْية ، التي اهْتَدى بسَناها كلّ غاوٍ وأصْحَب لها كلّ نابٍ (2) ، فمَضَوا على غَيّهم وتَمادَوْا في لَيّهم ، وظَنُّوه كمَن سَلَف مِمَّن تمرَّسوا به ، حتّى بَلَوْه فجاشهم بالساعِد الأشَدّ ، والاهَمْ (3) بالغَزْو السَرْمَد ، ونَصَب الجُيوش حَوْلَهم ، واتَّخَذ الحُصون

184

---

(5) م. « حيز » .

(1) م. « بغزوة من غزى » .

(2) م. « باب » .

(3) قد تكون « ووالاهم » .

عليهم ، وجَبّ جِبـال مَن كان يُمِدّهم في غَوايتهم ، حتّى انْفَرَدُوا بسُوء الفَهْم ، فلم يُطِيقُـوا ولا قاوَموا كَيْـده ، إلى أنِ مَلَك نَواصِيهـم وهَدَم صَياصِيهم ، فأَدْخَلهم في الطاعة كُرْهًا ، وأَفْحَم الجَماعة قَسْرًا ، وساسهم سِياسـة لم يُطِيقوا لها نَقْضـاً ، حَسَبَمـا يجيء ذِكْره بَعْدَ هذا ، وبالله المَعُونة .

[وَصْف صاعِد بن صاعِد لِمِنْطَقة طُلَيْطُلة]

قال أبو مَرْوان حَيّان بن خَلَف بن حَيّان : « قَرَأْتُ بخَطّ صاعِد بن صاعِد القُرْطُبيّ ، قاضي طُلَيْطُلة ، وكان مِن العِلْم بمَكان : مدينة طُلَيْطُلة قديمة البِناء ، لا يُعْرَف مَن بَناها ولا زَمانه ، وكانت قاعِدة مُلوك القُوط ، آخِر الأمَم الذين تَمَلّكوا بِلاد الأندلس ، إلى أن دَخَلَت العَرَب عليهم ، وهي مُوَسّطة بَلَد / الأندلس ، بَيْنَها وبَيْن البَحْر الجَنُوبيّ الجاري إلى الشام الذي مِن ساحِله مدينة المَرِيّة وما وَلاها عشرة مَراحِل ، وبَيْنها وبَيْن البَحْر الشِمـاليّ أُقيانُس (1) المُحِيط الذي مِن ساحِله مدينـة أُشْبُونة وشِنْترة وما وَلاها ثلاث عشرة مَرْحَلـة ، وبَيْنهـا وبَيْن البَحْر الشَرْقيّ الشاميّ الذي مِن ساحِله مدينة طُرْطوشة ، قاصية الأندلس ، وما وَلاها من ساحِل الأرض الكبيرة ثلاث عشرة مَرْحَلة أيضا .

185

فبذلك [..] (2) مِن حَوْلها أقصى بَلَد كُورة شَنْت برية ، المُجاوِرة لِعَمَل السَهْلة ، مدينة شَنْت مَرية (3) ، بِلاد بني رَزِين ، على مَسافة مِائة وثلاثين مِيلًا مِن مدينة طُلَيْطُلة ، وفيما بَيْن مَشـارِق الاعْتِدال والصَيْف منها ، ثُمّ يَمُرّ حتّى يَقْرُب مِن حُصون سُرِتة (4) ، على نَحْو ستّين مِيلًا من

---

(1) كلمة غير منقوطة .
(2) سقط سطر أو سطران حول منشأ نهر « تاجُه » .
(3) م. « شنت بريه » .
(4) كلمة غير منقوطة .

طُلَيْطُلة ، فتَضْغَطه هُنالِك جبال إلى مَضِيق يُسمّى قلارق (5) بَيْن جَبَلَيْن فتَصِير (6) سَعته هُنالِك نَحْو سبعة أَذْرُع ، وعُمْقه ما لا يَعْلَمه إلّا الله ، عَزّ وجَلّ ، فيَتَحَدَّر بَيْن ذَيْنك الجَبَلَيْن على شُنْعة عُمْقه (7) مِن الانْصِباب يُسْمَع لانْحِداره أَصْوات هائلة على بُعْد مِن مَكانه ، ثُمّ يَتّسِع بَعْدَ نُفوذه مِن تِلك الضِيقة ويَتسرَّح جَريانه ، إلى أَن يأتي باب طُلَيْطُلة مِن جِهة مَشْرِقها الصَيْفيّ ، فيَتَعَطَّف إلى جَنُوبها ويَنْضَغِط هُنالِك تَحْتَ قَنْطَرتها ذات القَوْس الواحدة الهائلة الصَنْعة ، ثُمّ يَمُرّ فيَسْتَدِير حَوالَيّ جَنُوبها كلّه إلى مَغارِبها الشِتَويّة ، ويَصِير حَوالَيْها قَرِيباً مِن ثُلُثَيْ دائرة ، ثُمّ يأْخُذ إلى نَحْو مَغارِبها الصَيْفيّة ، فيَمُرّ بمدينة طَلَبيرة (8) وبجَنُوبها ، وهي على خمسين مِيلاً مِن مدينة طُلَيْطُلة ، ثُمّ إلى شِمال حِصْن اليشة ، وهو على ثمانين مِيلاً مِن طُلَيْطُلة ، وذلك شِمال قُرْطُبة بالتَحْقيق ، ثُمّ يَمُرّ إلى المَوْضِع الذي عليه قَنْطَرة السَيْف أَفْخَم قَنْطَرة بالأَنْدلس وأَعْلاها سَمْكاً وأَعْجَبها شأْناً ، ثُمّ يَمُرّ في القَفْر الذي في شِمال مدينة بَطَلْيَوْس على مَسافة خمسين مِيلًا منها ، إلى أن يُوافي إلى مدينة شَنْتَرِين على مَسافة ثلاث مائة مِيلًا وعشرين مِيلاً من طُلَيْطُلة ، ثُمّ يَمُرّ إلى مدينة أُشْبُونة / على ثلاث مائة وثمانين مِيلاً من طُلَيْطُلة ، فيَصُبّ هُنالِك بخَليجها المُمَدّ إليها (1) من البَحْر الأَعْظَم الغَرْبيّ المُسمّى أُقْيانُس (2) .

186

ونَهر طُلَيْطُلة ، الذي حَدَدْناه ، أَكْبَر أَنْهار الأندلس عَرْضاً بإجماع أهل طُلَيْطُلة ، وشَكْل مدينة طُلَيْطُلة قريب مِن الاسْتِدارة شبيه بثُرَيّا ، وتَكْسير ما يُحِيط بها حائطها نَحْو ثلاثة أَمْيال ، ولم تَزَل مُنْذُ دَخَلها

---

(5) قراءة غير واضحة .

(6) يبدو من المخطوط أنها « بتسير » .

(7) قراءة غير واضحة .

(8) كلمة غير منقوطة .

(1) م. « فيها » .

(2) م. « اقنابس » .

المُسلِمون وافِرة العَدَد مِن الفُقهاء والعُبّاد والزُهّاد ، مشهورة بذلك في العِباد ، وسَمّى أَعْلامهم [وكنّى] » .

[غَزْوة طُلَيْطُلة]

قال : وكانِ عِنْد اكْتِمال الناصر لدين الله الافْتِتاح لمدائن غَرْبيّ الأندلس ، باجة وأُكْشُونُبة ومارِدة وبَطَلْيَوْس وشَنْتَرِين وذَواتها ، ما أَوْفى بهمّته وعَزِيمتــه على (3) مُزاوَلة مدينــة طُلَيْطُلة ، أُمّ المَعاقِل وقاعِدة المَدائن ، التي عَظُم في الأوائِل خَطَرها ، وأَعْجز مُلوك الأُمَم مَرامها ، وقد رأى تَقْديم الإعذار إلى أهلها بالافْتِتاح [و]مُراسَلتهم مُعْذِرًا ومُنْذِرًا ، آخْذًا بالحُجّة عليهم ، مُخْرِجًا للإنباء الثِقات بذلك إليهم ، مُكرِّرًا لهم عليهم ، لإيثاره الإنابة وسُكونه إلى الصَفْح ورَغْبته في العافِيــة ، فقدَّم إليهم في المحرم فاتحةَ هذه السَنة وَفدًا مِن وُجوه أهل قُرْطُبــة حَضْرته ، تَنخَّلهم مِن أعالِي طَبقتَيْ رِجاله ، أهل خِدْمته وفُقَهاء قُرْطُبة المشهورين بالدِيانة والثِقة والتَصْحِيح والأمانة ، فمِن أكابِر الفُقَهاء مُحمّد بن عبد المَلِك بن أيْمَن ، ومُحمّد بن إبراهيم بن عِيسى ، ومُحمّد بن عبد الله بن أبي عِيسى ، وغَيْرهم ، ومعهم مِن وُجوه أهل الخِدْمة عُبَيْد الله بن عبد الله الزجّاليّ ، في نَفَر معهم ، أشْخَصهم إلى طُلَيْطُلة ، داعين لهم إلى الفَيْئة إلى الطاعة والانْتِظام في الجَماعة ، فأَتَوْهم في مدينتهم وأَدُّوْا رِسالته إليهم ، فدَفَعُوها بالراح ولَجُّــوا في غَيّهم ، ومَشَــوْا على أَمْرهم ، وظَنــُّوا أَنّ حِصْنهــم مانعهم ، وقَلَبوا رُسُله على أَعْقــابهم ، مُموّهين بخَــدائع مِن إفْكهم ، لم تَذْهَب على الخليفة الناصر لدين الله ، وأَرْهَفوا بها عَزْمه على غَزْوهم ، فأخَذ في التأهُّب لهم .

فلمّــا بَلَغهم ذلك كَتَبُوا إلى الحاجب موسى بن مُحمّد بن حُــدَيْر ، 187 الجميل / الوَساطة بَيْن الرَعيّة وسُلْطــانهم ، يَسْتَشْفِعون به إلى الناصر

---

(3) م. « عن » .

لدين الله ويُطْفِئون مِن مَوْجِدته ، ويُحاجُّونه مع ذلك في تَثَبُّطهم ، ويَشْتَطُّون في شروطهم حِيلةً منهم في صَرْف الجَيْش عنهم ، كَيْما يَصِلوا إلى إحراز غَلّاتهم الداني وَقتها ، فيَقْوَوْن بها الاسْتِمْساك بشأنهم ، فلم يُذْهِب ذلك على الحاجب موسى ما ذَهبوا إليه ، وحَسَم أطْماعهم منه ، وعَدَل بهم إلى صِدْقهم ، وأجابهم على كِتابهم ذلك بكِتابه الطَويل الذي شُهِر في الناس يَوْمَئذٍ ، يَقْرَعهم فيه ويَكْشِف تَمْويههم ، ويُحَذِّرهم ما هو حائق بهم ، إذ كانوا لا يَلْتَزِمون طاعة ولا يُؤْتُون جِباية ولا يَنْتَهُون عن مُنْكَر ولا مَعْصية (1) .

ووَقَف الناصر لدين الله على ما يَذْهَبون إليه مِن الخديعة ، فاستَجَدّ لذلك صريمةً ، واستَعْزَم على غَزْو القَوْم ، وشَمَّر لمُناهَضتهم وإنزال بأس الله بهم ، وبَرَز للغَزْو في صائفة العام بنَفْسه إليهم ، فأنْفَذ التَبْريز لغَزْوته صَدْرَ ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وثلاث مِائة المذكورة ، وهو (2) شَهر نَيْسان العَجَميّ مِن العام المذكور ، فقدَّم إليهم الوزير القائد سعيد ابن المُنْذِر القُرَشيّ المَيْمُون النَقيبة في جَيْش كثيف ، ضَمّه إليه بعُدّة كاملة ، أمَرَه بالسَبْق إلى طُلَيْطُلة والاحْتِلال بها وشَدّ الحَصْر عليها ، حتّى يَلْحَق به هو في جُيوشه الجَمّة وعِدَده المُتكامِلة . فنَفَذ الوزير سعيد بن المُنْذِر لأمْره يَوْمَ السَبْت لثَمان بَقِين من ربيع الآخِر ، وأَجَدّ السَيْر حتّى نَزَل بساحتها ، فأخَذ فيما حُدّ له من (3) مُحاصَرتها (4) والتَضْييق عليها بأبْلَغ عَزْم وأتَمّ حَزْم .

ثُمّ فَصَل الناصر لدين الله لغَزْوته هذه مِن قَصْر قرطبة ، آمًّا طُلَيْطُلة الخائنة ، يَوْمَ الخميس (5) للَيْلَتَيْن خَلَتا مِن جُمادى الأُولى منها ، وهو

---

(1) في « البيان » ج 2 ص 202 « لا يؤدون جباية ، ولا يلتزمون طاعة ، ولا يتناهون عن منكر » .

(2) م. « وفي » .

(3) م. « في » .

(4) م. « محاصرته » .

(5) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

اليَوْم التاسع والعِشْرون (6) من أَيّار الشَمسيّ ، وأَغْزى مع نَفْسه ابْنه الأَكْبَر ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، على عادته ، ومعه مِن إخْوته المُنْذِر بن الناصر لدين الله المعروف بابن القُرَشيّة ، وتَخلَّف في القَصْر ابنه عبد العزيز ، شقيق الحكم ، لتَنْفيذ الكُتُب إليه على العادة ، ومعه أحمد بن مُحمّد بن حدير ، وعلى المدينة / أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف . 188

فلمّا احْتَلّ الناصر لدين الله في طريقه بمَحَلّة الغُدُر ، وقَرُب مِن حِصن مَوْرة (1) ، الذي كان اتَّخَذه أهل طُلَيْطُلة شَجاً على المُسلِمين ومُستَرْكَناً للمُفسِدين ، وقدَّموا عليه منهم[مُطرِّف بن]عبد الرحمٰن بن حَبِيب من أَكابِر المُجْرِمين ، قَدَّم إليه الناصر لدين الله مَنْ أَنْذَره وخَوَّفه وأَمَره بالخُروج عن الحِصْن (2) وإسلامه ، فبَدَر إلى ذلك بِداراً لم يَجِدْ منه بدًّا ولا في الامْتِناع طَمَعاً ، فنَزَل عن الحِصْن ولاذ بالأمان ، فسلَّمه الناصر لدين الله وأَمَر بضَبْطه ، ثُمَّ نَهَض بجُيوشه المُتكاثِفة وعزيمته الماضية غَيْر مُعرِّج عن ساحتهم حتّى احْتَلّ بأَسْنى صَياصِيهم (3) ، وأَخَذ بأَبْوابهم ، وغَلَب على بسيطهم ، وأَنْهَب غَلّاتهم ، وأَحْجَرهم داخِلَ مدينتهم ، فنَزَل بمَحَلّته حرّنكس (4) ، باب طُلَيْطُلة على نَهْرها ، خِلال جَنّاتها وكُرومها وحدائقها ، ودبَّر رأيه في أَمْكَن (5) المَواضِع مِن مُحاصَرتها وأَقْرَب الجِهات الآخذة بأَنْفاس أهلها ، فرأى النُزول بمَحَلّة المَقْبُرة على باب المدينة أَبْلَغ في النِكاية وأَشَدّ للمُضايَقة ، فنَقَل مَحَلّته إلى هُنالِك في اليَوْم الثاني ، وأَخَذ في نِكاية العُصاة المُجْرِمين بما لَمْ يَجُزْ لهم في ظَنّ ولا دَخَل في حِسْبان ، فأقام بمَحَلّته هذه سبعة وثلاثين يوْمًا ، والى فيها

---

(6) م. « عشرين » .
(1) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 203 م. « الغُدْر » و «موره » .
(2) م. « الحصون » .
(3) م. « فاساء صباحهم » .
(4) كذا في الأصل ولكن رسمه في ص 214 « حرنكش » وفي « البيان » ج 2 ص 203 « جَرَنْكَش » .
(5) م. « امكان » .

نِكايتهم بقَلْع أَشْجارهم وتَخْريب قُراهم وحَطْم زُروعهم وانْتِساف نِعَمهم . ثُمّ أَمَر ببُنْيان المدينة التي سَمّاها مدينة الفَتْح بجَبَل حرَنكس (4) مَنْزِله الأوّل ، وحَشَد الآلات إليها وجَمَع الأيْدي عليها ، فارْتَفع البناء إلى مُدَيْدة فيها ، وولّى شأنها الوزير القائد سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، وأَمَر بنَقْل المَحلّة إليها أَجْمَعها ، ورتّب محمّد بن سعيد وَلَد الوزير القائد في كثيف مِن الجُند على باب القَنْطَرة ، وعَهِد إليهما في صِلة حَصْر الفَسَقة والاسْتِبْلاغ في أذاهم وصِلة قِتالهم ، حتّى يَفيئوا إلى أَمْر الله وتَمْضي مَشيئته فيهم .

وقَدِم على الناصر لدين الله في مَحلّته على مدينة طُلَيْطُلة صاحِبا حِصْنَيْ قَنالِش (6) وحِصْن الفَهْمين من ثَغْر طُلَيْطُلة ، مُسْتَسْلِمين / إليه ، مُعْتَصِمين بطاعته ، فتقبّلهما وكرّمهما وأَمَر بنَقْلهما إلى الحَضْرة وإلحاقهما في الدِيوان والتَوسّع عليهما مُكافأةً لنُزوعهما وقَصْدهما . وتَوفّر (1) نَظَر الناصر لدين الله على عِمارة مدينة [الفَتْح] التي ابْتَناها على مدينة طُلَيْطُلة ، فاجْتَهد فيها وفي جَمْع الأَقْوات إليها وإقامة الأَسْواق بها ، وجَمْع الماهِنين (2) والفَعَلة والصُنّاع والمُعالِجين اليها ، وشَحَنها بالأَقْوات والعُدَد ، وأَنْزَلها طَوائف مِن نُخَب الجُنْد أُولي الغَناء والجَلَد ، فأحاط بأهل طُلَيْطُلة ورتّب مَراتِب الحِصار عليهم ، وقسّم طَبَقات الأَجْناد مع قُوّادهم على الأماكِن حَوالَيْهم ، فحَبَسهم في جَوْف جُحْرهم المانع منهم ، لا يُطْلِع أَحَد منهم رأسه ولا يَقْدِر بَشَر على الدُخول إليهم ولا الخُروج عنهم . فلمّا ارْتَضى مِن ذلك كلّه سَعْيه ، وبَلَغ وُسْعه ، وأَبْلى عُذْره في مُجاهَدة الفَسَقة الدائنين بدَفْع الأئمّة والتَفريق بَيْن الأُمّة وإرصادها بالغائلة ، فقَفَل أَثَر ذلك إلى قُرْطُبة بَعْدَ أن غادر فيها وزيره الشَهْم ذا

189

(6) في « البيان » ج 2 ص 203 « قَنيلَش » .

(1) م. « موفر » .

(2) جمع تذكير سالم لا ياتي في القواميس بهذا المعنى .

المِرّة البَذراء سعيد بن المُنْذِر في أكابر القُوّاد وجَماهِير الأَجْناد ، الذين لم يَنْتَقِصوا الفَسَقة مِمّا أَحلّه بهم دَرَجة . فكان قُفوله عن طُلَيْطُلة يَوْمَ الخميس لستّ بَقِينَ مِن جُمادى الآخِرة منها ، ودَخَل إلى قَصْره بقُرْطُبة يَوْمَ الاثنَيْن لأربع خَلَوْن من رَجَب . وقد اسْتَتَمّ في غَزاته واحِدًا وستّين يَوْمًا .

[الـوزراء]

وفيها عُزِل عبد المَلِك بن جَهْوَر عن الوزارة في باقي هذه السَنة (3) .

الاستِبْدال بعُمّال البِلاد

فيها سُجّل لموسى بن سعيد بن حُدَيْر على حاضِرتَي إلْبيرة وغَرْناطة في ربيعِ الآخِر منهـا ، فخُصّ بأقاليم غَرْناطـة وَحْدَها ، وقُسِّـمَتْ أقاليم إلْبيرة على عِدّة مِن العُمّال .

ولأحمد بن شُهَيْد على مدينة باغُه وأَحْوازها ومَواضِع بني جِمْصي وبني المُهلَّب المستضِيفة إليها .

ولجَهْوَر بن عُبَيْد الله بن أبي عَبْدة على كُورة إشْبِيلِية في ربيعِ الأوّل منهـا .

ولمالِك بن مُحمّد الزجّاليّ على كُورة أسْتِجة في ربيعِ الآخِر .

---

(3) من الواضح انه سقط من هنا بيان اسماء الـوزراء واصحاب الخطط المعتاد ذكرها ، فنعيدها معتمدين على معلومات سنة 317 ص 167 ومعلومات سنة 319 ص 212 ، وعلى نسق « البيان » ج 2 ص 203 « فانسلخت هذه السنة والوزراء ستة رجال ، الحاجب موسى بن محمد بن حدير ، اخوه احمد بن محمد بن حدير ، سعيد ابن المنذر القرشي ، عبد الحميد بن بسيل ، عيسى بن احمد بن ابي عبدة ، عبد الملك بن عمر بن شهيد . وفي هذه السنة ولي المواريث طرفة بن عبد الرحمن صاحب المطبخ ، وولي خزانة السلاح احمد بن ابان بن هاشم ، وحفص بن سعيد ابن جابر » .

190 ولعبد الرحمٰن بن أحمد بن أبي / عَبْدة على كُورة تاكُرُنّا في ربيع الأوّل .

ولأبي الشَّعْراء بن أبي عبد الرحمٰن على مدينة بَيّانة مِن كُورة قَبْرة في ربيع الآخِر .

ولأُمَيّة بن إسْحاق القُرَشيّ على كُورة الجزيرة في رَجَب .

ولمُحمّد بن أَصْبَغ على مدينة قَرْمُونة في ربيع الآخِر .

ولموسى بن [...](1) على كُورة رَيّه في التأريخ .

ولمُحمّد بن مالِك القُرَشيّ على حاضِرة جَيّان وإقْليمها وَحْدَها ، إذ قُسِّمَتْ أقاليمها على عِدّة من العُمّال .

ولعبد الرحمٰن بن يحيى على بَسْطة وأَحْوازها .

ولعبد الله بن عبد المَلِك على مدينة قَلْعة رَباح في ربيع الآخِر .

وليَزِيد بن سعيد بن جُوديّ على مدينة طَلَبيرة في شَهْر رَمَضان منها .

ولمُطرِّف بن المُنْذِر القُرَشيّ على مدينة قَلْعة أَيُّوب في جُمادى الآخِرة منها .

ولأحمد بن مُحمّد بن مُبشِّر على مدينة طُرطُوشة وأقاليمها في ربيع الآخِر .

ولمُحمّد بن مَطْري على مدينة بَطَلْيَوْس في المُحرَّم منها .

ولأحمد بن مُحمّد بن إلْياس على الجزائر الشَرْقيّة مَيُورْقة [ومِنُورْقة] ويابِسة في شَعْبان منها .

وفيها مات هاشِم (2) بن مُحمّد التُجيبيّ ، صاحب سَرَقُسْطة ، أُمّ الثَغْر الأعْلى وأعْمالها ، فصار مَكانَه ابنه مُحمّد بن هاشم (2) مُتعزِّزًا على الناصر لدين الله مُحِبّ المُسايَرة .

---

(1) أسقط الناسخ النسب .

(2) م. « هشام » .

سنة تسع عشرة وثلاث مِائة

[تَحرُّك الجُيوش في الثَّغْر الأَوْسَط]

هَمّ فيها الخليفة الناصر لدين الله بالغَزْو إلى مدينة طُلَيْطُلة ، فأَخَذ في التَأهُّب وإبراز السُرادِق والأبْنِية الى المَضْرَب (3) بفَحْص السُرادِق شَرقيّ قُرْطُبة ، ثُمّ انْثَنى عَزْمه عن ذلك ، إذ استَغْنى عنه بمَن قد رتَّبه على مُحاصَرتها مِن قُوّاده ، ونَظَمه حَوالَيْها مِن أَجْناده ، وما يَتَّصِل به مِن ظُهورهم على أهلها ونَغْصهم لهم ، وأَخْذهم بأكْظامهم وإشرافهم على الاقْتِحام عليهم ، فنَقَض غَزْوه هذا بَعْدَ أن بَرَز له ، وتابَع إخراج البُعوث إلى قُوّاده هُنالِك لاسْتِيفاء مُحاصَرتها والاسْتِبْلاغ في نِكاية أهلها طُولَ هذه السنة ، وإمدادهم بالكُراع والسِلاح ومُوالاتهم بالصِلات والأَعْطِية ، وتأكيد بَصائرهم في الجِدّ والعزيمة ، فتَوافَت الأَمْداد على القُوّاد وشَدُّوا مُحاصَرة القُساة الأَكْباد / والبُنْيان عليهم والإرصاد لهم ، إلى أن صاروا في مِثْل كُفّة الحابل من ضِيق الإحاطة بهم والأَخْذ بالأَقْطار عليهم ، بَعْدَ تَحيُّف السَيْف الكثير مِنهم وتَبْديد الجَلاء لعامَّتهم وإشرافهم على الإلقاء بأَيْدِيهم .

191

(3) في « البيان » ج 2 ص 204 « المُضْطَرَب » .

ثُمّ بَلَغ الناصر لدين الله أن العَدُوّ عامل على الخُروج إلى الثَّغْر الأَعْلى ، طامِعـاً في انْتِهاز الفُرْصة مِن أهله ، وجَيْشانه لقَصْده ، للذي بَلَغه من اشْتِغال الناصر لدين الله [بأهل طُلَيْطُلة ..... فأمَر الناصر لدين الله] (1) بإخراج الوزير القائد أحمد بن مُحمّد بن حُدَيْر إليهم بمَن حَضَر قُرْطُبة ، خاصّةً من حَشَمه ، وبمَن خَفّ به مِن المُطَّوِّعة المُحْتَسِبين ، ومَن نَشِطَ مِن المُجاهِدين ، نافِرًا إلى أهل الثَّغر ، ذابًّا عنهم مُهْتَمًّا (2) بشأْنهم ، فاحْتَلّ أحمد بن مُحمّد بن حُدَيْر الثَّغر فيمَن معه ، وأَوْجَبَتْ لـه الضرُورة التَعَوُّل (3) عليه ، مُسَـكِّناً لأهله مِن رَوْعة عَدُوّهم ، مُقَوِّياً لنُفوسـهم ، مُؤْنِساً مِن وَحْشـتهم . فلمّا بَلَغ العَدُوّ مَكان ابن حُدَيْر وجَيْشـه عِندهم ، فَسَخ (4) عَزْمه في الخُروج إليهم ، وانْصَدَع جَمْعه ، فأَقْصَروا عمّا كانوا هَمُّوا به ، ولم يُفارِقوا أرضهم ، فأَقْصَر ابن حُدَيْر إقصارَهم ، ولم يَقْتَحِم عليهم لمّا كفى الله المُسلِمين شأنهم بمَنّه ، وانْتَهى القائد ابن حُدَيْر إلى طُلَيْطُلة فيمَن معه مِن جَيْشه وصار نازِلاً عليها مع القُوّاد المُرَتَّبين .

خَبَر فَتْح مدينة سَبْتة ، فُرْضة العُبور الأَسْهَل إلى بَلَد العِدْوة ، ومُبْتَدأ الوُغول في مُخالَطة أهلها ، أُمَم البَرابر المُنْكَرة الذين أَحَلُّوا بَعْد حِين ببَلَد الأندلس الفاقِرة

وفيها مَلَك الناصر لدين الله مدينة سَبْتة مِن أرض العِدْوة ، فُرْضة المَجاز مِنها إلى أرض الأندلس المُواجِهة لمدينـة الجزيرة الخَضْراء ، فُرْضة المَجاز مِن أرض الأندلس إلى أرض العِدْوة ، صيَّرها الله طَواعِيةً ، رَغْبةً مِنهم في طاعته ، لِما صَحّ لَدَيْهم وخَبَرُوه مِن حُسْن سِـيرته وفَشْو مَعْدِلته وقُوَّته على ضَبْط مَمْلَكته واشْـتِداد سُلْطـانه إلى عِدْوتهم ، لمن يُواليه مِن أعاظِم أُمَراء (5) البَرابِرة أهله ، وعَدَمهم أكْثَرَ ذلك لمَن كانوا

---

(1) أسقط الناسخ هذه الكلمات .

(2) م. « مهتمما » وهي لغة أندلسية .

(3) م. « التحول » .

(4) قراءة مشتبهة ، يبدو من المخطوط انها « فتح » .

(5) م. « أمر » .

يَدِينون لهم من آل إدْريس بن عبد الله بن حَسَن بن الحُسَيْن بن عَلِيّ بن أبي طالب ، / رَضِيَ الله عنه ، أُمَرائهم مُنْذُ دَهْر (1) طويل ، فنقَمُوا سِيرة هؤلاء الحَسَنيّين عنهم ، [وأَرْسَلوا] وَفْدهم إلى الأندلس ، لائذين منهم (2) بالناصر لدين الله ، مُلْقِين إليه بأنْفُسهم ، مُسْتَدْعِين منه إنفاذ عامله وقُوّته إلى بَلَدهم ، عن إجمـاع منهم وَقَف على صِدْقهم فيـه ، فتقَبَّل فَيْئتهم ، وتشـكَّر مَذْهَبهم، وأجْمَل مَوْعِدهم ، وأخْرَج القُوّة إلى بَلَـدهم (3) ، وقد مَلَكوه له مُدَيْدة قَبْلَ ذلك ، حتّى وَصَل إليهم عامله الذي ارْتَضاه لهم أُمَيّة ابن إسْحاق القُرَشيّ ، القائد ، صاحب الجزيرة تُجاهَهم ، جَمَع له العَمَلَيْن تَقْوِيةً لِيَده على القِيام بأمْر العِدْوة المُطَّرَفة المُلْك ، فكان دُخول أُمَيّة بن إسْحاق إلى مدينة سَبْتة وتَسلُّمه لها [يومَ الجُمعة] (4) صَدْرَ ربيعِ الأوَّل سنة تسع عشرة وثلاث مائة . فاسْتَقَرَّتْ فيها قَدَمه وتَمّ مَلْكها للناصر لدين الله من يَوْمَئذٍ ، فاشْتَدّ بها سُلْطانه وتَعاظَم شأنه لمّا مَلَك البَحْر بعِدْوَتَيْه ، وصار زِمامه في يده ، وأَضْحَت رِكاباً له إلى العِدْوة وباباً أَرْتَجه دُونها وثِقافاً على المَراسِي المَحْذور عليها ، تَوَطَّدَتْ بها طاعته بأرض المَغْرِب ، وريعت مُلوكه منه ، ونَفِسَتْه عُظَمـاؤهم عليه ، إذ كان أَوَّل مَن سما إلى ذلك مِن مُلوك الأندلس وخُلَفائها ، مُنْذُ سَكَنها الإسـلام ، فناله دُونهم ، واسْتَظْهَر به على أمْره ، وخَلَّفه تُراثاً لمَن جاء بَعْدَه مِن وُلاة الأندلس .

وكانت أَوَّل خُطْبة أُقِيمَتْ في جامِعها بآسْم الناصر لدين الله ، رَضِيَ الله عنه ، خُطْبة يَوْم الجُمعة لثلاث خَلَوْن من ربيعِ الأوَّل مِن هذه السنة ، وأكْرَم الناصر لدين الله وَفْد أهل سَبْتة الوارِدين عليه بطاعة قَوْمهم ، ورَفَع مَنازِلهم ، وقَضى حَوائجهم ، وأقَرّ قاضيهم حُسَيْن بن فَتْح على القَضـاء فيهم ، ووَصَله ووَصَل جميعهم ، وخَلَع عليه وعليهم ، وأفاض العَدْل في أهل

(1) م. « طهر » .
(2) م. « منه » .
(3) م. « بلده » .
(4) نصحح هتين الكلمتين معتمدين على ما يأتي في هذا المخطوط ص 200 .

سَبْتة ، ونَظَر في مَصالِح بَلَدهم ، وشَكّه بالرجال ، وتَناوَله بمَعاقِل مِن البُنْيان ، وعَقَد لأهلها عُقودًا طابَتْ بها نُفوسهم ، وأنفَذ الكُتُب إلى جميع أهل وِلايته بالعِدْوة ، يَذكُر فَتْحه لمدينة سَبْتة الغَرّاء عندهم مِن عِدْوتهم ، مُشِيدة بتَمْيِيزه إيّاهم بسُمُوّه لطَلَب أرضهم وتَحْريكه لارْتِجاع حَقّه مِمَّن

193 خَلْفَهم ، وأنّها أعْلام التَباشِير في نَصْر / دَوْلته ، ودَلائل الفَتْح على أعْدائه ، والإيعاز إلى جميعهم بالسُكون إلى أهل سَبْتة فَرَطهم ، والتّأليف بهم والمَعُونة لهم على مَن عانَدهم ، مَتى احْتاجُوا إلى ذلك ، إذ قد صاروا يَدًا معهم ، وعَضُدًا لهم ، وإخْوانًا في الطاعة ، وأوْلِياء للدَعْوة ، ونَحْو هذا مِمّا نَشَدَتْه الكُتُب .

فكان مِمَّن كَتَب إليه في هذا المَعْنى مُقدَّمهم مُحمّد بن خَزَر ، عظيم زَناتة ، وموسى بن أبي العافية ، ومَنْصور بن سِنان ، وزاكِلة بن سِراج ، صاحب مدينة طَنْجة ، والمُؤيَّد بن عبد السَميع ، صاحب نَكُور ونَفْزة أيْضاً في ذلك ، إلى القَبائل المُوالِية للسُلْطان مِن البَرْبَر ، فكان منهم سَمجُون بن مقود ، زعيم أهل لمسة (1) وأنْجَرة ، كَتَب إليه مُحمّد بن قادِم الطَنْجيّ وقبيلة الحقه (1) وكُوتِبوا مع ابن عَمّهم المعروف بابن عَوْن الطَنْجيّ ، وقبيلة مَصْمودة ، ومَجْكَسة ، مع ياسين بن مِدْران (2) منهم ، وكَتَب إلى كُتامة الهبط مع حَسَن بن سُلَيْمان منهم ، وإلى لَواتة مع عايش باالله بن خ[ي]ار ، وإلى هَوّارة مع عَرُوس بن بَراء منهم .

نُفور أُمَراء الحَسَنيّين من عُبور سُلْطان الاندلس إلى عِدْوتهم

ولمّا أن سَمِع ابراهيم بن مُحمّد الحَسَنيّ ، أدْنى أُمَراء بني حَسَن من سَبْتة ، ومَن معه مِن وُلْد أبيه مُحمَّد بن إدْرِيس الحَسَنيّ ، بتَصْيِير سَبْتة

---

(1) قراءة غير واضحة .
(2) كذا في الأصل ، قد تكون « مِدْرار » .

إلى الناصر لدين الله وحُصول جُنْده بها واقْتِحامه عليهم بَلَدهم ، الذي أوْطَنوه على مَرّ الأيّام ، ودان أهله لأوَّليهم ولهم بَعْدَهم ، عَظُم عليهم ، وأيْقَنوا بغَلَبته لهم على ما في أيْدِيهم ، فجَمَعوا رِجالهم ومَن يُواليهم مِن قَبائل البَرْبَر ، وعَجَّلوا الزَحْف إلى مدينة سَبْتة ، طامِعين في انْتِهاز الفُرْصة مِمَّن صار فيها مِن أَصْحاب الناصر لدين الله ، فأخْفقوا (3) ومانعهم عنها أَصْحاب الناصر لدين الله أَشَدّ مُمانَعة ، وعاوَنهم أهل البَلَد على دَفْعهم أَصَحّ مُعاوَنة ، وقد كانوا طَمِعوا باخْتِلاف كَلِمتهم .

فلمّا عَلِموا تَصْحيحهم للطاعة ، أيِسوا مِمّا لَدَيْهم وخَشُوا تَألُّب أهل الوِلاية عليهم ، فانْصَرفوا عن سَبْتة خائبين ، وأخَذوا في التَوْهيم والمُغالَطة ، فبادَروا بالكِتاب إلى الناصر لدين الله ، مُعْتذِرين مِمّا كان منهم ، مُحيلين على البَرابِر دُونهم ، فداجاهم / وأَظْهَر تَصْدِيقهم وقَبُول 194 مَعْذِرتهم ، وحَرَص على استِصْلاحهم وتَسْكين نَفْرتهم وصِلة أَرْحامهم ، فأَخْرَج إليهم ثِقته المُتكرِّر عليهم ، المُوَثَّق عند جَماعتهم ، مُحمّد بن عبد الله بن أبي عِيسى ، قاضي جَيّان ، على عادته ، فلَقِيَهم مُلطِّفاً ، فأَصْحَبَتْ مَقادتهم وسَكَنَتْ نَفْرتهم ، وعاقَدهم على وِلاية السلطان ، وأَخَذ له البَيْعة عليهم ، فاطْمَأنَّت الحال بهم ، واشْتَدَّتْ أواخِي مُلْك الناصر لدين الله بكريمتهم سَبْتة ، فلم يَجِدُوا في ارْتِجاعها حِيلة ، وضَرَبَتْ دَوْلته فيها بقُطُب ، وتَجاوَزَتْها إلى ما حَوْلها .

[رِسالة بني مُحمّد بن إدْريس]

وكان الفَصْل الذي ضَمَّنه هؤلاء الأشْراف كِتابهم إلى الناصر لدين الله في اعْتِذارهم مِن قَصْدهم لسَبْتة :

« وقد أَنْعَم الله بك ، يا أميرَ المُؤْمِنين ، في أن صَرَف هِمَّتك إلى ناحيتنا ، ووَكَّل عَزْمك بعِدْوتنا ، فلقد كُنّا نَتَمَنّى ذلك ونَسْتَبْطِئه منك ، إلى

(3) م. « فاخفق » .

ان تَمَّم الله عَزْمك ويسَّرك بتوْفيقه إلى ما نَرْجو ان نَرْتَقي فيـه على يَدَيْك إلى أفْضَل الخُطَط وأشْرَف المَنازِل ، وذلك أنّ بَلَد البَرْبَر الذي نَحْن به ، أعَزّ الله امير المؤمنين سَيِّدنا ، لقَوْم مَلَكوا أنْفُسهم مِن زَمَن عُمَر بن عبد العزيز ، رَضِيَ الله عنه ، وجارَتْ عادتهم على جَحْد السَلاطِين ودَفع الأئمّة والغَدْر بالوُلاة (1) والتَوثُّب على العُمّـال والمَلْك لأنفُسـهم والاستِبْداد لآرائهم ، إلى ان دَخَل إليهم (2) جَدّنا إدْرِيس بن عبد الله بن حَسَـن بن الحُسَـيْن (3) بن عَلِيّ ، رَضِيَ الله عنه ، هارِباً من عبد الله بن مُحمّـد ابن عَلِيّ بن عبد الله بن العَبّاس المُلقَّب بالمنصور ، بَعْد أن قَتل أخَوَيْه مُحمّـدًا وإبراهيم ، ابنَيْ عبد الله بن حَسَـن بن حَسَن ، وشـرَّد بأهل بَيْتهـم ، فلمّـا صـار جَدّنا إدْريس إليهـم واسـتَجار بهم ، أجـارُوه وأوْجَبـوا حَقّه ، ووَضَعوا له في بَلَدهم فَرْضاً ، تَوسَّط به مـا بَيْنهم من الأحْكام ، مِن غَيْر ان يَضْبُطهم ضَبط السُـلْطان ، ومضى لسـبيله ،وقد تَناسَـلْنا منه ، وقُمْنا مَقامه ، وسَلَكْنـا سبيله ، فالبَرْبَر إلى اليَوْم علي عادتهم الأولى معنـا ، إن هَمَمْنا بتَشْديد السُلْطـان عليهم ، هَرَبوا عنّا ونَفَروا مِنّا واتَّخَذوا الحُصون علينا ، فمَرّةً نَذْهَب إلى مُحارَبتهم (4) ، وتارةً نَؤُول إلى / مُداراتهم ، ولا نَطْمَع مع الأيّام في ضَبْطهم وكَفّ عادِيَتهم ، إلى ان كان وَقْته بدُنُوّ الأمْر الذي شَرَع فيه سَيِّدنا امير المؤمنين ، بالرأي الذي هَمّ به ، وعَزَم عليه ، مِن مَلْك عِدْوتنا ومَدّ ظِلّه علينا ، فلا شَيْء أسَرّ لأنفُسنا ولا أجْمَع لآمالنا منه ، فإلى إمامنـا (1) وسَيِّدنا نَرْفَع رَغَباتنـا ونُوجِّه طَلَباتنـا ، في إتْمام عَزْمك وتَسْديد فِعْلك وتَثْبيت بَصيرتك فيمـا ألْهَمك الله إليه ووَفَّقك له ، فنَحْنُ ، أعَزّ الله أمير المؤمنين سَيِّدنا ، مِمَّن لا

195

---

(1) م. « بالولاية » .

(2) م. « اليه » .

(3) كذا في الأصل ، انظر في هذه المخطوط ص 174 ملاحظة رقم 10 .

(4) م. « مجاوبتهم » .

(1) م. « الا هنا » .

نَرْغَب بأنفُسنا عنك ، ولا نَحِيد عن سَنَنك ، فمُرْنا بما أَحْبَبْتَ وناهِضْ بنا مَن أرَدْتَ ، فنَحْنُ جُنْد لك على أعْدائك ، ومُسارِعون إلى ما يَسُرّك ، فلا تَشُكَّ في طاعتنا ، ولا تَرْتَبْ بمَحَبَّتنا وولايتنا ، فبالله الرحمٰن الرحيم ﴿عَالِمِ ٱلْغَيْبِ ، وَٱلشَّهَادَةِ﴾ (2) ، وكلّ يمين أوْجَبه الله في الكِتاب ، مِمّا لا كَفّارة له إلّا بالوَفاء به ، وكلّ ما نَمْتَلِك على المَساكين صَدَقة ، لا نُحاشِي في ذلك عَقارًا ولا رِباعًا ، وعلينا عُهود الله المُؤكّدة ومَواثِيقه المُغلَّظة ، وعلينا المَشي كلّ واحِد مِنّا ثلاثين حَجّة ، وكلّ مَملوك نَملُكه حُرّ ، لوَجْه الله العظيم ، وجميع أيْماننا هذه على الطَواعِية مَعْقودة على الواحِد مِنّا والجَماعة ، لا نَقَضْنا (3) لك بَيْعة ، ولا سَعَيْنا معك بغَشّ ولا كَيْد ولا مَكْر ولا خديعة ولا حِيلة ، ومَعاذَ الله أن نَرْضَى ، ولكِنّا ذَهَبْنا إلى تَطْييب نَفسك وتَنقِية قَلْبك وإثلاج صَدْرك ، والذي اعْتَرَفْنا به لك غَيْر مُستَنْكَر علينا ، لِأنّا لم نَدْخُل البَلَد عن افْتِتاح افْتَتَحْناه ، ولا عن مِيراث طَلَبْناه ، مع الذي تَقدَّم من فِعْل جَدّنا الحَسَن بن عَلِيّ ، رَضِيَ الله عنه ، في التَسْليم لسَلَفك ، وما مَضَتْ عليه جُدُودنا مِن البَيْعة لأجْدادك ، رَحِمَهم الله أجْمَعين .

وبَعْدُ ، أعَزّ الله أمير المؤمنين ، فإنّه قَدِم جُندك علينا بسَبْتة بَغْتةً ، لا نَعْلَم مَعْنى الأمْر فيه ولا المَذْهَب إليه ، فخَفّ البَرْبَر الذين يَلُونها إليهم ، واسْتَبقُوا إلى مُحارَبتهم ، فلمّا تَكافأت الحَرْب بَيْنهم واستَنْصَرُونا عليهم ، واستَنْهَضُونا للقِيام معهم برِجالنا ومَوالِينا ، / وزَعَموا أنّه إنّما قَدِم إلى ما هُنالِك عامل الجزيرة الخَضْراء فيمَن خَفّ معه ، مُتطاوِلاً إلى ذلك مِن ذاته دُونَ إذنك ولا مَذْهَبك ، فتَوَقَّفْنا عنهم طَمَعاً في أن يَقْدَم إلينا مِن عِندك كِتاب أو رَسُول إلى أن طال الأمْر علينا ، فنَهَضْنا بأنفُسنا لاستِبانة الخَبَر ، فنادانا القَوْم مِن أعْلى السُور بأنّهم جُنْدك وأنّك أنتَ الذي بَعَثْتَهم ، وسَألُونا

196

(2) القران السورة 59 الآية 22 .

(3) م. « لا انقضنا » .

أن نَكْتُب إليك لتَعَرَّفنا حقيقة الأمْر وجَلِيّة الخَبَر ، فصَرَفْنا عِند ذلك عَساكِرنا عنهم ، وأمَرْنا مَن يَلِيهم مِن البَرْبَر بمُسالَمتهم ، إلى أن يَرِد كِتابك علينا ، فما تَطْلُبه مِنّا وتَرْغَبه عِندنا ، فمُرْنا بأمْرك ، يا سَيِّدَنا نُطِعْه ، فإنّما نَحْنُ قُوّادك وعبيدك وأنصارك على مَن ناواك وأوْلى الناس بتأييدك وحِماية سُلْطانك ، فارْمِ بنا حَيْثُ شِئْتَ ، وناهِضْ بِنا مَن أرَدْتَ ، وانْدُبْنا لِما قَصَدْتَ ، تَنَلْ نُصْحاً وكِفاية وتَخْتَبِرْ تَبْصِرة وصاغِية ، نَرْجُو بها قَضاء حَقّك ونَيْل الحُظْوة لَدَيْك وابْتِناء الشَرَف الذي يَبْقى لنا ولأعْقابنا بَعْدَنا ، إن شاء الله تعالى » .

مُناقَضة آل عُمَر بن إدْريس من هؤلاء الحُسَيْنيِّين لبني عَمّهم آل مُحمّد بن إدْريس ، بإصغائهم للناصر لدين الله دُونَهم

قال : وكان إبراهيم بن إدْريس بن عُمَر بن إدْريس ، زعيم هذا الفَخْذ مِن هؤلاء الأشْراف الأدارِسة ، ومَن معه مِن إخْوته وبني عَمّه ، وُلْد عُمَر ابن إدْرِيس المُنافِسين لبني عَمّهم ، مُحمَّد بن إدْريس ، في تَقَدُّمهم عليهم في إمارة البَرابِرة بالعِدْوة ، قد ناقَضوا بني مُحمّد وزعيمهم إبراهيم بن مُحمّد المُتقدِّم ذِكْره ، المَساق بالتَبَرُّؤ منهم لخُروج مدينة سَبْتة عنهم إلى صاحب الأندلس ، فقاموا في نَصْر أصْحابه وجَيَّشوا لقِتال مَن قَصَدهم ، إلى أن كُفُوا ذلك بانْخِضاد شَوْكتهم وارْتِدادهم خاسئين عن سَبْتة ، فخاطَبوا الناصر لدين الله عن ذلك بغَزْوته بني عَمّهم مُحمّد ، يُكَثِّرون عليهم ويَتَبرَّؤُون مِن رأيهم ، ويُلْقُون إليه بأنْفُسهم ، ويَذْكُرون قِيامهم في طاعته ومُبايَنتهم لبني عَمّهم في ذاته ومُنابَذته لمَن صَدّ عنه ، وأرْسَلوا / عند ذلك إليه ببَيْعتهم ، وأظْهَروا الإخلاص له سَعْياً على بني عَمّهم ، فأظْهَر الناصر لدين الله قَبُول ما ازْدَلَفوا به وإحْماد أثَرهم فيه ، ومال إلى استِكْفافهم عن القطيعة في ذاته واستِلال سَخائمهم على بني عَمّهم بالتَألُّف

197

عليه ، وحَضَّهم على إصلاح ذات بَيْنهم ، لِما قَبِله من مَعْذِرتهم وآثَره مِن صِلة أَرْحامهم ، فسَكَّن بذلك النائرة بَيْنهم .

[رسالة آل عُمَر بن إدْريس]

وكان الفَصْل الذي ضمَّنــوه الإغراء بالمُحمَّدِين مِن بني عَمّهم في كِتابهم إلى الناصر لدين الله :

« وقد سَبَق كِتابنــا إلى سَـيِّدنا أمير المؤمنين ، أطال الله بَقاءه ، ونَصِف لــه قَضِيّتنا مع عامل أمير المُؤْمنين الجـائز بقُوَّته ، أَعزّه الله ، إلى مدينة سَبْتة ، وسُــرورنا بذلك وابْتِهاجنا له ، وما كــان مِن مُسارَعتنا إلى بَيْعتنا سَـيِّدنا أمير المؤمنين ، وأَخْذها على ما قِبَلنا ، واغْتِبــاطنا بما وَهَبه الله تعالى لنا من ذلك وأَلْهَمنــا مِن السِباق إليه ، وأَنّا أَجَبْنــا داعيه وقُمْنــا إلى نِكاية أَعْدائه ، ولا نَأْمَن سُــلْطان بني عَمّنا بني مُحَمّد المُبايِنين لنــا ، إذ هُمُ الحاجِزون بَيْننــا وبَيْن أَعْدائه ، الذين زَحَفــوا إلى مَن بسَبْتة من جُنْده المنصورة ، إذ هم أهل الإنكــار لدَعْوته والدَفْع لبَيْعته والكَراهة (1) لدَوْلته والمُناهَضة بالعَداوة لجُنْده ، وكُنّا ، مَعْشَر وُلْد عُمَر ، على خِلاف ذلك مِن الصَغْو لــه ، أيّــده الله ، والمَيْـل إليــه والاعْتِراف بحَقّه ، والشُكْر لله تعالى على النِعْمة بسُلْطانه .

وكان وَرَد كِتاب أمير المُؤْمنين سَيِّدنا ، أَيَّده الله ، علينا يومَ الثُلاثاء لثلاث بَقِينَ من رَبيعِ الأَوّل ، فأَسْرَعْنا الخُروج لمُباطَشة عَدُوّه (2) ومُنابَذة كلّ مَن نابَذه يومَ السبت ليومَيْن مَضَيا مِن ربيعِ الآخِر بَعْدَه ، فنَحْنُ مِن يَوْمَئذٍ ، والله الغاية ، في مُقابَلة كلّ مَن اعْتَرَضنا دُونَ عامله وصَدّنا عن سبيله ، فمِن مُستجِيب لبَيْعة أمير المؤمنين ، باخِع بطاعته ، قَبِلْنا فَيْئته ، وأَخَذْنا بَيْعته ، وبَشَرْناه ، وأَعْلَيْنا دَرَجته ، ومِن مِضْراب كارِه مُدافِع ،

(1) م. « الكرهة » .
(2) . « غزوه » .

حَطَمْنا بالسُيوف أنفه ، وشَقَقْنا بالقَنا جَبينه (3) ، حتّى أجاب الدَعْوة

198 صاغِرًا ولاذ بها كارِهًا ، بَعْدَ / القَتْل المُبير وخَراب الدِيار وهَتْك الأسْتار وانْتِهاك الحَرَم وانْتِساف الأمْوال ، ومِن (1) هارِب شَرَّدْناه عن وَطَنه ،يُعْدِمه الفَقْر ، ويَقْفُوه الذِلّ ، فنَحْنُ على ذلك مِن شأْننا ، نَمْضِي قُدماً على وُجوهنا ، وكُتُبنا مُتواتِرة على العامل بما يَشُدّ أزْره ، ويُقَوِّي نَفْسه ، ويُفرِّج رَوْعه ، ويُفرِّح قَلْبه مِن الظُهور على مَن جاش به ، والفَضّ لمَن تألَّب عليه ، إلى أن جاءنا كِتابه بخَبَر مُسالَمته لأوْلاد مُحمَّد ، أضْدادنا ، يومَ السَبْت لثمان خَلَوْنَ مِن جُمادى الأُولى ، وإنَّما كان بَيْننا وبَيْن سَبْتة يَوْمئِذٍ نَحْوُ بَريد ، قد وطَّأْنا الطاعة بما اخْتَرْناه (2) ، وأخَذْنا (3) الرهائن مِمَّن عاقَدْناه ، فلم يُمكِنّا التَمادِي على رأينــا في الحَرْب ، إذ قد سالَم عامله وأمينه ، وقُمْنــا في وُجْهة مِن عَدُوّه ، إذ كُنّا أهل سَمْع وطــاعة له ، أعزّه الله ، نَقُوم بقِيــامه ونَقْعُد بقُعوده ونُحارِب مَن حارَبه ، ونُسالِم من سالَمه ، ونُوالي مَن والاه ، ونُعادِي من عاداه ، ونَقِف عِند أمْره ونَهْيه ، فرَجَعْنا عِند ذلك إلى مَواطِننا واشْتَغَل الناس بزِراعتهم ، ونَحْنُ على أصَحّ عَزْم ، فيما قُمْنا به مِن نَصْر أمير المؤمنين سَيِّدنا ، أبْقاه الله ، واغْتِباط بحَظّنا (4) مِن دَوْلته السعيدة ، لا نَحُول ولا نَتَبدَّل ما جَرت بنــا مُدّة الحَيــاة ، وبالله نَسْــتَعِين ، وعليه نَتَوكَّل ، ونَحْنُ ، أعَزّ الله أمير المؤمنين سَيِّدنا ، مُسْتَمِعون لِما يأتِي مِن رأيه في أمْر بني مُحمَّد ، ثُم يَكُون مِنّا السَمْع والطاعة والانْقِياد لأمْره ، كائناً ما كان .

فلْيَعْلَم أمير المؤمنين ، أيَّده الله ، حَقّ انْقِطاعنا إليه ومُسارَعتنا إلى إجابة داعيه قَبْلَ كلّ ذي رُوح ببَلَــدنا ، ولْيَنْفَعنا ذلك عِنــده ، فلِكلّ عَمَل

---

(3) م. « جبيه » .

(1) م. « بين » .

(2) م. « فما احبرناه » .

(3) م. « اخذن » .

(4) م. « بحضنا » .

ثَواب ، ولا بُدّ لكُلّ عامِلٍ أن يَنفَعه عَمَله لدُنياه وأُخراه ، ثُمّ ليَخِفَّ عليه ، أعَزّه الله ، الأمْرُ بجَواب كِتابنا ، لتَطِيب بذلك أنْفُسنا ، وتُفرَح له قُلوبنا ، وتَزْداد اغْتِباطًا بما نَحْنُ فيه ، إن شاء الله ، عَزّ وجَلّ » .

[كِتاب بَنِي مُحَمّد بن إدْريس]

قال : وأنفَذوا مع كِتابهم هذا بَيْعتهم للناصر لدين الله مُسْتَوْفاة مُؤكَّدة ، وكان تأريخها رَجَب من هذه السنة ، تَسمّى / فيها مِن رُؤَسائهم (199) إبراهيم ، وعِيسى ، وأبو العَيْش ، بنو إدريس بن عُمَر بن إدْريس ، وابن عَمّهم يَحْيى بن مُحْسِن بن مُحمّد بن القاسم ، وجميع أسْماء رُؤَساء قَبائل غُمارة ، وفيهم كَثْرة ، وقد كان بنو عَمّهم ، آل مُحمّد بن إدْريس ، سَبَقُوهم إلى بَيْعة الناصر لدين الله عِند مُسالَمتهم عامله بسَبْتة ، وَوَقْتَ جاءهم ثِقته مُحمّد بن عبد الله بن أبي عِيسى ، فأرْسَلوا ببَيْعتهم خفيفةَ الشُروط مُغلَّظة الأيْمان ، جَرَتْ مَجرى المُعاقَدة ، تأريخها سَلْخ جُمادى الآخِرة في هذه السنة .

وكان الفَصْل الذي ضَمَّنوه كِتابهم بها في هذا الوَقْت :

« وبَعْدُ ، فإنّه قَدِم إلينا ، يا أميرَ المؤمنين ، رَسولنا مع أمينك مُحمّد ابن عبد الله بن أبي عِيسى ، مُؤَدّي كِتابك الكريم ، فقَرَأْناه وفَهِمْنا ما ذَكَرْتَ فيه ، ونَحْنُ ، أعَزّ الله سَيِّدنا أمير المؤمنين ، على مَحْض المَحبّة وخالص المَوَدّة وغاية المَسَرّة باتّصالنا بك ودُخولنا في كَنَفك ، وقد سارَعْنا إلى كلّ ما راه أمينك مِن عَقْد الأيْمان المُوَكَّدة ، وإعطاء العُهود المُغلَّظة ، التي حَمَلْناها على أن نُوالي مَن والاك ، ونُعادِي من عاداك ، ونكون يدًا واحدة وكَلِمة مُتَّفِقة على من حادّك وناواك .

وقد أمَرْنا إقامة الدَعْوة لك على جميع مَنابِرنا (1) في كلّ عَمَلنا ، وإنّ صاحبك بسَبْتة إذ عاهَدْناه بأمْرك ، اشْتَرَطْنا عليه بمَحْضَر

---

(1) م. « سائرنا » .

رِجـال البَرْبَر لَدَيْنـا أن لا يَقْبَل أحَـدًا مِن رَعيّتنـا يأتيه ، ولا يَضُمّه ، ولا يُؤْوِيه ، ولا يَخْـرُج نَظَره عن باب سَـبْتة ، ولا يَعْدُوه ، ثُمَّ لم يَلْبَث أن داس بالعَهْد واسْتَدْعى قَوْماً مِن رَعيّتنا ، يُقال لهم بني وامِضة (2) ، أتَوْه فآواهـم إليه بَعْدَ عَهْـدنا ، وكلَّمْنـا الأمين مُحمّد بن عبد الله في رَدّهم إلينا ، وَفاءً بشَرطنا ، فتَثاقَل عن ذلك ودَعـا إلى اسْتِطْلاع رأيك ، يا أميرَ المُؤْمِنين ، فيه ، فقد عرَّفْناك ، أيَّدك الله ، بِما سَبَق منه ، ولا سبيل لِلْتّأوُّل علينا ، فلَيْسَ لَدَيْنا إلّا الاسْتِقامة على الطريقة والوَفـاء بالعَهْد ، وبَدْء صاحب سَبْتة بالتَقْصير مِمّا يَحِيف [على] النُفوس ، ويُفْسِد الضَمـائر ، ويُظهِر للناس الرَغْبـة علينـا في اليسير الحقير الذي / في أيْدِينا ، ونَحْنُ جُنْد قد اتَّخَذه أمير المؤمنين لنَفْسه من غَيْر مَرْزِئة تَلْحَقه ، مع أنّا أهلـه ولُحْمتـه ، وإنّما رَجَوْنا أن يُوسِع الله علينـا به ضِيقتنـا بسَبَبه ، وأن يَفْتَح له على أيْدِينا ، ويَفْتَح لنا على يَده ، ويُرْبِح (1) دَوْلته المُبارَكة ، التي قد شَمَل خَيْرها وبَرَكتها برأْي أمير المؤمنين ، في الكِتاب الى عامله بسَبْتة في تَغْيير هذا الفِعْل والتَوقُّف عنه ، فإنّ في ذلك صَلاح الخاصّة والعامّة ، إن شاء الله » .

200

[رِواية ابن مَسْعود لفَتْح سَبْتة]

وقال ابن مَسْـعود في الأنيق : « في سنة تسع عشرة وثلاث مِائة جرى فَتْح مدينة سَبْتة من أرض العِدْوة ، فُرْضة المَجاز من أرض المَغْرِب إلى جزيرة الأندلس ، ولم يَكُن لأحَد مِمَّن مَلَك الأندلس في الإسلام سُلْطان بأرض العِدْوة قَبْلَه ، فكان مَلْكه لها سِلْماً ، رَغْبةً مِن أهلها في طاعته ، لِما اعْتَلى مِن ذِكْره واسْتَفاض مِن عَدْله ، وشُهِر من حُسْن سِـيرته ، واستَدْعَوْه إلى بَلَدهم ، وسَألُوه إرسـال عامل من قِبَله إليهم ، يُسَلّمون

(2) قراءة مشتبهة .
(1) كلمة غير منقوطة .

بَلَدهم اليه ، فجَرَد جَيْشــه في الأُسْطول إليها مع العادل الذي استعمله عليهم ، فدَخَلها عَفوًا يومَ الجُمعــة صَدْرَ ربيعِ الأوَّل مِن هذه الســنة ، وصارَتْ في مُلْكه ، فتَوَطَّدَتْ فيها دَوْلته واستَعْمَل عليها فَرَج بن عُفَيْر ، واستَقْضى فيها حُسَيْن بن فَتْح (2) ، واتَّصَلَتْ فيها دَعْوته ، فعَظُمت مَمْلَكته باحْتِيازه البَحْر بعِدْوَتَيْه ، ومَلْكه للساحِلَيْن بشاطِئَيْها وامْتِداد طاعته في نَواحيهــا ، وعِند ذلك ما قَوِيَ أَمْر شِــيعته ومُوَلِّيــه بأرض المَغرِب ، وتَوالَتْ رُسُل مُلوكهم إلى بابه ، وتَواتَرَتْ هَداياه ومَعاوِنه ، وأَنفَذ في هذا الوَقْت إليهم ثِقته مُحمَّد بن عبد الله بن أبي عِيسى رَسُولاً بكُتُبه ووَصاياه ، مُشافِهــًا بما يُرِيده مِن تَدْبير دَوْلته لَدَيْهم ، فكان قَصْــده منهم أَوَّلاً إلى زعيمَيْهم المُخْلِصَيْن لوِلايته مُحمَّد بن خَزَر ، عظيم زَناتة ، ومنصــور بن سِنان ، ثُمَّ تَجاوَزهما إلى غَيْرهما ، ثم اتَّصَلَتْ إليهم الرُسُل ، وتَوالَتْ مِن قِبَلهم الوُفود ، وانْثالَتْ عليهم هَدايا الناصر لدين الله وصِلاته ، / فهَوى إليه وإلى وَلَده من بَعْده خَلْق من مُلوكهم وفُرْسانهم ، اتَّسَع للناصر لدين الله حَياتَه نِطاق (1) الإنفاق عليهم ، إلى غليظ إنفاقه في فُروضِ أَنْدَلُسه ، الذي لا يَسَعه (2) فبَذَل المال (3) بَذْلاً ، وكَدّ الرَعايا كَدًّا ، وحمَّل قُوَّته ثِقْلاً لا كَفاءَ له ، أَقَلّ على مَرّ السِــنين ادِّخاره لِلْمال ، وأَنِس ببَيْعة (4) سَبْتة من جُهّــال البَرابِر أَشْباه نَعــام الدَوّ وآساد الغِيل ، اسْتَلانوا عَمّا قليلِ غَرائز أهل الأندلس وحَسَــدوهم ما أَلْفَوْهم عليه مِن حُسْن الحال ، فلم يَلْبَثوا أن تَوَثَّبُوا عليهم آخِر أَمْر الدَوْلة بيَد المِقْدار (5) وَثْبةً تَرَكَتْهم

201

(2) م. « حسن بن فتح » ولكن انظر كتابنا هذا ص 192 وهو أبو علي حسين بن فتح الذي يقول عنه ابن الفرضي في « تاريخ علماء الأندلس » رقم 354 انه سلم مدينة سبتة .

(1) م. « قطاق » .

(2) م. « تقسه » .

(3) م. « الا المال » .

(4) كلمة غير منقوطة .

(5) كذا في الأصل .

أوْزاعاً ، وسَلَبَتْهم العِزّ والسُلْطان ، وأرْكَسَتْهم في غَياهِب الافْتِنان الذي انْسَكَبوا في عَمايته ، فطارَتْ عُصاهم شِقَقاً إلى آخِر الزَمان ، فالأمْر لله الذي هو كلّ يوم في شأن ، عَزّ وَجْهه ، لا إله سِواه » .

وقالت الشُعَراء في فَتْح مدينة سَبْتة وتَهْنئة الناصر لدين الله بمَلْكها أشْعارًا حِسانًا ، من أشْهَرهـا قَوْل زعيمهم ابي عُمَر احمد بن مُحمّد بن عبد رَبّه ، وقَوْل ابي عُثْمـان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس ، اخْتَصَرْنا إيرادها لطُولها (6) .

[كِتاب] مُحمّد بن خَزَر

قال : وفي هذه السنة وَرَد كِتاب مُحمّد بن خَزَر ، امير زَناتة ، على الناصر لدين الله ، مُطالِعاً بأموره ، مُنْهِيًا أخْبار جِهته على عادته ، فوَقَف الناصر لدين الله على ما سَرّه من ذلك ، فأجْمَل جَوابه عنه ، وازْداد من ثِقته به ، وإسْمائه لمَحَلّه ، وكان نُسْخة الفَصْل بذلك في كِتـابه :

« فإنّ كِتابي ، أبْقى الله امير المؤمنين ، مِن بَلَد الساحل من مدينة تسفا (7) ، المشهورة بمدينة العَلَوِيّين ، وهي مدينة حصينة أوّليّة مُتوسِّطة

---

(6) يبدو أنه سقطت هنا الأبيات الواردة في « البيان » ج 1 ص 201 : « وفي فتحها يقول عبيد الله بن يحيى بن ادريس ، يخاطب الناصر (طويل) :

بسيفك دانت عنوة وأقـرت ... بصـائر كانت برهة قد تولت
وما قربت أهواؤها اذ تقربت ... ولا حليت بالزي لمـا تحلـت
ولاكن أزالت راسيات عقودها ... عزائم او ترمي بها العصم زلت
ودولة منصـور اللواء مؤيـد ... تدل بحمد الله مـن شر دولـة
فهذا أوان النصر منها وهذه ... بشـائره تروي الأنام بسـبتة

(7) هو نفس المكان الوارد في ص 172 ملاحظة 1 من كتابنا ، وقراءة « الوثائق » رقم 14 « تسفا » أو «سيفا » على مقربة من وادي تافنا .

لِلْمَراسي التي تُقابِل مَراسِي الأندلس ، وهي مُنتظِمة بها وقريبة منها ، وهي بِغَرْبيّ تاهَرْت ، دار الفاسقين وقريبة منها ، بَيْنها وبَيْنها ثلاثة أيّام ، وإنّما بَيْنَنا وبَيْن المَراسِي أقلّ من يَوْم ، وإنّما ذلك بَعْد انتِقالي مِن بَلَد الغوط (8) بالأهل والوُلْد والأصحاب والحَشَم والعبيد والمَوالِي ، وأهل وِلايتنا ، وصُنوف رَعيّتنا ، وضُروب أهل طاعتنا ، والخاصّة / والعامّة لدَيْنا ، 202 انتقَلْنا إليها بقبيلتنا وجَماعة مَن قِبَلنا ، ولم نُخلِّف بَعْدنا أحَدًا مِن مذكور رِجالنا ، وحُماة أنْصارنا ، وجَماعة فُرْساننا ، ووُجوه عشيرتنا (1) فهُمْ معنا وبَيْن أيْدينا ، لم يَنْحَلّ لنا نِظام ، ولا دَخلتنا فُرْقة ، بل جميعنا مُسْتعِدّون بدَعْوتك ، ومُعتصِمون بطاعتك ، ناصحون لك ، مُحِبّون لأيّامك ودَوْلتك المُبارَكة ، التي مَن تمسَّك بها كان له الأمْن والسَلامة في دُنْياه وآخِرته ، ومَن صَدّ [عنها] وابْتَغى سبيلًا غَيْرها ، نَزَل به الذِلّ والصَغار ، وقارَنه الخِزْي والهَوان .

والذي أرَدْتَ عِلْمه ، أبْقاك الله ، مِن خَبَر خُروجنا عن البَلَد الذي كُنّا نَحُلّه ، وسَبَب انْتِقالنا عنه ، فإنّه لم تُخْرِجنا عنه خَصاصة ، ولا أزْعَجَتْنا مَذَلّة ولا تَخوُّف ولا خِزْية ولا تغيُّر حال ولا شِدّة ، وإنّما أخْرَجنا عنه بقضاء الله حُبّنا الدُنُوّ منك ، والتَسنُّم لك ، لِما نَحْنُ عليه من حُسْن الطَوِيّة لك ، وصِدْق النيّة فيك ، ومَحْض المَوَدّة لك ، وبجميع مَن تعلّق بك وانْتَسب إليك ، وذلك أنّا كُنّا عن أُفقك قَبْلَ اليَوْم نازحين ، وعن مُواصَلتك شاحطين لابْتِعاد الدار بنا (2) وانْتِزاح التَنائف بَيْننا ، على [أنّ] شَحْط الدار وبُعْد الشُقّة ، مِمّا لا يُقْصِي بذي الهِمّة عن الرَمْي بهِمّته ، ولا يَرُدّ ذا العزيمة عن إنفاذ عزيمته ، ولا بُدّ لقَدَر الله تعالى مِن نَفاذ ، ولعزائم أقْضِيته مِن تَمام ، وذلك أنّا نَظَرْنا ، أعزّك الله بطاعته ، في أمْرنا إذ لم تُمْكِنّا مُواصَلتك والتَعلُّق بأسْبابك إلّا بالدُنُوّ منك

(8) م. « والغوط » .
(1) م. « عشرتنا » .
(2) قراءة غير واضحة ، في المخطوط « لا سواك لدار بنا » .

والمُجاوَرة لك والبِعاد عن بُعدك ، فأَجْمَعْنا الانْتِقال بالكُلّيّة إلى أطْراف أَعْمالنا وحَواشي كُورنا مِن نَحْو المَراسِي المُنْتظِمة بجزيرة الأندلس ، التي وَصفْنا لك خَبرها ، فلمّا وَرَدْنا البَلَد بالأهل والوُلْد ، أَخَذْنا في جَمْع العُدَد لإقامة الأَوَد (3) بتَثْقيف العِوَج من أهل المَعْصية ، الذين كانوا لليَهُوديّ مُشايِعين ، وفي أَمْره مُداهِنين ، فحَشَدْنا جميع القبائل التي بإزائنا وكلّ مَن اعْتَصَم بطاعتنا وتَمسَّك بأَسْبابنا ، فأَخَذْنا رَهائنهم بالمُبايَعة لك والافتِتاح باسْمك والخُطْبة / في جميع أهل الساحل إليك ، 203

وأَقْبَل الناس إلينا مِن كلّ جِهة فَزِعين ، مَرْعوبين ، خائفين على أنْفُسهم ، طالبين تَسْكين دَهْمائهم وحَقْن دِمائهم ، مُسْتَجيبين لدَعْوتك ، والجِين على طاعتك ، مُعترِفين بتَقْديمنا قَديمًا عليهم وإمْرتنا فيهم ووِلايتنا قديماً على جميع لِسان البَرْبَريّة ، حَيْثُ كانوا وأَيْنَ كانوا مِن نَسْل زَناتة خاصّةً وغَيْرهم عامّة ، ولآبائنا من قديم الدَهْر وحديثه ، ولأَعْقابنا مِن بَعْدُ ، حتّى يَرِث الله الأرض ومَن عليها ، وذلك ببَرَكة أمير المؤمنين ودَوْلة آبائه الأَبْرار والخَلائف الطَيِّبين ، رَضِيَ الله عنهم أَجْمَعين ، ونضَّر في القِيامة وُجوههم ، فهُمُ الذين لم تَزَل القُلوب عليهم مُتألِّفة والأَهْواء فيهم مائلة ، والجَماعة بهم راضية ، فها أنا الآنَ ، ياسَيِّدي ، جادّ مُجِدّ ، مُشَمِّر مُواظِب في تَقْويم أَوَد أهل المَعْصية ، وتَثْقيف العِوَج مِن جميع أهل العِدْوة ، وضَرْب المُقْبِل منهم بالمُدْبِر (1) ، وحَمْل المُطيع على العاصي ، حتّى يَفْتَح الله لأمير المؤمنين مَشارِق الأرض ومَغارِبها وسِهالها وأَوْعارها وبَرارِيّها وبِحارها ، بنا وعلى أَيْدِينا ، وتَتَّصِل طاعته ، إن شاء الله ، إلى أَقْصى العِراق ويُرَدّ تُراث خِلافة آبائه الطَيِّبين الأَبْرار الأَكْرَمين ، إن شاء الله ، وبه نَسْتَعين على ما يَتولّى ، وإيّاه نَسْتَحفِظ ونَسْتَكْفِي ، ﴿ [ٱللَّهُ] لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (2) .

---

(3) م. « الولد » .

(1) م. « المدبر منهم المقبل » .

(2) القرآن السورة 27 الآية 26 .

وها نَحْنُ ، يا سَيِّدَنا ، أَعَزّك الله ، عازمون ، والعزيمةُ لله ، على النُهوض إلى المَدرة السَوْء ، تاهَرْت ، وما هُنالِك ، لاغْتِيالها ومُحاصَرة الفاسقين بها ، والتَغْيير عليهم ، وقَطْع المَرافِق عنهم ، وحَلّ عُرَى اليَهُوديّ منها وإبعاد رِجْسه عنها ، وهي كَما بَلَغك مِن وُعورتها وصُعوبتها وشُموخ أَجْبُلها وأشَب شَعارِيها ، والبَرابِر مِن قِلّة البَصَر ومُحاصَرَة المدائن ومُساوَرَة المَعاقِل ومُكابَدَة الحُصون والحِيَل عليها بحَيْثُ تَعْلَمه مِن العَجْز عن ذلك ، والقُصور عن رَوْمه ، ولا يَقُوم بهذا الشأن إلّا العَرَب وذَوُو الحُنْكة المُحتضِرون أصحاب الأَسْلِحة الشاكّة والنُشّاب والعُدّة ، وأهل الاقْتِدار على تَشْييد البِناء ، وما يَصْلُح لنِكاية الأَعْداء .

204 فإنْ رأى / سَيِّدي ، أمير المؤمنين ، أن يُقَوِّي عَبْده ، الساعي في دَوْلته بأسه مِن ذلك كلّه ، بالذي يرى لنا فيه صَلاحاً ، ولسَعْينا نَجاحاً ، مِمّا يَكُون له أَوْفَق ، وبنا أَرْفَق ، مِن القُوّة والعُدّة وأَصْناف الأَسْلِحة والنُشّاب والآلة والرُماة ، وبَعْض من يُحْكِم سِياسة مُحاصَرة الحُصون وتَكَمُّل حال العَساكِر الكِبار الثِقال ، فإنّ عِندنا ما شِئْتَ مِن خَيْل ورِجال ومَساعِير الأَبْطال الكُماة ، ذَوِي عِدّة وعُدَد وبأس وجَلَد ، مِن صُنوف العشائر وضُروب العَساكِر والحُماة الكُفاة والأَبْطال الكُماة ، قد نَهدْناهم (1) لتَقْلِيص أَطْراف اليَهُوديّ مِن تاهَرْت ، وقَصْم عُراه مِنها ، وإبعاد رِجْسه عنها ، ثُمَّ يَكُون الصَمْد بَعْدَ ذلك إلى ما وَراءَها مِن مدائن اليَهُوديّ ومَنابِره وأَمْصاره ومَعاقِله وصَياصِيه وقُصوره وقُراه (2) وكُوَره وقَصِيّ بِلاده ، حتّى يَقْطَع الله أَثَره ويَصْرِم مُدّته بحَوْله وقُوَّته .

والذي أَرَدْتَ عِلْمه ، أَعَزّك الله ، مِن خَبَر أَخِي فُلْفُل ، هَداه الله ، في حَسَده لنا وبَغْيه علينا وسُوء سِيرته ونَقْل ضَميره وسَريرته ، الذي أَلْبَسه الله رِداءها بما اكْتَسَب مِن مَعْصِيته ، وذلك أَنّه رَحَل عَنّا مِن غَيْر إِذْن مِنّا

(1) كذا في الأصل ، قد تكون « نهرناهم » .
(2) قراءة مشتبهة م. «مراره » .

ولا مُطالَعة ولا مُشاوَرة لنا ، وزَعَم ، عِند عَزْمه على الرحيل ، أنّه يَلْتَمِس خِصْب المَرْعى لمَنافِع الماشية ، فأبْعَد النُّجْعة ولم يَزَل يَطْوِي السَباسِب والقِفار والأوْدِية والمَهامِه ، مُتنكِّباً لِلْحَواضِر والسُبُل المَسْلوكة ، حتّى وَرَد أطْراف أعْمال اليَهُوديّ ، المُبدِّل للدِين ، الخارج عن مِلّة المُسلِمين ، فنَزَع إليه ، هو ووَلَده ، وشِرْذِمة معه مِمَّن تَبِعه وشايَعه في أمْره وصَحِبه في غَوايته ، فلمّا وَرَدوا على اليَهُوديّ ، تَلقّاهم بالسُرور والحُبور ، ومَنّاهم بالكثير ، وزَخْرَف لهم قَوْله بالغُرور ، فصار منهم كالسَراب ، يُخْلِف مَن رَجاه ويَغُرّ مَن راه ، ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ ٱللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ (3) ، الآية .

فارْتَهَنوا عِنده أهاليهم وأوْلادهم ، بَعْد ان أخْلَف الله ظَنّهم فيه ،وخيَّب رَجاءهم ، وصَدَروا عنه على سُروجهم إلى نَحْو بَلَد الزاب ، إلى القَبائل بتِلْك الأطْراف مِن بني مَغْراوة خاصّةً ، ليَسْعَوْا لهم ويُطِيعوا / أمْرهم ، فمِنْهم من رَحَل إلينا هاربين بأنْفُسهم وأمْوالهم ، ومنهم مَن لم يَشْتَغِل بهم ، ولم يَحْفَل بأمْرهم ، وذلك لإدبار وَلَد اليَهُوديّ عنّا ، ونُزول نِقَم الله به على أيْدِينا ، ولم يَنْشَب ان وَرَد كِتاب اليَهُوديّ إلينا ، يَذْكُر فيه نُزوع الغاوي فُلْفُل اخي إليه ، ورَغْبته فيما لَدَيْه ، واعْتِرافه بالحَقّ ورُجوعه عن الباطل ، وحُسْن قَبوله إيّاه ، وكَرَم مَنْزِلته عِنْده ، وإعطاءه إيّاه كلّ ما سأله منه ، وأمَّله لَدَيْه ، ويَحُضّني (1) على امْتِثال فِعْله ، ويَنْدُبني إلى الرجوع إليه ، ويُرَغِّبني في الوُلوج في طاعته والتَمسُّك بسُنّته ، ويُمَنّيني على ذلك الكثير ، ويَعِدني بالجزيل ، ويَقول لإنّه لا يُحاوِل مِنّي ذَهَباً ولا فِضّة ، ولا يُكلِّفني نائبة ، غَيْر الافْتِتاح باسْمه ، والخُطْبة في المَنابِر عليه ، وصَرْف السِكّة بذِكْره ، وإرسال أحَد وُلْدي إليه أو بعض إخْوتي ، ليَشِيع في الناس أنّي قد رَجَعْتُ إليه وصِرْتُ في طاعته ، وكلّ ذلك لم أحْفَل بكِتابه ، وأمَرْتُ بجَوابه بما

205

(3) القرآن السورة 24 الآية 39 .

(1) م. « يحضى » .

نَحْنُ عليه مِن البَيِّنة مِن أمْرنا والاسْتِئْثار ببَيْعتنا ، لِما قد بَلَوْناه مِن إفْكه وبَغْيه ، وعَلِمْناه مِن كُفْره وكَيْده وقِلّة وَفائه (2) ونَقْضه لعَهْده ، فنَحْنُ ، أيَّدك الله ، لا نُقَصِّر في نِكايته ، ولا نَني في قطيعته وحَرْبه وإدخال الضَّرَر عليه وانْتِقاض أطْرافه واقْتِناص اهل طاعته ، حتّى يُمكِّن الله منه ويَقْطَع دابِره بحَوْله وقوّته ، إن شاء الله تعالى » .

ذِكْر توهِيم الناصر لدين الله اهل وِلايته مِن أمَراء البَرْبَر بالعِدْوة بقِيامه لطَلَب دَوْلة أسْلافه الأمويّين ، وعَمَله على العُبور إليهم لقِراع مَن ابْتَزّهم الخِلافة بالمَشْرِق مِن خلائف الهاشِميّين

قال عِيسى الرازيّ : كان الناصر لدين الله لا يَكاد يُخلّي كُتُبه إلى هؤلاء الأمَراء المُؤلَّفين له ، مِن أمْلاك البَرابِرة بأرض العِدْوة ، مِن ذِكْر طَلَبه لسُلطان المَشْرِق وقِيامه في ارْتِجاع ما سُلِب اباؤه منه ، وتَحمُّله في الجَواز إلى ما هُنالك للمُقارَعة عنه ، وذِكْر تَظاهُر الرِوايات له وإجماع الأثَر على أنّه المُرْتَجَع له ، والتَجْلِية لهؤلاء المُلوك بأنّهم أنْصاره عليه ومُقدّمته في طَلَبه ومُقاسِمو / مَزِيّة فَخْره ومَنْزِلة ذِكْره ، يُغْرِيهم بذلك ومِثْله ، ويُضْرِيهم (1) على عَداوة أعْدائه مِن بني عُبَيْد الله ، مُلوك الشِيعة ، الظاهرين على بَلَد إفْرِيقيّة ، ويُحِيلهم على حَرْب اصحابهم والتَحيُّف لأعْمالهم ، فيَنال مِن ذلك بَعْض ما يَبْغيه ، ولا يَغِبّهم مع ذلك بهَداياه وصِلاته وخِلَعه وألْطافه ، يُؤَكِّد بَصائرهم في اعْتِقاد مُوالاته والْتِزام طاعته ، فيُنْفِق في هذا الباب الأمْوال الجسيمة ، ويَجْشَم له المَجاشم الثقيلة ، فممّا تَناول به مُحمّد بن خَزَر ، عميد أُولئك المُستألَفين من الأمَراء بالعِدْوة ، في هذا المَعْنى فَصْل ضمّنه جَواب كِتاب له نُسْخته :

206

---

(2) م. « وفاته » .

(1) م. « لضربهم » .

« وإنّ أمير المؤمنين ، لمّا تفرّغ باله ، وتقضّت بالأندلس أشغاله ، واكتملت له في أعدائه آماله ، ولم يبق عليه فيها بقيّة يعانيها ، ولا حال يستعمل رجاله فيها ، صرف عزيمته ، وأمال همّته إلى ما بين يديه من أسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لأوّله حقًّا ، وله ميراثاً ، مع ما ينويه ويرجو أن يجري الله أكرومته على يديه ، من إحياء الدين بنظره ، وإماتة البدع بقويم منهاجه ، وحماية بيت الله الحرام ، المنتكثة حرمته المعظّمة ، المسلوب ركنه ، المغلوب أهله ، المعطّلة مناسكه ومشاعره ، وأن يجعل الله أمير المؤمنين حاصرًا له ، بطلب الجاني عليه بجنايته (2) فيه ، ويجدّد من مخلق السنن ما درس ، ويظهر منها ما انطمس ، وعلى الله يتوكّل أمير المؤمنين في جميع ما نواه ، وبه يرجو إدراك ما رجاه ، إن شاء الله .

وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهّب والاستعداد بالرجال والأجناد ، وتخيّر الكماة وانتقاء الرماة ، وتضعيف العدد وتكثير العدد ، وتجريد الآلات ، وتكميل الأدوات ، والنظر في إلحاق الحشود بالجنود لميقات معلوم ووقت محدود ، وأن يستكثر من جميع المراكب ، إلى ما قد قام منها ، ويتوسّع في عددها لتجهيز الأساطيل المؤيّدة في وقت إجازتها ، وعند إمكان البحر لها السير ، طائفة منها إلى نجو سبتة ، وأخرى إلى جهة وهران ، فيمن / تخيّره من وجوه قوّاده وأعلام رجاله وصميم حشمه وأبطاله ، أهل البأس والصبر وحسن البلاء وقوّة الجلد ، الشارين أنفسهم في مرضاة أمير المؤمنين ، والطالبين بحقّه ، والمستبصرين في نكاية عدوّه ، ذوي النيّات (1) الخالصة ، والبصائر الصادقة والبسالة القائمة ، لا يهول أحدهم قرن يناوله ، ولا يثني مقنبهم جيش يقابله ، كالليوث في إقبالها والتنانين (2) في التهامها ، قد مارستهم الحروب ومارسوها ، 207

(2) م. « الجاني عليه بجبايته » .

(1) م. « النناة » .

(2) م. « البنايين » .

وساسَتْهم الخُطوب وساسُوها ، فهي أُمّهم ، وهُم بَنُوها ، فاسْتَعِدَّ ، أَسْعَدك الله ، وتأهَّبْ وشَمِّرْ وتلبَّبْ ، وكُنْ على انْتِظار ما يُوافِيك مِن أمير المؤمنين ووُلاته (3) ، لتَكُون صَدْرَ القُوّاد ، كَما أَنْتَ صَدْر أُولي الوِداد ، ومُتقدِّماً للرِجال ، كما أَنْتَ صَدْر الصِيال ، فإنّ أمير المؤمنين يَرْجُو ، بالله عَوْنه وعليه تَوكُّله ، أن يَكُون قد قَرُب الوَقْت الذي قد رَجَوْتَ الفَوْز به والإدراك له وبُلوغ الأَمَل منه ، إن شاء الله ، عَزّ وجَلّ » .

خَبَر ابن أبي العافِية

وكان التالي لمَرْتَبة مُحمّد بن خَزَر من أُمَراء البَرْبَر عِند الناصر لدين الله الأُمَويّ في الوِلاية ، ونِدّه في إظهار الطاعة ، والمُقْتَفِر لأثَره في اعْتِلاق العِصْمة ، موسى بن أبي العافية ، تَقَدَّمَا الذين (4) [والَوا] الناصر لدين الله مِن بَعْدهما (5) مِن تِلك العَصَبة ، لزِيادة مَقادِيرهما (5) في إنافة الحال وكَثْرة الرِجال وسَعة الأعْمال على مَقادِير الجَماعة ، فكانا لَدَيْه مِن أَشَدّ مَن يُوالي على مَبرّته مِن أُولئك الأُمَراء ، ويُواصِل هَديّتهم ويُطالِع أخْبارهم .

واتَّفَق أن جرى بَيْنَ هٰذَيْن الأميرَيْن ، مُحمّد ومُوسى ، في هذه السنة تَنازُع في الأعْمال ، أفْضى إلى وَحْشة ونَتَج بَعْض القطيعة ، حتّى تَصَدّى الناصر لدين الله لحَسْم (6) ما صَدَر بَيْنهما ، وعاد (7) أن يعُود اخْتِلافهما لفَساد أَحَدهما على الدَوْلة ، لأنّ موسى لم يَكُن لَدَيْه بالمَوْثوق الطاعة ، إذ كان والى عُبَيْد الله الشِيعيّ أوّل نُجومه وارْتَسَم بوِلايته ، ثُمّ مال عنه إلى الناصر لدين الله ، ودَخَل في جُمْلته ، فعاتَبه الناصر لدين الله في

(3) م. « الايه » .
(4) م. « لدين » .
(5) م. « هما » بدلا من « ها » .
(6) م. « لحشم » .
(7) قراءة محتملة ، م. « عاد » .

208 قطيعته لوَليّه محمّد بن خَزَر ، / ولم يَزل بهما حتى اصْطَلَحـا ، وأَخْرَج لَدَيْه ثِقته مُحمّد بن عبد الله بن أبي عيسى السفير إليهما ، فقام بما أراد منه ومشى بَيْنهما ، حتّى أزاله ، وكاتَب موسى بن أبي العافيـة الناصر لدين الله في الوَقْت ، مُعْتذِرًا مِمّـا أتاه إلى مُحمّد بن خَزَر ، مُقلّدا له ذَنْبه بدلائل أوْضَحها عنده .

وأَهْدى مع كِتابه هذا اثنتَيْ عشرة فَرَسـاً من جِياد خَيْـله ، كافاه عليهـا الناصر لدين الله بهَديّـة حَسَـنة جليلـة القَدْر ، مِن الكِسْـوة الرفيعة والحِلْية الفاخـرة والألْطاف المُستطرَفة ، حَسُـن مَوْقِعهـا من موسى ، واستَبْصَر في الطاعة ، وكـان فيما أَعْطاه الناصر لدين الله ، من الخَزّ الفاخر المُختلِف الأَجْناس ، ما بَيْن شِقة وعِمامة وبُرْنُس خمس وعشرون قِطْعة ، ومن اللُبود الطِرازيّة الأُرْجوانيّة ، عشر قَطائع ، وسَرْج ولِجام حِلافيّـان (1) غريبا الصَنْعـة ثقيلا الحِلْية ، إلى أَلْطاف عجيبة ، حَسُن مَوْقِعها من موسى ، وأَثْنى على الخليفة .

[كِتاب موسى بن أبي العافية]

وكان الفَصْل في كِتابه إلى الناصر لدين الله بشأنه مع مُحمّد بن خَزَر قَوْله :

« وبَعْدُ ، فقد كُنْتُ مِن الاعْتِضاد بمُحمّد بن خَزَر عِند أمير المؤمنين ، ووَليّه (2) والكَراهية لمُعارَضته (3) ، إلّا بمـا وافق رأْي سَـيِّدي أمير المؤمنين ، أكْرَمه الله ، ووَقَع بمُوافَقتـه ، ودَعا إلى رِضاه ، بمَنْزلة لا يُوجَد (4) عليه أخ مِن إخْوته ، ولا رئيس من بني عَمّه ، أُقدِّمـه على نَفْسي وأَطْلُب رِضاه جَهْدي ، وأَكْتُب إليه ، أُعْلِمه أنّ وَصّية الحاجب موسى ،

(1) كذا في الأصل ، قد تكون « خلافيان » .
(2) كذا في الأصل لعل الناسخ أضاف واو العطف ، التي لا محل لها هنا .
(3) م. « بمعارضته » .
(4) م. « يوفد » .

حَفِظه الله ، مكتوبة في قلبي ، بمـا تَقدَّم إليّ به من مُظـافَرته ومُوافَقته والكَوْن للدَّوْلة المُكرَّمة يداً معه على كلّ مارِق مُعانِد وخالِع مُفْسِد ؛ فلا يزداد بذلك إلّا تَهاوُناً بي (5) ، وتَطـاوُلاً على اهل الطاعة بِقَفَلي ، بشَنّ الغارة ، وسَفك الدِماء واصْطِفاء الأموال ، والتَسوُّر على حُدود الأعْمال ، فأعْذَرْتُ إليه وكرَّرْتُ الإعْذار بتأكيد الحُجّة عليه ، فلم يَثْنِه ذلك عن سُوء رأيه ، ولم يُمَكِّنّي ، أعزّ الله أمير المؤمنين ، الانْصِراف عن مدينة جَراوة ، بَعْدَ (6) ان استَغـاثوني منه ، إلّا بَعْدَ ان أذِبّ عنهم ، وأجْعَل بَيْنَهم وبَيْن اصحابه حَدًّا يَطْمَئِنُّون إلى الوُقوف / إليه ، فكاتَبْتُه أسْأله الالْتِقاء معه ، لِكَيْ نُبْرِم ما انْحَلّ (1) مِن حَبْل الطاعة ، ونُصْلِح ما وَهى مِن أمْر العَمَلَيْن ، ونَعْقِد بَيْنَنا عَقْدًا يَرْضـاه امير المؤمنين ، فأجاب إلى ذلك مُعلِناً ، وقد أسَرّ الغَدْر وأضْمَر ، على غَيْر سَبَب أوْجَب ذلك ، المُنافَسة والحَسَد على ما نِلْتُه في ذاتك مِن أمْر أبي العَيْش الحَسَنيّ صديقـه ، ونَهَضْتُ معه ، سالِمَ الضمير ، فلمّا راى انْحِطاط عَساكِرنا عليه وقِلّة تَحفُّظها منه ، لِما تَقدَّم مِن المُكاتَبة التي جَرَتْ بَيْنَنا وبَيْنَه ، قَدَّر رأينـا فيه (2) مِثْل رَأْيه ، فانسَلّ (3) مِنّا ورَمانا بدائه ، وانْشَمَر هارباً ، وظَنّ أنّي مُوقِع به كالذي اعْتَقَد هو ، مِن قَبيح ضَميره ، فما طاش إليه مِمَّنْ كان معي فارس إلى أن زال عَنّي ، فلم أرَه ، وعُدْتُ على أدْراجي ، فطاش عِند ذلك من طاش مِن اهل عَسْكري يَتْبَعون ساقته بغَيْر عِلْمي ولا رأيي (4) ، فلا تَحْسِبَنَّ ، أمير المؤمنين ، ذلك قِبَلي ذَنْباً ، ولا يَعْتَدّ به عليّ نَقْصاً ، فإنّي عَبْده ووَليّه ، وبَيْنَ يَدَيْه في كلّ ما اهاب به إليه ، إن شاء الله تعالى .

209

(5) م. « في » .

(6) م. « وبعد » .

(1) م. « انسحل » .

(2) م. « اتنايه على » .

(3) م. « مانسل » .

(4) م. « راي » .

وأمّا هذه الفِئـة (5) الباغيـة مِن المَشـــارِقة ، دُعاة الكُفْر (6) والضَلالة ، فقد اتَّصل بأمير المؤمنين قَطْعي دَعْوة صـاحبهم ، وإبطال سِكّته ، ومُجاهَدتي شِيعته ، وعِدائي (7) لأهل بَيْته ، واسْتِبْلاغي في نِكاية أسْبابه ، كفِعْلي بابن أبي العَيْش الآن ، ومَن مضى قَبْلُ على يَدِي مِن أهل بَيْته ، مِثْل حَمزة بن عليّ وأوْلاده ، وقَتْلي إيّاهم ، ومِثْل ما فَعَلْتُه بالحَسَن ابن مُحمّد المعروف بالحَجّام ، ويَحْيى بن إدْريس مِن بَعْده ، فما للْيَهوديّ ، لَعَنه الله ، بهذا المَغْرِب شَجاً غَيْري ، ولا عَدُوّ سِواي ، وما حَبَسه عَنّي إلّا ضُعْف طاقته ، وتَبدُّد (8) جَمْعه ، فلِلّه الحَمْد على ذلك » .

[جواب الناصر لدين الله]

وكان الفَصْل في جَواب الناصر لدين الله إلى موسى بن أبي العافية عن كِتابه (9) هذا ، في طَلَبه لمُلْك المَشْرِق وإشفاقه لِما انْتُهِك مِن حُرْمة الدِين (10) هُناك ، بعظيم ما فَعَله القَرْمَطيّ ، على ما تَقدَّم به القَوْل ، مِن تَرْداده لذلك في كُتُبه ، على سبيل إحكام السِياسة (11) :

« وذلك مِمّا شَدّ أمير المؤمنين عَزْماً ، وشَغَل قَلْبه غَيْظاً وغَمًّا ، حديث الحادث الجَلَلُ (12) والخَطْب المُعْضِل ، / النازل في بَيْت الله الحَرام ، وما صار إليه مِن الإغفال له والإضاعة لزُوّاره ، حتّى غَشِيَهم أهل الكُفْر في مَحَلّ الأَمْن ، فقَتَلوهم أبْرَح قَتْل بفِنائه ، وهُتِك البَيْت الحَرام واسْتُلِب ما فيه ، 210

(5) م. « الفيئة » .
(6) م. « الكفرة » .
(7) قراءة مشتبهة ، م. « غداني » .
(8) م. « تبذر » .
(9) يضيف الناسخ هنا « في » .
(10) م. « حرمه الذين » .
(11) م. بالتأكيد « الرياسة » .
(12) م. « الخلل » .

وحَدَث فيه ما لم يُعْرَف في الأوّلين ، ولم يَزَل في الآخِرين ، وهو الأمْر الفادح الكارث ، الذي لا يَحِلّ لأمير المؤمنين تَرك الغَضَب منه ، والسَعْي في الانْتِصار له ، والقِيام في الذَبّ عنه ، والتَقرُّب الى الله بحِماية البَيْت العتيق وتَعْظيمه ، وتَهْوين من اسْتَهان [به] ، والله على الانْتِصار منهم مُعِين ، إن شاء الله .

وقد صِرْتَ عِند أمير المؤمنين ، بخالص المَوَدّة وصادق الطاعة ، معدودًا في عَدَده الذين يَعْتمِد عليهم ، وأَنْصاره الذين يَتورَّك في المُهِمّات على نَهْضتهم ، فأنتَ بأخصّ المَنازِل عِنده ، في الاسْتِعْداد بك ، والرَجاء لحميد مَقامك ، وحُسْن نَظَرك وتَدْبيرك فيما يُحرِّكك أمير المؤمنين له ، ويُنْهِضك نَحْوه ، ويَجْعَلك قائده في جميع الغَرْب ، قائماً باسْمه ، ناهِضاً بدَعوته ، مُعِيناً على إحْياء الدِين ، وإماتة الفاسقين ، وتَغْيير آثار الضالّين ، وتَقْويم زَيْغ المُفسِدين ، لا يَرْغَب أمير المؤمنين مِن قِبَلك ، ولا مِن قِبَل غَيْرك مِن أَوْلِياء الطاعة وأَنْصار الدَوْلة ، مالاً يُجْتَبى ، ولا مرغوباً يُقْتَنى ، ولا مدائن تُصْطَفى ، بل رَغْبة أمير المؤمنين فيما صَرَف هِمّته إليه ، ومَدّ طَرْفه نَحْوه ، وشَغَل قَلْبه به ، مِن طَلَب حَقّه ، وارْتِجاع مِيراثه ، والسَعْي لمُلْك آبائه الخُلَفاء ، رَحِمَهم [الله] ... إفْرِيقيّة ، فما قُدّامها والحَرَم ، وما اتّصل به ، ومِصْر والشام ، وما خَلْفَها ، فيَرُدّ الله به الدَوْلة ، ويَكْشِف الجَوْلة ، ويُحْيِي الآثار السالفة الفَضْل لسَلَفه ، ويُعِيد الدِين على يَدَيْه جديدًا غَضًّا ، والحَقّ صميماً (1) حَقًّا ، ويَجْعَل كلّ ذي بِدْعة طريدًا مُقْصًى ، تَنْهَض بأمير المؤمنين إلى ذلك نَفْس تَوّاقة إلى ما هو لها حَقّ واجب ، وفَرْض لازب ، مع ما يَسُوقها إلى ذلك من الآثار المشهورة والرِوايات المذكورة ، التي قد ظَهَر كثير منها ، وعلى الله تَتْميم باقيها ، إن شاء الله ، فقد أَخَذ أمير المؤمنين / لذلك بأَشَدّ العَزْم ، 211

---

(1) م. « صميما » .

وأثبَت النظَر ، برًّا وبحْرًا ، عاملاً على مُجاهَدة المُلْحِدين ، ومُنازَلة الفاسقين ، حتّى يَنتقِم الله مِن الظالمين ، ويأخُذ بثأره مِن القَوْم المُجْرِمين ، إن شاء الله .

فانْهَض ، أيدك الله ، بعزائم أمْرك ، ونوافِذ رأيك ، وشِدّة بأسك ، وصِيال رِجالك ، وتقدَّمْ مُتوسِّعاً فيما بيْنَ يدَيْك ، ولا يُقْنِعْك ما أنتَ [فيه] ، فليْس يَقْنَع به أمير المؤمنين لك ، بل يَسْتَقِلّ لك الكثير ، ويستَصْغِر في جانبك الخطير ، فكلّ ما توسَّعْتَ فيه ، وفَتح الله عليك به ، كان لك ولوُلْدك ولعَقِبك ، إقطاعاً من أمير المؤمنين لك ، وتوسُّعاً عليك ، ومُكافأة لمَحبّتك ، لا تَتبدَّل لك ، ولا لأحَد مِن وُلْدك وعَقِبك عند أمير المؤمنين حال ، إلّا بأحْسَن منها وأشْرف وأفْضَل وأعْلى وأنْبَل ، تِلْك بصيرة أمير المؤمنين في أوْليائه الداخلين في طاعته ، القائمين بإمامته ، المُجاهِدين لعَدُوّه ، المُوطِّدين لسُلْطانه .

واسْتألِف الناس على طاعة (١) أمير المؤمنين ، وجامِعْهم عليها ، وادْعُهم إليها ، ورغِّبْهم فيها ، فإنّ طاعته مقرونة برِضى الله تعالى ، إذ هو القائم بالحَقّ الناصر لدين الله ، المُحْتَمِل على هُدى الخُلَفاء الراشدين ، النافي لكلّ بِدْعة ، الماحي للضَلالة ، المُجْلِي لكلّ شُبْهة ، فاتِّباعه هُدًى ، وطاعته رِضًى ، لا يَصْدُف عنه ، ولا يَحِيد منه إلّا من فارَق الحَقّ ، وخالَف طريقه ، واثَر الباطل ودَخَل طريقه » .

خبر الأُسْطُول

وفيها أغْزى الناصر لدين الله الأُسْطُول إلى أرض العِدْوة في أتَمّ عِدّة وعُدّة وأكمل عَتاد وآلة ، وكان أفْخَم أُسطُول أجْراه مَلِك ، وقَرّ عليه نَظره ، ووَكَّل به عَزْمه ، وتكامَلتْ قِطَعه وتواتَرت عُدده ، وتكاثَفتْ رُكّابه ، وعلا

(١) م . « طلعة » .

ذِكْره عِند اهل العِدْوة ، ورَغبوا له ، وانْتهى عَدَد قِطَعه إلى مِائة وعشرين قِطْعة ، مع الحَمّالة والقَتّاشة (2) ، وقَوارِب الخِدْمة ، وعِدّة مَن رَكِبه إلى سبعة الاف رَجُل ، خمسة آلاف من البَحْريّين ، وألْف مِن الحَشَم (3) ، وغزا فيــه مِن وُجوه اهل بَجّــانة والمَرِيّة تَطـوُّعاً في مَراكِبهم تسـعة رجال ، مُحمّد بن رُماجس ، وإبراهيم بن يَزيد الـردّاد ، وقاسِم بن عبد الرحمٰن ، / ومُحمّد بن سَهل اخو هارُون وغَيْرهم ، وكان القُوّاد عليهم من قِبَل السُلْطان احمد بن مُحمّد بن إلْياس ، وسعيد بن يُونُس بن سَعْدِيل (1) معاً ، فجاز هذا الأسْطُول البَحْر بمَرْسى الجزيرة يومَ السبت (2) لليلتَيْن (3) خَلَتا مِن جُمادى الأُولى منها ، في اسْتِقْبال الأهْوال ، واحْتَلّ على ابن ابي العَيْش الحَسَنيّ في جزيرته أرْشقُول ، إذ كان على مُخالَفة لمَن دَخل في طاعة الناصر لدين الله مِن ارض العِـدْوة ، ومُحـارَبة لموسى بن أبي العافية ، وَليّه ومُقِيم دَعْوته ، فشَدّ الأُسْطُول حَصْره وأخَذ بمُخنَّقه ، وأتى القِتال والتَبْديد على كثير مِن رِجاله ، فأقاموا مُحـاصِرين له في ضِيق من الوَقت وإقبال مِن الشِتاء (4) ، لم يُمكِنْهم معهما التَمادي على مُحاصَرة الجزيرة ، وحال الشِـتاء دُونَهم ، فانْصَرف الأُسْـطُول عنهم ، قافلاً إلى المَريّة في شَهْر رَمَضان مِن هذه السنة ، وفُرِج بذلك عن ابن ابي العَيْش ومَن كان معه في الجزيرة ، بَعْدَ أن شـارَفوا الهَلَكة ، بنَفاذ الماء عنهم لشَرْبهم بهـا ، من جِباب مُتَّخَذة فيهــا اسـتَعَدُّوها أيّام المُحـاصَرة ، فاستَنْقَذهم الله بقُفول الأُسْطُول عنهم ، بَعْدَ ما اهْتَزّتْ له ارض الساحل .

212

---

(2) قراءة مشـتبهة ، م. « القبا ـ » نتبع قراءة « المسـالك » ص 81 ، فيقترح الأستاذ غ. فيرنيت « القراقير » كما جاء في « المقتبس » ج 2 ص 298 .

(3) سقطت هنا بعض الكلمات ، قد تكون « والف من الجند » .

(1) كذا في الأصل ، وكذلك في ص 218 حيث يذكر هذا الشخص في عام 321 على رأس أسطول المرية وفي « البيان » ج 2 ص 205 يورد اسـمه على هذا النحو « يونس بن سعيد » .

(2) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم .

(3) م. « للثلاثين » .

(4) م. « السناء » .

وقد ذكر عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس هذا الأسطُول البعيد صِيته في شِعْر حَسَن مَدَح به الناصر لدين الله ، ووَصَف نَظْمه مَغازي البَرّ والبَحْر في هذه السنة ، تَركْنا إثباته هُنا لِئَلّا يَطُول الكِتاب .

[الوُزَراء والعُمّال]

قال: وفي هذه السنة أُعِيد يَحْيى بن إسْحاق إلى الوِزارة (5) آخِرَ صَفَر منها ، وأُعِيد عبد المَلِك بن جَهْوَر إلى الوِزارة أَيْضاً في ربيع الأوَّل ، ووَلِيَ أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف الوِزارة أيْضاً في ربيع الآخِر بَعْدَه ، فانْسَلَخ العام والوُزَراء تسعة : الحاجب موسى بن مُحمّد ابن حُدَيْر ، أحمد بن مُحمّد بن حُدَيْر أخوه ، سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، عبد الحميد بن بَسِيل ، عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة ، أحمد بن عبد [الوَهّاب بن عبد] الرؤوف ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، عبد المَلِك بن [عُمَر بن] شُهَيْد ، يَحْيى بن إسْحاق .

وفيها عُزِل يَحْيى بن يُونُس القَبْريّ عن وِلاية المدينة ، إذ كانت فيه حِدّة زائدة ومُحارَجة لذَوِي الجِرْم ، ووَلِيها الوزير عبد الحميد بن بَسِيل (6).

---

(5) يضيف الناسخ هنا « أيضا » .

(6) وفي « البيان » ج 2 ص 205 : « وفيها ، عزل أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف عن المدينة ، وقدم الى الوزارة ، وولي المدينة يحيى بن يونس القبرسي وذلك في غرة جمادى الأولى ، ثم عزل يحيى بن يونس عنها ، وكانت فيه حدة ومحارجة لأهل الجرم ، ووليها عبد الحميد بن بسيل الوزير في شوال .
وفيها ولي خطة العرض عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف ، وولي الضياع محمد بن عبد الله بن مضر ، وعبد الله بن معاوية بن بزيل مشتركين .
وفيها ، ولى الناصر ، من تحت يدي ولي العهد المستنصر بالله ، أحمد بن هاشم بن أحمد بن هاشم مولاه عمالة عبلة وقنيانة من البيرة .
وفيها ، مات أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان (رضه) ، وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، وله رحلة وسماع ، وكانت فيه صلابة وانفاذ للحق على وجوهه ، وعزل عن القضاء قبل وفاته اذ أخذه الكبر وضعف عن القعود للأحكام ، وكانت وفاته يوم الأربعاء لست خلون من شعبان ، وهو ابن سبع وثمانين سنة » .

213 /وفيها سُجِّل لسعيد بن أبي القاسم الخال على كُورة أَسْتِجة ،
ولنَجْدة بن حُسَيْن على كُورة تاكُرُنّا ،
ولأحمد بن عُمَر (1) على مدينة سَبْتة من أرض العِدْوة .
ولعِيسى بن عبد المَلِك على كُورة شَذُونة ،
ولسَوادة بن عبد المَلِك على ثَغْر طَلَبيرة ،
ولمُحمّد بن مُبشِّر على حِصْن أَنْتشية (2) ،
ولمُحمّد بن هاشم التُجِيبيّ على ثَغْر سَرَقُسْطة ،
ولأخيه يَحْيى بن هاشم على لارِدة وحُصونها ،
ولبَراء بن مُقاتِل على مدينة تُرْجِيله ،
وأقام مُحمَّد بن طُمْلُس على كُورة أُكْشُونُبة .

---

(1) قراءة يؤكدها ما يجيء في صفحة 265 من كتابنا هذا حيث يظهر في عام 324 وقد عزل عن منصبه . وفي « البيان » ج 1 ص 204 يقول بأن العامل المعزول عن هذه المدينة هو أحمد بن عبد الصمد الاغراناطي .

(2) م. « انتيشة » .

سنة عشرين وثلاث مِائة

فتح طُلَيطلة

فيها غَزا أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى مدينة [طُلَيْطُلة غزاته] الثانية ، التي فُتِحَتْ فيها عليه ، فبَرَز لهذه الغزاة في صَدْر جُمادى الآخِرة منها ، وهو (3) شَهْر حَزيران الشَمْسيّ الكائن فيها ، وفصَل إليها مِن حَضْرته قُرْطبة يومَ السَبْت لأربع عشرة خَلَتْ من رَجَب منها ، وهو اليَوْم الحادي عشر[ون] من تَمُّوز الشَمْسيّ . وصار معه ابْنه الأكْبَر ، وَلِيّ عَهْده الحَكَم ، وتَخلَّف في القَصْر ابنه عبد العزيز ، شقيق الحَكَم ، لتَنفِيذ الكُتُب إليه ، ومعه مِن الوُزَراء أحمد بن مُحمّد بن حُدَيْر ، وعبد الحميد بن بَسِيل ، صاحب المدينة .

وكان أهل مدينة طُلَيْطُلة العُتاة ، لمّا لَزّهم الحِصار ، واشْتَدّ عليهم التَضيِيق ، ولازَمهم القُوّاد الذيَن نَظَم الناصر لدين الله عليهم بأجْنادهم المُغاوِرة ، مُمِدًّا لهم بارائه الصائبة وعزائمه المُصْمِية ، قد اسْتَجاشوا بجيرانهم المُشْركين ، أهل دار الحَرْب ، دَمَّرهم الله ، واسْتَنْجَدُوهم ،

(3) م. « في » .

ورَجَوْا نَصْرهم فلم يُغْنِ عنهم فتيلًا ولا كَشَفوا عنهم عَذابًا ، ولا جَلَبُوا لهم إلّا خِزْيًا وهَوانًا ، لما أنْفَذوا إليهم مَدَدًا كثيرًا مِن أنْجاد رِجالهم ، عَلِم القُوّاد المُحاصِرون لهم بشأنهم ، فخَرَجوا إليهم ، فهَزَموهم وفرَّقوا جَمْعهم ، فانْصَرَفوا مُوَلّين على أعْقابهم ، خاذلين لمَن انْتَصَر بهم ، رجاءَ اللياث من قِبَلهم ، وسُقِط لذلك في أيْدِي العُصاة ، أهل طُلَيْطُلة ، وعَلِموا أن لا مَناصَ لهم ، واسْتَيأسوا أن يَنْصُرهم أحَد مِن بأس الله ، الذي عاجَلهم ، وضَ[رَعوا] له في اغْتِفار ذُنوبهم وقَبُول فَيْئَتهم .

214 فخَرَج بنَفسه لاستِنْزالهم ، وتَوْطيد [طاع]ته لَدَيْهم ، وإحكام / نَظَره لهم ، فنَزَل عليهم في هذا الوَقْت بمَحَلّته المُمَدَّنة المعروفة بجَرَنْكش (1) يوْمَ الأَرْبِعاء لخمس بَقِينَ مِن رَجَب منها ، وقد كان بادَر بالخُروج إليهم أميرهم المُدبِّر لأمْرهم ، ثَعْلَبة بن مُحمّد بن عبد الوارث ، وتَلَقّاه قَبْلَ نُزوله بها ، مُعترِفًا بجَهْله ، مُستقيلاً من زَلَله ، فعَفا عنه ، وأمَّنه ، وعاد بفَضْله عليه ، فامْتَثَل أهل طُلَيْطُلة فِعْله ، وابْتَدَروا الخُروج إلى الناصر لدين الله ، مُستميلين لأمْره ، مُنْقادين لحُكْمه ، فبَذَل لهم الأمان ، وبَسَط فيهم الإحسان ، وعَمّ جميعهم بالأمان العامّ ، وسارَعوا إلى الدُخول بمَحَلّته المنصورة ، مُبْتَغين لما قد كانوا عَدِموه مِن الْطاف المَعِيشة ، التي طال ما أجْهَدهم عُدْمها ، ومَنَعهم الحِصار منها ، فتَهافَتوا عليها مُسْتَبْغِين ، واسْتَبْشَرُوا بنَيْلها مُغْتبِطين بما صاروا إليه مِن الأمْن بَعْدَ الخَوْف ، والسَعة بَعْدَ الضِيق ، والانْبِساط بَعْدَ الانْقِباض ، لم يَعْهَدوا أفْرَح مِن صُبْحهم ، ولا فازوا بأرْبَح من صَفْقتهم ، ثُمّ رَكِب الناصر لدين الله إلى مدينة طُلَيْطُلة في اليَوْم الثاني مِن نُزوله بمَحَلّته عليها ، وذلك يَوْم الخميس لأربع بَقِينَ من رَجَب منها .

فدَخَلها على حُكْمه ، وجال في أقْطارها ، وتَخلَّل أنْفاقها ، فرأى من فَرْط حَصانتها ، وعجيب خِلْقتها وشَرَف قُعْدُدها ، وانْتِظام الأجْبُل داخِلها

(1) في « البيان » ج 2 ص 207 « جَرَنْكَش » . انظر كتابنا هذا ص 188 .

وامْتِناعها مِن كلّ جِهات بوَثاقة أسْوارها ، واكْتِناف واديها لقَصَبتها ، ووُعورة مَسالِكها ، وشَرَف مَدَرتها ، وسَعة رُبوعها مِن الطَّعام ، وفضيلة تَواتُرها (2) على الأيّام ، وما حُبِيَتْ به مِن التَوحُّد بمَنابِت الزَّعْفران ، إلى ما عايَنه مِن كَثْرة البَشَر بها ، على تَخوُّفهم بآفة طُول الحِصار ، ما اشْتَدّ منه عَجَبه ، وأعْلَن الشُكْر لله تعالى ، على ما مَنَحه فيها ، وسَهَّل له منها ، وأَحْمَد ما كان مِن جِدّه وعَزْمه في أمْرها ، وعَلِم أنّه ، لَوْلا ما وفَّقه الله له مِن الدأب على ذلك ، ما مَلَكها مع مَنَعتها وما اعْتاده القُساة أهلها مِن مَلْك أنْفُسهم والاستِبْداد على الخُلَفاء ، ودَفْع طاعتهم ، ومُداخَلتهم لجِيرانهم المُشْرِكين كلّ وَقْت ، والاستِمْداد بهم ، فكَمْ أعْيَت المُلوك الأكابِر ، وامْتَنَعَتْ / مِن ثِقاف (*) العَساكِر ، وانْصَرَفَتْ عنها الصَوائف ذَوات الحُشود بغَيْر نُجْح ولا اسْتِفادة ، إلى أن أذِن الله بهَصْرها لخليفة رَبّ الدَوْلة ، فخَصّه دُون قُوّاده الذين سَلَّطهم عليها بجليل فَتْحها وعِظَم الصَّنْعة فيها . 215

فقَبَض عليها باليمين ونَهَض بالنَظَر في إصلاح ما أفْسَدَتْه الحَرْب مِن بُنْيانها وضَعْضَعَتْه مِن أرْكانها وشَعَّثَتْه مِن عِمْرانها ، فأثَّر في ذلك كلّه الآثار العظيمة ، وقَرْطَسه (1) بآرائه المُصِيبة واخْتِراعاته العجيبة ، فأمَر قَبْلَ ذلك كلّه بإعادة بِناء القَنْطرة على نَهْرها الماثلة على بابها ، الذي منها يُدْخَل اليها ، وقد كانت ساءت لفَقْدها (2) ، وتمكُّن الحَصْر الشديد مِن أهلها ، فجُمِعَت الأيْدِي لأوّل الوَقْت عليها ، ودبَّر فيها من ذاته القَصْر المرسوم لسُكْنى القُوّاد والعُمّال بها ، الذي مِن باب هذه القَنْطَرة بالمَكان (3) المُسمّى الحِزام ، بِناءً مُحْكَمًا مُتقنًا ، يَكُون مُستَقَرّ القُوّاد

---

(2) كلمة غير منقوطة .

(*) م. « ثقات » .

(1) كلمة اندلسية بمعنى لا تثبته القواميس .

(2) كذا في الأصل .

(3) م. « المكام » .

وعُمّاله فيهم ، وزماماً على أهلها بأيديهم ، فصل به الحزام من المدينة ، ووَصَله بباب القنطرة ، فنظم به باب قصرها بباب جسرها ، كيما يختص برأيه قوّاده وعمّاله النازلون بالقصر بملك هذه القنطرة والباب دون أهلها ، فصاروا لذلك من يومئذ في قبضة السلطان وتحت غلقه ، لا دخول لهم ولا خروج من مدينتهم ، إلّا تحت إذنه ، فذلّ لذلك شِماسهم جدًّا ، وأقصروا عن غوايتهم ، وتردّد الناصر لدين الله بطليطلة بعد فتحه لها ثمانية أيّام ، مشارفاً للشروع في بناء ما دبّر بناءه ، وهدم ما أحبّ هدمه حتّى فتحت إساس المُحدث وأعفت المجنيّ عليه القديم ، ورتّب على بنيان ذلك كلّه ، وتبليغه حدوده فيه مولاه وقائده دُرّيّ بن عبد الرحمن ، وملأ القصر الذي أحلّه إيّاه رجالاً وعدة وسلاحاً وميرة ، فاطمأنّت بأهل طليطلة الدار ، وأنسوا بالقرار ، وفتحوا أسواقهم ، وانبسطوا في أفنيتهم ، وحضروا مساجدهم ، وانتشروا في بواديهم وأسفارهم (4) ، وشكروا الله على ما له هداهم .

ورد الخبر ببنيان هذا الحزام في مكان آخر ، فقال : شرع الناصر لدين الله لوقته في شأن قصر طليطلة والحزام / فوق النهر لقرار القوّاد 216 والجند فيه ، ففصله عن ثقاف المدينة ، ووصل باب القصر بباب القنطرة ، فصار في ضبطه خاصّة دون أهل المدينة ، وشحنه برجاله استظهاراً عليهم ، فأذعنوا من ذلك الوقت بالطاعة ، وفارقوا ما كانوا عليه من النخوة ، وتداولتهم الولاة دهراً أعزّة ، ثمّ قفل الناصر لدين الله عنهم يوم السبت لستّ خلون (1) من شعبان منها ، فدخل قصره قرطبة يوم السبت لعشر بقين منها ، وقد استتمّ في غزاته هذه ستّة (2) وثلاثين يوماً .

قال : ولمّا استقرّ الناصر لدين الله في قصره بقرطبة ، اتّخذ صنيعاً فخماً شنيعاً أثر قفوله عن طليطلة ، احتفل فيه لإعذار عدة من أولاده

---

(4) كذا في الأصل .

(1) نتبع قراءة « البيان » ج 2 ص 208 ، م. « لعشر بقين » .

(2) في « البيان » ج 2 ص 208 « ستة » .

الأصاغِر ، فأعَدّ فيه صُنوف الأَطْعِمة الرفيعة والفَواكِه الغريبة والطُيوب المُثمَّنة ، وزانه بما أظهَر فيه مِن الآلات السُلْطانية والأدَوات البديعة وفاخِر الآنِية وبديع الزِينة ، دعا له أصْناف الحَشَم والأجْنـاد ووُجوه المَوالِي والقُوّاد ، الذين فازوا معه بمَشْهَد طُلَيْطُلة ، وباشَروا جليل الفَتْح فيها ، وقاسَوْا طُول المُقام على حَصْرها ، فخَصّهم بتَكْرِمة هذا الصنيع البديع ، دُونَ مَن تَخلَّف عن مَشْـهَده ، ووفَّر حُظوظهم مِن خَيْره ، فكان صنيعـاً مشهورًا بقُرْطُبة عَظُم شأنه وكَثُر حَفْله واغْتَلَتْ عليه النَفَقة .

[رِواية الرازيّ لفَتْح طُلَيْطُلة]

وقال أحمد بن مُحمّد الرازيّ : أَخْبَرني شَيْخ جميل المَذْهَب مِن أهل طُلَيْطُلة ، لَقِيتُه في جامِعها وسَألْته عن خَبَر فَتْحها ، فقال : « إنّ السلطان ، لمّا اقْتَدَر على حِصار مدينتنا (3) ، واستَبْلَغ في الإحاطة بنا ، والتَضْييق علينا ، والحُؤول بَيْنَنـا وبَيْن جميع مَرافِقنـا ، نال الجُوع والضَرّ أهل الضُعْف والإقلال مِنّا ، وأرْدى الجَهْد مَن لم يَكُن له ذُخْرة قُوت من عامَّتنا ، ونادى فينا الزُبَيْر بن السليم ، صاحب العَسْكَر المُحاصِر لنا نِداءً عامًّا ، أنّ مَن بَلَغه الحِصار وناله الجُوع مِن ضُعَفائنا وأيْتامنا وأرامِلنا وطَبَقات مَساكِيننا ، ويَمْنَعه مِن الخُروج الخَوْف منه ، فلْيَخْرُجْ مَتى شاء ، آمِنـاً مُطْمَئِنًّا في نَفْسه وعِياله وماله ووُلْده ، يُقيم حَيْثُ يَشاء ويَمْضِي إلى حَيْثُ يُريد ، لا يُعْرَض له بأذًى ، / ولا يُنال بمَكْروه ، فأصْغى طَبَقات الناس مِن أهل المَسْكَنة إلى ذلك منه ، وطَرَقوا في الخُروج إليه ، ولم تَزَل طَوائفهم يَتَتابَعون في ذلك ويُكْثِرون منه ، كُلَّما أدْرَكهم الجَهْد ونالهم الحِصـار ، إلى أن انْدَخَل فيهم مَن لم يَكُنْ منهم ، فطَرَق المُقاتِلة من فُرْسان ورَجّالة إلى الخُروج بمَعْنى كُرْه الضِيقة والنُزوع إلى الإحسان والسَعة ، وكلَّ ما خَرَج واحد فلَقِيَ خَيْرًا ، دعا إخْوانه ومَعارِفه إلى امْتِثاله ، ورَغَّبهم فيما صار إليه ، فلم يَزَل بعضهم يُجِيب بَعْضًا ، حتّى خَرَج ذَوُو الشَوْكة مِنّا ، وذَهَب مُقاتِلتنا ، فقَلّ مِنّا الغَناء ، واشْتَدّ علينا البَلاء ، وانْقَطَعت المَرافِق وضاقت المَعايِش ، ووَصَل الجهْد إلى القَوِيّ مِنّا والضَعيف .

217

(3) م. « مدنيتها » .

فلمّا رَأَيْنـا أنَّه المَوْت عِيـانًا ، دَعَوْنا إلى الصُلْح وطَلَبْنا الأَمان ، فأجابنـا السلطـان وكَتَب لنا ، على فَرْط اضْطِرارنا ، بكلّ مـا أَرَدْناه واشْتَرَطْناه مِن الحُرّيّة عن الوَظائف والإعْفـاء عن النَوائب ومِن شُكوس القَبالات ومَعَرّة الإنزال في الدُور ، وأَنْ لا يُؤْخَذ مِنّا غَير الزَكاة المفروضة على السُنّة المعلومة ، وأن لا يُعْزَل عَنّا صاحب صَلاتنا ، ولا يُقدَّم علينا إلّا خِيارنا ، ومَن تَتَّفِق عليه جَماعتنا ، فلم يَمْنَعنا السلطان ذلك كلّه ، ولا ضايَقنا في شَيْء منه ، فأَسْمَحت عند ذلك قَرابتنا ، وأَلْقَيْنا إليه بأَيْدِينا ، وفَتَحْنا له مدينتنا ، فدَخَلها على حُكْمه ، ووَفى لنا بعَهْده ، وتَعمَّدَنا جميعاً بعَفْوه ، وتَلقّى إساءتنا بصَفْحه ، ونَظَر لنا ولبَلَدنا بأَحْسَن نَظَر ، وأَكْمَله وأَحْوَطه بعاجل الوَقت ومآل عاقِبته ، بأَن فَصَل بَيْننا وبين القَصْر المَخْصوص به لعُمّاله بسُور مُنِيف بيْننـا وبَيْنهم ، فكان ذلك صَلاح الجميـع وسُـكون نُفوسهم واسْتِقامتهم على الطريقة ، بحَمْد رَبّهم » .

[الوُزَراء]

وفي شَوّال هذه السنة وَلِيَ فُطَيْس بن أَصْبَغ بن فُطَيْس الوِزارة ، ووَلِيَ وَلَده عيسى بن فُطَيْس بن أَصْبَغ الكِتابة (1) .

(1) قد سقط من هنا ذكر اسماء الوزراء وأصحاب الخطط ، فنعيدها معتمدين على معلومات سنة 313 ص 212 وسنة 321 ص 222 وعلى نسق « البيان » ج 2 ص 208 « فانسلخت هذه السنة والوزراء ثمانية رجال : سعيد بن المنذر القرشي ، احمد ابن محمد بن حدير ، عبد الحميد بن بسـيل ، أحمد بن عبد الوهـاب بن عبد الرؤوف ، عيسى بن احمد بن ابي عبدة ، عبد الملك بن جهور ، عبد الملك بن شهيد ، فطيس بن اصبغ بن فطيس .

وفيها ، عزل عن خزانة المال محمد بن عبد الله بن حدير ، وعبد الرحمن بن عبد الله الزجالي ، ونقل احمد بن عيسى بن ابي عبدة عن الخزانة الى قيادة بجانة . واقر من الخزان خالد بن امية بن شهيد ، ومحمد بن جهور بن عبد الملك ، وولي مكان المعزولين عنها سكن بن ابراهيم ، واحمد بن محمد بن مستنير .

وفيها ، ولي الخال سعيد بن القاسم خطة العرض .

وفيها ، ولي المدينة فطيس بن اصبغ لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال .

وفيها ، ولي العرض محمد بن قاسم بن طملس . وفيها ، ولي السكة يحيى بن القبرسي ، وذلك يوم السبت لأربع خلون من شـوال ، وعزل هذا النهار عنهـا احمد بن محمد بن موسى بن حدير .

وفيها ، مات الحاجب موسى بن محمد بن حدير ، للنصف من شهر صفر ليلة الأحد ، بعد صلاة المغرب ، وبلغ من السن خمسا وستين سنة . وفيها ، توفي عبيد الله بن عبد الله الزجالي ، وكان على المواريث والبنيان ، في رمضان » .

سنة إحدى وعشرين وثلاث مِائة

خَبر الأسْطول

في المُحرَّم فاتحة هذه السنة عَزَل الناصر لدين الله عبد المَلِك بن سعيد المعروف بابن أبي حَمامة عن مدينة بَجّانة ، ووَلّى / مكانَه أحمد ابن عيسى بن احمد بن ابي عَبْدة (I) ، مُضـافاً إلى ما كان يَتقلّده مِن كُورة إلبيرة ، وعَهِد اليه الناصر لدين الله بإصلاح الأُسْطُول المُستقِرّ لَدَيْه ، بدار الصِناعة بالمَرِيّة ، وتَهْذيبه والزِيادة فيه ، وإعداد آلاته وجميع ما يَحْتاج اليه ، فنَظَر احمد بن عيسى عِند احْتِلاله المَرِيّة في ذلك كلّه أكْمَل نَظر وأتَمّه ، فعِند إكماله لذلك كلّه أخْرَج الناصر لدين الله إليه الحَشَم مِن قُرْطُبة ، مع القائد سعيد بن يُونُس وعَمْرو بن مَسْلَمة الباجيّ ، ليَغْزُوا به إلى حَيْثُ أمَر ، فأمّا ابن يونُس فركِب منه (2) في عشرة مَراكِب غَزْبيّة وخمسة شَواني تامّة الشَحْنة والعُدّة ، يُريد بَلَد إفْرَنْجة ، فأصابه مِن قَيْض اغْشْت مُخْرَجَه من جزيرة مَيُورْقة هَوْل أرْتَج به البَحْر ، فعَطِب من مَراكِبه شِيني واحد وقارِب ، وانْحَرَم (3) سائر المَراكِب إلى

218

(I) « البيان » ج 2 ص 208 يورد هذا الخبر في اخبار عام 320 .

(2) كذا في الأصل ، قد تكون « مَتْنه » .

(3) كذا في الأصل .

طَرْطوشة ، فلم يَتِمّ لها غزو ، وانْصَرفَت إلى القابطـة ، فنَفَذ العَهْد إلى القائد سعيد بن يُونُس قائدها باللحاق لسَبْتة ، فمَضى نَحْوَها وقد كـان تَقدَّم إليهـا قَبلَه عبد المَلِك بن سعيد بن أبي حَمـامة بقِطْعـة أُخْرى مِن الأُسْطُول ، فاجْتَمَعا بها وأقاما بَقِيّة المَصِيف فيها ، ثمّ قَفَلا إلى المَرِيّة . وأمّا عَمْرو بن مَسْلَمة الباجيّ ، فإنّه رَكِب البَحْر بعد سعيد بن يُونُس في عشرة مَراكِب غَرْبيّة وثلاثة شواني ، فصار إلى الجَزائر الشَرْقيّة مَيُورْقة وما يَلِيها ، فتَحوَّل هنالك مُحْترِسـاً إلى أن ضـاق الوَقْت ، ثُمّ انْصَرَفت قافِلةً إلى المَرِيّة أيضاً .

الصـائفة

وغَزا فيها بالصـائفة الوزير القائد عبد الحميد بن بَسِـيل ، فكان فُصوله في صَدْر ربيعِ الأوّل منها ، وجاء إلى مدينة طُلَيْطلة ، فدَخَل من هُنالِك إلى جِلِّيقيّة ، دمّرها الله ، وجال في الثَغْر ، فاستَنْزَل كثيراً مِمَّن كان بَقِي فيه مِن أهل الخِلاف مِن حُصونهم ، وصار به أهل ذلك الثَغْر إلى أَمْن وطُمأنِينة ، وتَطرَّف بالعَسْكَر أَطْراف المُشْرِكين ، وجاس خِلال دِيارهم ، فانْبَسَط بذلك (4) أهل الثَغْرَيْن الأدْنى والأقْصى إلى ضَمّ زَرْعهم وإحراز غَلّاتهم وجَمْع ضُروب أَقْواتهم ، وبَثّ عبد الحميد خِلال ذلك السَرايا في أرض الكَفَرة ، فغَنِمَتْ وسَلَبَتْ (5) ، وأحْرَقَتْ ودَمَّرَتْ ، واحْتَلّ عبد الحميد بَعْدَ ذلك / بكُورة شَنْت برية ، فاسـتَنْزَل يَحْيى بن موسى بن ذي النُون وأَوْلاده مِن مَعاقِلهم بها ، وقَدَّمهم إلى باب سُدّة أمير المؤمنين .

219

[خَبَر خِلاف قَوامِس رُذْمير]

وسَبَق كِتابه إلى الناصر لدين الله بما جرى على يَدَيْه مِن ذلك كلّه ، فكـان فيه فَصْل يَذكُر البُشْرى بشَـتات العَـدُوّ ، خَذَله الله ، واضْطِراب

(4) يضيف الناسخ هنا « الثغر » .

(5) م. « سلمت » .

أمْرهم ، وأنّ القَوامِس مِن بني غُومِس وبني أنْشُور (1) خالَفوا الطاغيـة رُذْمِير بن أرْدُون ، مَلِكهم ، وقاموا عليــه بأخيه أذْفُونْش ، فأغاروا على بســيط لِيُون قاعِدته ، وبَذلوا السَيْف في كُلّ مَن ظَفِروا به مِن رَعِيّتــه ، واسْتَلَبُوا كلّ ما توَصّلوا إليه مِن خَزائنه ، وأنّ العِلْج رُذْمِير أخْرَج إليهم صاحبه فلَيْن القُومِس ، صاحب حَرْبه ، في عَسْــكَر عظيم (2) ، لَقِيَ بهم هؤلاء القَوامِس ، فهَزَموه أقْبح هزيمة ، وقَتَلُوا مِن اصحــابه ثلاث مِائة رَجُل ، في جُمْلتهم أخُوه الأوْسَط وصِهْره ، وجُمْلة مِن رِجال رُذْمِير كانوا معه ، فاشْـتَدَّتْ بَيْنَهم الوَحْشة وعَظُم النَأْي (3) واســتَمَرَّتْ بهم الحَرْب والغارة ، وانْقَبَض مِن أجْل ذلك مَن في بسائطهم إلى المُدُن والحُصون ، وامْتَنَع كثير منهم مِن ضَمّ غَلّاتهم .

[استِنْزال بَني النُوَيْريّ وبني طُورِينة]

وفيها استَنْزَل السُلْطان بني النُوَيْريّ (4) ، مُنْعِم بن يَعْقُوب ، ويوسُف ابن خَلْدُون ، وبني عَمّهما ، مِن مَعاقِلهم مُزْبِيط وغَيْرهــا من حُصونهم ، فأسْكِنوا قُرْطُبةَ وصارت جِهاتهم أجْمَعها بيَد السلطان .

وفيهــا ظَفِر السلطــان ببَني طُورِينــة ، المُجْرِميــن الذين قَتَلــوا الفُرانِقِيــن (؟) بطريق الثَغْر ، فأفْظَع عِقــابهم بالتَحْريق بالنار والــذَبْح بأشْفار ، وقد تَقدّم خَبَرهم في بابه عن هذه الغَزْوة (5) .

العِـذْوة

في هذه السنة وافى كِتاب إبراهيم بن العَلاء وعلون بن سُواقة (6) وجَمــاعة اهل مدينة أصِيلا ، مِن مدائن العِدْوة ، إلى الناصر لدين الله ،

---

(1) م. « الشور » .

(2) يسقط الناسخ هذه الكلمة ولكنه يصححها على الهامش وقد اكلها الأرَض .

(3) قد تكون « بأس » .

(4) كلمة غير منقوطة ، انظر كتابنا هذا ص 256 .

(5) لا يورد الناسخ هذا الباب .

(6) قد تكون كذلك « سُداقة » ، او « سُراقة » .

يُؤكِّدون أمْر وِلايتهم ، ويَصِفون رُسوخ طاعتهم ، ويَذكُرون شَرَف مدينتهم أَصِيلا ، وإشرافها على شاطئ البَحْر ، وكَوْنها باباً مُشْرَعاً إلى جزيرة الأندلس ، سَهْلة المَرْسى ، مُثقَّفة البِناء ، شنيعة الحِمى ، وأنّ بني مُحمّد الأدارِسة الحَسَنيِّين المُتامِّرين بالعِدْوة قَصَدوها بجَمْعهم ، عِند وُقوفهم على صَغْوهم إلى الناصر لدين الله ، / طامِعيــن فيهم ، وأنَّهم قاتَلوهم قِتالاً شديداً ، حتّى مَنَحهم الله أكْتافهم ، فهَزَموهم وقَتَلوا منهم ، فانْصَرَفُوا آيِسين عنهم ، ويَمُتُّون إلى السلطــان بخــالِص طاعتهم ، وأنَّهم أوّل مَن سارَع إلى وِلاية موسى بن أبي العافية القَيِّم بدَعْوته ، ويَسْألونه إنفــاذ قُوّة ورُماة إلى مــا قِبَلهم ، وإدخال الحَشَم عِنْــدهم ، كَيْمــا يَعْلَم بذلك أَعْداؤهم . فأُسْعِفوا برَغْبتهم وأُجيبوا عن كِتابهم ، ونَفَذ العَهْد إلى مُحمّد ابن أَصْبَغ ، عامل سَبْتة ، بصِلة (1) يده بهم وإرســال القُوّة إليهم . 220

ووافى كِتاب موسى بن أبي العافية إلى الناصر لدين الله في هذه السَنة ، يَذْكُر ما كان مِن إقبال حميد بن يَصَل (2) ، قائد الشِيعيّ ، إلى ناحية تِلِمْسان ، طامعاً في فُرْصَــة يَنْتَهِزها ، فلمّا سَمِع بمَكــان موسى بجَراوة وأَرْشَــقُول ، وعَلِم بأنّ موسى مُستعِدّ مُعســكِر ، لم يَجِد مَقْدَماً ، ورَجَع إلى تاهَرْت ناكصاً .

ووافى في أثَر هذا الكِتاب كِتاب آخَر لموسى بن أبي العافيــة ، يَذْكُر أنّ حميد بن يَصَل (2) ، قائد الشِيعيّ ، أَقْبَل في جَمْع أَمَدّه به الشِيعيّ ، لمّا اشْتَدّ قَلَقه مِن نُكوصه عنه ، واستَعْظَم انْتِشــار دَعْوة الناصر لدين الله بأرض العِدْوة ، فثَوى حميد عِند ذلك ، وأَمَــره بالخُروج نَــحْوَه ، يُعْلِمه بما يَرُومه مِن ذلك ، ويَذْكُر أنّه وإن كان في كَنْف مِن رِجاله وقُوّة مِن شأنه ، فلا غِنىً به عن إمداد الناصر لدين الله وتَقْوية سَبْتة ، وإنفاذ

---

(1) م. « يصله » .

(2) م. « يصلى » بكل وضوح وكذلك في ص 223 ، صححناها معتمدين على « البيان » جـ 1 ص 204 وعلى « العبر » .

الرُماة والقُوّة إليه ، فأجابه الناصر لدين الله إلى ما سألَه مِن ذلك ، وأخْرَج قاسِم بن طُمْلُس في جَيْش كثيف وعُدّة تامّة إلى سَبْتة ، للنُهوض نَحْوه ، وأنْفذ الكُتُب إلى قَبائل البَرْبَر بالعِدْوة والمُنْحاشِين إلى الدَعْوة في الاحْتِشاد إلى موسى والمُحاماة معه عن الدَوْلة ، فكانت مُوشّجة مُؤكّدة .

[كِتاب الناصر لدين الله]

وكان الفَصْل منها في تَقْريظ البَرابر :

« ولَكُمْ في الدِيانة بَصائر قَوِيّة ، ومَذاهِب عَلِيّة ، لا يَبْلُغكم فيها بالغ وإن اجْتَهَد ، ولا يَلْحقكم فيها لاحق ، وإن أعَدّ وأكّدَ ، ولم تَكُونوا إلى أهل البِدَع سِراعاً ، ولا لأهل البُخْل أتْباعاً ، إلّا أن تُغَرّ قبيلة مِنكم بغُرور ، فإذا تَبيَّنَت العِوَج فيه ، تَبرّأت منه ، وتابَتْ (3) إلى الله تعالى عنه ، وأخَذَتْ بما لم يَزَل يُعْرَف ، وتَركَتْ ما يُنكَر ، هذه صِفاتكم ، مَعْشَرَ البَرابِر ، الخالصة طاعتكم ، المحمودة / بَصائركم ، المشكورة في الإسلام أيّامكم ، المشهورة في الحَرْب عَلاجكم ، لَمْ تزالوا مُجاهِدين في [سبيل] الله حَقّ جِهاده ، مُؤْثِرين لرِضاه ، ساعِين لما يُقَرِّب (1) منه ، ونَحْنُ وأسْلافنا الخُلَفاء ، رَضِيَ الله عنهم ، الذين قدّموكم آخِرًا ، وأنْعَموا عليكم أوّلاً ، فعَرَفْتُم الإسلام ولَبِستم الإنعام ، وقد سِرْتم مِن الارْتِسام بطاعتنا والانْضِواء إلى وَلائنا (2) على طريق مِن الحَقّ مَهْيَع ، لا يَرْجِع عنه إلّا مَن غَرّه شَيْطانه ، وزَلِق إيمانه ، وارْدَ[كَ]س سَعْيه ، وأراد الله غَيّه ، ولا يَتمسّك به إلّا مَن آتاه الله رُشْده ، وقوّى إيمانه وأراد إسعاده ، وأحَبّ إرشاده .

221

وقائدكم وأمير جَماعتكم ، موسى بن أبي العافية ، وَليّ أمير المُؤْمِنين

---

(3) م. « ثابت » .

(1) م. « تقرب » .

(2) م. « ولايتنا » .

ومَوْلاه ، الناصر لدَوْلته ، القائم بدَعْوته ، الذابّ عن حَوْزته ، وإنّ أحَقّ ما أخَذْتُم به أنْفُسَكم ، وأصْلَحْتُم به نِيّاتكم ، وانْعَقَدتْ عليه بَصائركم ، واتَّفقت به مَذاهبكم بالصَبْر معه ، والحَياة بحَياته ، وحُبّ الوَفاة بوَفاته ، أنْ (3) تَكُون أيْدِيكم مع يَده ، وكَلِمتكم مع كَلِمته ، وجميع أُموركم مُنْقادة لِأمْره ، تُسِرُّون في ذلك كالذي تُظْهِرون ، وتُبْدُون مِثْل ما تُخْفُون ، وأن تَجْعَلوا جِدَّكم وبأْسكم في جِهاد عَدُوّكم هذا ، الذي قد قاتَلكم (4) وناصَبكم ، وأراد تَبْديل كَلِمتكم وتَفْريق جَماعتكم ، وإدخال الشُبُهات على إسلامكم ، والضَلالات على هُداكم ، فهو أوْلى عَدُوّ جاهَدْتُموه ، وأحْرى غَوِيّ نابَذْتُموه ، وإنّه لَلّذي عَلِمْتُم اثاره وأخْباره ، واثار شِيعته الغَوِيّة وأهل دَعْوته الضالّة ، ومَنْ يَدْعُو إلى طاعته ويَحُضّ على الرُجوع إليه ، مِمَّن غَيَّر الدِين وأهْلَك المُسلمين ، وشَمَل بضَرّه ومَكْروهه رَعيّته أجْمَعين ، لا يَرْجِع عن سُوء ما يأمُر به ، ولا يَعْتَقِد دِيناً يَكُون عليه ، فمَرّةً يَتألَّه عِند الجَماعة مِمَّن رَكَن إليه ، وتارةً يَتَنبّأ ، وتارةً يَتَسمَّى بما لم يَرَهُ الله له أهْلًا ، ولا جَعَله في نِصابه ، ولا أعْطاه ما يَنْتَمي إليه ، لَوْ كان صَحّ له انْتِماؤه ، وثَبَت له فيه ادِّعاؤه ، كَيْفَ وهو الساقط الدَعِيّ ، والخسيس العَتِيّ (5) ، والزَنيم اليَهُوديّ ، فاْعْرِفوا ، وفَّقكم الله ، غُنْم ما أنْتُم مُسْتَمْسِكون به ، وخَيْر ما صِرْتم مَدْعُوّين (6) إليه ، واْعْلَموا أنّه ، لَوْلم يَقْضِ الله بنَصْركم حَتْماً ، ويُنْزِله وَحْياً ، لكُنْتُم جُدَراء ، لِتَقحُّم غَمْرته / جِهارًا ، وُوُروده ابْتِدارًا ، على مِلّة الإسلام ومِنْهاج القِوام وحَبْل الجَماعة وعُرْوة السُنّة ، إلّا أن تَرْتَدُّوا على أعْقابكم ، وتَرْجِعوا عن دِينكم ، على أن تَنالوا فَوْز الحَياة الدُنيا ، القليل دَوامه ، السريع (1) انْصِرامه ، المُصرّد

222

(3) م. « وان » .
(4) م. « قابلكم » .
(5) م. « الغبي » .
(6) م. « مدعونين » .
(1) م. « ضريع » .

شُزبه ، المُنقشِع ظِلّه ، ثُمّ مِن بَعْدِ ذلك العَذاب الأليم ، والنَكـال الشديد الدائم ، الذي لا فَترةَ فيـه ، المَوصول الذي لا انصِرام له ، وأنْتُم على الحَقّ ، والله معه ، وغَيْر خاتل اهله ، والحَقّ مَتبوع ، والباطل مَقْطوع ، والله تعالى سيَقْضِي بنَصْركم ، ويُهيِّئ لكم أفْضَل مِرفَقكم ، ويأذِن بفَلْحكم ، ويَجْعَل العاقبة لكم ، ويُريكم في أعدائكم أفْضَل الذي تُؤمِّلونه ، فطامِنوا أنْفُسكم على لِقائه ، ووَطِّنوها على صَدْقه ، وٱصْبِرُوا ﴿وَلَا تَنَازَعُوا (2) ، فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ] ﴾ (3) ، وإيّاكم ان تَتفرَّق كَلِمتكم ، وأن تَستَحِيل بَصائركم ، او يُرَغِّبكم ما أطَلّكم من زُهاء عَدُوّكم ، ولا تَهابوا أمْره ، وتُعظِّموا في أنفُسكم شأنه ، فإنّه حقير صغير قليل يسير ، وأنتُم المَلأ الأعْظَم والحِزْب الأكْرَم والفريق الأصْبَر .

وقد رأى أمير المؤمنين مُكـاتَبتكم بما خاطَبكم به ، حاضًّا لعامّتكم على ما فيه هُداكم ورُشْدكم ، مُعرِّفاً بما لا يَجْهَله ذو العِلْم واللُبّ منكم ، ومُقوِّياً بَصائركم ، ومُجدِّداً لإيمانكم ، ومُثبِّتاً لأقْدامكم ، ومُؤلِّفاً لجَماعتكم ، وجامعاً لكم على طاعتكم ، ومُتقدِّماً إليكم بالجِدّ في مُحـارَبة عَدُوّ الله وعَدُوّكم (4) .

وأمَر امير المؤمنين بإمدادكم بحُماة الرِجـال والأبْطال وحُـذّاق الرُماة المُجوِّدين ، بعُدَدهم مِن القِسِيّ والنِبال ، وأغْزى في البَحْر إلى تِلْقاء [أعْداء] الله أسْطولاً ، تَانَّق في مَراكِبه ، ورُكّابه ، وأكْمَل عُدَد مَن به وعِدّته على عَجَلة مِن النَظَر ووَشْـكان مِن الأمْر ، لم يَكُنْ لأمير المؤمنين فيه مُهْلة ولا فُسْحة ، إذ لم يَظُنَّ لِما صِرْتُم إليه ، ولا أتَت الأخْبار مُقيِّدة به ، وكان قد جَرَد أُسْطوله الأكْبَر ، مُجـاهِدًا إلى بَلَد الفَرنْجة ، أهْلَكهم الله ، وأخْرَج قُوّاده وصُنـوف أجْنـاده إلى أعداء الله المُشرِكيـن شَرْقاً

---

(2) م . « تهنوا » .

(3) القران ، السورة 8 الآية 46 .

(4) ماخوذ عن القران ، السورة 8 الآية 60 .

وغَرْباً ، وإنّما أمَدّكم وَقْتَ هذا بمـا كان بحَضْرته ، وبمَن أمْكَن إزْعاجه وإخراجه لحِينه ، فاتّقُوا الله في أنْفُسكم ولا تَحُولَنّ عن الطاعة بَصائركم ، ولا عن دِين الإسلام عَقائدكم ، ولا تَعْبُدوا الله على حَرْف ، / فتكُونوا كَمَن قال فيه تعالى جِدّه ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ ٱللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَـابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ﴾ (1) ، الآية .

223

والله يُعيذكم مِن ذلك ، ويَمْنعكم منه ، ويُوفّق لكم ما يُرْضِيه عنكم ، ويُوجِب به نَصْركم وتأييدكم إن شاء الله تعالى » .

فوافى كِتاب موسى بن أبي العافية إلى الناصر لدين الله في شَهْر رَمَضان مِن هذه السنة ، بالبُشْرى بما فَتَح الله على حَميد بن يَصَل (2) ، ومَن معه مِن المَشارِقة الراجعين إليه ، وأنّه أوْقَع بهم ، فقَتَل منهم جُمْلة منهم ، وأخَذ كثيراً مِن خُيولهم ، وانْصَرفوا إلى تاهَرْت مفلولين ، فعَظُم السُّرور بذلك .

[الوُزَراء والعُمّال]

وفيهـا عُزِل عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة عن الوِزارة ، فانْسَلَخَت هذه السنة وعَدَد الوُزَراء سبعة : سـعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، أحمد بن مُحمّد بن حُدَيْر ، عبد الحميد بن بسـيل ، أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، عبد المَلِك بن شُهَيْد .

وفيها وَلِيَ نَجْدة بن حُسَيْن خُطّة الخَيْل ، مَكـانَ أفْلَح مَوْلى أمير المؤمنين المُتوفّى فيها ، وأُضِيفت إليه منها القِيادة ، وعُزِل يَحْيى بن يونُس القَبْريّ عن السِكّة ، ووَلِيَها مكانَه محمّد بن فُطَيْس .

وعُزِل أحمد بن جَهْوَر (3) عن كُورة إلْبيرة وأقاليمها ، ووَلِيَها مُحمّد ابن عَبّاس .

---

(1) مقتبسة عن القران ، السورة 22 الآية 11 .

(2) م. « يصلى » راجع ص 220 ملاحظة 2 أعلاها .

(3) لعل الناسخ اخطا هنا لأنه في ص 218 من هذا المخطوط يقول « ففي المحرم فاتحة هذه السـنة عزل الناصر لدين الله عبد الملك بن سـعيد المعروف بابن أبي حمامة عن مدينة بجانة ، وولى مكانه أحمد بن عيسى بن أحمد بن أبي عبدة مضافا الى ما كان يتقلده من كورة البيرة ... » .

وعُزِل أحمد بن هِشام بن عبد العزيز عن كُورة باغُه وأعْمالهـا ، ووَلِيَها مُحمّد بن بَدْر ،

وعُزِل عبد الله بن بَدْر عن كورة إشْبِيلية ، ووَلِيَها أخوه عبد الرحمٰن ،

وعُزِل شُهَيد بن مُفضّل عن كُـورة لَبْلة ، ووَلِيَها حَسَن بن قاسم ابن شُهَيد .

وعُزِل أُمَيّة بن إسْحاق القُرَشيّ عن كُورة شَذُونة ، ووَلِيَها جَهْوَر ابن عُبَيْد الله .

وعُزِل أُمَيّة بن إسْحاق القُرَشيّ أيْضاً عن كُـورة الجزيرة ، ووَلِيَها مُحمّد بن أَصْبَغ ،

وعُزِل دِلْهاث بن مُحمّد عن كُورة قَرْمُونة ، ووَلِيَها عَمْرو بن قاسم ،

وعُزِل حَسَن وحُسَيْن ابْنا عيسى بن أبي عَبْدَة عن كُـورة تُدْمِير ، ووَلِيَها مَكانَهما دِلْهاث بن مُحمّد وسعيد بن عبد الرؤوف معاً ،

وعُزِل سعيد بن وارث عن كُورة بَلَنْسِية ، ووَلِيَهـا موسى ويَحْيى ابنا محمد بن الياس [معا] ،

وعُزِل يَحْيى بن أبي الفَتْح بن ذي النُون عن كُـورة شَنْت بريــة ، ووَلِيَها مَكانَه الفَتْح بن يَحْيى ،

224 وعُزِل .... (4) مولى الناصر لدين الله / عن كُـورة قَلْعـة رَباح ووَلِيَها مُحمّد بن حَمْدُون بن بَسِيل ،

وعُزِل سَوادة بن عبد المَلِك عن طَلَبيرة ، ووَلِيَها يَحْيى بن أَصْبَغ ابن فِهْر ،

وعُزِل مُحمّد بن إسْحاق عن مدينة الفَرَج ، ووَلِيَها سعيد بن وارث ،

وعُزِل نُمارة بن سُلَيمان عن كُورة مارِدة ، ووَلِيَها عُثْمان بن عُبَيْد الله ،

---

(4) هذا الاسم بياض في الأصل ، ولكن في ربيع الثاني عن عام 318 هـ . ولي عبد الله بن عبد الملك ، انظر ص190 من كتابنا هذا .

وعُزِل قاسم بن حَسَن عن كُورة شَنْتَرِين ، ووَلِيَها مُحمّد بن عَمْرو ،

وعُزِل مُحمَّد بن عُبَيْد الله عن مدينة بَطَلْيَوْس ، ووَلِيَهـا مُعاوِية بن حَكَم القُرَشيّ ،

وعُزِل أحمد بن مُحمّد بن إلْياس عن الجزائر الشَرقيّة ، مَيُورْقـة ومَنُورْقة ويابِسة ، ووَلِيَها أحمد بن محمّد بن الطَلْيار .

وسُجِّل لمُحمّد بن عبد الله بن حُدَيْر مدينة طُلَيْطُلة وأعْمالها .

سنة اثنتَيْن وعشرين وثلاث مِائة

غَزْوة وَخْشمة الكاشفة عن خِلاف مُحمّد بن هاشِم التُجيبيّ ، صاحب سَرَقُسْطة ، اخِر المُنْتَزين ببَلَد الأنــدلس ومُبتَدا النَّـبْذ بالحَـرْب إليــه (1)

غزا فيها امير المؤمنين الناصر لدين الله بالصائفة إلى دار الحَرْب ، دمّرها الله ، بنَفْســـه ، وهي الغَزْوة المعروفة بوَخْشــمة ، وقد تَقــدَّم في الاستِعْداد لها والاحْتِشاد مِن أوَّل هذه السنة ، وأنْفَذ الكُتُب في ذلك إلى كُوَر الأندلس ، وإلى سائر اهل الوِلاية بأرض العِدْوة ، فجاءه الناس من كلّ جانب . وبَرَز الناصر لدين الله لهذه الغزاة بُروزًا فَخْمــاً ، تُشُــوهِر بالأندلس واستُشْنِع بقُرْطُبة لكَثْرة ما ظَهَر فيه من العَدَد والعُدّة والحَلْي والزينة ، وذلك يومَ الخميس للنِصْف مِن جُمادى الأُولى منها ، وكان أوَّل يَوْم مِن شَهْر مايُه الشَمْسيّ ، وهو أيّار بالفارِسيّة ، بَرَز فيه دارعًا ، مُسْتَلْئِماً ، مُتقلّدًا سَيْفه ، راكِباً لأشْقَر معروف بالعِتْق ، مِن جِياد المُقْرَنات (2) ،

---

(1) يضيف المخطوط هنا « ان شاء الله » حذفناها اذ لا معنى لها ، ومن الممكن ان الناسخ اسقط هنا « كما سنذكره فيما بعد » .

(2) كذا في الأصل .

قد حَفَّتْه قُوّاده وكَتائبه . مُعَبّأة أحْسَن تَعْبئة ، مُظاهِرة الحديد والقُوّة ، وقد احْتَفَل فيما أبْرَزه لتَفْخيم بُروزه وعَدّه مِن صُنوف العُدّة وتَماثيل الأعْلام والرايات الفَخْمة البديعة الغريبة الأجْنـاس المُرْتفِعة القِيمة . وفي هذا البُروز ظَهر في أعْلامه عَلَم العُقاب المُصوَّرة ، التي اخْتَرعها ، ولم تَكُن لسلطان قَبْله ، فكان للناس إليها الْتِفات واستِشْراف ، ولها بقُلوبهم لَوْطة أجْرَتْ بَيْنهم حديثاً / مُتَعاوَراً . وكان فُصوله لغَزْوته هذه يومَ الخميس (1) للنِصْف من جُمادى الآخِرة بَعْده منها ، فمَضى لسبيله وأغْزى معه ابْنه الأكْبَر الحكَم ، وَلِيّ عَهْده ، وخلّف في القصر ابنه عُبَيْد الله ، شقيق الحَكَم ، وكان مُقامه في السَطْح على باب السُدّة ، على حَسَب العادة ، وإيّاه كان يُخاطِب الناصر لدين الله مُدّة مَغيبه ، بما يُنْفَذ عنه إلى قُرْطُبة (2) .

225

وقد ذَكَرت الشُعَراء فَخامة بُروز الناصر لدين الله إلى هذه الغَزاة ، وفُصوله (3) نَحْوها ، وما ظَهَر مِن جَلالة فَخامة أعْلامه ، وتَكاثُف أجْناده ، وشُنْعة زينته ، وبَهْجة مَوْكِبه لها ونَوَّهَتْ بذِكْر عَلَم العُقاب (4) الحديث عَهْدها ، ودَلَّتْ على حِكْمة استِنْباطِـه لها ، بأشْعار كثيرة جَيِّدة اخْتَصَرْتُها لطُولها ، وإذ لا طائلَ في إثْباتهـــا ، منهـا قَوْل عُبَيْـد الله بن يَحْيى بن إدْريس ، وأحمد بن مُحمَّد بن عبد ربّه وغَيْرهما .

قال : وكان الناصر لدين الله قد اعْتَزَم على دُخول دار الحَرْب من جِهة مدينة الفَرَج ، فصَدّه عن سبيله ما كَشَفه مُحمّد بن هاشِم التُجيبيّ ، صاحب سَرَقُسْطة ، مِن الخِلاف عليه ، والتَوقُّف عن اللِحاق به ، على ما كان أوْعَز إليه ، فثَنى عنه الخَيْل الى أعْمـاله ، بادئًا به ، واخْتَلّ حِصْن

---

(1) هذا التاريخ لا يقع في نفس اليوم ، فلعله خلط بين الفصول والبروز وعند ذلك تجب القراءة على هذا النحو « يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى » .

(2) قد سقط من هنا ذكر اسم المكلف بالحكم اثنـاء غياب السلطان في غزوته على عادتهم ، فينبغي ان يضـاف هنا « ومعه من الوزراء سـعيد بن المنذر القرشي ، وعلى المدينة فطيس بن أصبغ بن فطيس » .

(3) م. « وصوله » .

(4) م. « العاب » .

ماوبده (5) مِن حُصونه ، فواضع أهلها للقِتال ، وجَدّ بهم حتّى عَضّتهم الحَرْب ، فنادَوْا بالسِلْم ، وبَخَعـــوا بالطـاعة ، فقَبِل أمانهم ، وتَسـلَّم حِصْنهم ، وتَقدَّم منه إلى حِصْن رُوطة اليَهوديّ ، مِن حُصون مُحمَّد بن هاشِم ، وكان فيه أخود يَحْيى بن هاشم ، فأحْدَقت العَساكِر به ، وتَمادَتْ على مُحارَبته ، حتّى افْتُتِح قسْراً ، وقطَع الناصر لدين الله طَوْق سَرَقُسْطة ، ونَصَب المَكايِد حَوْلَها ، واستَصْلَح أهل ثَغرها ، فخَذَّلهم (6) على مُحمَّد ابن هاشم مُغْوِيهم ، وأدْخَل القُوّاد مدينتَيْ تُطِيلة وطَرَسُونة ، في أعْداد من الجُنْد ، لمُغاوَرة أهل سَرَقُسْطة ، والتَضْييق عليهم .

ورأى البَدْء بالجِهاد أَوْلى إجْماعاً لثَبات مَن كان معه مِن المُتَطَوِّعة ، فاعْتَزَم على اقْتِحام دار الحَرْب بَنْبَلُونة ، إذ كانت أقْرَب جِهات المُشْرِكين ممَّن كان مُضْطَرَبه بالثَغْر الأعْلى ، فورَدت عليه رُسُل الماكر[ة] طُوطة [ابنة] أشِينَر (7) ، تَلُوذ بطاعته وتَمُتّ (8) بسَبَب أسْلافها بالخُلَفاء سَلَفه ، وتَسْأله عَقْد سِلْمها وصَرْفه أَوْجُه الخَيْل عنها ، / فسامهـا الناصر لدين الله على ذلك الخُروج إلى مُعَسْكَره ، والوَطْء لبِساطه ، دَلالةً على صِحّة طاعتها ، وعَقْد أمانها على ذلك . فسارَعت الخُروج نَحْوه بنَفْسها ، في وُجوه رِجالها وقَوامِسها وأساقِفتها ، ووافَتْ إليه مُسرِعة لعَسْكَره ، في مَحلّة قَلَهُرّة ، ومعها هَديّة حَسَنة ، وقد أمَر الناصر لدين الله بتَعْبئة الجُيوش لدُخولها وإقامة التَرْتيب وإظهار العُدّة والزِينة ، فنَظَرت مِن ذلك إلى ما هالها ، وأوْصَلها إلى نَفْسه في المِضْرَب ، بَعْدَ أن احْتَفَل لها في جُلوسه ، فدَخَلَتْ إليه في عِدّة مِن قَوامِسها ، وقَضَتْ ما عليها مِن حَقّه ، وخَضَعَتْ له في سُؤالها ومَقالها ، فأحْسَن الناصر لدين الله قَبُولها ، وكرَّم مَنْزِلتها .

226

(5) كلمة غير منقوطة ، وفي « المسالك » ص 44 « مَلْوَنْدَه » .

(6) م. « محدلهم » .

(7) م. « اشنير » وفي كتابنـا هذا ص 271 « ابنة شـنير » وفي « العبر » ج 4 ص 142 « بنت انثير » .

(8) م. « متت » .

وعَقد عليها وعلى قَوامِسها (1) عَقدًا ، أعزّ الله الإسلام به ، تَضمَّن تَصْحيح الطاعــة والتبرُّؤ من سائر مُلوك النصْرانيّة ، من وَليّ وصِــهْر وغَيْرهما ، وترْك إمدادهم ، وكَفّ الأذى عن المُسلِمين ، وفَتْح طُرُقهم ، ومُعاونة قُوّاد الثَغْر على كلّ مَن عَنَد الطاعة ، وأن تُخْلي طُوطة عن رَهائن بني ذي (2) النون الغالقين عِندها ، بما قد عَجزوا عن إحضاره ، شَرْطًا عليها وضَعه عنهم ، والتَسْريح لهم ، فطاعت بذاك ، وكانت عِدّتهم أربعة أُناس ، ليَحْيى بن الفَتْح منهم وَلَدان ، ولابنه (3) ولابن عَمّه وَلَد واحِد . فتَمَّتْ هذه المُعاقَدة واقْتُضِيتْ يَمين العِلْجة ورجالها على اعْتِقادها ، وأَشْهَد الناصر لدين الله على الْتِزامها بالعَسْكر ، وأَسْجَل لابنها غَرْسيّة بن شانْجُه البَشْكُنْسيّ على بَنْبَلُونة وأعْمالها ، وأَوْسَعها الناصر لدين الله وجميع مَن جاء معها من صِــلاته وخَلَعــانه ، فأعَمّ جَميعهم وسَــرّ نُفوســهم ، وانْصَرفَتْ مِن يَوْمها ، راجعةً إلى بَلَدها ، مُغْتبِطة بصَفقتهــا ، فعَجَّلتْ إطلاق أوْلاد بني ذي النُون إلى آبائهم ، واستَقامت طاعتها .

وكَرِه العِلْج فُرْتون بن غَرْسيّة المعروف بأماط القُومِس ، المُقدَّم على حِصْن فالْجش مِن عَمَل بَنْبَلُونة ، الذي هو على مَسافة خمسة عشرَ مِيلاً مِن مدينة تُطيلة ، ما فَعَلَتْه العِلْجة طُوطة من انْقِيادها للناصر لدين الله ، فنــابَذها وفارَق عَســكَرها ، وكان حَمِيّ الأنْف مِن النَفْس ، شديد الأذى للمُسلِمين ، كثير الحَنَق عليهم ، فمال الناصر لدين الله بالعَسْكر نَحْوَه ، / فلمّا خاف الغَلَبــة ، بادَر بالخُروج إلى عَســكَره ، دُونَ أمان يأْخُذه ، أَوْ عَهْد يَسْأله ، مُؤَمِّلاً خديعــة الناصر لدين الله والمَكْر به ، كَيْمــا يَقِرّ بمَكــانه ، فعرَض عليه الناصر لدين الله التَنقّل إلى كَنَفــه بأهلــه ووُلْده والتَخلّي له عن حِصْنه ، ووعَده على ذلك وافي الآمال وفائض الإحسان ،

227

(1) م . « قواميسها » .

(2) م . « ذا » .

(3) م . « وابنه » .

فكَره ذلك ، ولم يُجِبْ إليه ، وأرى أنّه مُخَلّى السَرْب ، مالِك أمْر نَفْسه ، فأمَر الناصر لدين الله بإيثاقه والتَوْكيل به ، فجاء مِن تِرَته (1) وعُرامه وسُوء قَوْله ما حَمل السُلْطان على قَتْله ، وكُفى به المسلمين شَرّه ، فقُتِل في العَسْكَر وفُصِّل ارابأ ، فسُرّ اهل الثَغر بقَتْله واعْتَدُّوه من أعْظَم فُتوحهم .

وذَكَر اسماعيل بن بَدْر وِفادة هذه العِلْجة طُوطة على الناصر لدين الله ، في شِعْر (2) مَدَحه به ، وكان غازياً ، فقال [وافر] :

وَ[قَدْ] قِيدَتْ زَعِيمَتُهُمْ إِلَيْهِ
كَبَلْقِيسٍ تَحُفُّ بِهِ ٱلْجُنُودُ
تَلَقَّتْ لَا تَرَى إِلَّا شِهَاباً
بِهِ يَرْمِي وَيَخْتَطِفُ ٱلْعَدِيدُ
فَبَادَرَتِ ٱلسُّجُودَ لِنُورِ وَجْهٍ
لَهُ وَجَبَ ٱلتَّوَاضُعُ وَٱلسُّجُودُ
فَأَوْسَعَهَا بِفَضْلِ ٱلْعَفْوِ أَمْناً
وَقَدْ كَادَتْ بِمُهْجَتِهَا تَجُودُ
فَدَامَ يَسُوسُنَا مَا دَامَ شِبْهُ
لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ طَلْعَةَ ٱلسُّعُودُ

ثُمّ ارْتَحَل الناصر لدين الله ، عِند مُعاقَدته طاغية بَنْبَلُونة ، مُنكِّباً عن بَلَدها ، كافًّا أيْدي اهل العَسْكَر عمّا خَطّه مِن جانبه ، داخِلاً إلى بَلَد ألبة والقِلاع المُتاخِم له من دار الحَرْب ، دمّرها الله ، حتّى تَوسَّطه ، فحَلّ على كَفَرته في عُقْر دارهم ، وقد انْقَبَضُوا عن البسيط والسُهول (3) ، ولاذوا بالأَوْعار والحُصون ، فعَمّ أرْض ألبة والقِلاع نَسْفاً وغارةً ، وصَيَّر

(1) م. « تريه » قد تكون « تَبَدِّيهِ » .
(2) م. « سعه » .
(3) م. « الدهول » .

عِمارتها بَوارًا ، وزُروعهـا هَباءً ، وشَجَرها هشيمـاً ، وكان أوّل نُزول العَسْكَر من بَلَد ألبة إلى حِصْن المَنار ، المعروف بعرنيون (4) ، وكان فَذًّا واسع العِمارة كثير الشَجَر والكُروم ظاهر النِعَم ، فجالت الخَيْل فيه كلّ مَجال ، واجْتَمعت عليه أيْدي الرِجال ، فلم تَبْقَ قائمة مِن بِناء ، ولا غَلّة إلّا ذَهَبَتْ بَيْنَ آلتَّعلُّف والتَدْمير والقَطْع والإحراق ، وجَعَل يَتردّد في البَلَد ، مُختَرِقاً جائساً خِلاله / أيّاماً ، مُقـارِباً بَيْنَ مَحَلّاته ، مُبـالِغاً في نِكاياته ، فلم تَبْقَ به قائمـة مِن بِنـاء ولا غَلّة ، ولم يَزَل عليه مُتنخِّلاً ، يَتنقَّل في البَلَد مَنْقَلة بَعْدَ مَنْقَلة ، وقَرْية أثَر قَرْية ، كُلّما رأى أثَر عِمارة لم يَسْتَوْفِ حَظّها ، عاج عليها ، أو عَرَف حال ناحية لم يَتقَضَّ نَسْفها ، نَزَل عليها ، مُضْطَرِباً فيها ، مُسْتَقْصِياً تَدْميرها ، وهو في مُروره وقَبْلَ مُضْطَربه ونُزوله (1) رَتَّب عن جانبَيْه يَمْنةً وشأمةً أعْداداً مِن الرَجّالـة بالفُؤوس والمَناجِل ، لقَطْع ما اجْتاز به مِن كَرْم مُوقِر أو شَجَر مُثْمِر ، وحَريق النار في جَوانِب الطريق يَنسِف الزَرْع نَسْفاً ، ويَذْرُوها ذَرْوًا ، ويَذَرُها رَماداً ، تُسَيِّبها الرِياح في زُمْرة المُجـاهِدين ، فهو عِندهـم أعْطَر مِن العَنْبَر ، وانْشَق مِن المِسْك المَذْرور .

وبَيْنَما الناصر لدين الله في بعض مُنْتَقَلاته ، قاصدًا حِصْن أُنْية إذ دُلّ على وِتْر للمُشْرِكين ، قد غَضّ الزَمان عنه طَرْفه ، وأمَّنه صَرْفه ، واسع العِمارة ، كريم الغِبْطة (2) ، عظيم الشأن ، شريف البُنْيان ، فصَرَف وَجْهه نَحْوه ، وعَدَّل العَسْكَر إليه ، حتّى أشْرَف عليه ، فإذا به فَوْقَ ما وُصِف له ، سامي الشَخْص في قَرار مَكين ، على ماء مَعِين ، قد اكْتَنَفَتْه الرُبَى مِن جِهاته ، فسَتَرَتْه واتَّسَقَتْ قَرارته ، فبَسَطَتْه ، وقامَتْ فيه المَصانع المَشيدة بالعَمَد الرفيع والمَرْمَر البديع والآلات الرائعـة ، وأُرْسِلَتْ خِلال مَنـازِله وقُصوره المِيـاه العِذاب المُنْدفِقـة ، تَخْتَرِقه جارية غَيْر مَقْطـوعة ولا

(4) كلمة غير منقوطة ، قراءة مشتبهة .

(1) م. يضيف « ما » .

(2) م. « البقعة » .

مَمْنوعة ، وقد فُصِّلت مَنازِله وقُصوره على تَصاريف المَنافِع ، ودُبِّرت على أنْواع مِن المَرافِق ، قد اجْتَمَعت فيه جميع الأعْمال التي يَحْتاج الناس إليها . واكْتَنَفَتْ حَوْلَه صُنوف الأشْجار المُهَدّلة بأكْرَم الثِّمار ، واجْتَمَعَت فيه إلى ذلك الأرْحاء الطاحنة ، والسُّوق القائمة ، فراق الناصر لدين الله مَنْظَره ، ونَظَر إليه أعْلاه وأسْفَله ، وظَنّ أنّ مِثْله لا يكون في بَلَد أهل الكُفْر ، وحَمِد الله تعالى على أن أظْهَره عليه ، وأمَر بجَمْع الأيدي على إحراقه ، وضَمّ الفَعَلة إلى هَدْمه ، واقْتِلاع أساسه ، وقَطْع ما أحاط به مِن أشْجاره وتَعْوير مِياهه ، فشُغِل أهل العَسْكَر بذلك يَوْمَهم الأطْوَل على وُفور جَمْعهم وتَرادُف أيْدِيهم ، حتّى أعادوه صعيدًا زَلِقاً ، ولم يَدَعُوا به مَعْلَماً يَهْدِي إليه ، ولا آية تَدُلّ عليه . وقد كان فيمَن يَعْمُره ، فيما ذَكَره مَن يَعْرِفه ، ثلاث مِائة راهِب ، لأنّ الكَنيسة / التي كانت فيه مُعظَّمة عِندهم ، واجبة الحَقّ عليهم ، فكان الفَجْع به بحَسَب مَكانهم منهم . 229

ومَضى العَسْكَر بَعْدَه بغَيْره من الأدْيار (1) الشريفة والكَنائس المَعْمورة ، مِن غَيْرِ ما مَوْضِعٍ مِن مدائن القِلاع ، وحُصونها ، فدمَّرها تَدْميرًا و [...](2) الإحراق إلى ما لم يظُنّه ظانّ ، حتّى كأنّ السَماء رَجَمَتْهم ، أو شُواظ نار أُرْسِل عليهم ، إلى أن قَطَع العَسْكَر أرض ألبة كلّها ، واحْتَلّ مَحَلّته بقُلُونية من أوّل حَدّ جِلّيقيّة أوّل شَهْر رَمَضان مِن هذه السنة .

فوَصَل الناصر لدين الله صَوْم فَرْضه بالتَمادِي على جِهاده ، واستَمَرّ عَزْمه ، رَضِيَ الله عنه ، على عُموم أرض جِلّيقيّة ، لَعَنهم الله ، أشَدّ اتِّصالاً بالمُسلِمين ، وأُولِع بالتَرَدُّد عليهم والانْتِقاض لأطْرافهم ، فانْتَقَل مِن مَحَلّتهم بقُلُونِية بجميع عَساكِره في يَوْم الأرْبِعاء لخمس خَلَوْنَ مِن شَهْر رَمَضان منها ، مُقْتحِماً على أعْداء الله ، أهل جِلّيقيّة ، حريصاً على لِقاء مَلِكهم ، الطاغية رُذْمير بن أُرْدُون بن أذْفُونْش ، فخام عَدُوّ الله عن

(1) « الأديان » .

(2) يبدو أنه سقطت هنا « بلغ » أو شبيه ذلك .

لِقائه ، وقُذِف الرُّعْب في قَلْبه ، وحاد عن سَننه ، ولم يُحَدِّث نَفْسه بالوُقوف ، بل أَخْلى له البِلاد والعِباد ، ولاذ بالأَوْعار في رِجال عَسْكَره ، يُلاحِظ المُسلِمين بعَيْنه ، ويَنظُر إلى ما يُحِلُّونه بأرضه ، ونَفْسه تَقَطَّع حَسْرةً ولا يُغْني عنها نُقْرةً .

ومَضى الناصر لدين الله ، فيما وَطِئه مِن أرض جِلِّيقيّة، على سبيله بأرض القِلاع وألبة ، مِن المَقارِيَة (3) بَيْنَ المَحلّات والتَقصِّي لِما مَرّ عليه بالتَدْمير والغارات ، فكان نُزوله مِن مَحَلّة قُلُونِية لورَتة ، على أربعة أمْيال منها ، ومِن ورتة إلى قُبّة الرُهْبان المعروفة بالمَمْلية (4) ، على أربعة أمْيال منها ، ونَزَلها يَوْمَ الأَحَد لتسع خَلَوْن مِن شَهْر رَمَضان منها ، فأصاب أَعْداء الله المُشرِكين قد اجْتَمَعوا إليها ، وصاروا بفارِسهم وراجِلهم داخِلها ، مُعتصِمين بوُعورة مَكانه ، واثقين بحَصانة سُورها وإحاطة الخَنادِق بها ، ومعهم الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، مَلِكهم ، وجميع القَوامِس ، قد استَعَدُّوا للِقاء المُسلِمين ، وعَبَّؤُوا كَتائبهم ، وأَبْرَزوا صُلْبانهم ، فحَلّلُوا تِلك الأَجْبُل بها ، فنَزَل العَسْكَر بمَحَلّته إزاءهم ، على أَمْكَن الأَحْوال وأَثْبَت الأَقْدام ، فلمّا اسْتَقَرّ نُزوله وقامت (5) ، أَمَر الناصر لدين الله ، رَضِيَ الله عنه ، بالهَتْف على الأَجْناد والمُجاهِدين / بالتَهيُّؤ والنُهوض إلى أَعْداء الله المُشرِكين ، والجِدّ في حَرْبهم ، وعَهِد إلى نَجْدة ابن حُسَيْن ، مَوْلاه ، صاحب العسكر ، بالتَقدُّم في جُمْهور الخَيْل ، وإنهاض العَلَم ، وتَرْتيب الرُدود ، والتَعْبئة للحَرْب ، وشَدّ المُجنَّبات ، وتَقْديم ثِقات القُوّاد وأَبْطال الرِجال في جِهاتها ، فأقام ذلك ورَتَّبه على حُدوده . (230)

ثُمّ ناشَب المُسلِمون أعداء الله الحَرْبَ ، وهُم مُعتصِمون بوَعْرهم ، لا يُسْهِلون ، فجالَتْ جَوْلتها ، وامْتَدَّتْ مُهْلتها ، فما لَبِث أَعْداء الله أن

(3) م. « المغاربة » .
(4) قراءة محتملة م. « العمليه » .
(5) يبدو أنه سقطت هنا كلمة .

انْهَزموا قُدّامَ المُسلِمين مِن حضيض جَبَلهم ، الذي دارت الحَرْب فيه ، إلى مَعْقِلهم الذي أسْنِدوا إلى وُعورته ، وأُصيب منهم عَدد ، فيهم جَماعة مِن فُرْسانهم المشهورين ، واستُشْهِد قَوم مِن المُسلِمين المُجْتَهِدين ، رحِمَهم الله ، فيهم نَفَر مِن العُرَفاء والبَرْبَر والطَنْجيّين وغَيْرهم ، فيهم ابن رافع ، كاتب دُرّي ، صاحب الشُرْطة ، ومِهْراق [؟] العريف اللَبْليّ ، وغَيْرهما ، وأُسِر نَفَر مِن المُسلِمين ، تَخلّص واحد منهم إلى العَسْكر صَبيحةَ يوم الاثنَيْن ، وذَكَر أنّ أعْداء الله باتُوا على مَخافة ووَجَل .

وكَسَر العَسْكَر في مَحَلّته تِلك اليَوْم الثاني مِن الوَقْعة ، فلم يَنْشَط أعْداء الله إلى الحَرْب ، وارْتَحل العَسْكَر اليومَ الثالث من مَحَلّته تلك إلى أُخْرى بقُرْب منها ، على ثلاثة أمْيال ، طَمَعاً في استِدْراج الكَفَرة إلى السَهْل والإصْحار بهم للحَرْب ، فلمّا عَبروا وادي وَخْشَمة على مِقْدار مِيلَيْن ، خَرَج الكَفَرة في أثَره ، مُنابِحين للمُسلِمين ، مُعترِضين لحَرْبهم ، فأمَر صاحب العَسْكَر (١) بالإمساك عنهم إلى أن يُسْهِلوا إسهالاً ، ليَتمكَّن منهم ، ففَطِن أعْداء الله لذلك ، فأمْسَكوا من أعِنّتهم ، وحَمَل عليهم الجُنْد ، فرَدُّوهم على أعْقابهم ، ومَنَح الله المُسلِمين أكْتافهم فقَتَلُوا جُمْلة منهم ، فيهم صاحب حِصْن عُرْماج ، وكان مُقدّماً في قَوامِسهم ، ثُمّ انْقَشَعوا إلى خَيْلهم ، ولاذوا بمَعْقِلهم ، فلم يَكُن لهم بَعْدَ ذلك إطلال على العَسْكَر ، ولا تَعرَّضوا له .

ورَحَل العَسْكَر مِن مَحَلّته هذه ، فنَزَل بحِصْن عُرْماج على وادي دُوَيْرُ[ه] على مَسافة عشرة أمْيال من أنْيُون ، ومنها إلى مَحَلّة قَشترب ، على مَسافة خمسة أمْيال مِن عُرْماج ، وبَلَغ الناصر لدين الله إمحال الجِهة التي يَقْصِدها مِن حُصون الطاغية رُذْمير بن أُرْدُون ، مَلِك جِلِّيقيّة ، على وادي دُوَيْرُه في هذه السنة ، / وسَبْقهم إلى اختِصاد ما (٢) ازْدُرِع في 231

(١) صحح الناسخ على الهامش « الرجال » .
(٢) م. « مما » .

بعضها ، لمَنْع مَن يَقْصِدهم مِن المُسلِمين مِرْفَقه ، وأنَّه لا مُتَعَلَّل للعَسْكَر بها ، فخاف على المُسلِمين الضِيقة ، وفَسَخ عَزْمه في الإيغال بهم للتَدْمير والنِكاية ، ورأى القُفول بهم أَحْزَم في الرأي وأَدْنى إلى السَلامة ، فانْثنى مِن هُنالِك قافلاً بجميع عَساكِره ، وصيَّر طريقه على الحُصون (2) التي هي الدُروب بَيْنَهم وبَيْن المُشْرِكين ، يَنْظُر في مَصالِحها وقِوام ما اخْتَلّ منها . فكانت مُدّة مَغيبه في غَزْوته هذه أربعة أَشْـهُر غَيْر ثمانية أيّام .

[كِتـاب الفَتْح]

وذَكَر الناصر لدين الله ، في كِتـابه بالفَتْح عليه في غَزْوته هذه ، الجِهات التي وَطِئهـا مِن بِلاد أَلبة والقِلاع ، فكان منهـا مدينة خَرِيشـة وبسيطها ، حِصْن القُصَيِّر وبسيطه ، حِصْن أُنيَة وبسيطه والدَيْر المنسوب إليه ، مدينـة بُرْغُش وقَصَبتها العادية المُنِيفة وبسيطها ، حِصْن بَلَنْسة وبسيطهـا ، حصن أَشْكُطِيرُش وبسيطه ، والأَدْيار المُتَّصِلة به ، مدينـة لَرْمة (3) العظيمة الشأن المُتْقَنة البُنْيان وبسيطها الخطير المَكان ، أُصِيبَتْ خالِية ، فخَرَّب جميع ما فيها مِن قُصورها وكَنائسها ، ومنها كان مُنْدَفَع سَرايا العَدُوّ وجُيوشـهم إلى بَلَد المُسلِمين ، وبهـا كان اقْتِسـامهم لِما يُصِيبونه من مَغانِمهم وسَبْيهم .

وذَكَر فيه أنّ عَدُوّ الله ، فَرْذِلَنْد بن غُنْدِشَلْب ، صاحب أَلبة والقِلاع ، قد كان لَجَأ ، في حِين وَطْء الناصر لدين الله لأرضـه ، في أصحـابه إلى جَبَل وَعْر أَشِب كثير الشَعـارِي والغِياض ، لا مَسْلَكَ للخَيْل به ، إلّا مِن مَواضِع ضَيِّقة ، لا يَهْتَـدي إليها إلّا أهلها ، فتَوسَّطه بالذُرّيّة والنِساء ، مُعتصِمـا به ، وبدا له في بعض الأيّام رأي في عَرْض نَفْسـه على أهل العَسْكَر والإطلال عليهم مِن بعض مَخـارِم ذلك الجَبَل ، فابْتَدَر إليه مِن

(2) م. « حصون » .
(3) م. « لزمة » .

أَحْداث الفُرْسان وأَخِفّاء الرجال قَوْم امْتَدُّوا إلى أوائل خَيْله ، فما نَهْنَهوهم أن رَدُّوهم على أَعْقابهم ، ونَكَصوا منهم وقَتلوا فيهم ، فوَلّوْا على وُجوههم وانحاشوا (4) في تلك الشِعاب التي لاذوا بها ، أَذِلّاء مَقْهورين .

وكان الكَلْب فَرْذِلَنْد بن غُنْدِشَلْب قد اسْتَجاش الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، مَلِكه ، وسَأله نَصْره والمُعاضَدة بمَجِيئه والدِفاع عن ناحيته ، فاسْتَجاب له / رُذْمِير واحْتَفَل في كَفَرته ، وتَألَّف به بنو غُومِس ، وغَيْرهم مِن أَعْلام النَصْرانيّة ، دمَّرهم الله ، وصاروا بجَماعتهم إليه ، فلم يَزِدْهم الله بتَألُّفه إليه إلّا ذِلّة ، وباجْتِمـاعهم إلّا قِلّة ، وكانوا بأَجْمَعهم في تلك الشَعارِي الأشِبة وبرُؤوس تِلْك الأَجْبُل المَنيعة ، لا يَظْهَرون ولا يُفْحِصون ، والمُسلِمون يَنقلِبون إليهم ، ولا حِيلة تُدْنِي منهم ، لاستِغْلاق الشِعاب التي صاروا بها ، وقِلّة المياه فيها ، وأنّهم قد سَلَكوا منها ما قد عَرَفوا سبيله ، واعتـاموا (1) ما قد عَلِموا امْتِنـاعه وما وَثِقوا بأَنّ الجَيْش لا يَطَؤه ولا يَدْخُله ، وارْتَقَبوا مع ذلك غَفْلـة يَنْتَهِزونهـا ، أو عَوْرة يُصِيبونهـا ، فلم يُظْهِرهم الله عليها لحُسْن كَلاءة الله المُسلِمين وفَرْط حزامة المُؤْمنين ، فكان قَصْدهم الاحْتِجار بتِلك الشِعاب ، [و] قد أَبْدى الله عَجْزهم ، وكَشَف وَهْنهم ، وقَوّى قُلوب المُسلِمين بما تَبيَّنوه مِن نُكوصهم عنهم وإحْجامهم .

232

قال : وكان الناصر لدين [الله] عِند كلّ وَقت يَتولّى تَدْبير مُضْطَربه ببِلاد العَدُوّ ، ويُشْرِف على تَثْقيف عَسْكَره ، وإقامة حُدود تَنْزيله ، يُجدِّد عَهْده إلى صاحب العَسْكَر ، نَجْدة بن حُسَيْن ، مَوْلاه ، بمُباشَرة أَمْر العِلافة فيه بنَفْسه ، ويُلْزِمه الخُروج إليها ببَدَنه ، ولا يَكِلها إلى أَحَد مِن القُوّاد ، حَوْطة على المُسلِمين ، وحِفْظًا لمَن يُضْطَرّ إلى الانتِشار فيها منهم ، وقَبْضاً لأَيْدي المُتلصّصين مِن العَدُوّ عليهم ، فكان يَتولّى مِن ذلك ويُجْهِد نَفْسه عليه ما يَحْمَده الناصر لدين الله منه ، ويَشْكُره فيه مَقـامه ، ويأْخُذ فيه

(4) م. « انحشوا » .

(1) م. « اغناموا » .

بحَظّ مِن الحَزْم يَقتَرِن السَّـلامة به ، فالعَلَفـات تؤُوب مع الأيّام أفْضَل الإياب ، والسَّرايا مُثقَلـة بالغنـائم ، والخيّرات مُعـافات مِن الحَوادث والآفات .

قال : وهَنّات الشُعَراء الناصر لدين الله بما فَتَح الله عليه في غَزْوته هذه ، وذِكْر ما وَطِئه فيها من بِلاد المُشْرِكين ، دمَّرهم الله ، وحَطَمه مِن دِيارهم ، وما أَظْهَروه مِن الإحجـام عنه والهَرَب قُدّامَه ، فأَكْثَرتْ ، فمِن أَجْوَدها قَوْل أبي عُثمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس ، وأحمد بن مُحمّد ابن عبد ربّه ، زعيمَي الشُعَراء ، وغَيْرهما ، أَمْسَكْنا عن إيرادها لِئَلّا يَطُول الكِتاب بها .

233 / خبر تَمْليك الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون على الجَلالِقة

قال عِيسى [الرازيّ] : لمّا هَلَك فرويلة (1) بن أُرْدُون ، مَلِك جِلّيقيّة ، لَعَنه الله ، في سنة ثَلاث عشرة وثلاث مِائة ، التي هي سنة اثنتَيْن (2) وستّين وتسع مِائة لتأريخ الصُفر ، ملَّك النَصْرانيّة مكانَه أخاه أذْفُونْش بن أُرْدُون ، فنازَعه المُلْك يَوْمَئذٍ أخوه شـانْجه بن أُرْدُون ، وكان أَسَنَّ منه ، فدَخَل مدينة لِيُون ، دار مَمْلَكة الجَلالِقة ، مُنـازِعًا لأخيه أذْفُونْش ، وقامت معه طائفة من الجَلالِقة ، وثَبَتَتْ مع أخيه أذْفُونْش أُخْرى ، وصار مع أذْفُونْش صِهْره ، شـانْجه بن غَرْسـيّة ، صـاحب بَنْبلُونة ، فصار أَغْلَظ شَوْكة ، والْتَقيا ، فاشْتَدَّت الحَرْب بَيْنَهما ، ثُمّ رَجَعَت على المَلِك أذْفُونْش في اليَوْم الثالث (3) ، فانْهَزَم وهَرَب إلى مدينة أَشْتُرْقة (4) ، فعَقَد كَلِمته مع ابن أخيه ، سَـمِيّه أذْفُونْش بن فرويلة (1) بن أُرْدُون المَلِك الهالك قَبْلَـه ،

---

(1) م. « فريولة » .

(2) في الحقيقة كان ذلك سنة 963 لتأريخ الصفر .

(3) تاريخ غير مكتمل ينقصه اليوم والشهر .

(4) م. « استرقه » .

واجْتَمَعت له جُموع كثيرة ، فاتَّصَلت الحَرْب بَيْنه وبَيْن اخيه ، شانْجُـه ابن أُرْدُون ، وتَفرَّقت ما بَيْنَهما كَلِمة النَصْرانيّة ، ومَرِج امرها وأصابَتْها الجَوائح ، وعَضَّتْهـا الحُروب ، وكَثُر فيهـم القَتْل والنَهْب ، وأَلْقى الله بأْسهم بَيْنَهم ، فأَجْمَعوا على خَلْع شانْجُه بن أُرْدُون وإخراجه عن مدينة لِيُون ، وجَمْع كَلِمتهم على المَلِك أَذْفونْش بن أُرْدُون .

وفَرّ شانْجُه عِند ذلك إلى قاصية جِلِّيقيّة ، فأَقَرّ له اهلها وقدَّموه على أَنْفسهم ، فاجْتَمَعت له جِلِّيقيّة ، وإلى اخيه رُذْمير بن أُرْدُون ما يَلِيه مِن غَرْبيّ جِلِّيقيّة إلى حَدّ قُلُمْرية ، وكان أَحبّ إخْوته إليه ، ثُمّ لم يَلْبَث شانْجُه بن أُرْدُون أن هَلَك في الجِهة التي كان الْتَجأ إليها ، ولم يُخلِّف وَلَدًا ، فصارت جهته إلى المَلِك أَذْفونْش المُجتمَع [عليه] ، ولم يَبْقَ له مُنازِع في سُلْطانه ، فبَقِيَ على مَمْلَكته سبع سِنين .

ثُمّ بدا له في المُلْك ، فاستَحْضَر اخاه رُذْمير بن أُرْدُون ، فأَسْلَم إليه المُلْك ، وخَلَع نَفْسه ، وتَرهَّب ، ولَحِق ببعض الدِيارات المُعظَّمة عِندهم ، فسَكَنه مُدّة ، مُتخلِّياً عن السلطان .

ثُمّ إنّ بعض رِجاله المُنحرِفين عن اخيه رُذْمير المَلِك خَبَّبوه على رُذْمير ، وندَّموه على تَرْك المُلْك في يده ، وخَشَّوْه عادِيته ، ورَغَّبوه في ارْتِجاع سُلطانه ، ووَعَدوه القِيام / معه على أخيه رُذْمير ، والاستِهْلاك دُونَه ، حتّى يُعِيدوه إلى سلطـانه ، ويَخْلَعوا أخاه (١) ، فاسْتَفزّه الطَمَع وخَرَج عن الدَيْر الذي كان فيه ، فدَخَل مدينة شـانْت مانْكَس ، مُنـازِعاً لأخيه رُذْمير ، فاجْتَمَع إليه أَخْواله ومَشْيَخة اهل بَيْته ، وعظَّموا عليه الخَطْب في تَرْكه الرَهْبـانيّة ، وشُروعه في قطيعة الرَحِم ، وإيثـار الفِتْنـة بَيْن النَصْرانيّة ، وخوَّفوه مِن ان تَتبرَّا منه النَصْرانيّة ، بل يُوقِعون عليه الجُرْم واللَعْنة ، فنَدِم على ما كان منه ، وانْصَرَف سريعـاً إلى الدَيْر الذي كان به قَبْلَ ان يَجْمَع جَمْعا او يُنْتِج حَرْبًا ، فجدَّد حال الرَهْبانيّة ، وأَظْهر التَوْبة مِمّا كان هَمّ به ، وقَصّص تَقْصيص الرُهْبان ، وأَخَذ العُكّاز ، ومَكَث قاطناً

234

(١) م. « اخوه » .

في الدَيْر مُدّة ، وقَلْبه في ذلك يَتُوق إلى الدُنيا ، وأخوه رُذْمِير قد استَشْعَر منه خِيفة ، وأَضْمَر له غِلًّا ، وقد اشْتَدّ سُلْطان رُذْمِير ، وطاع له أَكْثَر العَجَم ، فأراد الخُروج إلى بَلَد الإسلام بالجُيوش الكثيرة ، مُنتهِزًا الفُرْصة على رَسْم سَلَفه ، فأَرْسَل الحُشّاد في بِلاد النَصْرانيّة ، وخَرَج إلى مدينة سَمُّورة ، فأقام بها مُتلوِّماً على تَوافِي عَساكِر (2) النَصْرانيّة .

فاجْتَمع إلى أَخيه أَذْفُونْش الراهِب عِند ذلك أَعْداء المَلِك رُذْمِير ، مِن أهل قَشْتِيلة ، وغَيْرهم مِمَّن كان على الكَراهة لرُذْمِير ، وحَمَلوه (3) على الخُروج عن الدَيْر والوُثوب على أخيه رُذْمِير ، وسَهَّلوا عليه سبيل الرُجوع إلى مُلْكه ، وواثقوه على نَصْره والذَبّ عنه ، فكَشَف وَجْهه ونَبَذ رَهبانيّته ، وخَرَج عن الدَيْر ، مُنتهِزاً لفُرْصة مَغِيب (4) أخيه ، فخالَفه إلى مدينة لِيُون ، فدَخَلها ومَلَكها ، وكان فيها أُبِيكُه (5) الأُسْقُف ، خليفة لأَخيه رُذْمِير ، وغَيْره مِن ثِقات رِجاله ، ففَرُّوا تلك اللَيْلة من لِيُون ولَحِقوا بالمَلِك رُذْمِير بسَمُّورة ، وهو بَعْدُ مُقيم بها ، فنَكَص عن غَزْوته ، وانْصَرف بالجُيوش التي اجْتَمَعت له مُبادِرًا إلى أخيه أَذْفُونْش بليون ، فحاصَره بها حتّى هَرَب مَن كان معه مِن أهل قَشْتِيلة (6) ، الذين اخْتَدَعوه فأَسْلَموه ، وقد ضاقَتْ حاله ، وذَهَب رِجاله ، فتحيَّل في الهَرَب عن ليون لَيْلاً ، وجاء إلى دَيْر الرَواهِب ، أراد الاستِخْفاء ، فلم يَخْفَ خَبَره عن المَلِك رُذْمِير ، ومَضى بنَفْسه إلى الدَيْر ، فتَسلَّمه وجاء به معه قُدّامه مُوكَّلاً به ، / مُرَفَّهاً عنه ، فحَبَسه عنده دَهْرًا طويلاً ، إلى أن استَفْلَك لرُذْمِير بن أُرْدُون أَمْره ، ووَقَع الإجماع عليه ، وصار إليه أُبِيكُه (1) ، فكَمِلَتْ مَمْلَكته وانْتَظَمَتْ طاعته .

235

(2) م. « عساكير » .
(3) م. « حملوا » .
(4) م. « لمغيب » .
(5) م. « اتيكة » ، صححناها لأنه Oveco .
(6) كذا في الأصل ، يريد « قَشْتالة » أو « قَشْتِيلِية » الواردة عادة في مخطوطنا .
(1) م. « وصارت اليه أنيط » ويبدو أنه نفس أبيكه المذكور سابقا .

فعند ذلك جَمَع جميع أَوْلاد المَلِك أُرْدُون ، الذين كان يَخاف منهم على المَمْلَكة ، فسَمَل أَعْيُنهم ، وكان فيمَن سَمَل أَخوه (2) ، مُنازِعه ، أَذْفُونْش الراهب ابن أُرْدُون ، وأَوْلاد اخيه المَلِك قَبْلَه ، فلويرة بن أُرْدُون ، ثلاثتهم أَذْفُونش ورُذْمير وأُرْدُون ، وجَماعة مِن بني عَمّه إليهم ، فاسْتَقام المُلْك له مِن يَوْمَئذٍ ، ولم يَبْقَ له مُنازِع ، وكان تَمام ذلك في أَوَّل سنة عشرين وثلاث مِائة .

[النُجوم]

وفي مُسْتَهَلّ ذي القَعْدة مِنها رتّب النُجوم في وَسْط السَماء ، تَرْتَمِي مِن ناحية المَشْرِق إلى الغَرْب (3) ، ومِن الغَرْب إلى الشَرْق ، آية للناظِرين .

خَبَر العِدْوة

فيها الْتاث أمير مدينة أَصِيلا ، مِن أرض العِدْوة ، بَعْدَ سَبْق أهلها إلى الطاعة ، فأَغزى السُلْطان إليه الأَسْطُول مع قائده ، عبد المَلِك بن سعيد بن أبي حَمامة ، فجاء أَصِيلا ، وقد رَهِبه أهلها ، فقوَّمهم على الطاعة ، وأَخَذ رَهائنهم تَوْثِقة ، واستَعْمَل عليهم إبراهيم بن العَلاء ، رَجُلًا من أهلها البَرابِرة ، كان صحيح الوِلاية للناصر لدين الله ، وخلّف معه حَشْدًا مِن الحَشَم والرُماة ، وقَفَل عنها .

[كِتاب موسى بن أبي العافية]

وفي شَوّال مِن هذه السنة وَرَد على الناصر لدين الله مِن العِدْوة كِتاب وَلِيّه القائم بدَعْوته ، موسى بن أبي العافية ، يُخَبِّر بفَتْح كان له على

---

(2) م. « اخيه » .

(3) كذا في الأصل . لعله « المشرق الى المغرب » أو « الشرق الى الغرب » .

المَشـارِقة ، نوَّه الناصر لدين الله عِنـده بذِكْره ، وأكْرَم جَواب موسى عليه ، وجدَّد مُهاداته إيّـاه ، وكانت (4) نُسْخة الفصْل بذِكْر هذا الفتح في كِتابه :

« وأمّا ما أراد سَيِّدي ، أمير المُؤْمِنين ، أبقاه الله ، إنهاءه إليه ، مِمّا نَحْنُ فيه مع المَشارِقة ، أهْلَكهم الله ، فإنّ اللعين أبا القاسم طاغُوتهم بَعث إلينا غُلامه مَيْسورًا (5) الخَصيّ ، وعِفْرِيته ابن ابي شَحْمة الكُتاميّ ، وغَيْرهما مِن قُوّاده ، في كَثْف مِن شَياطِينه ، داعِيًا (6) لمَن حَوْلَنا مِن القَبائل إلى الدُخول في طاعته ، فحَلُّوا في البِلاد وبَثُّوا دُعاتهم ، فتَوقَّف الناس عنهم ، ولاذ البَرابِرة منهم بأوْعارهم ومَعاقِلهم .

فلمّا يَئِسُوا منهم كاتَبوا أهل مدينة [فاس] ، ولَطَفوا بهم ، ودَعَوْهم إلى الدُخول في طاعتهم ، / وأعْطَوْهم العُهود المُغلَّظة والأيْمان المُؤكَّدة على تأميذهم وتقْديمهم ، فاغْترّ بهم اميراهم ، مُحمّد بن ثَعْلَبة ، صـاحب مدينة الأندلسيّين ، وأحمد بن بَكْر ، صاحب مدينة القَرَويّين ، وقدِما عليهم مع وُجوه مِن رِجالهمـا ، فلمّا صـاروا بَيْنَ يَدي الخَصيّ ، غَدَر بهم ، فأخَذهم ، وأخَذ جميع ما (1) كان معهم مِن دَوابّ وأسْلِحة ، فلمّا رأى أهل فاس ما فَعله مِن ذلك ، تَوقَّفوا عنه ، وامْتَنعوا مِن إدخاله ، فنَكَّب عنهم ، وصار إلينا صامِدًا ، حتّى نَزَل مِنّا على مَسافة سِتّة أمْيال ، فأقام في مَحلّته أربعة أيّام ، يُكاتِبنا فلا نُصْغِي إليه ، ولا نُجِيبه ، فمَشى نَحْوَنا ، هو وأولئك القُوّاد ، في عَدَد عديد وقُوّة قَويّة والة تامّة ضاق بهم الفَضاء ، وقَسَـموا عَسْـكَرهم فأتَوْنا مِن ثَلاثة طُرُق ، من جِهـة القِبْلـة والغَرْب والشَرْق ، فوقَعت الحَرْب بَيْنَنـا مِن ضَحْوة النهـار ، فاتَّصلت إلى بَعْدِ العَصْر ، وضَمُّونا إلى الأوْعار ، وكُنّا قد كَمنّا لهم كَمِينَيْن ، فلمّا لَصِقوا

236

(4) م. « كان » .

(5) م. « ميسور » .

(6) م. « داعينا » .

(1) م. « من » .

بنا ، وقد طَمِعوا فينا ، خَرَج الكميـن الواحد ، فأثّر فيهم وصَبَروا له ، ثُمّ رَدَفه الكمين الثاني (2) ، فغَلَب صَبْرهم ، ووَلّوا مُدْبِرين ، ومَنَحنا الله أكْتافهم ، فعَمِل السِلاح عَمَله فيهم ، وأخَذ مأخَذه منهم ، فقَتَلْنا منهم في تلك الرَدّة اثنَيْن وعشرين ومِائة قتيل ، وأخَذْنا عامّة دَوابّهم ، إلّا ما أدْرَكه العَقْر منها ، ورَجَعوا إلى مُناخهم بغَيْظهم ، لم يَنالوا خَيْرًا ، وكان ذلك يومَ الخميس لاثنتيْ عشرة ليلة مَضَتْ مِن شوّال منها .

ثُمّ عاوَدونا (3) يومَ الجُمعة بَعْدَه صَباحًا بجميع عِدّتهم ، ومَن كان تَخلّف في الأخْبيـة منهم ، فرَأيْنـا عَسـاكِر عظيمة لا تَسْقيهـا المِيـاه فثـارونا (4) بالحَرْب مِن غُدْوة إلى وَقْت العَصْر ، فاسـتَظْهَرْنا عليهـم ورَدَعْناهم رَدْعتَيْن عظيمتَيْن ، وقَتَلْنا خَلْقًا منهم ، وانْصَرفوا عِشـاءً إلى مَحلّتهم خاسرين مَغيظين ، فانْصَرَفوا بَعْدَ ذلك عَنّا ، ولم يُحارِبونا إلى أن انقَلَبوا على أدْبارهم ، والحَمْد لله .

ونَحْنُ ، أبْقى الله امير المؤمنين سَيِّدنا ، في قُوّة شديدة وعِدّة كاملة وجَمْع جامع ، ما تَخلّف عَنّا أحَد مِن رِجال المَغرِب وأشْرافه ، تَمسُّـكًا بوِلايته واستِبْصارًا (5) في طاعته .

وكان الأدْعِياء في قُرَيْش الأدارِسة مِن أوْلاد مُحمّد وبني عَمّهم مِن أوْلاد (6) عُمَر ، المعروفين ببني مَيّالة ، قد مَشَوْا إلى مدينة أصِيلا أيّامَ اشْتِغالنا / بعَسْكَر المَشارِقة ، كَيْما يَكْبِسُوها (*) أو يَنْتَهِزوها فُرْصة ، فلم يُعِنْهم الله تعـالى ، على ذلك ، ولا قوّاهم ، فرَجَعوا بعَسْـكَرهم إلى مَيْسور الخَصيّ ، فإنهم لَمَعَهُ إلى هذه الغاية . 237

---

(2) م. « الثالث » .

(3) م. « عاودنا » .

(4) كذا في الأصل ، قد تكون عوض « فباشرونا » .

(5) م. « استنصارا » .

(6) م. « واولاد » .

(*) م. « يكيسوها » .

وقد كُنّا كَتَبْنا إلى ابن حِزْب (1) الله ، صاحب سَبتة ، ليُخرِج القُوّاد في المَراكِب ليُخالِفوا هؤلاء الأدارِسة إلى تِيجِساس (2) ، وما حَوْلها مِن دِيارهم ، ويَغنَموها ، فرَدّ إلينا الجَواب يَذْكُر أنّ الأدارِسة بَعْدُ مُوادُّون للسُلْطان ، مُظهِرون اعْتِقاد الطاعة ، وأَنَّه لا يُنابِذهم إلّا بَعْدَ مُؤامَرة ، فعَذَرْناه ، وعَلِمْنا أين ذَهَب هؤلاء الأدْعِياء بالمُماكَرة ، وهذا كلّه ، أعَزّ الله أمير المؤمنين ، منهم دَوافِع ومَكْر ، وبالله الذي لا إله الّا هو الرحمٰن الرحيم ، أنّ إبراهيم بن إدْريس كبيرهم وشريفهم بعَسْكَرهم لَعِنْدَ الخَصيّ مَيسور ، ما زال ولا بَرِح إلى هذه الغاية ، وأنّ ابن حِزْب (1) الله لمَخْدوع كثير الطُمَأْنينة ، لم يُحْكِم (3) مُعامَلة البَرابِرة ، فلْيَكُن من أمير المؤمنين اليه تَبْصِرة ، والله يَكْشِف له عن الضَمائر ويَقِيه المَكارِه بمَنّه » .

[جَـــواب الناصر لدين الله]

وكان الفَصْل في جَواب الناصر لدين الله إلى موسى بن أبي العافية ، في غِبْطة بمَذْهَبه وتَثَبُّته على بصيرته :

« ... وإنّك ، بمـا أَخْلَص الله من طاعتك ومُفارَقتك لأهل الإلحاد ، بصِحّـة إيمانك وتَبَرُّئك مِن البِدَع بمتين إسـلامك ، أَحَقّ مَن اطَّلَع على سـرائر اليَهـوديّ الغاوي وتَواطُئِـه (4) ، وما يُعامِل به الرُعـاع مِن أَشْـياعه ، أهل الجَهْـل بالله ، وقِلّـة المَعْرِفة بما يَنْتَحِله فيهم مِن النُبُوّة ، التي أَلْبَسـه الله بانتِحـالها الخِزْي ، وأحـاق به اللَعْنة ، وما يَرْفَعـه عنه مَن يَخْتَصّه مِن مَشارِقته ، ويَبُثّه مَن يَدُسّـه مِن دُعاته ، مِن كِتاب يَدَّعِيه ، ويَزْعَم أنّه يأْتيه ، وقُـرْآن يُسَمّيه ، وسُـورة يُفَصِّلها على أَسْوا

---

(1) م. « حَرْب » عدة مرات بهذا الموطن ، صححناها معتمدين على « البيان » ج 1 ص 204 .

(2) قراءة مشتبهة بلا تنقيط في الأصل ، راجع « الوثائق » رقم 20 .

(3) م. « تحكم » .

(4) م. « تواطنه » .

مَعانيهـا ، رأى أمير المؤمنيـن بَغْتة ما وَقَع إليه منهـا إليك ، وأمَرْنا بانْتِساخه لك لِتَراه ، وتَعْجَب مِن خَذْلان الله ، عَزّ وجَلّ ، له فيها ، وتَبَرُّئه منه ، بما يَدَّعِيه مِن أشْكالها ، وتَرى الضُعْف البَيِّن فيها . والعَجْز الظاهر عليها ، والبَيِّنة الصادقة المُحدِقة بها ، ولتَعْلَم أنّ الله قد صانَك عن دَنَسه ، ونَزَّهك عن التَلبُّس به ، واخْتَصّك بجِهاد مَن انْحَرَف إليه ، وآثَرك بفضيلة ذلك كلّه ، ولتَحْمَد الله تعالى ، على ما ألْهمك إليه ، وبصَّرك به ، وأراك الحَظّ فيه ، ولتَنْشر خَبَرها في أهل عَمَلك ، / وتُذيعها (1) على البَرابِر حَوالَيْك ، ليَزْدادوا منه بُعْدًا ، وعنه نَفارًا ، وله كُرْهًا ، ولتَجِدّ بَصائركم في حَرْبه ، وعزائمكم في دَفْعه ، إذ هُم (2) أهل الدِين المتين والإسـلام الحصين ، الذي لا تَدْخُله آفات المُلْحِدين ، ولا تَسْتَفِزّه خِدَع الفاسقين ، فقد كان اللعين يَسْتَتِر بهذه الحال ، ويَطْويهـا ، ويَمْنَع مِن نَشْرها ، إلّا لمَن تَمَكَّنت خِدَع الشَيْطان مِن قَلْبه ، حتّى كَشَفها الله عليه ببَعْض مَن قَدِم إلى ما قِبَل أمير المُؤْمِنين بها ، مِمَّن كان عِنده ، ومِمَّن كان مُطَّلِعاً على جميع أمْره ، فلمّا أسْفَر الحَقّ فيه عن وَجْهه ، وبدا مِن سِتْره أمَر أمير المؤمنين بكَشْفها للعامّة فيما عِنده ، فازْدادت بُغْضتها له ، وحَنَقها عليه ، وعَلِموا أنّ الله تعالى يُسلِّط مِثْلها على قَوْم أحَبَّهم ، بل سلَّطه نَقِمة عليهم ، وتَحْريفاً لدِينهم ، وتَبـديلاً لإسـلامهم ، وإحالة لقُرْآنهم ، والله وَلِيّ الانْتِقام مِن المُفْسِدين ، ومُنزِّل الغِيَر بالمُلْحِدين ، إن شاء الله تعالى » .

238

الهَـديّة

وكانت هَديّة الناصر لدين الله إلى موسى بن أبي العافيـة ، التي قَرَنها بجَوابه إليه في هذه السنة ، ما يجيء ذِكْره :

خمس وعشـرون قِطْعـة من البَزّ الطِرازيّ الخاصّيّ ، المُرتفِع ، العجيب الصَنْعة ، العِراقيّ ، العُبَيْديّ مِن ذلك خمس ، والطِرازيّ عشر ،

(1) كذا في الأصل ، قد تكون « وتُذِعْها » .
(2) كذا ، قد تكون « اذ انتم » .

وصُوف البَحْر ثلاث ، والسرقُسطيّ ثِنْتان ، والعَمائم خمس .

دَرج فِضّة خِلافيّ كبير ، مُنقَّش الصفائح ، مُذهَّب التّنقيش ، أبْيَض الأرض ، مُلَبَّس الداخل بالأُرْجُوان داخِله .

تِسْع بين حِقاق ومَخازن (3) ، كلّها مملوءة بأنْواع الطِيب ، منها حُقّ فِضّة ، مُدوَّر الشكْل ، مملوء من ندّ مَعْقود بالعَنْبر ، وحُقّ عاج أبْيَض ، فيه عُود بَخُور مُطري (4) بعنْبر ، وحُقّ عاج آخر ، بأوْصال فضّة أيضاً ، داخِله قَدَح عِراقيّ مملوء غالية مُرْتفِعة ، وحُقّ عاج ثالث بأوْصال فضّة ، مبْسوطة الأعالي ، فيه بَخُور المُلوك ، ومَخْزَن زُجاج ، بمغَطّى (5) فِضّة وسِلْسِلة فِضّة ، فيه مِسْك أذْفَر سحيق ، وحُقّ عاج رابع أوْصاله فِضّة (6) أيْضاً ، فيه ذَريرة للصّيْف تَسْتَعْمِلها المُلوك عِند العرق ، وزُجاجة عِراقيّة مُذهَّبة ، فيها ماء وَرْد عِراقيّ خِلافيّ (7) ، وغِشاء دِيباج ، فيه مُشط عاج كبير سُلْطانيّ لتَسْريح اللِحْية ، / ومِكْحَل ذَهَب ، قد أُدرِج ذلك في سَبَنيّة شَطْريّة ، وجَوْفه دِيباج ، مُغَشّاة بجِلْد فاسيّ ، غريبة الصَنْعة ، لها أربعة بُيوت ، في كلّ بَيْت منها مَخْزَن فِضّة على صَنْعة الإفْرَنْجيّ ، أحَدهما مُشمَّع عُنْقه شَطْرَنجيّ ، بغِطاء فِضّة وسِلْسِلة فِضّة ، ومَخْزَن ثانٍ (1) بدارات مُشجَّرة ، بَيْنَها (2) تَشْجير مُشجَّر سِوى (3) العُنق ، مُصفَّر الأسْفَل ، بغِطاء فِضّة وسِلْسِلة فِضّة ، ومَخْزَن ثالث مِثْله وعلى حِكايته ، ومَخْزَن رابع على صِفة الأوّل وصَنْعته ، فيها النُقاوات الأربع ، الخِلافيّة المُرتفِعة ، الحَرْشاء ، والصَفْراء ، والبَيْضاء ، والنَضُوح ، وفي هذه

239

---

(3) م. « مخادن » .

(4) كذا في الأصل قد تكون عوض « سقطري » .

(5) كذا في الأصل ، راجع هذا اللفظ في ملحق دوزي .

(6) م. « أوصال فضته » .

(7) م. « جلافي » بشكل واضح خلاف ما يأتي أسفله .

(1) م. « ثماني » .

(2) م. « بينهما » .

(3) قراءة غير واضحة .

الجُونة مع هذه المخازِن زُجاجة عِراقيّـة بمَسُوح خِلافيّ ، ودَرَج فِضّة صغير بعُود (4) الخِلال ، والغُدّة التي تَستَعمِلها المُلوك بَعْدَ الطَعام .

وكان في هذه الهَديّة مِن غَرائب السِلاح اربعة بُنود ، [بَنْد أوّل فيه صُورة عُقاب] مُختلِف الألْوان ، رأسه فِضّة ، مُذهَّب النَقْش ، له عَيْنان حَمْراوان (5) ، في وَسْط جَبْهته فُصّ أخْضَر ، وبَنْد ثانٍ [فيه]صُورة أسَد مُزوَّق أيْضاً ، رأسه فِضّة ، له عَيْنانِ سَمائيَّتان (6) ، وبَنْد ثالث مُطْلَق كبير أبْيَض مُكتَّب بتَذْهيب ، في جَوانِبه الثلاثة كِتاب (7) عريض ، وبَنْد رابع أحْمَر مكتوب بالفِضّـة في جَوانِبه الثلاثة كِتـاب عريض ، وفيهـا سَيْفانِ ، وهِلالانِ مُذهَّبانِ مُزوَّقانِ ، واربعة قُرون للضَرْ[ب] جاموسـيّة مُجَزَّعة الأطْراف الضَيِّقة بأجْمعها ، غَلائفها دِيباج ، وعِلَقها اديم أحْمَر ، ولكلّ واحد منهما اربع حَلَق فِضّة للعَلائق حِلْية ، أحَدهما فِضّة مُذهَّبة ، مُلوَّزة بلَوْز أبْيَض بصَنيفَتَيْن مُذهَّبتَيْن ، مُشمَّع الطَرَف الأضْيَق ، فيه أربع حَلَق فِضّـة ، وحِلْية الثاني فِضّة بصُور ، وحِلْية الثالث فِضّـة مُنقَّشـة مُشمَّعة (8) ، وحِلْية الرابع فِضّة مُذهَّبة مُنقَّشة مُشجَّرة ، وسِتّة من الطُبول المُذهَّبة الكاملة الآلة ، بزَوافِرها في غُلُف أدَم أحْمَر ، مُبطَّنـة بصُوف ، وعشرون ألْف نَبْلة أعْجَميّة .

[وَفاة عُبَيْد الله الشِيعيّ]

وكان في كِتاب موسى بن ابي العافية هذا إلى السلطان أيْضاً فَصْل في ذِكْر وَفاة عُبَيْد الله الشِيعيّ ، صـاحب المَهْديّة ، أهْدى إلى السلطان نُسْخته :

---

(4) م. « عدد » .

(5) م. « احمران » من باب تذكير المؤنث الكثير في العربية الأندلسـية ، انظر « ملخص قواعد فصيلة اللهجات الأندلسية » لكورينطي ص 148 .

(6) م. قراءة غير واضحة .

(7) م. « تكتاب » .

(8) قراءة غير واضحة م. « مسيغة » .

« وقد أُخِذ اليَقِين بمَوْت الشَيْخ الرجيم ، عُبَيْد الله الشيعيّ ، صاحب المَهْدِيّة ، عميد هذه النِحْلة المَشْرِقيّة الضالّة ، وخليفة / الشَيْخ النَجْديّ ، صاحب قَوْم دار النَدْوة ، أَصْلاه الله جَهَنَّم ، وساءَتْ مَصِيرًا ، وأنّه وَلِيَ مَكانَه اللعين المَكْنِيّ بأبي القاسم ، وَلِيّ عَهْده ، وأنّه قَتَل إخْوته كلّهم ، إلّا واحدًا هَرَب إلى كُتامة شِيعتهم ، فوَلّوْه على أنفُسهم تنافُسًا منهم في أهل بَيْت اللَعْنة ، وأنّ أبا القاسم ، قَصَمه الله ، قَتَل أيْضاً كبيراً مِن أكابِر رِجال أبيه ، فالأمور بحَضْرتهم مُضطرِبة (1) ، والحَمْد لله كثيراً ، كما هو أهْله » .

240

الوِلايــات

فيها وَلِيَ الوِزارة أحمد بن مُحمّد بن إسْحاق بن الوليد بن عبد المَلِك بن عُمَر بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُمَيّة في صَفَر (2) منها ، وعُزِل عنها عبد الحميد بن بسيل ، وعبد المَلِك بن جَهْوَر ، وكِلاهما في شَوّال منها ، وأُعِيد فُطَيْس بن أَصْبَغ إلى الوِزارة في شَوّال أيْضاً ، ووَلِيَ الوِزارة خالد بن أُمَيّة بن شُهَيْد في ذي الحِجّة منها . ومات الوزير عبد المَلِك بن عُمَر بن شُهَيْد في رَجَب منها ، فانْسَلَخ العام والوُزَراء (3) سبعة : سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، أحمد بن إسْحاق القُرَشيّ ، أحمد بن مُحمّد بن حُدَيْر ، أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف ، خالد بن أُمَيّة ، فُطَيْس بن أَصْبَغ ، يَحْيى بن إسْحاق .

وعُزِل عبد المَلِك بن جَهْوَر عن الكِتابة العُلْيا في شَوّال منها ، ووَلِيَ مَكــانَه عيسى بن فُطَيْس بن أَصْبَغ مع كِتــابة الرأي ، وعُــزِل مُحمّد بن فُطَيْس (4) عن السِكّة ، فوَلِيَها مَكانَه (5) سعيد بن حَسّاس (6) في المُحرَّم

(1) م. « مضطر له » .
(2) م. « سفر » .
(3) م. « الوزارة » .
(4) م. « فطيس بن محمد » ولكن انظر كتابنا هذا ص 160 و 223 .
(5) يضيف المخطوط هنا « عيسى بن فطيس » .
(6) في ص 160 « جساس » .

منها ، وعُزِل حسن بن أحمد بن عاصم عن خُطّة السُوق في المُحرَّم ، فولِيَها مَكانه يَحْيى بن إدْريس .

وعُزِل مُحمّد بن عَبّاس عن كُورة إلبيرة في جُمادى الأُولى منها ، ووَلِيَها مَكانه مُحمّد بن عَمْرو .

وعُزِل مُحمّد بن بَدْر عن كُورة باغُه في ذلك التأْريخ ، ووَلِيَها مَكانه عِيسى بن مُحمّد ،

وعُزِل عبد الرحمٰن بن بَدْر عن كُورة إشْبِيلِية في اخِر ذي الحِجّة منها ، ووَلِيَها مَكانه [أحمد بن هِشام] (7) ،

وعُزِل حَسَن بن قاسم عن كُورة لَبْلة ، ووَلِيَها مَكانه عِيسى بن احمد ،

وعُزِل جَهْوَر بن عُبَيْد الله عن كُورة شَذُونة ، ووَلِيَها مَكانه احمد ابن ابي العاصي .

241 وعُزِل سعيد بن ابي القاسم الخال عن كُورة أَسْتِجة ، / ووَلِيَها مكانه عُمَر بن احمد ،

وعُزِل مُحمّد بن أَصْبَغ عن كُورة الجزيرة لمُحمَّد بن داوُد ،

وعُمَر (1) بن قاسم عن مدينة قَرْمُونة لمُطَرِّف بن مَسْعود بن مفور (2) ،

وعبد الحميد بن بسيل عن أَشُونة بعبد المَلِك بن سعيد الخَوْلانيّ ،

وموسى ويحيى ابنا مُحمّد بن إلياس عن كُورَتَيْ (3) بَلَنْسِية وشاطِبة بمُحمّد بن إسحاق ،

ومُحمّد بن عبد الله بن حُدَيْر عن طُلَيْطُلة بمُحمّد بن عبد الرحمٰن ،

ومُحمّد بن حَمْدُون بن بسيل عن قَلْعة رَباح بعبد المَلِك بن عبد الله ،

ويَحْيى بن أَصْبَغ بن فِهْر عن طَلَبيرة باحمد بن عبد الرحمٰن ،

---

(7) وقد أعاد الناسخ ما ياتي في السطر الأخير بعد « عيسى بن محمد » فصححنا الكلام معتمدين على كشف الولاة لسنة 323 ص 255 حيث يذكر عزل احمد بن هشام عن اشبيلية .

(1) في مخطوطنا هذا ص 241 « عمرو » .

(2) في ص 256 « مفوز » .

(3) م. « كورتا » .

وسعيد بن عبد الرؤوف (4) عن طَرْطوشة بعُمَر بن عبد الله (5) ،
[وفي رَجَب منها أُبيل] احمد بن مُحمّد [بن إلياس عن مدينة وَشْقة
واستُعْمِل على مدينة طَرَسُونة] (6) ،
وعُثْمان بن عُبَيْد الله (7) عن ماردة بيَحْيى بن مُحمّد ،
وقاسم بن رَجِيق عن مدينة الأشبُونة وجَبل بني مُطري بعبد الوارث
ابن سعيد .
ومُطرِّف بن جَرّاح (8) عن مدينة شَنْتَرين بموسى بن مُحمّد ،
ومُحمّد بن عَمْرو (9) عن كورة باجة بأبان بن عُثْمان ،
وحَكَم بن مُعاوية القُرشيّ عن مدينة بَطَلْيوس بمُطرِّف بن جَرّاح ،
واحمد بن مُحمّد بن الطّليار عن الجزائر الشَرْقيّة باحمد بن عُمَر .
وفيها سجّل الناصر لدين الله لعبد الله بن مُحمّد (10) على مدينة
وَشْقة في شَعْبان ،
ولثُمارة بن سُليمان على مدينة تُطِيلة ،
ولعبد الرحمٰن بن مُحمّد بن النَظّام على كُورة فِرّيش وفَحْص البَلُّوط
ولَقَنْت ومِكْناسة وبطرلش ، جُمِعَتْ له عن عِدّة ، وَلاّه في شَوّال .

(4) م. « عبد الرؤوف بن سعيد » وقد صححناها لانه في عام 321 ص 223 ولي سعيد ابن عبد الرؤوف ودلهاث بن محمد معا كورة تدمير ، ولا يذكر عبد الرؤوف بن سعيد فيما بعد بينما سعيد بن عبد الرؤوف يذكر بين الذين عينوا عمالا في سنة 326 و 327 و 330 ، انظر ص 291 و 304 و 329 .

(5) م. « عثمان بن عبيد الله » نصححه لأن من عزل في عام 323 عن طرطوشة كان عمر . انظر ص 256 .

(6) هذا التصحيح احتمال منا غير متعارض مع ما جاء في « المسالك » للعذري ص 70 ومع ما يجيء في كتابنا هذا ص 244 حيث يقول بان القائد احمد بن محمد بن الياس هو صاحب « طرسونة » .

(7) م. « احمد بن محمد » نصححه لأن عثمان كان هو من عزل عن ماردة التي وليها سنة 321 ص 224 .

(8) قراءة غير واضحة قد يكون الصحيح هو « محمد بن عمرو » الذي ولي على «شنترين » سنة 321 ص 223 .

(9) كان عاملا على « شنترين » سنة 321 فهل كان أيضا عاملا على « باجة » ؟ .

(10) في « المسالك » العذري ص 70 يقول بان محمد بن حدير بن عبد الله كان عاملا على « وشقة » بدلا من احمد بن الياس ويبدو ان صاحب « المسالك » ص 68 يؤكد انه كان في عام 323 ، ولكن عبد الله بن محمد هذا ذكر في قائمة الولاة لعام 325 و 326 ص 284 و 291 .

سنة ثلاث وعشرين وثلاث مِائة

[غـزوة سَرقُسْطة]

قال عِيسى بن احمد : فيها كانت غَزاة أمير المؤمنين عبد الرحمٰن الناصر لدين الله إلى سَرقُسْطة ، أُمّ الثغر الأعلي ، على مُناجَزة مُحمّد بن هاشـم التُجِيبيّ المُنتزِي بهـا ، اخِر من بَقِيَ من اهل الخِـلاف بأرض الأندلس ، وقد كان قُوّاده الذين خَلَّفهم مُقِيمِين حَوْلَها ، مُتظـاهِرين على التَضْييق عليهـا ، مُلازِمين لمَراتِبهم مِن حَضرها ، مُجـاهِدين في حَرْب اهلها ، فاسْتَعَدّ لغَزْوها بنَفْســه في هذه الســنة ، وتأهّب وحَشَد ، وبَرَز بعَسْكَره قَبْلَ قُفوله بمُدّة طويلـة على عادته ، ثُمّ كان فُصـوله لها يومَ الخميس (11) للنِصْف مِن جُمـادى الآخِرة منهـا ، وهو اليَوْم الثالث والعشرون (12) من شَهر مـايُه الشَمْسيّ ، إلى سـتّة وثلاثين يَوْماً من بُروزه (13) ،

---

(11) تاريخ خطا ، يجب ان يقرا « السبت السادس عشر من جمادى الآخرة » .

(12) م. « عشرين » .

(13) قد سقط من هنا ذكر من تخلف في قرطبة من أولاده مكانه مع اسمي الحاجب (سعيد بن المنذر القرشي) وصاحب المدينة المساعدين له .

242 / فكان مَوْكِبه بَهِيًّا جميلًا ، أكْثَرت (1) شُعراؤه الوَصْف له والتَبْشير به ، فكان مِن ذلك [لـ]زعيمهم ، أحمد بن مُحمّد بن عبد رَبّه ، قصيدة طويلة أَوَّلها [طويل] :

فُصُولُ نَظِيرُ ٱلْيُمْنِ وَٱلْمَوْكِبِ ٱلسَّعْدِ
وَبِٱلنَّصْرِ وَٱلتَّأْيِيدِ فِي ٱلْقُرْبِ وَٱلْبُعْدِ
وَحَزْمُ بِهِ يَنْضَمُّ مُنْصَدِعُ ٱلدُّجَى
وَعَزْمُ كَحَدِّ ٱلسَّيْفِ يَفْرِي بِلَا حَدِّ

وهي طويلة .

وكان طريق الناصر لدين الله في غَزاته هذه مِن قُرْطُبة إلى مَمْلوحة ، إلى بَلاط مَرْوان ، فتلقّاه بها البشير بهَلاك عَمْرُوس بن مُحمّد ، صاحب مدينة بَرْبَشْتر من الثغْر الأَعْلى ، وأنّ حُصونه المُنْضوِية (2) إليها ، المُوفية الى بَلَد بَلْيارِش مِن بَلَد الإفْرَنْجة ، قد تَداعَتْ إلى الطاعة ، فأنْفَذ مِن طريقه بعض قُوّاده لتَسلُّم هذه الحُصون وشَكّها ، واعْتَدّ ذلك فاتحة الصُنْع له في غَزْوته ، وانْتَقل إلى طنْيُوشة مِن كُورة جَيّان ، ثُمّ إلى الحنِية على وادي بُلْيُون من جَيّان ، ومنها إلى قَسْطَلُونة ، إلى وادي بحاط (*) ، إلى مَحَلّة الضَيْم ، [إلى] حِصْن شَنْت أَشْتِيبَن ، إلى قَرْية بنوان على الوادي الأَحْمَر ، إلى طُرْجيلة الشَيْخ ، إلى طُرْجيلة الثانية ، إلى وادي فندبان ربمه (3) ، إلى مَحَلّة الغدْر ، آخِر كُورة جَيّان ، ومنها إلى بَلاط صوف مِن كُورة تُدْمِير ، إلى مدينة شَنْتَجِيلة ، ومنها إلى قَنْطَرة طرُّش على وادي شُقَر مِن كُورة بَلَنْسية ، إلى بُرْج القَبْذاق (4) ، منها إلى البَطْحاء بقُرْب المَرْج ، منها إلى رُبوه من عَمَل يَحْيى بن أبي الفَتْح بن ذي (5) النُون

---

(1) م. « اكثرة » .
(2) م. « المنصوبة » .
(*) كذا في الأصل .
(3) كذا في الأصل . قد تكون الكلمة الأولى « فنداق » والثانية « ريمية » .
(4) م. « الفنداق » ، وهو Caudete de las Fuentes اليوم .
(5) م. « ذا » .

مِن كُورة شَنّت بْرِية ، وإلى لَنْدِيط ، وإلى فرْحان على وادي أجيط ، وإلى حِصْن بِلّال ، وإلى تِيرْوال ، وإلى آخِر عَمَل شَنْت بْرِية ، ثُمّ إلى مَحَلّة شالِش ، المُجاوِرة لحِصْن السَهْلة ، مِن عَمَل بني رَزين ، وإلى مَحَلّة لنْقه ، المُجاوِرة لحِصْن قَلَمُوشة ، وحِصْن الرَياحِين مِن أعْمال بني رَزين ، ومِنْها إلى مَرّج توْربر (6) مِن قُرى الوادي (7) بقُرْب مدينة دَرُوقة ، وكان يونس بن عبد العزيز التُجِيبيّ قد أخْلى دَرُوقة وقرنتش وغَيْرهما من الحُصون المُجاورة لدَرُوقة ، وانْحاش عنها إلى عُشّ الضَلالة والخِلاف ، سَرَقُسْطة ، مُنْضمًّا إلى بني عَمّه التُجِيبيّين ، فانْتَقَل السلطان من مَحَلّة المَرْج إلى مَحَلّة الصَفْصاف مِن عَمَل سَرَقُسْطة ، ومنها إلى مَحَلّة مو.ه (8) ، على نَهْر بلطش ، مِن عَمَل مدينة سَرَقُسْطة ، وامْتار العَسْكر مِن أعْمال بني رَزين وبني غَزُون وسائر جِهات / أهل الطاعة ، ومنها إلى طالع قُورْت (1) ، على نَهْر بلطش ، على مَسافة أربعة أمْيال إلى مدينة سَرَقُسْطة . 243

الحُلول بسَرَقُسْطة

قال : ورَحَل العَسْكَر مِن الغد عن مَحَلّته على نَهْر بلطش ، فنَزَل مَحلّته بالجزيرة على نَهْر إبْرُه (2) ، على باب سَرَقُسْطة ، فأناخ بها الناصر لدين الله وتَبوّأها دار مُقامه ، نَزَلها بجميع عَساكِره وحُشوده ، وابْتَنى بها القُصور والمَنازِل لنَفْسه ووُلْده وقُوّاده ، فأوْفى ببَعْض ما ابْتَناه فيها مِن العَلالِيّ على مدينة سَرَقُسْطة ، مُطِلًّا على قَصَبتها ، مُطّلِعاً على مَن دَخَلها وخَرَج عنها ، وعلى مَن يَمْشِي في بعض أزِقّتها .

---

(6) قراءة غير واضحة .
(7) يبدو أنه سقط هنا اسم الوادي .
(8) قراءة غير واضحة لعلها « موله » أو « دويل » رسمها في ص 245 « موله » .
(1) بلا تنقيط وقد يكون « قورت » .
(2) م. « ايره » .

تُطيلة ، على طريقها المسلوك إليها ، وهو مِن عَمَل سَرَقُسْطة على خمسة عشر مِيلًا منها ، فشَكّ تلك الناحية ، وأشْرَف على مَصالِحها ، ثُمّ عاج إلى حِصْن مُوْبِيط يومَ الجُمعة لأربع عشرة خَلَتْ من ذي القَعْدة ، / فاحْتَلّ مَحلّته بمولة ، على نَهْر بلطش (1) ، ومنهــا إلى حِصْن رينوش ، وإلى حِصْن دَرُوقة ، وإلى بِرْكة العَجُوز ، وإلى حِصْن مُلِينــة ، وإلى مَحَلّــة الأجْبُل ، على نَهْر تاجُه ، على مَخْرَج الوادي ، إلى سِكّة القَنْتُوت (2) ، وإلى حِصْن شَنْت مَرِيّة ، من عَمَل شَنْت بْرية ، وإلى حِصْن وَبْذة منها ، وإلى حِصْن أُقْلِيش منها ، وإلى لَوْطِيش ، وإلى مرْطِيله مِن فَحْص اللج ، وإلى قَصْر غَطِيّة منه ، وإلى أُمّ الوسـيم المعروفة بمدينــة راشد ، مِن ريمية (3) ، وإلى نَهْر ناظور (4) ، وإلى نَهْر برقُول ، مِن بَيّاســة ، على وادي الأَحْمَر ، وإلى سنقيط ، على نَهْر قُرْطُبة ، وإلى قرنيانة ، مِن جَيّان ، وإلى مَرْج طُرُّش ، بقُرْب حاضِرة جَيّان ، وإلى قَرْية غَلِنّيْرة ، مِن إقليـم آنة ، مِن عَمَل قُرْطُبة ، وإلى قَرْية أرِينش ، وإلى مُنْية الناعورة الأثيرة ، مِن حاضِرة قُرْطُبة ، بعِدْوة نَهْرها ، ومِنها كان دُخوله إلى قَصْر الخِلافة بمدينتها يومَ السَبْت لأربع عشرة خَلَتْ مِن شَهْر ذي الحِجّة منها .

245

[تَلْخيص الرازيّ لغَزْوة سَرَقُسْطة]

ولخَّص أحمد بن محمّد الرازيّ ، والِد عِيسى ، هذه الغَزاة في كِتابه المُختصَر ، فقال : في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مِائة غَزا الناصر لدين الله بالصائفة الحافلة إلى سَرَقُسْـطة البائســة ، وقد احْتَفَل في[...] (5) واحْتَشَد بالكَثْرة ، وكان فُصوله لها في النِصْف مِن جُمادى الآخِرة (6)

(1) م. « بطلش » .
(2) م. « قنتوت » .
(3) م. « ريمه » .
(4) م. « بطور » .
(5) يبدو أنه سقط هنا ما معناه « عِدّتها وعُدّتها » .
(6) م. « آخر » .

منها ، قاصدًا سَرَقُسْطة ، وقد كاشفه أميرها محمّد بن هاشم التُجيبيّ [بالعَداوة] ، واسْتلَجّ في مَعْصِيته ، ونَصَب له الحَرْب بَعْد تأنّيه به ، وقد كان الناصر لدين الله ، بعْدَ إعذاره إليه ، ألْزَم قُوّاده المُقام عليه والشَدّ لحَصْره ، مُنذُ سنة اثنتَيْن وعشرين قَبْلَها ، فظَلّ مُجْحَرًا في جَوْف مدينة سَرَقُسْطة ، قد أخَذ التَضْييق بمُخَنَّقه ، والقُوّاد كلّ وَقت يَنْتَهبون ما حَوْلَها ويَنْتَجِعون (7) أطْرافه .

ثُمّ قَصَد الناصر لدين الله العامَ بنَفْسه في جُموعه ، فتَلقّاه البشير في طريقه بمَهْلَك عَمْرُوس بن محمّد المعروف بالطويل ، صاحب مدينة بَرْبَشْتُر ، مِن قَواعِد الثَغْر الأعْلى ، والحُصون المُنْضَوية إليها المُوفِية على حُصون بَلْيارِش مِن نواحي بَرْشَلُونة ، قاعِدة الفَرَنْجة ، وأنّ أهلها فأوُوا إلى الطاعة واعْتَلَقوا بعِصْمة الجَماعة ، فأنْفَذ الناصر لدين الله مِن طريقه محمّد بن عبد الله بن حُدَيْر لضَبْطها له / والنَظَر في مَصالِحها ، 246

فكان هَلاك هذا الطويل وفَيْئة أصْحابه بَعْدَه إلى الطاعة مِن الأسْباب المُعِينة على محمّد بن هاشم ، الفاتّة في عَضُده ، الحائلة بَيْن أمانيه ، إذ كان وكانوا في حَرْب محمّد بن هاشم مِن أوْثَق أرْكانه .

وتَلا ذلك فَرار يونُس بن عبد العزيز التُجيبيّ ، المعروف بالدَرُوقيّ ، ابن عَمّ محمّد بن هاشم ، عن دَرُوقة حِصْنه ، عِندما بَلَغه مِن دُنُوّ الناصر لدين الله إليه ، فضاقَتْ عليه برُحْبها ، وهَرَب بنَفْسه إلى محمّد ، وأخْلَى حِصْنه ، دَرُوقة ، وغَيْره مِن حُصونه ، وغادَرها مُتْرَعة مِن ذَخائره ونِعَمه (1) ، ولَحِق بابن عَمّه ، محمّد بن هاشم ، بسَرَقُسْطة ، فدَخَلَتْ جِهته في حَيِّز (2) الطاعة .

واحْتَلّ الناصر لدين الله على تَفْيِئته بمدينة سَرَقُسْطة للنِصْف مِن رَجَب منها ، فشَرَع في مُنازَلة محمّد بن هاشم ، ووَرَد عليه لأوّل حُلُوله

---

(7) م. « ينتجيعون » .

(1) م. « نعمة » .

(2) م. « خير » .

بسَرقُسْطة القائد احمد بن محمّد بن إلياس باحمد بن محمد التُجيبيّ ، صاحب حِصْن مَوْريل ، بناحية طَرسُونة (3) ، مِدْرَه نجيب (4) وفارسها المشهور ، فحَبَسه الناصر لدين الله في رِواق بالعَسْكر ، ثقّفه (5) فيه ، إلى ان حان قُفوله عن سَرقُسْطة ، فأمَر بصَلْبه على بابها .

وعوَّل الناصر لدين الله في سَفرته هذه على تَشييد البُنيان في الجِهات التي اتَّخَذها على حَصْر سَرقُسْطة ، ليقْتدِر بذلك على أخْذ مُخنَّقها وقَطْع المَرافِق عنها ، والأخْذ بكُظْم اهلها ، فاسْتَبلَغ ذلك وأشْرَف عليه بنفسه ، وأرْهَف لحِكْمة تَدبيره ، راكباً إلى أمْكِنته ، مُتزيِّدًا في إحكامه ، إلى ان بَلَغ مِن ذلك مَداه ، وافْتَتح قُوّاده خِلال ذلك عِدّة حُصون من حُصون سَرقُسْطة ، عَنْوةً وصُلْحًا ، مُدّة مُقام الناصر لدين الله في مَحلّته على بابها ، منها حِصْن وَرْشة ، افْتَتَحه محمّد بن سعيد بن المُنْذِر القُرشيّ عَنْوةً ، وأخَذ فيه إبراهيم بن هاشم ، اخا المارِق محمّد بن هاشم ، وقَدِم به إلى مُعَسْكر الناصر لدين الله ، فأعْتَقه الناصر لدين الله ، وكَساه وحَمَله .

وتَمادى الناصر لدين الله على حِصار سَرقُسْطة ، وصام شَهْر رَمَضان في مَحلّته عليها في وَقْت حَرّ شديد ، وأفْطَر في مَحلّته أيضاً ، وقد ابْتَنى فيها المَنازِل الرَحْبة ، والمَصانِع الرفيعة ، وقامت بها الأسْواق الجامعة ، وأشْرَف / بعض بِنائه هُنالِك على جَوْف سَرقُسْطة ، فصار مُطّلِعاً على مَن داخِلَها ، لا يَمْشي ماشٍ في أزِقّتها ، ولا يَخْرُج خارج مِن أبْوابها ، إلّا والعَيْن تأخُذه ، واللِسان يَصِف هَيْئته ، واشْتَدّ لذلك الحِصار على اهلها ، واستَوْفى الناصر لدين الله المُقام عليها في هذه الغَزْوة اربعة أشْهُر ، ثمّ قَفَل عنها بَعْد أن شَكّها بالرِجال والقُوّاد في جَماهير

247

(3) م. « طرطوشة » .

(4) كذا في الأصل ، نكرة .

(5) م. « يقفه » .

الأَجْنـاد ، مُقيمِيـن في المَحَلّـة التي تبوَّأها ، وقَفل عزيزًا ظاهرًا إلى حَضرته قُرْطُبة .

قال : وفي الذي اقْتَدَر عليه الناصر لدين الله مِن الحُلول بسـاحة مدينة سَرَقُسْطة ، على جَلالة قَدْرها ، وإحاطته بهـا وشِدّة الحَصْر غلى أهلها ، قال عبد الله بن يحيى بن إدْريس في قصيدة له حَسَنة مَدَح بهـا الناصر لدين الله ، أوَّلها [بسيط] :

[يَا نَاصِرُ] ٱفْتَحْ عَزِيزَ ٱلنَّصْرِ وَٱلظَّفَرِ
يَا فَـاتِحَ ٱلْأَرْضِ مِنْ قُطْـرٍ إِلَى قُطْـرِ

وهي طويلة .

وفي قُفول الناصر لدين الله عن سَرَقُسْطة (١) يقول أحمد بن محمّد ابن عبد ربّه الشاعر ، وأسْهَب بَعْدُ في المديح ، أوّل قصيدته [طويل] :

أَشِبْهُ [لِ]بَدْرٍ لَاحَ لِلنَّاسِ أَمْ شَمْسُ
أَمِ ٱلْبَرْقُ أَسْرَى فِي لَوَامِعَ كَٱلْوَرْسِ

أطال فيها .

[عَقد السِلم مع رُذمِير]

وفي هذه السنة عَقَد الناصر لدين الله سِلْم رُذْمِير بن أُرْدُون ، مَلِك جِلّيقيّة ، لَعَنه الله ، بَعْد خِطْبته لها ، وتَردُّد رُسُله إليه في الْتِماسها ، وخَرَج الوزير يَحْيى بن إسحـاق إلى حَضْرة رُذمير في تَقْرير شُروطهـا ، حتّى استَتَبّ شأنها ، وانْعَقَدَتْ مع ثِقات رُذمير في مَجْلِس الناصر لدين الله ، ووَقَع الإشـهاد عليه في مَحْفِل المَلأ مِن رِجال المَمْلَكـة ، يَوْم الثُلاثاء للنِصْف مِن ربيع الآخِر من هذه السنة ، فكان يوماً مشهورًا بقُرْطُبة ، في

(١) يضيف الناسخ على الهامش « سفرته » .

الجَمــال والزِينة ، وذَهَب الناصر لدين الله لمُسالَمته لهذا الطاغية إلى اقْتِطاعه عن نَصْر المارق محمّد بن هاشم ، صاحب سَرَقُسْطة ، إذ كان قد جَرَتْ بَيْنهما في ذلك خِطْبة ، فأَظْهَر الطاغية إيثار سِلْم الناصر لدين الله ، أمير الجَماعة ، وفي نَفْسه الحَنيــن إلى (2) ما يَدْعُوه إليه المارق ابن هاشم مِن الدُخول بَيْنَ المُسلِميــن ، طَلَباً لشِــفاء الغُلّــة ، فلم يَزَل وَسْواس ابن هاشم / يَنفُث في رُوحه (1) ، إلى أن نَكَث بالناصر لدين الله سريعاً ، ووالى ابن هاشم ، فكانت به الدائرة ، وكان انْتِكاثه في آخِر سنة أربع وعشرين ، حَسَبَ ما يجيء ذِكْره .

248

[النُجــوم]

وفي آخِر هذه السنة ، وذلك لاثنتَيْ عشرة ليلة خَلَتْ من ذي القَعْدة ، سَنَة ثلاث وعشرين المذكورة ، رُمِيَ بالنُجوم في الجَوّ رَمْياً دِراكاً ، وكان مُعْظَم ذلك مِن وَسْط السَماء إلى الأُفُق الغَرْبيّ ، وانْكَدر منها نَجْم عظيم جِدًّا مِثْل العَمُود ، وهو مِن ناحية الشَرْق ، فزاحَم القَمَر حتّى كاد يَشُقّه في مَرْأى العَيْن .

الأُسْــطُول

وفيها غَزا الأُسطُول إلى بَلَد الفَرَنْجــة ، أَهْلَكهم الله ، وقائده عبد المَلِك بن سعيد بن أبي حَمــامة ، وكانت عِدّة مَراكِبــه أربعين مَرْكَبــاً ، عشرين حَرّاقات ، فيها النَفْط والآلات البَحْريّة ، وعشرين (2) فيها الرِجال المُقاتِلة ، وكان عِدّة رُكّابه مِن الجُنْد أَلْف رَجُل ، ومن البَحْريّين أَلْفَيْن ، وكان رُكوبهم مِن مدينة المَرِيّة في رَجَب من هذه السنة ، فبَدَأ القائد ابن

---

(2) م. « مما » .

(1) م. « روعه » .

(2) م. « عشرون » .

أبي حَمامة بتفقُّد جزيرة مَيُورُقة الإسلاميّة ، فكَسَر بها لاستِتْمـام نَظره فيها .

ثُمّ اندَفع مِن آخِر مَراسيها يومَ الجُمعة (3) لأربع بَقِينَ مِن رَجَب منها ، ووافى على بالش (4) ، من بَلَد الإفْرَنْجة ، يوم الاثنين سَلْخ رَجَب ، فأصاب بَلدًا مُقلِعاً ، قد بَدر أهله به ، فانْقَبَضوا وخَرَجت مُقاتِلتهم نَحْوَه ، فخَرَج المُسلِمون إليهم ، ودارت بَيْنَهم حَرْب عظيمة ، مِن أَوَّل النَّهار إلى وَقْت صَلاة العَصْر ، وذلك يَوْم الثُلاثاء مُسْتَهلّ شَعْبان ، ثُمّ انْهَزَم الإفْرَنْج ، ومَنَح الله أكْتافهم ، فقتِل منهم ثلاث مِائة رَجُل ، وتَقدَّم الأُسْطُول إلى مدينة انيش (5) ، وهي دار صِناعتهم ، ومَرْفأ مَراكِبهم ، فأَحْدَق المُسلِمون بها بَرًّا وبَحْرًا ، وأَحْرَقوا المَراكِب في مَرْسـاها والأَرْباض حَوْلَها ، وقَتَلوا جميع مَن أصابوا فيها ، فانْتَهى القَتْل فيهم إلى أَزْيَد مِن أربع مِائة رَجُل .

واجْتَمع مِن حَوالَيْ هذه المدينة ، مِن أهل الحُصون التي تَقْرُب منها وغَيْرهم ، لمّا سَمِعوا بنُزول هذا (6) الأُسْطُول عليها ، فصاروا داخِلها مُحا[مِين] عنها ، ثُمّ إنّ القائد ابن أبي حَمامة اقْتَطَع مِن مَراكِبه هذه خمسة عشر مَرْكَباً ، / خَفـائف مُقوّاة ، قدّمهـا ليْلاً إلى مَسِّنيط (1) وما يَقْرُب منها ، لسَبْق الخَبَر عنهم ، وأَوْعَدهم الاجْتِماع بها ، فنفَذَتْ إلى هُنالِك يومَ الجُمعة (2) لثلاث خَلَوْنَ مِن شَعْبان منها ، وسار خَلْفَها بجميع الأُسْطُول لَيْلةَ السَبْت بَعْدَه ، فغَنِمت المَراكِب المُتقدِّمة قُرًى كثيرة وجِهات واسعة ، منها البَلاط الأَحْمَر ، والجَبَل الأَجْرَد ، وغَيْرهما ، فأَفاء الله عليهم سَبْياً كثيرًا ومَغانِم واسعة ، وتَقدَّم الأُسْطُول مِن مَكان مُضْطَرَبه ، بمَرْسى قالة

249

---

(3) تأريخ غير مقبول .

(4) كذا في الأصل .

(5) م. « اينش » .

(6) م. « هذه » .

(1) قد تكون قراءة خاطئة من قبل الناسخ لكلمة « مسيلية » ، وهو Marseille .

(2) تأريخ غير مقبول .

مَزوان ، بريح (3) طَيِّبة ، فحَلّ بالمَرْسى المعروف بالطَرَف الأحْرَش (*) ، وخَرَج عليه هُنالِك للإفْرَنْجة العِلْج المعروف ببوله (4) ، وكان بعيد الصِيت في النَصْرانيّة ، فدارت بَيْنَهم حَرْب ، هَزَم الله فيها الأعْلاج ، وقُتِل قائدهم بوبله [؟] ، وأخوه ، في عَدَد كثير منهم .

ثُمّ تَقدَّم الأسْطُول إلى مدينة بَرْشَلُونة ، قَصَمها الله ، فاعْتَرضه على مَقْرَبة منهـا عِلْج يُقال له بَلِيط ، في جَمْع معه ، خَرج إليــه المُسـلِمون وقاتَلوه ، فقَتَلوا بَلِيط وأكثر مَن معـه ، واحْتَلّ الأسْـطُول على مدينـة بَرْشَلُونة ، فحارَبهم يوم الأرْبِعاء لعشر (5) خَلَوْن مِن شَعْبان ، وانْقَبَضوا إلى المدينة ، وأغْلَقوا أبْوابها على أنْفُسـهم ، ودافَعوا مِن أعْلى سُورِها مِن ضُحى يَوْمِهم إلى غُروب الشَمْس ، وتَقدَّم الأسْطُول عنهم يوم الخميس لإحدى عشرة خَلَتْ مِن شَعْبـان منها إلى وادي لُبْرقاط (6) ، وعَسْكَر الفَرَنْجة يُسايِرهم على الساحل ، فخَرَج المُسلِمون إليهم ، لمّا أفْحَصوا ، واخْتَلَطوا ، فدارت بَيْنَهم حَرْب عظيمة ، انْهَزَم عنهـا الإفْرَنْج ، وانْبَسَـط المُسلِمون في البَرّ ، وتَقدَّم الأسْطُول قافلاً ، حتّى احْتَلّ بمدينة طُرْطُوشة ، قاصية (7) بَلَد الإسلام ، سالماً غانماً .

فوافى كِتاب الناصر لدين الله هُنالِك إلى قائده ، عبد المَلِك بن سعيد ابن أبي حَمامة ، يأمُره بالنُهوض إلى سَبْتة وطَنْجـة ، مِن عَمَل العِدْوة ،

---

(3) م. « بربح » .

(*) ومن عجيب الصدف أن هذه المعلومات تكاد تنطبق على ما يذكر العذري في « المسالك » ص 81 من غزوتين مؤرختين في سنة 328 وفي سنة 331 ولا يبعد أن تكون نفس الغزوتين المذكورتين هنا في سنة 323 وفي سنة 328 . وان صح افتراضنا فانه يجوز أن نصحح « بالش » و « انيش » و « مسنيط » و « الطرف الأحرش » على انها القيطانة وانيتوه ومشينيه وراس الصليب على طرف جون انبوريس .

(4) قد تكون « بفوله » .

(5) م. « عشرين » .

(6) م. « ببرقاط » .

(7) م. « قاسية » .

لمُحارَبة مَن انْتَقَض عليه مِن اهلها ، فسارَع ابن ابي حَمامة إلى ما أُمِر به مِن ذلك ، وخَرَج بالأسْطُول مِن نَهر طُرْطوشة لعشر بَقِينَ مِن شَهْر رَمَضان ، فاحْتَلّ بمَرْسى واسِط لِما بَيْن مدينتَيْ سَبْتة وطَنْجة في شَوّال

250 منها ، وأقام به باقِي سَنته هذه ، مُتردِّدًا بمَراسِي العِدْوة ، إلى ان / هَجَم الشِتاء ، فقَفَل في صَفر سنة اربع وعشرين وثلاث مِائة بَعْدَها .

خَبَر العِدْوة

تَواتَرَتْ فيه كُتُب ابن ابي العافية المِكْناسيّ ، القائم بدَعْوة الناصر لدين الله بأرْض العِدْوة ، المُحادّ للمَشارِقة الناجِمين ببَلَد إفرِيقيّة على الناصر لدين الله في هذه السنة ، مُطالِعاً بأخْبار المَشارِقة على عادته ، ومُلتمِساً القُوّة عليهم كدأبه . فكان في كِتاب منها :

« ومِمّا أَحَبّ امير المؤمنين ، سَيِّدنا ، مَعْرِفته مِن أخْبار المَشارِقة ، قَصَمهم الله ، فإنّ جَيْشهم المُلْتَفّ بالخَصيّ مَيْسور ، يسَّر الله حَتْفه ، عاوَد حَرْبنا في هذه الصائفة بجِدّ وعَزْم ، كذَّب الله فيهم ظَنّهم ، وأَضْعَف جُنْدهم ، وصَرَفهم على أعْقابهم ، وبَلَغهم ما فَعله اهل تاهَرْت بابي مالِك ابن ابي شَحْمة ، عاملهم ، وما أظْهَروه مِن الخِلاف عن طاغِيَتهم ، ابي القاسم ، قَصَمه الله ، ومَن حَوْلهم من قَبائل البَرْبَر ، فحاروا وسُقِط في أيْدِيهم ، وزاد في خَوْفهم ما فيه طاغِيَتهم ابو القاسم مع إخْوته بالمَهْدِيّة مِن الخِلاف ، فأبْلَس الأخابِث وتَساقَط كثير منهم ومِن شِيَعهم علينا ، مُتبرِّئين منهم ، وهَرَب طَوائف مِن عَسْكَرهم ، مُستأمِنين إلينا ، حتّى صارت الطريق سالِكة إلينا مِن عِندهم بالهاربين ، مِن فِتْيانهم وأُولِي البأس منهم ، كمِكاسة بن ناصر المِكْناسيّ ، امير العَرَب ، ومَن قَدِم بَعْدَه مِن رِجال مِكْناسة ، ولَواتة ، وهَوّارة ، وزَناتة ، واهل جَبَل بُوجان ، بني عَمّ داوُد بن مصالة ، وزواغة ، اهل شلف ، إلى مَن يَعْرِق منهم في الأسْواق

الجَمــال والزِينة ، وذَهب الناصر لدين الله لمُسالَمته لهذا الطاغية إلى اقْتِطاعه عن نَصْر المارق محمّد بن هاشم ، صاحب سَرَقُسْطة ، إذ كان قد جَرَتْ بَيْنهما في ذلك خِطْبة ، فأَظْهَر الطاغية إيثار سِلْم الناصر لدين الله ، أمير الجَماعة ، وفي نَفْسه الحَنيــن إلى (2) ما يَدْعُوه إليه المارق ابن هاشم مِن الدُخول بَيْنَ المُسلِميــن ، طَلَباً لشِــفاء الغُلّــة ، فلم يَزَل وَسْواس ابن هاشم / يَنْفُث في رُوحه (1) ، إلى أن نَكَث بالناصر لدين الله 248 سريعاً ، ووالى ابن هاشم ، فكانت به الدائرة ، وكان انْتِكاثه في آخِر سنة أربع وعشرين ، حَسَبَ ما يجيء ذِكْره .

[النُجــوم]

وفي آخِر هذه السنة ، وذلك لاثنتَيْ عشرة ليلة خَلَتْ من ذي القَعْدة ، سنَة ثلاث وعشرين المذكورة ، رُمِيَ بالنُجوم في الجَوّ رَمْياً دِراكاً ، وكان مُعْظَم ذلك مِن وَسْط السَماء إلى الأُفْق الغَرْبيّ ، وانْكَدر منها نَجْم عظيم جِدًّا مِثْل العَمُود ، وهو مِن ناحية الشَرْق ، فزاحَم القَمَر حتّى كاد يَشُقّه في مَرْأى العَيْن .

الأُسْــطُول

وفيها غَزا الأُسطُول إلى بَلَد الفَرَنْجــة ، أَهْلَكهم الله ، وقائده عبد المَلِك بن سعيد بن أبي حَمــامة ، وكانت عِدّة مَراكِبــه أربعين مَرْكَبــاً ، عشرين حَرّاقات ، فيها النَفْط والآلات البَحْريّة ، وعشرين (2) فيها الرِجال المُقاتِلة ، وكان عِدّة رُكّابه مِن الجُنْد أَلْف رَجُل ، ومن البَحْريّين أَلْفَيْن ، وكان رُكوبهم مِن مدينة المَرِيّة في رَجَب من هذه السنة ، فبَدَأ القائد ابن

---

(2) م. « مما » .

(1) م. « روعه » .

(2) م. « عشرون » .

أبي حَمامة بتفقُّد جزيرة مُيورُقة الإسلامِيّة ، فكسّر بها لاستِتْمـام نَظَره فيها .

ثُمّ انْدفع مِن آخِر مَراسيها يومَ الجُمعة (3) لأربع بَقِينَ مِن رَجَب منها ، ووافى على بالش (4) ، من بَلَد الإفرَنْجة ، يوم الاثنين سَلْخ رَجَب ، فأصاب بَلَداً مُقْلِعاً ، قد بَدر أهله به ، فانْقَبضوا وخَرَجت مُقاتِلَتهم نَحْوَه ، فخَرَج المُسلِمون إليهم ، ودارت بَيْنَهم حَرْب عظيمة ، مِن أوّل النهار إلى وَقْت صَلاة العَصْر ، وذلك يَوْم الثُلاثاء مُسْتَهَلّ شعْبان ، ثُمّ انْهَزَم الإفْرَنْج ، ومَنَح الله أكْتافهم ، فقتِل منهم ثلاث مِائة رَجُل ، وتَقدّم الأُسْطُول إلى مدينة انيش (5) ، وهي دار صِناعتهم ، ومَرْفأ مَراكِبهم ، فأحْدَق المُسلِمون بها بَرًّا وبَحْرًا ، وأحْرَقوا المَراكِب في مَرْسـاها والأرْباض حَوْلَها ، وقَتَلوا جميع مَن أصابوا فيها ، فانْتَهى القَتْل فيهم إلى أزْيَد مِن أربع مِائة رَجُل .

واجْتَمع مِن حَوالَيْ هذه المدينة ، مِن أهل الحُصون التي تَقْرُب منها وغَيْرهم ، لمّا سَمِعوا بنُزول هذا (6) الأسْطُول عليها ، فصاروا داخِلها مُحا[مِين] عنها ، ثُمّ إنّ القائد ابن أبي حَمامة اقْتَطع مِن مَراكِبه هذه خمسة عشر مَرْكَباً ، / خَفـائف مُقوّاة ، قدّمهـا ليْلاً إلى مَسّنيط (1) وما يَقْرُب منها ، لسَبْق الخَبَر عنهم ، وأوْعَدهم الاجْتِماع بها ، فنَفَذَتْ إلى هُنالِك يومَ الجُمعة (2) لثلاث خَلَوْنَ مِن شَعْبان منها ، وسار خَلْفَها بجميع الأُسْطُول لَيْلَةَ السَبْت بَعْدَه ، فغَنِمَت المَراكِب المُتقدِّمة قُرًى كثيرة وجِهات واسعة ، منها البَلاط الأحْمَر ، والجَبَل الأجْرَد ، وغَيْرهما ، فأفاء الله عليهم سَبْياً كثيراً ومَغانِم واسعة ، وتَقدّم الأُسْطُول مِن مَكان مُضْطَربه ، بمَرْسى قالة

249

(3) تاريخ غير مقبول .

(4) كذا في الأصل .

(5) م. « اينش » .

(6) م. « هذه » .

(1) قد تكون قراءة خاطئة من قبل الناسخ لكلمة « مسيلية » ، وهو Marseille .

(2) تأريخ غير مقبول .

مَزوان ، بريح (3) طَيّبة ، فحَلّ بالمَرْسى المعروف بالطَرَف الأحْرَش (*) ، وخَرَج عليه هُنالِك للإفْرَنْجة العِلْج المعروف ببوله (4) ، وكان بعيد الصِيت في النصْرانيّة ، فدارت بَيْنَهم حَرْب ، هَزَم الله فيها الأعْلاج ، وقُتِل قائدهم بوبله [؟] ، واخوه ، في عَدَد كثير منهم .

ثمّ تَقدّم الأسْطول إلى مدينة بَرْشَلُونة ، قَصَمها الله ، فاعْتَرضه على مَقْرَبة منهـا عِلْج يُقال له بَليط ، في جَمْع معه ، خرج إليــه المُسـلِمون وقاتَلوه ، فقَتَلوا بَليط وأكثر مَن معــه ، واحْتَلّ الأسْـطُول على مدينــة بَرْشَلُونة ، فحارَبهم يوم الأرْبِعاء لعشر (5) خَلَوْن مِن شَعْبان ، وانْقَبَضوا إلى المدينة ، وأغْلَقوا أبْوابها على أنْفُســهم ، ودافَعوا مِن أعْلى سُورها مِن ضُحى يَوْمهم إلى غُروب الشَمْس ، وتَقدّم الأُسْطُول عنهم يوم الخميس لإحدى عشرة خَلَتْ مِن شَعْبــان منها إلى وادي لُبْرِقاط (6) ، وعَسْــكَر الفَرَنْجة يُسايِرهم على الساحل ، فخَرَج المُسلِمون إليهم ، لمّا أفْحَصوا ، واخْتَلَطوا ، فدارت بَيْنَهم حَرْب عظيمة ، انْهَزَم عنهـا الإفْرَنْج ، وانْبَسَــط المُسلِمون في البَرّ ، وتَقدّم الأسْطُول قافلاً ، حتّى احْتَلّ بمدينة طُرْطُوشة ، قاصية (7) بَلَد الإسلام ، سالماً غانماً .

فوافى كِتاب الناصر لدين الله هُنالِك إلى قائده ، عبد المَلِك بن سعيد ابن ابي حَمامة ، يأمُره بالنُهوض إلى سَبْتة وطَنْجــة ، مِن عَمَل العِدْوة ،

---

(3) م. « بربح » .

(*) ومن عجيب الصدف أن هذه المعلومات تكاد تنطبق على ما يذكر العذري في « المسالك » ص 81 من غزوتين مؤرختين في سنة 328 وفي سنة 331 ولا يبعد أن تكون نفس الغزوتين المذكورتين هنا في سنة 323 وفي سنة 328 . وان صح افتراضنا فانه يجوز أن نصحح « بالش » و « انيش » و « مسنيط » و « الطرف الأحرش » على انها القيطنة وانيئوه ومشينيه وراس الصليب على طرف جون انبوريس .

(4) قد تكون « بفوله » .

(5) م. « عشرين » .

(6) م. « برقاط » .

(7) م. « قاسية » .

لِمُحارَبة مَن انْتَقَض عليه مِن اهلها ، فسارَع ابن ابي حَمامة إلى ما أُمِر به مِن ذلك ، وخَرَج بالأسْطُول مِن نَهر طُرطُوشة لعشر بَقِينَ مِن شَهر رَمَضان ، فاحْتَلّ بمَرْسى واسِط لِما بَيْن مدينتَيْ سَبْتة وطَنْجة في شَوّال منها ، وأقام به باقِي سَنته هذه ، مُتردِّدًا بمَراسِي العِدْوة ، إلى ان / هَجَم 250 الشِتاء ، فقَفل في صَفر سنة اربع وعشرين وثلاث مِائة بَعْدَها .

خَبَر العِدْوة

تَواتَرَتْ فيه كُتُب ابن ابي العافية المِكْناسيّ ، القائم بدَعْوة الناصر لدين الله بأرْض العِدْوة ، المُحادّ للمَشارِقة الناجِمين ببَلَد إفرِيقيّة على الناصر لدين الله في هذه السنة ، مُطالِعاً بأخْبار المَشارِقة على عادته ، ومُلتمِساً القُوّة عليهم كدأبه . فكان في كِتاب منها :

« ومِمّا أحَبّ امير المؤمنين ، سَيِّدنا ، مَعْرفته مِن أخْبار المَشارِقة ، قَصَمهم الله ، فإنّ جَيْشهم المُلْتَفّ بالخَصيّ مَيْسور ، يسَّر الله حَتْفه ، عاوَد حَرْبنا في هذه الصائفة بجِدّ وعَزْم ، كذَّب الله فيهم ظَنّهم ، وأضْعَف جُنْدهم ، وصَرَفهم على أعْقابهم ، وبَلَغهم ما فَعله اهل تاهَرْت بابي مالِك ابن ابي شَحْمة ، عاملهم ، وما أظْهَروه مِن الخِلاف عن طاغِيَتهم ، ابي القاسم ، قَصَمه الله ، ومَن حَوْلهم من قَبائل البَرْبَر ، فحاروا وسُقِط في أيْدِيهم ، وزاد في خَوْفهم ما فيه طاغِيَتهم ابو القاسم مع إخْوته بالمَهْدِيّة مِن الخِلاف ، فأبْلَس الأخابِث وتَساقَط كثير منهم ومِن شِيَعهم علينا ، مُتبرِّئين منهم ، وهَرَب طَوائف مِن عَسْكَرهم ، مُستأمِنين إلينا ، حتّى صارت الطريق سالِكة إلينا مِن عِندهم بالهاربين ، مِن فِتْيانهم وأولِي البأس منهم ، كمِكاسة بن ناصر المِكْناسيّ ، امير العَرَب ، ومَن قَدِم بَعْدَه مِن رِجال مِكْناسة ، ولَواتة ، وهَوّارة ، وزَناتة ، واهل جَبَل بُوجان ، بني عَمّ داوُد بن مصالة ، وزواغة ، اهل شلف ، إلى مَن يَعْرِق منهم في الأسْواق

بدِيار المغرِب ، بفاس ، والبَصْرة ، والمَسِيلة ، وبأَسْواق البَرْبَر ، والطائفة التي جازت إلى الأندلس .

وبَقِيَ المقطوع مَيسور المَخْـذول ، قَطَّع الله أَوْصاله ، مَع قرينه يَغمُراسِنَ بن أبي شَحْمة ، والى الله عليه الغَمَرات ، في جزيرة مُنْقطِعة ، مع شِرْذِمتها مِن الطَوائف ، التي وَرَدت معهما مِن المَهْدِيّة ، لا ظهيرَ لهم ولا مُعِين ، بحَمْد الله ، يُؤيِّدهم ، ما بَقِيَ عِندهم إلّا أَراهِط نَشِبوا عِندهم مِن أَوْرَبة وقَوْم يُقال لهم الفاسة ، ولجاية ، وبنو حرير (1) بَيْت مِن غُمارة لا غَيْر ، وصارت إلينا قبائل أهل المَغْرِب / بأَجْمَعهم مِن كلّ مَكان حَوْلَ 251 فاس ، مِن زَواغة ، ولماية ، ومِن دَرْعة ومِكْناسة ، أهل الجَبَل ، وجِيرانهم نَفْزة ، أهل الطَواعِن مِن بني مَرْزَحْون ، وبني مدســاع ، وبني حماية ، وبني يزْناين (1) ، وبَرنازة (2) ، وبني محمّد ، ومَديُونة ، أَهْل مدهن ، وجَراوة أهل أَغرِيس ، وزَناتــة ، مِن بني ســنان ، وحيمـــال ، وبني مراين (3) ، وبني دهْنــة ، ومُحاصة ، وبني مصــلان ، ومَن كان على مُلُوية (4) وصاع ، مِن قَبائل بني راسين ، وبني يِفْرَن ، وبني يِزْناسِن (5) ، وبني وَرِيمَش ، مَطْمــاطة ، أهــل مُلُــوية (6) إلى حَوْز جَراوة بن أبي العَيْش ، إلى ما أحاط بنا نَحْنُ مِن قَبائل البَرْبَر ، مِن مِكْناسة ، وأَوْرَبة ، وهَوّارة ، وصَدِينة ، ونَفْزة ، ولما[ية] وكرناطة (7) ، وصــاروية (8) ، وقاصونة (9) ، ولَواتة ، وسُوماتة ، وبني مَسَرة ، أهل فَنْدَلاوة ، وقَبائل غَيْرها ، لا يَسَعها كِتابنا ، كلّهم داعِين بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، مَوْلانا ، فنَحْنُ في عَدَد عديد ، وجَمْع عتيد ، وقَوّة قَوِيّة ، والحَمْد لله .

(1) م. « الفاسة ولحاتة وبنو حريز » ، نقرأها معتمدين على « الوثائق » رقم 21 .
(1) م. « برنامن » .
(2) م. « ربرنازه » ، نعتمد على « الوثائق » رقم 21 .
(3) م. « بني سسان وحنمال وبني مرافى » .
(4) م. « ملولوة » وقد صلحه الناسخ على الهامش وأضاف « وهو وادي » .
(5) م. « برنايس » ، نعتمد على « الوثائق » رقم 21 .
(6) م. « ملونة » .
(7) م. « و ... ما وكرفاطه » .
(8) م. « صاربونه » .
(9) م. « قاصونه » وفي « الوثائق » « قاصونة » .

وقد ذكَرْتُ لأمير المؤمنين أمْر مدينة طَنْجة ، والفائدة في ضَبْطها ، وصَرْف القُوّة التي تَوالى إخراجها إلى سَبْتة إليها ، وإلى أصِيلا ، أُخْتها . لأنّ سَبْتة قد كُفِيت مُؤْنة من يقْصِدها ، فلا يَصِل إليها عَدُوّ ، لأنّ البَحْر قد أحاط بها ، والوَعْر حَوْلها قد تَكنَّفها ، فالأمْوال تُنْفَق عليها لغَيْر فائدة ، ويأْخُذها مَن لا يَسْتَحِقّها ، وأنا عَيْن أمير المؤمنين الكالِئة في هذه العِدْوة ، فلا بُدَّ لي مِن إنهاء ما له فيه النصيحة إليه ، ولم أُخاطِبْه إلّا بما فيه تَزَيُّد طاعته وانْتِشــار دَعْوته ، حتّى يَتَّصِل بالمَشْرِق ومِيراث سَلَفه ، إن شاء الله ، ويُزاوِل أمْر هؤلاء الأدْعِيــاء آل الحَسَن الأدارِســة ، أوْلاد محمّــد وعُمَر ، قاتَلهم الله ، فإنّهم عُدّة المَشارِقة في غَرْبنا ، وهُم الذين يُردّدونهم إلى هذه الغاية ببَلَدنا ، ويُوالُون هَداياهم ، ويَصِلون أيْديهم بأيْديهم ، فلو نَزَلَت القُوّة بطَنْجة ، وجُرِدت لها العزيمة ، لسَقَط ما بأيْدي هؤلاء الأدارِسة وغَيْرهم ، ولشُغِلوا بأنْفُسهم عن المَشارِقة .

وأمير المؤمنيــن أعْلى عَيْنــاً مِن أن يُبصَّر بهــذه الأُمور ، ولكنّ النصيحة له تَدْعُو إلى إمحاض الرأْي ، وعلى الله تَوْفيقه » .

[كِتاب موسى بن أبي العافية]

252 ورَدَف هذا الكِتاب كِتاب آخَر لموسى بن أبي العافية ، / وَرَد على الناصر لدين الله آخِر هذه السنة ، كان مِن ذِكْر خَبَر المَشارِقة فيه فَصْل نُسْخته :

« والذي يُرِيد أمير المؤمنين ، سَــيِّدي ، مِن إعلامي إيّاه ما نَحْنُ فيه مع المَشــارِقة ، أهْلَكهم الله ، وقَطَع مُدّتهم ، فإنّهم مَشَوْا إلينــا إلى لكاى ، ومعهــم الأدْعِيــاء مِن بني إدْريس ، بنو محمّد وبنــو عُمَر ، المعروفون (1) ببني مَيّالة ، إخوتهم ، بعَساكِرهم كلّها ، فكان بَيْنَنا وبَيْنَهم قِتال ما رُئِيَ مِثْله في غَرْبنا اليَوْم [مُنْذُ] زَمان ، وجالت الخَيْل بَيْنَنا وبَيْنَهم

(1) م. « المعروفان » .

جَوْلة أخْطأ فيها الحكيم حِكْمته ، وأضَلّ فيها العاقل سَمْته (2) ، كما قال حَبيب بن أوْس الطائيّ [كامل] :

فِي سَاعَةٍ لَوْ أنَّ لُقْمَانًا (3) بِهَا
وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ لَكَانَ غَيْرَ حَكِيمِ

فقَتَلوا لنا بعض صِبْياننا طاشوا مِن المدينة ، ثُمّ غَشِيَهم مَدى سَيْف أمير المؤمنين مِن ناحية بالكَتائب ، فوَلّوْا مُدْبِرين ، ومَنَحنا الله أكْتافهم ، فقَتَلْنا منهم نَحْو مائتَيْ فارس ، أخَذْنا خَيْلهم ، وعَقرْنا خَيْـلاً كثيـرة غَيْرها ، وقَتَلْنا من رَجّالتهم عَدَدًا كثيرًا ، وكان لنا فيهم فَتْح عظيم ، ثُمّ لم يُعاوِدونا بَعْدُ ، واسْتَقَرُّوا في مَحلّتهم على ثلاثة أمْيـال مِنّـا ، وذلك أنّ المقطوع قائدهم ، قَطَع الله مُدّتهم ، إنّما ثاب بَعْدَ ضُعْفـه بقُدوم أولئك القُرَيْش (4) عليه ، فرَجَع (5) للوَقْت معهم مِن المَرْحَلة التي كان شَتّى (6) بها ، فنَزَلوا مِنّا على القُرْب ، وصـاحب نَكُور ، قبّحه الله ، هو أضَرّ بنـا مِن أولئك القُرَيْش (4) في الحقيقـة ، لِأنّه أرْفَق بالبَحْر ، بَعْدَ أن وَقَف به الجُـوع والجَهْد ، لمّا مَكَر بأمير المؤمنين ، فيما بَلَغنا ، وكاتَبه يقول إنّه معنا وإنّ المِيرة تَجيئنا مِن بَلَده ، ولا ، والله العظيم ، ما كان شيء مِمّا قاله ، وإنّ بَلَدنا وأحْوازنا ، على ما بنا مِن مُغـاوَرة العَدُوّ لنا وتَردُّده بناحيتنـا ، لأكْثَر رَخاءً وأوْسَع نِعَمـاً مِن نَكُور وأحْوازها ، وما يأتينا مِن عِنده إلّا الغارات التي لا يَزال يُشِنّها على أطْراف طاعتنـا مِمّا يَليه ، وما تَمْضي طَرائف بَلَده وتُحَفه عَلانيـةً إلّا إلى المقطوع مَيْسور ، لا يسّر الله أمْره وقَطَع مُدّته ، والناس كلّهم قد رَمَوْنا بحَجَر واحد لانْقِطاعنـا إلى مَوْلانا أمير المؤمنين ، وتَمالَؤوا علَيْنا بالباطل ، فلَيْس لنا اليَوْم ناصر / إلّا الله وَحْدَه ، لا شريكَ له ، وحَسْبنا به وكَفى . 253

وقد تابَعْتُ الكُتُب إلى أمير المؤمنيـن ، أصْدُقه عن كُنْه الحـال ، وأُبَيِّن له سبيل الإشفاق ، فما الذي بَطّأ بعَوْنه لمَوْلاه ووَلِيّه ، ومَن يَدين

(2) م. « اسمه » .
(3) يضيف الناسخ هنا « الحكيم » .
(4) قراءة غير واضحة .
(5) م. « فرفع » .
(6) قراءة غير واضحة قد تكون « ثوى » .

الله بمَحَبّته والتَشيُّع لدَوْلته مع الرَغْبة (1) في مُجاهَدة هٰؤلاء الخَنازِير ، الذين جِهادهم عِنْد اهل السُنّة أوْلى مِن جِهاد الرُوم ، إذ لا نِحْلة يَعْتقِدونها في الحقيقة ، ولا عَقْد لهم ، ولا عَهْد ، يَجْحَدون نُبُوّة محمّد ، صلّعم ، ويَتأوَّلون كِتاب الله تعالى على غَيْر تأويله ، ويَسْتَحِلّون المَحارِم ، ويَرْتَكِبون الفَواحش جِهارًا ، وقد اتَّخَذوا عِباد الله المُسلِمين خَوَلاً لهم ، ومالهم فَيْئًا لَدَيْهم ، والله إنّ عِنْدهم اليَوْم في عَسْكَرهم وأَخْبِيتهم لبَنات صَدِينة ، وغَيْرها مِن قَبائل البَرْبَر ، يَعْبَثون بِهِنّ ، ولقد بَلَغني انّه يَكُون في الخِباء ثلاثة رِجال وأكْثر يَتداوَلون امْرأة واحدة ، فأيّ مُصِيبة حَلّتْ على المسلمين أعْظَم مِن هذه ، ولا أشَدّ .

ولقد أخْبَرني رَجُل مِن حُجّاج غَرْبنا أنّه مَشَى في المَهْدِيّة يَوْمًا ، حتّى أقْبَل ابن احمد الوزير ، ورَجُل يَقْرَأ عَلانِيةً : ﴿ أفَلَا يَتدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ ؟ وَلَوْ كَانَ [مِنْ] عِندِ غَيْرِ ٱللهِ ، لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (2) فقال له ابن احمد عَلانيةً : « فقد تَدبَّرْناه ، يا كَشْخان ، فوَجَدْنا فيه اختلافاً كثيراً » ، فأيّ فِرْية على الله ، وأيّ مُصِيبة على المُسلِمين أعْظَم مِن مُصِيبة هٰؤلاء القَوْم ؟ أمْ أيّ قُرْبة أدْنى إلى الله تعالى مِن جِهادهم وتَطْهير البِلاد منهم ؟ فَلْيُعِنْ امير المؤمنين في مُجاهَدتهم ، وَلْيُصْلِتْ (3) عَزْمه في نَصْر أوْليائه ، وتَقْوِية شِيعته ، ﴿ فَإِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ، وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (4) .

وأمّا اهل تاهَرْت وأحْوازها ، فقد كَشَفوا وُجوههم في خِلاف الطاغية أبي القاسم ، قَصَمه الله ، وصرَّحوا (5) بالنِفاق عليه ، وأخْرَجوا صاحب الخَراج ببَلَدهم ، مالِك بن أبي شَحْمة ، صاحب اللعين ، مِن مدينتهم بعد أن نَهَبُوهما (6) وأخذوا ما كان عِندهما (6) من مال وعُدّة ، واتَّفقوا مع

(1) « الرعية »
(2) قران ، سورة 4 اية 84 .
(3) م. « ليصلنا » .
(4) قران ، سورة 16 اية 128 .
(5) م. « سرجوا » بشكل واضح .
(6) كذا في الأصل .

أهل السُنّة مِن قَبائل البَرْبَر على إيثار طاعة الله تعالى والوِلاية لأمير المؤمنين ، سَيِّدي ، أعلى الله أمْرهم وزادهم تَثْبيتاً ونُصْرة .

254 والطاغية أبو القاسم ، إمامهم ، مع ذلك ، مع إخْوته / في المَهْدِيّة ، عُشّ الضلالة ، بَعْدُ بحال مُضطرِبة ، وقد ظَهَر إخْوته على بُيوت وتعصَّبت معهم جَماعة ، وبنى أبو القاسم على الخُروج قُدّامهم مِن المَهْدِيّة ، حِصْنهم ، إلى رَقّادة ، التي انْتَقَل عنها أبوه ، ليَمْتاز عنهم بوُلْده وأهله وحَشَمه ، فالأمور هُنالِك مُضطرِبة ، باعَدها الله مِن الاسْتِقْرار ، وعجَّل عليها بالدَمار ، فلَوْ كانت مِن أمير المؤمنين مُبادَرة إلى إمدادنا ، لوَجَدْنا الفُرْصة فيهم ، ورَجَوْنا بحَوْل الله انْتِظام طاعته من أقصى المَغْرِب إلى أَنْأى المَشْرِق ، والله قدير على ذلك ، وإيّاه أَسْأل أن يُوفِّق لأمير المؤمنين أَحْسَن التَوْفيق ، ويَقِف به على سَواء الطريق بمَنّه ويُمْنه » .

نَكْبة موسى بن أبي العافية

قال : ولم يَبْعُد أن وافى ، على أَثَر كِتاب موسى هذا ، كِتاب لإسْماعيل ابن عبد المَلِك إلى الناصر لدين الله بانْكِشاف موسى بن أبي العافية قُدّامَ مَيسور الخَصيّ ، قائد جَيْش المَشارِقة ، ومَن تَألَّب معه مِن أهل الغَواية ، وخُروجه بمَن معه عن المَوْضِع الذي كان يَحُلّ به ، لتَغلُّب مَيْسور عليه ، إلى مَكان يُقال له تاكَرْت (1) ، مُتعلِّقا بالصَحْراء ، وأنّه كَتَب يَدْعُوه إلى اللِحاق به ، ويَبْذِل له التَوْسيع فيما لَدَيْه وجَمْع اليَد على عَدُوّهم ، فلم يُجِبْه إلى ذلك ، ويَسْأَل السلطان إمداده وجميل النَظَر إليه ، فسِيءَ الناصر لدين الله لِما جرى على موسى ، وأشْفَق منه (2) .

[كِتاب إبراهيم وأبي العَيْش]

ووافى على أَثَر ذلك كِتاب إبراهيم وأبي العَيْش ، ابنَيْ (3) إدْريس الحُسَيْنيّين ، بما جَرى على موسى بن أبي العافية ، مُجدِّدَيْنِ عَهْد وِلايته ،

---

(1) م. « تاكرت » .

(2) كذا في الأصل قد تكون « على » .

(3) م. « ابنا » .

مُتشفِّيَيْن (4) مِمّا رَماهما به ابن أبي العافية من مَيْسور (5) ، قائد مَوْلاه الشِيعيّ ، مُعتذِرَيْن مِمّا نَسَبه إليهما مِن مَظانّه (6) ، فكان الفَصْل مِن ذِكْره مِن كِتابهما :

« ... كَتَبْناه إلى سَيِّدنا ، أمير المؤمنين ، بما نَحْنُ عليه مِن مُوالاته ، والإمحاض له ، وسَلامة الضمائر مِن كلّ شُبْهة أو مَذْق في الإخلاص له ، بحَمْد [الله] ونِعْمته ، مَعْرِفةً بحَقّ أمير المؤمنين ، وانْقِيـادًا لإمامتـه ، واعْتِلاقاً بحَبْله ، رِضًى بما أظْهر الله مِن دَوْلته ، وأثار مِن إمامته ، على حِين مَدّها[...](7) مَغْرِبنا ، أطال الله بَقاءه ، لِهَدْم (8) الشِيعة الرافِضـة ، القادحة في الشريعة ، المُحرِّفة لسُنّة الرَسُول ، صلّعم ، / افْتِراءً منهم على الله تعالى وعلى نَبِيّه ، صلّعم ، وعلى أهل بَيْته الطَيِّبين ، وابْتَلى الله عِباده بهم لِيُعْلَم مَن يُطِيعه منهم ، وأمْلى لهم لِيَزْدادوا إثْمـاً ، فاستَفْحَل شَرّهم ، وآل إلى ما جَرَتْ مَقادِير الله به ، مِن ظُهورهم على موسى بن أبي العافية ، وَلِيّ أمير المؤمنين ، وقَلْعهم له ، فزادهم الله صَوْلاً واسْتِطـالة على المُسلِمين ، بما هَيّأ لهم ، وما كان مِن انْكِشافه عنهم ، ونَجاته إلى الرِمال والصَحارِي ، فِرارًا منهم ، فعَظُم البَلاء عِنده ، وجَلّ الخَطْب ، ولله تعالى عَواقِب الأمور ، ومِنْه مَبْدأها ، لا مُعقِّب لحُكْمه في شَيْء منها .

وبَلَغنا أنّه نُمِيَ إلى سَـيِّدنا ، أمير المؤمنين ، عَنّا أنّا توجَّهْنا إلى الفاسق مَيْسور ، لا يسّر الله أمْره ، على أسْوَأ الوُجوه ، ولم يَكُن ذلك ، أكْرَم الله سَـيِّدنا ، أمير المؤمنين ، إلاّ عن تَقِيّـة منه ومُداراة له ، ولنا

255

(4) كلمة غير منقوطة .

(5) م. « مولاه ميسور قائد الشيعي » .

(6) م. « مضامنه » .

(7) يبدو أنه سقطت هنا بعض الكلمات .

(8) م. « بهذه » .

الأسوة الحَسَنة في رَسُول الله ، صلّعم ، فَقَد دارى صَفْوان بن أُمَيّة [ابن خَلَف] الجُمَحيّ ، وغَيْره من المُشرِكين والمُنافِقين ، حتّى أَظْهَر الله دينه وأَعْلى ذِكْر نَبيّه ، صلّعم ، فلا يَرْتَبْ أمير المؤمنين بطَوِيّتنا ، ولْيَجْرُدْ عَزْمه في مَعُونتنا ، فإنّه مَتى فَصَل رأْيه ، أيّده الله ، بإخراج عَسْكَر يُناهِض بنا هذا اللعين الذي قد عاث في أرضنا ، وأتى بالعَظائم ، التي لا يَحِلّ لأمير المؤمنين تَرْكه لها ، بَدَرْنا إلى قائده ابن حِزْب (1) الله بالرَهائن، التي تكون وثيقة على طاعتنا ، وأَسْلَمْنا إليه ، مع ذاك ، رَهائن كلّ مَن ضَوى إلينا مِن البَرْبَر ، حتّى يَقْتَنِع بالتَوْثقة ويَبْلُغ الغاية ، فإذا اجْتَمَعْنا مع الجَيْش المُخْرَج إلينا ، رَجَوْنا ألّا يَثْبُت لنا عَدُوّنا ، إن شاء الله ، عزّ وجلّ » .

الوُزَراء والعُمّال

وفيها أُعِيد إلى الوِزارة عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة للنِصْف مِن جُمادى الأُولى منها ، (2) ووَلِيَ حُسَيْن بن أحمد بن عاصم خُطّة السُوق مَكانَ يَحْيى بن يُونُس في المُحرَّم منها .

وعُزِل محمّد بن عَمْرو عن كُورة إلبيرة في جُمادى الأولى منها ، ووَلِيَ مكانه محمّد بن عبّاس بن أبي عَبْدة .

وعُزِل عِيسى بن محمّد عن كُورة باغُه وما يَنْضاف إليها بعُبَيْد الله ابن موسى في جُمادى الأُولى منها .

256 وأحمد بن هِشام عن كُورة إشْبِيلِية / بجَهْوَر بن عُبَيْد الله بن أبي عَبْدة في التأْريخ .

---

(1) م. « حرب » .

(2) قد سقط من هنا ذكر أسماء الوزراء ، فنعيدها معتمدين على معلومات سنة 322 ص 240 وسنة 324 ص 5 / 264 « فانسلخت السنة والوزراء ثمانية : سعيد بن المنذر القرشي ، أحمد بن اسحاق القرشي ، أحمد بن محمد بن حدير ، أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ، خالد بن أمية بن شهيد ، فطيس بن أصبغ ابن فطيس ، يحيى بن أسحاق ، عيسى بن أحمد بن أبي عبدة » .

وعُبَيْد الله بن مُحمّد (1) عن كورة لَبْلة بفُرْتون بن محمّد في التاريخ .

وعُمَر بن مُحمّد (2) عن كورة أَسْتِجة بيَحْيى بن محمّد فيه .

وأحمد بن العاصي عن كورة شَذُونة ببَكْر بن عُبَيْد الله فيه .

وعُبَيْد الله بن مُوسى عن كورة قَبْرة [...] (3) فيه .

وأبو الشَعْراء بن عبد الرحمن عن كورة بَيّانة بمَيْسور فيه .

ومُطرِّف [بن مَسْعود] بن مُفوِّز (4) عن مدينة قَرمونة بطَرَفة بن عبد الرحمن فيه .

وقاسِم وأحمد ابنا طُمْلُس (5) عن كورة رَيّه بأحمد بن محمّد ومحمّد بن قاسم فيه .

ومُنْعم بن يَعْقوب النُوَيْريّ عن كورة جَيّان بحُسَيْن بن قاسم فيه .

ومحمّد بن إسحاق عن كورة بَلَنْسية وشاطِبة بيحيى بن محمّد بن إلياس فيه .

وسعيد بن وارث عن مدينة الفَرَج بعُثْمان بن عُبَيْد الله فيه .

وعُمَر بن عبد الله عن مدينة طُرْطُوشة بموسى بن محمّد بن إلياس فيه .

وعبد (6) الله بن محمّد عن مدينة وَشْقة بعُثْمان بن عبد الله القُرَشيّ وأحمد بن محمّد بن إلياس (7) معاً في شَعْبان منها .

ونُمارة بن سُلَيْمان عن مدينة تُطِيلة بإبراهيم بن إسحاق (8) في ذي القَعْدة منها .

---

(1) في عام 322 كان عيسى بن أحمد عاملا عليها .

(2) في عام 322 كان عمر بن أحمد عاملا عليها .

(3) يبدو أنه سقط اسم المولى عليها .

(4) في ص 241 « مفور » .

(5) م. « طملش » .

(6) م. « عبيد » نصحح معتمدين على ص 241 ملاحظة 10 من كتابنا هذا .

(7) م. « مسلمة » نصلح معتمدين على ص 241 ملاحظة 6 وص 265 ملاحظة 5 ، وهذا واضح لأن أحمد بن محمد بن مسلمة بعد أن ولي عاملا على اشبيلية عند افتتاحها سنة 301 وبعد أن عزل عن الشرطة العليا لم يذكر اسمه فيما بعد .

(8) في « المسالك » ص 45 يقول بأن العامل كان هو « دري بن عبد الرحمن » ولكن النص هذا صحيح لأنه يقول بان ابراهيم عزل عن تطيلة في سنة 324 .

وبَراء بن مُقاتِل (9) عن مدينة مارِدة بموسى بن محمّد في جُمادى الأولى .

وأبان بنُ عُثمان عن كورة باجة بمحمّد بن احمد بن أبي عُثمان فيه .

ومُطرِّف بن بَراح (10) عن بَطَلْيَوْس ببَراء بن مُقاتِل .

وسُجِّل لعبد الرحمن [بن عبد الله] (11) بن وَضّاح على مدينة لارِدة القاصية وحِصْن بَلْغَر (12) وحُصون الشَرْق في شَوّال منها .

(9) في سنة 322 كان يحيى بن محمد عاملا عليها .

(10) الحرف الأول غير منقوط .

(11) اضافة هنا وقد اعتمدنا في ذلك على أن عزل هذا الرجل كان في سنة 324 وعلى أن تولية باجة كان في السنة نفسها .

(12) م. « بلغى » صححناها اعتمادا على ما يأتي في ص 291 .

سنة أربع وعشرين وثلاث مِائة

انتِقاض سِلْم الطاغية رُذْمِير ، مَلِك الجَلالِقة

قال : وفي شهر رمضـان مِن هذه السنة نَقَض الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، صاحب جِلِّيقيّة ، لَعَنه الله ، السِلْم لمّا استَجاش به المارق محمّد ابن هاشم ، صاحب سَرقُسْطة ، على المُسلِمين ، ودَواؤه بكلّ رُقْية ، حتّى نَكَث عَهْده وخَرج بجُموع المُشرِكين إلى الحُصون المُبْتَنـاة على مدينـة سَرقُسْطة ، طالِباً لغِرّة مَن بها ، فكَبّه الله لوَجْهه ، ورَجَع خسيرًا ، خائبًا مِمّا رَجاه ، مفلولاً ، وعاد للمُسلِمين حَرْبًا .

وجاشَت الفَرَنْجة أَيْضاً في هذا الوَقْت بالثَغر الأعْلى ، راجِين بانْتِهاز فُرصة يُصيبونها ، فخَرجوا على المُسلِمين مع صاحب بَرْشَلُونة ، دمّرها الله ، ومَن انضاف / إليهم مِن حَشْد الجَرائد وغَيْرهم ، في جَمْع كثير ، فجر[د] إليهم القائد أحمد بن محمّد بن إلياس ، الرابط على حِصار مدينة سَرقُسْطة ، فيمَن كان معه مِن جُنْد السلطان ورِجال الثغْر ، ووَقَعت بَيْنهم حَرْب شديدة ، صَبر فيها المُسلِمون صَبْرًا عظيمًا ، فرزَقهم الله النَصْر (1).

257

(1) م. « الصبر » .

وهَزَم أعداء الله المُشركين ، فقتلوا أبْرَح قَتْل ، وضَغَط بَعْضهم بعضاً في انهزامهم لقُوّة الرَدْعة التي لَحِقتْهم ، فحَطم بَعْضهم بعضاً ، وأماتهم التَضاغط ، وقَتَلتْهم الغُمّة ، وذَهَب النَهْر الذي الْتَقَوْا عليه بأُمّة منهم ، وأكَلَت الأرض كثيراً منهم ، واسْتَوت الخَنادِق مِن قَتْلاهم ، ومُزّقوا كلّ مُمزَّق وكانوا جماع ألوف ، فعَظم الفَتْح فيهم .

وكانت هذه الوَقْعة في يَوْم الثُلاثاء للَيْلتَيْن (2) خَلَتا مِن شَوّال مِن هذه السنة . وبَعَث القائد أحمد بن محمّد بن إلياس ، ممّا (3) حِيزَ مِن رُؤوس أعلامهم ، إلى باب سُدّة قُرْطُبة بألْف وثلاث مائة رأس ، وأتى القَتْل والغَرَق على عشرة الاف وأكْثر منهم ، فانْتَظمت الفُتوح في الفَرَنْجة والجَلالقة في وَقْت ، واتّصَلَتْ عليهم الوَقائع شَرْقاً وغَرْباً ، ولم يُصْحِر منهم مُصْحِر ، إلّا رُجِم بأبي قُبَيْس (4) أو أُتْبِع بحَتْف ، أينما ثُقِفوا ، أُخِذوا وقُتِلوا تَقْتيلاً .

ومَنَّأت الشُعراء الناصر لدين الله بما أتاحه الله له منها ، فقال في ذلك احمد بن محمّد بن عبد رَبّه مِن قصيدة ، أوّلها [بسيط] :

يَا نَاصِرَ ٱلدِّينِ هَذَا ٱلنَّصْرُ قَدْ نَزَلَا (5) ... وَأَحْمَدَ ٱللهُ كُفْرًا كَانَ مُشْتَعِلَا

حَكَتْ حُنَيْنًا وَبَدْرًا وَقْعَةٌ نَزَلَتْ ... بِٱلْمُشْرِكِينَ أَرَاحَتْ مِنْهُمْ ٱلسُّبُلَا

لَمَّا أَحَاطَ ٱبْنُ إِلْيَاسٍ بِهِمْ يَئِسُوا ... مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَعِيضُوا ٱلْحَتْفَ وَٱلْهَبَلَا

وهي طويلة .

---

(2) م. « لثلاثين » .

(3) م. « بما » .

(4) م. « بقيس » لفظة موجودة في « كتاب الإنصاف » الأنباري ، ص 6 .

(5) م. « قد بن لا » .

وفي صَدْر هذه السنة ، عِند الإرجاف بانْتِقاض الطاغية رُذْمِير بن أُرْدون ، ومُظاهَرته للمارق محمّد بن هاشم ، صــاحب سَرَقُسْطة ، أَخْرَج الناصر لدين الله الوزير القائد عبد الحميد بن بسيل في جَيْش كثيف إلى ثَغر سَرَقُسْطة ، لشَدّ حَصْر ابن هاشــم ، والزِيادة في أَعْداد مَن يُرابِط عليه مِن الأَجْنــاد المُنازِلين بساحته ، ففَصَل ســائرًا نَحْوَها في جُمادى الأولى مِن هذه السنة ، ثُمّ أَتْبَعه الوزير القائد سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ في جَيْش آخر ، وأَمَره بالاجْتِماع به ، رابطاً [الجأش] على سَرَقُسْطة ، / والتَضْييق على أهلها ، وأَخْرَج معه القائد محمّد بن سعيد ، فيمَن تَرَسَّمه مِن الجُنْد ، فكان فُصولهما في شَهْر رَمَضان منها عِند انْكِشاف خَبَر نَكْث الطاغية رُذْمِير ، لَعَنه الله . 258

توالي الفُتــوح

وفيها في يَوْم الخميس لأربع [خَلَوْن] مِن شَوّال منها كانت الوقيعة المُثْخِنة في العَدُوّ لبني رَزين وبني ذي النُون ، ومَن تَألَّب معهم مِن أهل الثَغْر ، على المُشرِكين في جَنَبات ثَغْرهم ، فهَزَم الله المُشرِكين بَعْدَ مُقام شديد ، جَعَل الله الدائرة على أَعْداء الله ، فاسْتُبِيحوا عن (1) آخِرهم ، أو كادوا ، وقُتِل قائدهم رُذْمِير القُومِس ، المعروف بابن مامّة طُوتة .

وفيها أَيْضاً كانت الوقيعة لأهل مدينــة مَجْرِيط مِن الثَغْر الأَدْنى ، ومَن تَألَّب معهم مِن أهله ، على أَعْداء الله المُشرِكين ، قبَّحهم (2) الله ، وحَسُن مُقام أبي (3) عُمَر ، قائد مَجْرِيط ، في هذه الوَقْعة .

وفيها أَيْضاً دَخَل الوزير يَحْيى بن إسحاق مِن مدينة بَطَلْيَوْس يومَ الخميس لأربع خَلَوْنَ مِن شَوّال منها ، غازيًا إلى جَلالِقة الغَرْب ، دمَّرهم

---

(1) م. « من » .

(2) م. « فنهمهم » .

(3) كلمة مكررة .

الله ، فافْتَتَح حِصْن اربقيرة ، وحِصْن طَرَنْكُوشـة ، في العَشر الأوَّل مِن شوّال وقَتل المُقاتِلة وسَبى الذُّرّيّة ، وأَحْرق أحَد الحِصْنَيْن ، ورَجع سالماً غانماً ، بحَمْد الله .

[الأسْـطُول]

وفيها غَزا الأُسْـطُول إلى العِدْوة لنَصْر موسى بن أبي العافيـة ، المُقِيم هُنـاك بالدَعْوة ، وكانت عِدّة مَراكِبه أربعين قِطْعة ، وعَدَد رُكّابه ثلاثة آلاف رَجُل ، فيهم مِن الحَشَم خمس مِائة . وكان انْدِفاعه مِن مدينة سَبْتة ، فتَقدَّم إلى مَلِيلة ونَكُور ، فافتتحهما (4) ، ثُمّ جَرى إلى جَراوة ، فافْتَتَحها أيْضاً ، فاعْتزّ بذلك موسى بن أبي العافية ، وسـارَتْ إليه هذه المدائن ، فاسْتَقلّ مِن نَكْبته وقَرَع هذا الأُسْـطُول أعْداء الدَوْلة [قَرْعاً] شديداً ، واسْتَتمّ في غَزاته هذه ستّة أَشْهُر ، وقَفَل .

فتَتابَعَتْ هذه الفُتوح وغَيْرها مِن نواحي الثَغْرَيْن الأَقْصى والأَدْنى ، ومِن عِدْوة البَحْر القُصْوى تَتابُعاً [ما تَتابَع مِثْله] ، وتَوالَت الكُتُب بها على الناصر لدين [الله] ، حتّى لتَوافَتْ عليه أربعـة كُتُب مِن أربعة مَواضِع بأربعة فُتوح ، قُرِئَتْ كُلّها في يَوْم واحد في المَسْجِد الجامع بقُرْطُبة يومَ جُمُعة .

259 / فقال في تَوافيها وتَوالي قِراءتها لِيَوْمها أبو عُثْمان بن إدْريس ، (طويل) :

فُتُوحٌ تَوالَتْ بِٱلسُّعُودِ ٱلطَّوَالِعِ
تَلَذُّ بِهَا ٱلْأَسْمَاعُ مِنْ كُلِّ سَامِعِ

وَقَائِعُ أَدَّتْهَا صَحَـائِفُ أَرْبَـعٌ
يُخَبِّرْنَ عَنْ أَنْبَاءِ تِلْكَ ٱلْوَقَائِـعِ

---

(4) م. « افتتحتها » .

الحـريق

ولعشر بَقِينَ مِن شَعْبان منها وَقع الحريق العظيـم بسُوق قُرْطُبة ، فأُحْرِقَتْ جميع مَجالِس الخَطّ (1) ، واتَّصَل الحريق بحَوانيت الصَوّافِين (2) وما جاوَر مَسْجِد أبي هارُون ، فتَضَعْضَع هذا المَسْجِد وتَداعى ، وأَخَذَت النار سُوق العَطّارين وما وَراءها مِن حَوانيت الحَرّارين ، وعَمَّتْ حَوانِيت الشَقّاقين وما جاوَر ذلك مِن جميـع الجِهـات ، واعْتَدَت النار على دار البُرْد ، فذَهَبَتْ بها ، فكان حريقاً شنيعاً بعيد الشأْو في اعْتِدائه .

فأمَر الناصر لدين الله عِنْد انْجِـلاء الحريق بإعادة مَسْـجِد أبي هارُون [على ما كان عليه قَبْلَ] الحريق ، على أَحْسَن بِنْية ، وإقامته على أَتْقَن صنيعة ، فابْتَدَأ بُنْيانه في بَقِيّة سـنة أربع وعشرين ، وأَمَر أيضـاً بإعادة دار البُرْد على رَسْم رَسَمه ، دَلّ على فَضْل مَعْرِفته ، ومَغاص (3) حِكْمته ، فسَما بِناؤها ونُصِبَتْ أبْوابها على ما حَدّ ، ورُفِعت فَوْقَها عُلِّيّة ، تُوفِي (4) عليها ، ويُؤْمَن معها الإضرار بها ، فلم تَزَل كذلك إلى أن اتَّخَذها وَلَده المُستنصِر بالله بَعْدَه ، صَدْرَ وِلايته ، قَيْسارِيّة للتُجّار ، تَوسَّعت بها السُوق ، ونَقَل البُرْد منها إلى الدار التي اتَّخَذها بالمُصـارة ، وأُعِيدَتْ في هذا الوَقْت أَسْواق الخَطّ أَحْسَن ما كانت عليـه ، وجُعِل لها سَـقْف الخَشَب المُقَرْمَدة ، فاكْتَمَلَتْ بذلك مَحاسِن سُوق قُرْطُبة .

المَحْـل

وفيها أَمْحَل العام بالأندلس المَحْل العامّ الذي لم يُعْهَد فيها بمِثْله ، ولا سُمِع كاتِّصاله ، إذ تَمادَت السنة على مَحْلها ، وضَنَّت السَماء بوَبْلها ،

---

(1) « الحصا » .

(2) قد تكون « الصرافين » .

(3) كذا في الأصل .

(4) كلمة غير منقوطة .

فلم تَنِضّ بقَطْرة ، ولا بَلَّتْ مَدرة ، فأقام الناس مع ذلك بحال صالحة ، لم تُنْفق أسْعارهم ، كل الإنفاق (5) لاحْتِبـاس ، ولا تبدَّلت لهم حال بشِدّة الإمحال ، بل بَقيَت النِعَم وسْطهم وافرة ، واستمرَّت البَركات بَيْنهم ظاهرة ، ووَردت إليهم الخَيْرات مِن كلّ الجِهات مُتوالية ، فاشْتَمل عليهم الرَخاء ، ولم تَمْسَسْهم اللأواء ، [واسْتَدرُّوا] مِن كَنَف / السلطان السعيد في أمْنَع الإذْواء ، إلى أن أحْيَوْا عامَ خمس وعشرين بَعْدها بأوَّل الحَيـا ، فاعْتَدّ شأن حالهم في التَماسُك عامَهم عَجباً ، وقد ذَكر هذا المَحْل عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس في شِـعْر ، مَدَح به الناصر لدين الله ، تَركْتُ إثبـاته لطُوله ، أوَّله [بسيط] :

260

نِعْمَ ٱلشَّفيعُ إلى ٱلرَّحْمٰنِ في ٱلْمَطَرِ
مُسْـتَنْزِلُ ٱلْغَيْثِ بِٱلإعْذارِ وَٱلنُّـذُرِ

العِـدْوة

تَوالَتْ في هذه السنة كُتُب موسى بن أبي العافية ، القائم بدَعْوة الناصر لدين الله بأرض العِدْوة ، على الناصر لدين الله ، بذِكْر مُقـامه بالصَحْراء ، بَعْد انْحيازه عن مَيْسور الخَصيّ ، قائد جَيْش المَشارِقة ، المُتردِّد في الغَرْب ، وأنّه مع ذلك يُراصِد رُسُل (1) اللعين وسَـراياه كلّ مَرْصَد ، فيَقْطع بهم عن مُرادهم ، ويَصُـدّهم عن وِجْهتهم ، وأنّ الخَصِيّ مَيْسورًا نَكَص بَعْدَ إقدامه ، لتَفرُّق القَبائل عنه ، فوَلّى مُدبِرًا ، وأسْلَم الغَرْب عاجزًا ، وسَأل إخراج الجُيوش إلى الأدْعِياء ، بني محمّد وإخْوتهم بني عُمَر ، وُلْد إدْريس ، إذ كانوا السَبَب في انْجِذاب اللُعَنـاء إلى الغَرْب وطَماعِيتهم فيه ، فأكْثر في شأنهم .

---

(5) م. « النفاق » .

(1) م. « رسول » .

وجاء بَعْدَه كِتــاب منــه ثانٍ ، يَذْكُر فيه رُجوع الكَلْبَيْــن مَيْســور وصاحبه ، ومَن معهما مِن جَيْش المَشارِقة وشِيَعِهم ، عن مدينة فاس ، خائبين خاسرين خاسـئين ، وانْتِكاث أمْرهمــا بالمَغْرب ، وخُروجه عند ذلك خَلْفَهمــا إلى أطْراف عَمَله ، وما لاح له من التَباشِير في إيثاره (*) على عَدُوّه .

[كِتاب مُحمّد بن عَوْن]

ووافى على [أثَر] ذلك كِتاب محمّد بن عَوْن ، بشَرْح خَبَر مَيسور هذا ، وكان الفَصْل في ذِكْره :

« اعْلَم ، [يا] اميرَ المؤمنين ، سيِّدي ، أنَّ مَيسورا ، عبد اليَهوديّ ابي القاسم ، لا يسَّر الله أمْره ، قَفَل عن المَغْرب لمُستهَلّ جُمادى الأُولى مِن هذه السنة ، مُنصرِفاً إلى مَوْضِعه ، وقد كان أقام على اهل فاس نَحْو الثلاثة (2) الأشْهُر ، مُحاصِراً لهم ، فلم يُعِنْه الله على ما أمَّله فيهم ، وخيَّب رَجاءه ، ورَدّه على عَقِبه ، فلمّــا اجْتــاز بمَوْضِع إبراهيــم بن إدريس الحَسَنيّ ، صــاحب أرْشَقُول (3) ، خَرَج إليه ، مُدارِياً له ، مُلاطِفا بما عِنده ، فقَبَض عليه ، وأمَر بسَـجْنه وصَفْـده (4) في الحديد ، واصْطَلَم جميع نِعَمه ، وأغْرَمه مع ذلك كلّه ما احْتَواه مِلْكه ، وحَمَله مع نَفْسه ، فمَقَّت العبد الغادر بذلك نَفْسه إلى كلّ مَن سَمِع به .

261 / وجاءني ، أبْقى الله سَيِّدي امير المؤمنيــن ، رِجال مِن عَسْكَره ، وغَيْرهم مِن اهل المَغرِب ، يُخَوِّفونني (1) سَطْوته ، ويُعرِّفونني (2) سُوء

(*) كذا في الأصل .
(2) في « البيان » ج 2 ص 209 « سبعة » .
(3) م. « رَشْقُول » انظر كتابنا هذا ص 174 وص 212 وص 281 .
(4) م. « صفاده » .
(1) م. « يجوعوني » .
(2) م. « يعرفوني » .

مَذْهبه فِيّ وفي بَلدي ، وحقّق ذلك عِندي ما رَكِبه مِن إدريس ، وعَلِمْتُ أنّنا في الذَنْب الذي [...] (3) منه سِيّان ، مِن وِلاية سَيِّدنا أمير المؤمنين ، فضِقْتُ ذَرْعاً بمُخالفته (4) ، وهَمَمْتُ ومَن معي بالخُروج عن بَلَدنا وإسلامه إليه ، فعَدِمْنا السُفُن بساحلنا ، وغشِيَنا الفاسق ، فاضْطُرِرْنا إلى الثَبات بمَكاننا ، ودَنا اللعين مِنّا بعَسْكَره على مِقْدار بريد مِنّا ، فلم أرَ بُدًّا مِن رُكوب الغَرَر في مُغالَطته والخُروج بنَفْسي إليه ، ورَأيْتُ أنّ احْتِسابها في خَلاص قَوْمي يسير ، فخَرَجْتُ نَحْوه ، بَعْدَ أن استَظْهَرْتُ على أمْري بمَراكِب أعْدَدْتُها لأهلي ، وأمَرْتُهم بالدُخول فيها والانْحِياز إلى كَنَف أمير المؤمنين ، إن سَبَق العبد اللعين بي إلى حال مكروه .

وصِرْتُ إليه مُتوكِّلاً على الله ، مُستَعِيذاً به من شَرّه ، بَعْدَ أن لم أتْرُك عِند نَفْسي لُطْفًا ، إلّا قَدَّمْتُه بَيْن يَدَيْ لِقائه ، استِبْلاغًا في مُداراته ، فتَفضَّل الله عَلَيَّ بالخَلاص مِن يَده ، وألْقى لي الإجلال في نَفْسه ، مع ما عَرَفه مِمّا كان مِنّي أوّلاً في النَفار عنه ، والاستِظْهار في خُروجي إليه مِمّا ادّعاه على وَجْهه ، فغَلّ الله يَده عَنّي ، وأقَرّني على حالي ، وصَرَفني الى مَوْضِعي ، وحَرَّصني على اشْتِمالي إلى حِزْبه ، بَعْدَ أن عدَّد عَلَيَّ ما كان مِنّي في جانب سَيِّدي ، أمير المؤمنين ، وأعْلَمني أنّ خَبَري قد رُفِع إلى مَوْلاه مِن جِهات ، وحَذَّرني سُوء العاقبة ، وذَكَر لي أُمورًا يَطُول بها الكِتاب ، أجَبْتُه عنها بما تَقتَضِيه المُداهَنة ، فتَخَلَّصْتُ منه [و]وَهَب الله العافية ، والحَمْد لله ، رَبّ العالَمين » .

[كِتاب موسى بن أبي العافية]

ووافى كِتاب موسى بن أبي العافية على تَفِيئة ذلك ، يَذْكُر فيه استِقْلاله مِن نَكْبته ، ورُجوعه إلى وَطَنه ، وأنّه الآن قد احْتَلّ قَلْعة

(3) سقط هنا فعل قد يكون « أنكره » .

(4) م. « بمخافته » .

حرماط ، بأهله وولْده ومواليه وأنصاره ، فرهِبه الأدْعِياء بنو (5) مُحمّد ، وحادوا عن سَنَنه ، وأغرى السلطان بهم على عادته ، فكثّر عليه .

ووافى لموسى ، على أثَر ذاك ، كِتاب آخر يَذكُر ما كان مِن صُنع الله على مدْغرة ، وزناتة ، والجبال ، ومَديُونة المُجَلِّبين عليه ، وإخراجه ابنه مَدْيَن بن موسى ، خليفته إلى مدينة / فاس ، لمّا استدْعاه أهلها ، فلمّا قَرُب منها تَلَقَّوْه ، مُستبشِرين بمَقْدمه عليهم ، حامدين لله على ما صَرَف عنه وعنهم مِن مَعَرّة المَشارِقة ، عُداة الله ، وظُلْمهم ، وأنّ الأدْعِياء مِن بني محمّد وإخْوتهم ، بني عُمَر ، المعروفين ببني ميالة ، انْحَجزوا عنه ، وخَطَبوا سِلْمه ، فأبى عليهم مِن ذلك ، إلّا بَعْدَ مُؤامَرة سَيِّدنا ، أمير المؤمنين ، ويَسْتَحِثّ إخراج الجَيْش إليهم ، على سبيله في الإغراء بهم ، ثُمّ تَوالَتْ كُتُبه بَعْدُ على الناصر لدين الله ، يَلْتَمِس مَعُونته على بُنْيان قَلْعة جارة ، التي انْزَوى (1) إليها ، وإمداده بالفَعَلة والآلات لها ، ويستعْجِل تَجْريد الأسْطُول نَحْوه لأوَّل الأوان ، ويُوَكِّد ذلك لفَرْط حاجته إليه ، فكان الفَصْل الذي جَرَده (2) في ذلك في كِتابه :

« فإن رأى سَيِّدنا ، أمير المؤمنين ، أن يَهْتَبِل بأُمورنا ، ويُجدِّد العِناية بنا ، ويَجْبُر صَدْعنا ، ويُخْلِف لنا بعض ما ذَهَب مِنّا ، مِمّا اَسْلَبْناه مِن نِعْمتنا ، بما يُمَكِّننا به مِن حُلول هذا المَعْقِل ، الذي نَقْدِر أن نُسْنِد إليه ظُهورنا ، وما يَقْدُمه مِن إنهاض الأسْطُول المُؤَيَّد إلينا أوَّل وَقْت الحاجة إليه ، فَعَل مانًّا مُتفضِّلاً بعَبْده ووَلِيّه ، ناظرًا إليه بعَيْن رَحْمته ورأفته ، فوالله العظيم ، لقد حَلّ علينا في ذاته مِن الذِلّ بَعْدَ العِزّ ، والتَجوُّل بَعْدَ القَرار ، والجُوع والعَطَش في حُلولنا الصَحْراء ، ما لا أَقْدِر على وَصْفه ، مِمّا قد بَلَغه ، أبْقاه الله ، فأوْجع لا مَحالةَ قَلْبه ، ويُعِزّني (3) أنّه في رِضى

262

---

(5) م. « بني » .

(1) م. « ازر » .

(2) م. « جرد » .

(3) م. « تعرى » .

الله تعالى جِدّه ، وفي جَنْب مَحبّتنا فيه ، أيَّده الله ، ودَيمومتنا (1) بطاعته ، التي هي ذَنْبنا عِند المَشارِقة ، قبَّحهم الله ، لا شَيْء سِواه ، لتَصْحيحنا فيها ، وإعْلاننا اسْمه المُبارك على مَنابرنا ، حتّى ، والله ، لقد خاطَبني العَدُوّ لله ، مَيْسور الخَصيّ ، لا يسَّر الله أمْره ، وَقْت الحِصار يقول « آبْرَأ مِن وِلاية عبد الرحمٰن بن محمّد ، والدُعاء له على مَنابرك ، وأنا أرْتفِع لك عن المَغْرِب بأسْره ، وأرُدّ عليك الناس من أهلــه ، وأُنْزِلك مِن مَوْلايَ أفْضَل المَنازِل لَديْه » ، فرَدَدْت عليه ، أقول : « أعُوذ بالله مِن الكُفْر بعْد الإيمان ، ومِن التعلُّق بحَبْل الشَيْطان » ، فازْداد عِند ذلك غَيْظًا وجِدًّا في حَرْبنا ، حتّى قضى الله تعالى بخُروجنا عن أوْطاننا ، وأرْجُو أنّ في ذلك كلّه الخَيْرة لأنّه رُبّما يُفسِـد الشَيْء لصَلاحه ، فقد / تَقرَّبْنا غِبّ ذلك مِن سَـيِّدنا ، أمير المؤمنين ، وصِرْنا الآن على شــاطِئ البَحْر ، مِن حَيْث نَتَّصِل به ، ويَتَّصِل بنا رِجاله مِن قريب ، ونأْتيه بأنْفُســنا ، إن احْتَجْنا ، إن شاء الله » . 263

[إيفاد العُمّال المُتخصِّصين في بناء الحُصون]

فأجابه الناصر لدين الله عن كِتابه هذا أحْسَن جَواب ، وتَناوَله مِن يَده (2) بأوْسَع نَوال ، وأوْسَعه بمُلْتَمَســاته لبِناء مَعْقِلــه ، فأخْرَج إليه محمّد بن وليد بن فُشْتَيْق ، رئيس المُهَنْدِسين لَدَيْه ، مع ثلاثين بَنّــاءً ، وعشرة مِن النَجّارين ، وخمسة عشر مِن الحَفّارين ، وسِتّة مِن الجَيّارين المُحْسِنين لعَمَل الجير ، وسِتّة من الأشّارين لأشْر الخَشَب ، ورَجُلَيْن مِن الحَـدّادين ، ورَجُلين مِن الحَصّــارين ، تُخُيِّروا مِن حُذّاق طَبَقــاتهم ، واحْتُمِلَتْ لجَمــاعتهم آلاتهم وأدَواتهم المُتَصرِّفة في صِنــاعاتهم ، التي يُخاولونها ، إلى عَدَد ، فأوْصله حَمْلها السلطان معهم ، اسْتِظْهــارًا على

---

(1) م: « دنوابنتا » .

(2) م: « يداه » .

امْتِداد الأيّام بهم في العَمَل الذي يُراد منهم ، وحَمَل إلى موسى طَعاماً كثيراً لقُوته وقُوت مَن معه ، نَعَّشهم به ، إلى هَدايا نفيسة مِن أنْواع الثِياب المُرتفِعة القِيَم والفُرُش وغَيْره مِن طَرائف عظيمة القَدْر ، لم يُهْدِ له قَطُّ مِثْلها .

صفة الهدية

القَمْح والشَعير بشَطرَيْن بكَيْل قُرْطُبة ألْف مُدْي ، الفُول خمسون مُدْيًا (2) ، الحِمّص عشرة أمْداء ، التِين بالكَيْل المذكور ثلاث مائة قفيز ، العَسَل ثلاثون قِسْطاً ، السَمْن عشرون قِسْطاً ، الزَيْت مِائة قِسْط . قِطَع الخَزّ العُبَيْديّ الخاصّيّ مِن كِسْوة الخليفة عِشرون شُقّة ، ومِن الطِرازيّة الخِلافيّة خمس قِطَع ، العَمائم عَشْر ، ثِياب الخَزّ المُختلِفة الأجْناس في صِناعات طِراز العِمامة لكِسْوة رِجاله مِائة ثَوْب ، الشِقاق الطِرازيّة المصبوغة [صَبْغ] الثِياب خمس عشرة شُقّة ، شُقَق الصُوف الطِرازيّة المصبوغة صَبْغ شِقاق الكَتّان الخاصّة الدِقاق لكِسْوته عشر شِقاق ، وعَشَرة أرْدِية وأربعون مِلْحفة ، شِقاق الكَتّان المُتوسِّطة لكِسوة رِجاله اربعون شُقّة ، ومِن الشِقاق دُون (3) المُتوسِّطة لكِسوة رِجاله مِائة شُقّة ، ومِن انواع الفُرُش مِن بُسُط الصُوف الكَوامِل المُختلِفة الأجْناس سبع وثلاثون ، ومِن الوُجوه [الظها]ئر غَيْر مُبطّنة / مُختلِفة الأجناس ثلاث وأربعون . ومِن 264 وَسائد الصُوف صِناعة الواسِطيّ سِتّون وِسادًا ، قُبّة أدَم مِن ثلاثين بَنيقة بجميع التها وإزارها ، وخَيْمة مُسْتَراحها ولِبْدانٍ وبِساطانٍ ونِطْعان (1) لها مُقدَّرة على قَدْرها ، وفِراش دِيباج أرضه مَوْشيّة مُطرَّز قانٍ (2) بخَزّ رَيْحانيّ ، معه تبارشيان مِن جِنْسه ، مُطرَّز قانٍ (3) بخَزّ

(2) م. « مدى » .

(3) م. « الدون » .

(1) يبدو أنها « قطعان » .

(2) قراءة غير واضحة قد تكون « أحمر قان » .

(3) م. « مطرزتان » ، انظر الملاحظة السابقة .

رَيْحانيّ ، ومِخَدَّتانِ شطوي مُفضَّضتانِ مُختَّمتانِ ، بِطانتهما خَزّ طِرازيّ رجوانيّ (4) ، وفُسْطاطانِ جَديدانِ مِن ثلاثين بَنيقة بجميع آلتها .

[اعْتِذار إبراهيم بن محمّد الحَسَنيّ]

ووافى على تَفِيئة (5) كِتاب موسى بن أبي العافية كِتاب إبراهيم بن محمّد الحَسَنيّ ، رئيس بني محمّد ، هؤلاء الأدارِسة الذين يُحَرِّض عليهم وأَوْلاده ، القاسم وحُسَين ومحمّد وأحمد ، إلى الناصر لدين الله ، يَعْتَذِرون مِمّا نُقِم عليهم مِن مُوالاة المَشارِقة ، ويَخْطُبون مُراجَعة ما فارَقوه مِن عِصْمة وِلايته ، ويَسْتَجِدُّون عَهْد ما أَسْلَفوه مِن مُؤالَفته ، والدُخول في دَعْوته ، لا يَعْتَقِدون عن ذلك ولا يُرِيدون به بَدَلاً ، ويَصِفون أنّ الذي كان منهم مِن مُداهَنة المَشارِقة لضَرُورة شديدة ، ضَمَّتْهم إلى ذلك ، اسْتَدْفَعوا به مكروههم ، واسْتَكَفّوا به شَرّهم وذادوا به عن حَرَمهم ونِعَمهم ، وأَنَّهم صَيَّروا دليلهم على صِحّة ما ذَكَروه من ذلك رَغْبتهم في مُسالَمة موسى ابن أبي العافية ، وَليّ أمير المؤمنين ، والْتِماسهم مُؤالَفته على طاعته ، مُطَّرِحين الأَحْقاد بَيْنهم وبَيْنه ، على فَرْط ما نالهم مِن ضَرّه ، وشَمَلهم مِن خَوْفه ، فأُجِيبوا إلى ما يُوافِقهم من ذلك عند ظُهور ثَباتهم عليه .

الوُزَراء والعُمّــال

فيهــا أُعِيد إلى الوِزارة عبد المَلِك بن جَهْـوَر في المُحرَّم ، وعبد الحميد بن بسيل في جُمادى الأولى ، وعُزِل عن الوِزارة أحمد بن إسحاق القُرشيّ في شَوّال منها ، فبَقِيَ مَعْزولاً مَسْخوطاً عليه ، إلى أن قُتِل صَدْرَ المُحرَّم سنة خمس وعشرين بَعْدَها ، ووَلِيَ الوِزارة أحمد بن محمّد بن إلياس في اخِر ذي القَعْدة منها ، فانسَلَخت السنة والوُزَراء عشرة : سعيد

(4) قد تكون « ارجواني » انظر فيما قبل ص 208 .

(5) م. « نعنه » .

ابن المُنْذِر القُرشيّ المَرْوانيّ ، أحمد بن محمّد بن حُدَيْر ، عبد الحميد بن بسيل ، أحمد بن عبد الوَهّاب / بن عبد الرؤوف ، خالد بن أُمَيّة بن شُهَيْد ، عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، فُطَيْس بن أَصْبَغ بن فُطَيْس ، أحمد بن محمّد بن إلياس ، يَحْيى بن إسحاق . 265

وفيها عُزِل محمّد بن عبّاس (1) بن أبي عَبْدة عن كُورة إلْبيرة وأعمالها بيُوسُف بن محمّد .

وحُسَيْن بن عيسى عن كُورة بَجّانة وأعمالها بيوسُف بن سُلَيْمان .

وجَهْوَر بن عُبَيْد الله بن أبي عَبْدة عن كُورة إشْبيلية (2) [بمحمّد بن جَهْوَر بن عُبَيْد الله .

وبَكْر بن عُبَيْد الله ، عن كُورة شَذُونة] (3) بإسماعيل بن بَدْر .

ويَحْيى بن محمّد عن كُورة أَسْتِجة بعُبَيْد الله بن موسى .

ومحمّد بن داوُد عن كُورة الجزيرة بعُمَر بن عبد العزيز ومحمّد بن احمد معاً .

وأحمد بن عُمَر عن مدينة سَبْتة وعَمَلها من أرض العِدْوة بعُمَر ومحمّد أيضاً جميعاً لها .

وعبد المَلِك بن سعيد الخَوْلانيّ عن كُورة أُشُونة بنَجْدة بن حُسَيْن .

وأحمد بن محمّد ومحمّد بن قاسم معاً عن كُورة رَيّه بعُمَر بن عبد العزيز ومحمّد بن أحمد ، [وكانا أيضاً] عامِلي الجزيرة .

ويحيى بن محمّد بن إلياس عن كُورة بَلَنْسِية وأعمالها بموسى بن محمّد .

والفَتْح بن يَحْيى بن ذي النُون بكُورة شنْت بَرية بسَلَمة بن أحمد .

وأحمد بن عبد الرحمن عن مدينة طَلَبيرة بيَحْيى بن شُعَيْب .

---

(1) م. « عياش » ويؤكد قراءتنا ما يجيء في ص 255 .

(2) م. « بلنسية » .

(3) صححنا النص هنا معتمدين على قائمة العمال سنة 323 وسنة 325 .

وعبد الرحمٰن بن عبد الله بن وَضّاح عن لارِدة وحُصون الشَرق بقاسم بن رَجِيق .

وعُمَر بن محمّد (4) عن مدينة بَرْبَشْتُر وبَرْبِطانية والقَصْر وذَواتها بإلْياس بن سُلَيمان .

وموسى بن محمّد بن إلْياس عن مدينة طُرْطُوشة القاصية وعَمَلها بيَحْيى بن محمّد .

وعُثْمان بن عبد الله القُرَشيّ واحمد بن محمّد بن إلْياس (5) معاً عن مدينة وَشْقة وعَمَلها بهِشام بن جَهْوَر .

وإبراهيم بن إسحاق عن مدينة تُطِيلة باحمد بن محمّد .

وإبراهيم بن إسحاق (6) عن مدينة سُرته بيَحْيى بن أصْبَغ .

وموسى بن محمّد عن مدينة مارِدة بسَوادة بن عبد المَلِك .

ولُبّ بن عبد الله (7) عن كُورة أُكْشُونُبة بموسى بن حَكَم .

وعبد الوارث بن سعيد (8) عن مدينة شَنْتَرِين بمُطَرِّف بن بَرّاح (9) .

ومُحمّد بن أحمد بن أبي عُثْمان عن كُورة باجة بعبد الرحمٰن بن عبد الله بن وَضّاح .

وبَراء (10) بن مُقاتِل عن مدينة بَطَلْيَوْس بعيسى بن دَيْسَم .

(4) لا يرد تأريخ تولية .

(5) صحح الناسخ على الهامش « مسلمة » .

(6) لا يرد تأريخ تولية هذا المنصب .

(7) لا يرد تأريخ توليه .

(8) لا يرد تأريخ تولية هذا المنصب .

(9) قراءة غير واضحة .

(10) م. « بدر » نصحح معتمدين على تولية سنة 323 .

266

/ سنة خمس وعشرين وثلاث مِائة

[غَزْوة سَرَقُسْطة]

قال عيسى بن أحمد : فيها كانت غَزْوة أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى مدينة سَرَقُسْطة ، محصورته ، لمُناجَزة أميرها محمّد بن هاشم (1) التُجيبيّ وقَوْمه المُنتَزِين فيها عليه ، آخِر من اعْتاص عليه مِن المُخالِفين بأرض الأندلس وأعْظمهم شَوْكة ، فكـان بُروزه الفَخْم لها يومَ الخميس للنِصْف مِن جُمادى الأُولى منها ، ثُمّ كان فُصوله إليها يوم السَبْت للنِصْف مِن رَجَب منها إلى ثمانية وخمسين يوماً مِن بُروزه ، وكان اليَوْم السابع والعشرين من شَهْر مايُه الشَمْسيّ (2) ، وفي بُروزه لهذه الغَزْوة يَقُول أحمد ابن محمّد بن عبد رَبّه [بسيط] :

يَوْمُ مِنَ ٱلعِزِّ مَجْمُوعٌ لَهُ ٱلنَّـاسُ
يَخْتَالُ فِي عَقْوَتَيْهِ ٱلْجُودُ وَٱلْبَاسُ

مِن قصيدة طويلة .

---

(1) م. « هشام » .

(2) قد سقط هنا أسماء من تخلف في قرطبة من أولاده مكانه ، مع اسمي الحاجب (سعيد بن المنذر القرشي) وصاحب المدينة المساعدين له .

ولأبي عُثمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس في ذلك أيْضاً مِن كَلِمة ، أوّلها [وافر] :

أيَا مَلِكـاً مَخـارِجُهُ سُـعُودٌ
ومَطْلِعُ وَجْهِـهِ لِلنّـاسِ عِيـدُ

والشِعْرانِ طَويلانِ .

واستَقْبَل الناصر لدين الله في مَخْرَجِه هذا خِلافَ أُمَيّـة بن إسحاق القُرَشيّ المَرْواني ، عامله على مدينة شَـنْتَرِين ، قاصية الغَرْب ، عليـه فيها ، فبادَر بإخراج القائد نَجْدة (3) بن حُسَيْن ، مَوْلاه ، في قِطْعة مِن الجَيْش ، مُبادِرًا فَتْقه ، وأمَر بالإغذاذ في سَيْره والطَيّ لمَراحِله ، ومَضى الناصر لدين الله لسبيله في مَقْصِده ، لم يَثْنِه عنه ثِناؤه ، تَسْتَقْبِله الفُتوح في أوْقاته ، وتَتوالى عليه البَشائر في مَحَلّاته ، كَأَنّ فَتق (4) الخبيث أُمَيّة كان بَلاءً لصَبْره ، او لَقْعة لعَيْن الزمان في استِعْمال سَعْده ، عَفّى عليها ما تَوالى مِن تَبْشيره او نَصْره .

فاستَقْبَله بَعْدَه كِتـاب القائد أحمد بن محمّد بن إلْياس بالفَتْح في عُصاة وَشقة ، وتَلاه الفَتْح في عُصـاة آل ذي النُون وانْقِيـادهم إلى ظِلّ الطاعة ، وخُروج زعيمهم يَحْيى بن أبي الفَتْح بن ذي النُون إليه مُلْقِيـاً بيَده ، فاتِقـاً عن قَوْمه بَعْدَ الرَتْق معهم ، خارجًا عنهم بَعْدَ مُداخَلتهم ، فطَما السُرور ولاحَت البَشائر ، وبَلَغ الناصر لدين الله مع ذلك أنّ العَدُوّ ، خَذَله الله،مُعِدّ بأطْراف الثَغر / الأعْلى ، مُرْتَصِـد لغِـرّة يُصِيبهـا مِن المُسلِمين ، مُظـاهِر لمَن اسْتَجاشـه مِن الفَسَقة التُجِيبيّين ، عِنْد اعْتِلاء الناصر لدين الله بجُيوشه إليهم ، عَوْناً للخبيث محمّد بن هاشم ، أميرهم ، ووَفاءً بحَقّ مُعاقَدته إيّاه ، ومُوالاته له ، فأشْـفى الناصر لدين الله على اهل ذلك الثَغر ، وعاج بجُنوده جَمْعًا إلى مدينة طُلَيْطُلة ، أمّ ذلك الثَغْر ، 267

---

(3) كلمة غير منقوطة .

(4) كلمة غير منقوطة .

فنَزَلها ، وأقام كَيْما يَنْبَسِط أهلهـا بأرضهم ، ويأمَنـوا مِمّا حَذِروا على غَلّاتهم . فلمّـا بَلَغ الكَفَرة دُنُوّه منهم ، وإشرافـه عليهم ، ابْذَعَرُّوا عن أطْرافهم التي كانوا قد استَجْمَعوا إليها .

ووافاه في مُقامه الفَتْح في فُسّاق طَلَبيرة مِن أعْمالها ، وقد كانوا [نَكَثوا] العَهْد ، وجاهَروا بالمَعْصِية ، فأمْكَن الله منهم ، وأباد غَضْراءهم ، وفرَّق عِصـابتهم وفُسّاقهم ، وجَرَّد الناصر لدين الله القائد دُرّيّ بن عبد الرحمٰن ، مَوْلاه ، في جَيْش ضَمَّـه إليه إلى بَرابِرة نَفْـزة ، وقد كانوا سارَعوا في الانْتِكاث ، واسْتَلَجُّوا في المَعْصِية ، فوَطِئَهم وَطْأة المُتثاقِل ، وأمْكَن الله منهم ، وحَسَم شَرّهم .

فلمّا اطْمَـأنَّت جِهـات هذا الثَغْر الأدْنى ، وأحْكَم الناصر لدين الله جميع شُؤونه ، رَحَل بالعَسْكَر نَحْو مدينة الفَرَج ، امًّا سَرَقُسْطة ، أُمّ الثَغْر الأعْلى ، ودار النِفاق والبَلْوَى ، فتَلَوَّم بمدينة الفَرَج راتِقاً فُتوقها ، مُسكِّناً حال أهلها ، وأبْقى دُرِّيًا ، مَوْلاه ، في الجَيْش الذي كان ضَمّه إليه قائدًا بالثَغْر الأوْسَط ، مُصْحِرًا بِبِقاعه ، مُتجوِّلاً على دُروب المُسلِمِيـن ما بَيْنَ حِصْن أنْتشية (١) إلى مدينة طَلَبيرة ، بَعْدَ أن نَظَمَ ما بَيْنَها بالرِجال وأحْكَم ما وَهى مِن حُصونهـا وأبْراجهـا ، وضَعَّف مِن مَعاقِلها ومَراقِبهـا بمُحْكَم البُنْيان ووافر الأزْواد وأوْسَع العُدَد والأسْلِحة . فضَمّ المُسلِمون فيهـا غَلّاتهم ، واسْتَيْأس منهم عَدُوّهم ، وعِند تَكْميلـه لذلك كلّه ، أصْعَد بسبيله نَحْو الثَغْر الأعْلى ، فارغ القَلْب مِن شُغْل المُشْرِكين ، مُتأكِّد العَزْم في مُناجَزة المُنافِقين ، فتكفَّل الله ، بتأييده ، الذي أراد مِن إعزاز الدِّين ولَمّ شَعَث المُسلِمين ، وقد ذَكَر أبو عُثْمان عُبَيْد الله بن إدْريس أفْعاله هذه بثَغْر طُلَيْطُلة في شِعْر له حَسَن ، أوَّله [طويل] : / 268

عَلَى أيِّ فَتْحٍ بَعْدَ فَتْحٍ تَقَـدَّمَا
أتَتْكَ فُتوحُ ٱلثَّغْـرِ فَذًّا وَتَوْأَمَـا

تَبَاشِيرُ تَتْرَى مِن فُتُوحٍ تَوَاتَرَتْ
كَمَا تَابَعَ ٱلنَّثْرُ ٱلْجُمَانَ ٱلْمُنَظَّمَا

---

(١) م. « انتيشه » .

قلعـة أيُّوب

وسار الناصر لدين الله بعساكِره نَحْو الثَغْر الأعْلى ، فبَدَأ بمُطرِّف ابن مُنْذِر التُجيبيّ ، المعروف بابن (1) شُوَيْرب ، صاحب قلْعة أيُّوب ، ظهير قَوْمه على الخُلْعان ، وأوْصلهم لحِزْب الشَيْطان ، فكان قد اسْتَجاش المُشرِكين مِن أهل ألبة والقِلاع ، فجاءه منهم عَدَد كثير ، فيهم جَماعة مِن وُجوههم وفُرْسانهم ، ساروا معه داخِل المدينة ، فانْبَسَطوا على المُسلِمين مِن أهلها ، وآذَوْهم .

وبَلَغ الناصر لدين الله ذلك ، فساءه وزاد في غَضَبه على مُستَدْعِيهم مُطرِّف ، وضاعَف جِدّه به ، وبَدَأه بكِتاب ، مُعْذِرا (2) إليه ، وسامه التَبرُّؤ مِمَّن عِنده مِن النَصارى ، ولم يَرْضَ منه بسِواه ، وبَذَل له على ذلك أمانه وما تَمنَّى مِن إقراره على عَمَله وإعْلاء مَنزِلته ، ووقَّع في الكِتاب الذي أنْفَذه بذلك أسْطرًا بخَطّه ، يُؤكِّد له بما بَذله له مِن نَفْسه ، ويَبْسُط له أن يَتوثَّق منه في إتمامه ، فدفَع مُطرِّف ذلك كلّه لحِينه ، وأضْرَب عن مُجاوَبة الناصر لدين الله ، وأصَرّ على مَعْصِيته ، واغْتَرّ بمَن معه مِن النَصارى ، ونأى بجـانبه ، وحُفِظ عنه أنَّه قال لمَن حَضَره ، عند وُقوفه على كِتـاب السلطـان : « أأقْطَعُ يَميني بشِـمالي ؟ » ونُمِيَتْ إلى الناصر لدين الله ، فعَجِب من جَهْله ، وازداد حَنقـًا عليه ، ودَعاه ذلك أن وَقَّع ظَهْرَ الكِتـاب المردود مِن عِنده « كان جَواب مُطرِّف بن مُنْذِر عِند قِراءته لهذا الكِتاب بما بُذِل له وسُئِل مِن أمْر الشِرْك فيه أنْ قال لمَن حَضَره « أأقْطعُ يَميني بشِمالي ؟ » ، فجَعَل المُرْتَدّ الشِرْك والخُلْعان يَمينه والإسلام والسُلْطان شِماله ، فبُعْدًا وسُحْقاً لمِثْله ، أوْلى له ثُمَّ أوْلى ، لقد ضَلّ سَعْيه وخَسِر خُسْرانًا مُبِيناً » .

---

(1) قد تكون « بأبي » .

(2) م. « معتذرا » .

ولمّا أن احْتَلّ الناصر لدين الله بمَحَلّته ببِرْكة العَجُوز ، وحَقّ عند التُجيبيّين قَصْده لقلْعة أيّوب ، أَخْلى أخوهم يُونُس بن عبد العزيز / دَرُوقة ، وحَكَم بن مُنْذِر تورش (1) ، وانْضوى سائر بني مُنْذِر ومَن معهم إلى قَلْعة أيُّوب ، بَعْد أن تَخلّوا عن ثلاثين حِصْنًا وقَصبة مِن أعْمالهم ، صارَتْ إلى السُلْطان عَفْوًا ، فشَكّها برِجاله ، وأوّى مَن فيها إلى كَنَفه ، وتقدّم الناصر لدين الله إلى قَلْعة أيُّوب ، فنزَل عليها وأحاط بها ، وتَوافى إليه قُوّاده المُحاصِرون لمدينة سَرَقُسْطة ، فتَكاثَف العَسْكَر على القَلْعة ، وأُحِيط بها مِن جِهاتها ، وناهَضها القُوّاد على تَرْتيب مُحْكَم وأَمْر مُبْرَم يومَ السَبْت لثلاث عشرة بَقِيَتْ مِن شَهر رَمَضان .

269

وبَرَز إليهم الغَويّ مُطرِّف بن مُنْذِر ، مُسْتَطِيلًا بأنْصاره ، كُفّار ألبة ، فوَقَعت بَيْنهم حَرْب صَعْبة ، صابَر فيها الفريقانِ حتّى صُرِع مُطرِّف على باب بُسْتان له ، كان فيه أهله ، فانْهَزَم أهل عَسْكَره ، يُرِيدون المدينة ، ورَكِب الأوْلِياء أكْتافهم ، حتّى أقْحَموهم فيها ، ومَلَكوا عليهم أبوابها ، فدَخَلت عليهم مِن جِهاتها ، وجاشت الخَيْل أعْلاها وأسْفَلها ، وصُرِع المُحامُون عنها في طُرُقها وأفْنِيتها ، فذاقوا عجَلًا وَبال أمْرهم ، وقد غدا بها صَباح يَوْمهم ذلك أُلوف مِن أهلها ، فأَمْسَتْ وليس بهم [إلّا] غريب ، وصارت للناظرين عِبْرة .

ونجا حَكَم بن مُنْذِر ، أخوه الخائن مُطرِّف ، ورجال تُجِيب قاطِبةً ، ومَن معه مِن قَوامِس كُفّار ألبة وأهل الصَبْر مِن فُرْسان الطائفتَيْن إلى ذُرْوة القَصَبة ، فامْتَنَعوا بها ، ورَكِب الناصر لدين الله إلى المدينة ، عِند أَخْذها في اخْتِدام الغَيْظ ، فواصَل (2) القِيام بها على فَرَسه ، قاطِعًا لأسْباب الفَتْح، ضاحِيًا للشَمْس، غَيْر مُتظلِّل ، سائرًا (3) على وَجْهها ، غَير مُتعرِّج،

---

(1) الحرف الأول غير منقوط .

(2) م. « فوصل » .

(3) م. « صايرا » .

إلى أن أُذِّن بصَلاة المَغرِب ، وقد تُلُقِّيَ في دُخوله برأس الخائن مُطرِّف ، وجِيءَ بابن أبي سُلَيمان أسيرًا ، فأمَر بقَتْله صَبْرًا ، ثُمّ جِيءَ بيونُس بن عبد العزيز الدَرُوقيّ بَعْدَه أسيرًا ، فوَقَف بَيْن يدَيْه مَلِيًّا ، يُعدِّد له ما بَسَط له مِن العافية ، ويُقرِّره بذُنوبه المُوبِقة ، فلا يُحِير بِنْت شَفة ، ثُمّ أَمَر مَن كان بَيْنَ يَدَيه ، فشَكُّوه بأطراف الرِماح ، فخَرّ صريعًا ، مُتزمِّلاً في دِمائه ، مَوْعِظةً لمَن تأمَّله . / وتَتابَع مَجيء الحَشَم وأهل العَسْكَر إلى الناصر لدين الله ، حَيثُ ما تَنقَّل مِن أَرْجاء المدينة ، بمَن أصابوه مِن الأَسْرى ، والسُيوف تَعمَل فيهم عَمَلها بيْن يدَيه ، إلى أن أَمْسى ، وجُمِعَتْ رُؤوس المُشرِكين والمُرتَدِّين معاً بَيْنَ يَدَيْه .

270

ثُمَّ رتَّب القُوّاد على المُمْتَنِعين في القَصَبة ، وخَرَج إلى المَحَلّة ، فابْتَدَر حَكَم بن مُنْذِر ، غَداةَ يوم الأحَد بَعْدَه ، الدُعاء إلى الأمان والنُزول إلى الناصر لدين الله ، وأَصْغى لنصيحته ، وفَهِم عنه مِن مِقْدار عَدَد مَن حَصَل في القَصَبة وسَعة الأَقْوات عِنْدهم ، ما رأى معه تَعْجيل شأْنهم ، على تأمين جَماعة في أَنْفُسهم وأَمْوالهم وأَهْلِيهم ، وإزعاجهم عن الثَغْر بكلّيّتهم ، وإلحاقهم بالحَضْرة بحَيْثُ تُؤْمَن بَوائقهم ، وعلى تأمين خمسين فارساً مِن قَوامِس (1) ألبة ووُجوه فُرْسانهم ، وإيصالهم إلي مأْمَنهم ، والإفراج عن سائر المُشرِكين للنُزول على حُكْمه .

فتمَّتْ هذه القَضيّة يومَ الاثنَيْن لأحَد عشر بَقِيَتْ مِن شَهْر رَمَضان ، ونَزَل القَوْم بجَماعتهم عن القَصَبة عَشِيَّ هذا النَهار ، بمَشْهَد مِن الناصر لدين الله ، فاجْتَمَعَت منهم جُمْلة غليظة ، باكَر القُعود لهم غداةَ يوم الثُلاثاء في المِضْرَب ، وقد بَرَز لهم في الرِواق على بابه ، معه أَوْلاده وخاصّة وُزَرائه ، وأُحْضِرَت الجَماعة ، ومُيِّز منهم آل (2) تُجِيب ومَن دَخَل في الأَمان مِن فُرْسان المُشرِكين مُنادًى بهم على أَسْمائهم ، فاسْتُحْيُوا ، ثُمَّ قُدِّم

(1) م. « قواميس » .
(2) م. « الى » .

مَن سِواهم ، فقتلوا عن آخرهم ، وعاثت السُيوف فيهم في مَشْهَد عظيم ، أَعَزّ الله به الدين ، وأقَرّ عُيون المُسلمين ، وجَدَع مَعاطِس الكافرين ، دعا فيهم داعي المَنـايا ، فأجابوا سِراعًا ، وجَمَعَتْهم لها المَقادِير ، بَعْدَ أن كانوا شَعاعًا ، واجْتَمَع مِن رُؤوسهم ورُؤوس المَقتولين قَبلَهم ثلاث مِائة رأس ونَيِّف وثلاثون رأسًا .

وكان فَتْح قَلعـة أيُّوب عظيـم الشأن ، لِما اجْتَمَع عليه مِن خَضْد شَوْكة (3) التُجيبيّين ، إذ كانت فيهم عِدّة مِن فُرسان سَرَقُسْطة المُمِدّين لهم ، إلى الظَفَر بخمس مِائة فارس مِن المُشرِكين في دار الإسلام أَوْدَوْا ، فلم يَنْجُ منهم إلّا الخمسون / المُؤمَّنون مِن عَرْضهم ، إلى افتِتـاح سبعة وثلاثين حِصْنـًا من حُصون الجَلالِقة في مَقام واحد ، وانقِطـاع المارق محمّد بن هاشم ، زعيم الجَماعة ، مِن الانْتِصار بأوْليائه المُشرِكين ، وما جرى عليه من نَقص عَدَده ، وقَطع عُدَده ، وانفِراده بسالفته .

271

وقد ذَكَرت الشُـعَراء هذا الفَتْح في تَهْنِئـة الناصر لدين الله به ، مُنوِّهةً بمِقْداره ، فأكْثَرت وجوَّدت ، فمِن أَحْسَن أقْوالها فيه قَوْل زعيمهم أحمد بن عبد رَبّه في شِعْر له ، أوَّله [بسيط] :

يا ابْنَ الْخَلائِفِ والصِّيدِ الصَّنـادِيدِ
أَلقَـتْ إلَيْـكَ الرَّعايـا بِالمَقالِيـدِ

ولأبي عُثْمان عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس في ذلك أيْضـًا شِعْر ، أوَّله [كامل] :

لِلهِ فَتْحُكَ ، مـا أَجَـلَّ وَأشْـنَعَا
فَتْحًا أَبَحْتَ (1) الْكُفْرَ فِيهِ أَجْمَعَا

وهما شِعْرانِ طَويلانِ .

---

(3) م. « الشوكة » .
(1) م. « امحت » .

ولمّا اسْتَتمّ الناصر لدين الله شأنهم في قَلْعة أيّوب والحُصون التي تَلِيهـا ، آثر تقديم الجِهـاد في سَـبيل الله ، على الصَمْد للناكثيـن أهل سَرقُسْطة ، شُكرًا لله على ما تَوَلّاه مِن نَصْره فتعبّأ للجِهاد ، وأزاح عِلَل الجُنْد ، ثُمّ اقْتَحم بهم أرض بَنْبلُونة ، الدانية إليه مِن دُور الحَرْب ، لمّا نَكَثت عليه العِلْجة طُوطة ابنة أشْيِنَر (2) ، صاحِبتهـا ، وظاهَرت أُولِي المَعْصِية على ذَوِي الطاعة ، فأداخ (3) أرضها عَرْضًا وطُولًا ، ووَطِئها سَهْلًا وجَبَلًا ، واسْتَتمّ داخلها صَوم شَهْر رَمَضـان ، وعَيّد فيها عِيد الفِطْر ، واسْتَباح كثيرًا مِن حُصونها ومَعاقِلها .

وأخْرَج الوزير القائد أحمد بن محمّد بن إلْياس على مُقدّمته ، في ألف وخمس مائة فارس مُنتَقَيْـن ، إلى بسيط بَنْبلُونة ووادي أرَغُون ، فأسْرَى لَيْلتـه وصبّح البسـيط ، فأضْرَمه نارًا ، ومَلأ قُلوب المُشرِكيـن رُعبًا . واحْتَلّ الناصر لدين الله بالعَسْكر كلّه على حِصْن أُونُه قَشْتِيل ، مِن سَراوة (4) أرض الكَفرة ، يَوْمَ الثُلاثاء لثلاث بَقِينَ مِن شَهْر رَمَضان منها ، فقاتَله (5) يَوْمَيْنِ وغَلَب على أرْباضه ، فغَنِم المُسلِمون ما فيها ، ولاذ أهله بقَصَبتهم ، وكانت صَخْرة مُنْقَطِعة لا مُتعلّق بها / مِن جِهة مِن جِهاتها ، 272 أعْجَزت المُسلمين ، فصالَح الناصر لدين الله عِند ذلك شَرْجِين ، صاحِبها ، ان يَضْمَن أذَى العِلْجة طُوطة وتَبْصيرها حَظّها ، فنزَل إليه شَرْجِين ، فأمّنه وكَساه ، ورفَع القَطْع عن باقي شَجَره ، وتَوَجّه نَحْو العِلْجة .

فاحْتَلّ مِن بَلَدها وَسَطه ، بمَوْضِع لم يَحْتَلّه أحَد قَبْله ، في حُصون مُتّصِلـة المَزارِع بالشَجر ، مُتبـاعِدة الأمَل عن الطارِق ، فالنِعَم خِلالها

(2) م. « شنير » .
(3) م. « فأضاخ » .
(4) م. « سرارة » .
(5) م. « قابلته » .

مُنبَثّة ، ومَنازِل اهلها بالخَيْرات مُترَعة ، فكان لأهل العَسْكَر فيما تَوسَّطه منها غِنىً عَمّا تَباعَد عنهم ، رَغِد به عَيْشهم ، وعَيَّد الناصر لدين الله هُنالِك عِيد الفِطْر ، يومَ الجُمعــة ، واقام البِســاط لأهل عَسْكَره على رَسْمه في الحَضَر ، وأَخْرج قُوّاده إلى كُلّ جِهة في أعْداد مِن الخُيول للتَدْمير وجَلْب العِلافة ، فاستَبْغَوْا مِن ذلك طَلَب الزُلْفى لَدَيْه إلى أبْعَد غاية ، وانْفَرَد عبد الله بن بَدْر منهــم بقَطْع الشَــجَر المُثْمِــر ، الذي هو مُعْرِض بتِلْك الناحية ، فانْتَحاه في جُمَل المَحْشودة المَضْمونين ، فاستَنْفَدوا في ذلك الوُسْع والطاقة ، وأتَوْا على دُنْيا عريضة ، واخْتَرَق العَسْكَر ما مَرّ به مِن ارض بَنْبَلُونة ، على هذا التَدْمير المُحْكَم والتَرْتيب المُبْرَم ، يَنْسِف الآثار ويُخرِّب الدِيار ، ويَخْرِق القُرَى ، ويَهْدِم الحُصون ، ولا يَزال يُصِيب في كل صُقْع يَطَاه الناصر لدين الله في كلّ مَحَلّة ، وقد عَمَّتْ أعْداء الله اهل بَنْبَلُونة الصَيْحة ، وشَــمَلَتْهم الرَهْبَــة ، فلم يَتراءَ للعَسْكَر منهم أحَد ولم يَتعرَّض منهم للحَرْب فارس ، حتّى تَقَصّى المُسلِمــون واسِــطة بَلَدهم ، وعفَّى على اثارهم .

فانْثَنى الناصر [لدين الله] عِند ذلك قافلاً ، وصيَّر طريقه على غَيْر المَكان الذي دَخَل عليه ، استِبْلاغاً في نِكاية الكَفَرة ، فحَطَم في صَدْره هذا بِلادًا عامرة ، ومَرّ على مدينة طَفالْية ، فأصابها خالية على عُروشها ، وأضْرَمها نارًا اسْتَضاء العَسْكَر لَيلَتهم بلَهَبهــا ، ثُمّ خَرَج إلى تُطِيلــة ، سالماً غانماً ، مالئاً قُلوب العَدُوّ هَيْبة ، والحَمْد لله .

فَتْح مدينة سَرَقُسْطة

وصَمَد الناصر لدين الله مِن فَوْره إلي مدينة سَرَقُسْطة ، مَخْرَجه مِن بَلَد العَدُوّ مِن تُطِيلة بجُيوشــه وعُدَده ، / فاحْتَلّ عليهــا ، ونَزَل مَحلّتــه 273 المعهودة على بابها يوم الثُلاثاء لاثنتَيْ عشرة ليلة خَلَتْ من شَوّال مِن هذه السنة ، فاتَّخَذ مَحَلّته دار مُقــامه ، ابْتَنى لنَفْســه ولمَن معه مِن أَوْلاده

المَنازِل الرفيعة ، وأمر قُوّاده ومَوالِيه بالاخْتِطاط فيها ، وعرَّفهم باعْتِزامه على مُلازَمة الخائن محمّد بن هاشم ، والأخْذ بكُظْمه ، والدُنُوّ إلى سُوره ، والضَبْط لأبْوابه ، وهجْر الأهل والأوْطان لصِلة جِهاده ومُوالاة حَرْبه ، حتّى يُمكِّن الله منه أن يَقْضِي ما أَحَبَّ مِن أمْره ، وفرَّق قُوّاده على جِهة المدينة ، فأحاطوا بها ، وشَدُّوا حَصْرها ، واتَّصَل مُقام الناصر لدين الله عليها ، يُبْرِم الآراء في الاقْتِدار على فَتْحها ، حتّى سَلَخ بَقيّة شَوّال وشَهْر ذي القَعْدة وذا الحِجّة بَعْدَه من هذه السنة ، والفُتوح تَتوا[لى عليه] بمَحَلّته تِلْك مِن الجِهات بعِزّ الأولياء ونُكوب الأَعْداء .

فكان منها كِتاب لعامل وَشْقة بفَتْح أُتِيح له في كَفَرة بَنْبلُونة ، وقد غَزاهم [مِن] قَبْله ، غِبَّ قُفول الناصر لدين الله عنهم ، فاهْتَبَل منهم غِرّة بمَن (1) معه مِن أُولي البَصائر مِن المُسلِمين ، أَصابوا منهم سَبْيًا وغنيمة واسعة ، وهَدَموا لهم حُصونًا أشِبة وآبوا سالمين ظاهرين .

وكِتاب لدُرّيّ ، مَوْلى الناصر لدين الله ، المُصْحِر بالجَيْش بالثَغْر الأَدْنى ، بما ناله مِن أعْداء الله بأَطْراف ذلك الثَغْر ، وكَفّه من اسْتِطالتهم ، حتّى أنّ السَرايا مِن أهل ذلك الثَغْر مُترَدِّدة على مَن يَلِيهم بإزائهم مِن العَدُوّ ومُستطِيلة عليهم ، تَغْنَم ولا تُذاد ، وتُصِيب ولا تُصاب ، وقد نَكَص طاغيتهم رُذْمِير على عَقِبَيْه ، مُنذُ دنا الناصر لدين الله ، واضْطَرَب أمْره بخِلاف مِنْيورة القُومِس عليه ، فهو يَنْتَقِص أَطْرافه ويُشعِّث أعْماله ، وفَرْدِلَنْد بن (2) [رُذْمِير] ، المعروف بابن مامّة طُوتة ، مع ذلك يَسْتَصْرِخه لِما قد حَلّ به مِن قِبَل الناصر لدين الله ، فلا يُجِيبه ، إذ كان أشْغَل منه .

وكِتاب أحمد بن محمّد بن مُبشِّر ، والي طُلَيْطُلة ، بفَتْح جرى لرِجاله ومَن دَخَل معهم مِن أهل طُلَيْطُلة إلى دار الحَرْب ، ووُقوعهم على سَرِيّة ثقيلة لأهل سَمُّورة ، أعْداء الله ، كانوا خارجين إلى ناحيتهم ، هَزَموها

---

(1) م. « لمن » .

(2) م. « فرذلندين » ، يبدو أنه ابن المقتول عام 324 .

وقتلوا خلقاً مِن فُرْسانهم ، وأَسروا كثيراً منهم ، وانْقلَبوا غانمين ، معهم الأَسْرى والخُيول والغنيمة ، إلى فُتوح غَيْرها في سائر الجِهات مُتَوالِية ، / آذنَتْ بالنَصْر ، وخَلَعت قُلوب الأعْداء . 274

فلمّــا أن مَسّ ال تُجِيب الضُرّ ، واشْــتَدّ عليهم الأمْر ، ورَأَوْا مِن مُساكَنة السلطان عليهم في عُقْر دارهم ، وإشرافه عليهم في أَفْنِيتهم ، ما ضاقوا به ذَرْعًا ، وخانهم صَبْرهم في ... (1) ، استَفْتَحوا باب المُراسَلة وطَلَبوا الأَمان لأَحَد بني هاشم للخُروج بِرِسالة صاحبهم ، فأَمَّن الناصر لدين الله المُسمَّى لذلك منهم وَحْدَه ، وكان أَخًا لمحمّد بن هاشم أميرهم ، بَرَز عن المدينة ، وجاء إلى باب الرِواق ، فوَصَل إلى الناصر لدين الله ، فكلَّمه عن أخيه محمد في عَقْد صُلْح ، يُقارِبه فيه ويُقرّه على حاله ، مُجدِّدًا بَيْعته ، فأَظْهَر الناصر لدين الله مُســامَحته فيه ، وسأله أن يَخْرُج إليه إخْوته الاكابر ورِجال سَرَقُسْطة ، لتَقْرير شُروطــه وتَتْميــم عَقْده ، وأَمَر فخُلِع على هذا الرَسُول الأوَّل خِلَع خاصَّته ، ووَصَله بصِلة سَنيّة ، وأَطْلَقه لسبيله إلى أخيه ، وافياً بعَهْده .

فلمّا وافى إلى إخْوته ، وأَوْرَد عليهم ما أجابهم السلطــان إليــه ، وعايَنوا ما به مِن أثَر نِعْمته عليه ، شَرِهوا إلى نَيْل الذي ناله ، وابْتَدَروا الخُروج إلى باب الرِواق ، مُتسارِبين مُتَقاطرين ، قد ذَهَلوا عن أَخْذ أَمان أَو قَبْض رهينــة ، إمّا شَرَهًا إلى الحِباء وإمّا افْتِبالاً للمَكْر والخديعة ، فإذ سَرَقُسْطة قد نَثَرتْ بهم أفلاذ كَبِدها بباب الناصر لدين الله ، دون عَهْد ولا ذِمّة ، فيهم إخْوة محمّد بن هاشم ثلاثتهم ، يَحْيى ، وعبد الرحمٰن ، شقيقــا محمّد ، وهُذَيْل ، أَخوهما ، ومَعْن بن محمّد ، مِدْرَه للجَمــاعة ، وغَيْرهم مِن ذَوِي الشَوْكة مِن أهل سَرَقُسْطة ، وإنّ الغائلة ثابتَ للناصر لدين الله في وُجوههــم للغِرّة في خُروجهــم عليهــا مِن حالتَي التَغْرير والإضاعة ، فاغْتَنَمها فُرْصة ، اعْتَدّها فاتحة الظَفَر وسَبَب الفَتْح ، فأَمَر

---

(1) بياض في الأصل .

بالقَبْض عليهم أجْمعيـن ، وحصل جميعهم في رِبْق الأسْر ، مُوصَـدين ، وحَبَسهم داخِل سُرادِقه ، مُوكَّلاً بهم ، قد أحاطَتْ بهم ذنوبهم ، وحاق بهم مَكْرهم ، والمكر السيّء لا يَحيق إلّا بأهله . وبلَغ محمّد بن هاشم الخَبَر ، فسُـقِط في يده وأُحِيط بـه ، وتقطّعت أسـبابه ، وانْفَرد مِن إخوته وعَمَد دوْلته ، وصار أمْره غُمّة عليه ، وأُرْتِجَتْ أبواب سَرَقُسْطة على مَن فيها ، ولَمْ يَنْشَط لحزب ، ولا هَشّ لمحاشّة .

ومَضى الناصر لدين الله على رأيه في استِصْـلاحه واصْطِلاحه ، والضَنّ على المَوْت بمِثْله ، مع اقْتِداره عليه ، وأخْذه بكُظْمـه ، فلم يَزل يُكرِّر الرُسُل عليه ، مُعْذِرًا ومُبصِّرًا ، وواعدًا وضامنًا ، ومحمّد بن هاشم / يُقـارِب ولا يُحقِّق ، ويُسِـفّ ولا يقَع ، إلى أن خَتَم الناصر لدين الله 275 سُفَراءه إليه بجَهْور بن عبد الملك بن أبي عَبْدة ، مَوْلاه ، وكان الذي صَدَقه عن نَفْسه ، وأزاح الطَمَع عنها ، وحَمَله على الجادّة ، فاطْمَأنّ إليه وسَـكَنَتْ بـه نَفْرته ، وأصْحَب قِيـاده ، فأذْعَن إلى الاعْتِراف والإنابة ، واعْتَلَق حَبْل النَدَم والتَوْبة ، ولاذ بالعَفْو والإقالة ، وحَضَر عِيد الأَضْحى على بقيّة هذه المُداخَلة ، فعيَّد امير المؤمنيـن ، الناصر لدين الله ، في مَحَلّته بباب سَرَقُسْطة ، ورَفَّه عن إخْوة محمّد بن هاشم المُعْتقَلين لَدَيْه ، وأدْناهم مِن كَرامته .

[الأمان لمحمّد بن هاشم]

فلمّا مَضى العِيد ، عاج الناصر لدين الله على أمْر محمّد بن هاشم ، فتمَّمه ، وعَمَد إلى حَبْل سِلْمه ، فأحْصَده ، وتلقّى زَلّته بالتَعهُّد ، وفَيْئته بالتَقبُّل ، وعَقَد له الأمان بأوْثَق عَقْد ، وأشْهَد له المَلأ مِن اهل العَسْكَر ، ومَن حَضَر مِن اهل الثُغور كافّةً ، وشهِرَت نُسْخته في الناس عامّةً ، وكان مضمونه :

« الأمان لمحمّد بن هاشم ، وإخْوته ، وبَنِيه ، وذَوِيه ، وجميع اصحابه ورجاله ، ومَن اتَّصل به وبهم جميعــاً ، مِن اهل مدينــة سَرَقُسْطة ، مُدّة يَرْضاها الناصر لدين الله ، ويُملّكه إيّاها تَمليكاً ، يُدْخِل فيهــا مَن يَشاء مِن [أهلها] في العَدَد الذي يَرْضاه مِن رِجاله وأحْشامه .

ويَكُون اهل مدينة سَرَقُسْطة ، ومَن يُبْقِيه محمّد بن هاشم بَيْنَهم مِن اهله وأتْباعه ، امنين بأمان الله ، محفوظين بعَهْد الله ، مُستمسِكين بمِثْل أمان محمد بن هاشم ، غير مُتعقَّبيــن في أنفســهم ، ولا مأخوذين بذَنْب سَلَف .

وأن يَخْرُج محمّد بن هاشم عن سَرَقُسْطة بنَفْسه ، ومَن أَحَبَّ إخراجه معه مِن خَواصّ عِياله ووُلْده ، إلى مدينة تُطيلة أوْ غَيْرها من مُدُن الثَغْر ، وحُصوله مُسجَّلاً له على المَوْضِع الذي يَتخيَّره ، مُوسَّــعاً عليهم فيمــا يتَّصِل به ، ويَبْقى بسَرَقُســطة مَن أَحَبَّ منهم في دُوره ، ويَخْتَلِف إليهــم وُكَلاؤه .

وعلى المُوَلّى بسَرَقُسْطة بَعْدَه إحسان صُحْبتهم ومُحافَظته مُدّة مَغِيبه عنهم ، وعليه ان يُباعِد مَنْزِله عنهم ، فيتَّخِذ لنَفْسه دارًا في أَحَد جَوانِب المدينة ، لا يَقْرُبه شَيْء مِن دُور محمّد بن هاشم ، مَخــافةَ ما يَقَع بَيْنَ الحاشِية ، او يَنْزِل القَصْر القديم بَعْدَ خُروج محمّد بن هاشم عنه بجميع ما له فيه .

وعلى ان يُسجِّل الناصر لدين الله لأخيه ، يَحْيى بن هاشم ، على ما كان بيَده مِن مدينة لارِدة وأَحْوازها .

فإذا انْصَرَمَت المُدّة التي يَضْرِبها الناصر لدين الله لمحمّد ، تَوجَّه إلى الحَضْرة فوَطِئ البِســاط بها ، واقام فيها ثلاثين يوماً أو نَحْوها ، مُظْهِرًا لصِدْق طاعته ، ماحيــاً لكلّ ما / انْتَشَر في أَقْطــار الأرض مِن مَعْصِيته ، وهو في تَوجُّهه إليه امِن في طريقه ومُدّة مُقامه ومُنْصَرَفه ، غَيْر مقطوع به ولا مُعْتَرَض دون الانْصِراف ، إذا انْقَضَت المُدّة التي وُضِعَت

276

له ، ولا مدسوس عليه في ظاهر ولا باطن ، ولا مُتغلِّب عليه فيمَن يَتوجَّه بهم مِن أصحابه ، أو مَن يُخلِّفهم لسَدّ مَواضِعه .

وله على السُلطان ، إذا وفى بما عُقِد عليه مِن الشُخوص إلى باب سُدّته ، أن يَكْتُب له عَهْدًا على مدينة سَرَقُسْطة ، ويَصْرِفه إليها عاملًا وقائدًا ، ويَعْزِل عنها عامله وقائده ، بَعْدَ أن يَنـاله من كَرامته ، ويَظْهَر عليه مِن آثار نِعْمته ما يَعُود معه إلى أحْسَن الأَحْوال ، التي كان عليها قَبْلَ هَفْوته .

وتأريخ الكِتاب المُحرَّم سنة ستّة وعشرين وثلاث مِائة .

وعلى أن يُرْهِن عن نفسه وما عَهِد عليه مِن الوَفاء بشُروطه أَسَنّ وُلْده ، وأخاه هُذَيْلًا مِن بَيْنِ إخْوته ، وأَسَنّ وُلْد مَعْن بن محمّد ، صاحبه ، وأَحَد وَلَدَيْ قاسم ، ووَلَد كاتبه ، ابن العاصي ، ويكون جَمـاعتهم لدى الناصر لدين الله بحال حِفظ وتَكْرِمة ، وبسبيل أمان في المَسِير والمُقام ، يُدِيلهم ، إن شاء ، ستّة أَشْهُر بأَكْفائهم ونُظَرائهم مِن إخْوتهم خاصّةً ، إلى أن يَظْهَر لأمير المؤمنين بَراءة محمّد بن هاشم مِن مُمالاة المُشرِكين وتَصْحيحه طاعة أمير المؤمنين ، فيأْتي مِن إعفائه مِن ذلك مِمّا يَراه .

وعلى أن يَقْطَع محمّد بن هاشم [حَبْله] مِن المُشرِكين في ظاهره وباطنه ، مِن حَدّ بَلَد بَرْشَلُونة ، إلى سرطانية (1) الى بَنْبَلُونة ، إلى ألبة ، إلى القِلاع ، وإلى جِلِّيقيّة ، ولا يُكـاتبهم ولا يُداخِلهم ، ولْيَنْبِذ إليهم نَبْذ أمير المؤمنين ، ويُدْخِل السَرايا إلى بَلَدهم ، ولا يُصالِحهم على طَرَف مِن أطْراف الثَغر ، إلّا عن إذْن أمير المؤمنين وتَرْداد مَشُورته .

وأن يُورِد جِباية بَلَده بمَحَلّها ، ولا يَخْتَبِسها عن أمَدها ، ولا يُنْقِصها من عَدَدها ، بَعْدَ أن يُسْقِط عنه جِباية عام مُحْرِم ، لِما ناله ونال البسيط مِن مَعَرّة الجَيْش وامْتِناع التَوْزيع ، ثُمّ يُورِدها مِن بَعْدِ انْصِرام العام ، كامِلة

(1) م. « سرباطاسة » ، لعلها « بربطانية » .

مُوفَّرة ، بغَيْر رَسُول يُحرِّكه ولا مُوكَّل يَضْغطه ، حاشى الكِتاب إليه ، إن كان عاملاً أو إلى ابنه ، إن رأى أمير المؤمنين استِعْماله .

وألَّا يَتقبَّل حُرًّا نازِعاً ولا عبدًا ابِقاً لأمير المؤمنيـن ، ولا لأحَد مِن رَعيّته ، وأن يُوثِق مَن ظَفِر به مِن هذه الطَبقة ، ويَصْرِفه إلى مَكانه .

وألا يَتعقَّب أحَدًا مِمَّن سُجِّل له عليه ، أو يُسَجِّل بَعْدُ مِمَّن حارَبه مع أمير المؤمنين ، وفارَقه إليه أيّام الطاعة له ، / أيام مَعْصِيته .

277

وأن يُجدِّد البَيْعـة لأمير المؤمنين ، ويَلْتزِم شُروطهـا ، ويُخْلِص الطاعة له ، ويُوَفِّي حُقوقها .

وأن يَغْزُو مع أمير المؤمنيـن ، ويُعـادِي مَن عاداه ، ويُحـارِب مَن حارَبه ، ويُسـالِم مَن سـالَمه مِن أهل المُلْك وغَيْـرهم ، ويَقْطَع نصيبـه مِن كلّ مَن أخْرَج يَده عن طاعتـه ، وإن كان ابنـه أو أخاه ، يَلْتزِم كلّ مـا ألْزَمه أمير المؤمنيـن مِن ظاهر القَوْل وباطن الإرادة ، لا يُنْقِص مُتأوِّل البُغْية ، ولا يُحرِّف عن التَصْحيح بالعِلّة ، فقد الْتَزم أميـر المؤمنين في عَقْده مِثْل ما سَأله محمد من ذلك ، وأوْجَبه على نَفْسه له ، مع دَرْكه لهذه المنْزِلة من صِدْق الطاعة ، أن يُوَلِّيه مدينة سَرَقُسْـطة ، وما وَقَع له في سِجِلّه معها ، وِلاية مُستمِرّة ، ولا يُعْزَل طُول أيّامه عنها ، ثُمّ لا يُؤاخِذه بذَنْب ، ولا يُعدِّد عليه اقْتِراف خَطَإ ولا عَمْد ولا يَقْبَل فيه مَقالة كاشِح وَلا طَعْن حاسد .

ويُصيِّر ذلك له وَصِيّـة فيمَن بَعْدَه ، يُلْزِمهم الوُقوف عِندها ، على سبيل الخُلفاء في خالِدات عُهودهم ، إن شاء الله » .

[تسْمِية الشُهود]

ووقعت الأيْمـان في هذا الأمان مِن الناصر لدين الله ، مُسـتَوْفاة مُغلَّظة ، أخَذ على محمّد بن هاشم أشَـدّ منهـا ، فحَلَف في مَقْطَع الحَقّ بمَسْجِد سَرَقُسْطة الجامع خمسين يميناً مَنسوقة ، بمَحْضَر قاضي الجماعة

بقُرْطبــة والفُقَهــاء وأعْلام العَسْكر والمَلأ مِن اهل بَيْت محمّد بن هاشم ووُجوه اهل الثغر ، على اُلتِزام ما عَقَد على نَفسه منه ، واعْتِقــاده إيّاه دِيانة ، ثُمّ أشْهَد الناصر لدين الله على نَفْسه فيه جميع اهل عَسْكره ، فكان أوّل مَن شهِد عليه أوْلاده الحاضرون العَسْــكر منهم ، ثُمّ أعْمــامه ، ثُمّ أعْمام أبيه ، وَلَد الأمير محمّد بن عبد الرحمٰن ، ثُمّ الوُزراء وأصْحــاب الخُطَط ، اهل الخِدْمة ، ثمّ قُرَيْش الصُلْب ، ثُمّ الفُقَهــاء ، ثُمّ وُجوه اهل سَرَقُسْطة ، ومَن حَضر من اهل الثغر .

تَسْمية وُلْده : الحَكَم ، وَليّ عَهْد المسلمين ، المُنْذِر بن القُرَشــيّة ، عبد الله ، عبد العزيز ، شقيقا وَليّ العَهْد ، بنو الناصر لدين الله .

الأعْمام : محمّد وأحمد ، ابنا الأمير عبد الله بن محمّد .

أعْمام الأب : سُلَيْمان وسعيد ، ابنا الأمير محمّد بن عبد الرحمٰن .

الوُزَراء : سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ ، عبد الحميد بن بسيل (1) ، عبد الواحد بن بسيل ، خالد بن أُمَيّة [بن عيسى] بن شُهَيْد ، عيسى بن أحمد ابن محمّد بن عيسى بن أبي عَبْدة ، أحمد بن محمّد بن إلْياس .

اصحاب الخُطط : محمّد بن سعيد بن المُنْذِر ، القائد ؛ عيسى بن فُطَيْس بن أَصْبَغ بن / فُطَيْس ، الكــاتب ؛ عبد الله بن بَدْر بن أحمــد ، صاحب الشُرْطة ؛ محمّد بن قاسم بن طُمْلُس ، صاحب المَظالِم ؛ محمّد بن عبد الله بن موسى ، الخازن ؛ إسْماعيل بن بَدْر بن إسْماعيل ، العارض . 278

المَوالي : جَهْــوَر بن عُبَيْد الله بن محمّد بن أبي عَبْدة ، أحمد بن خالد بن أُمَيّــة بن عيسى بن شُــهَيْد ، محمّد بن جَهْــوَر بن عبد المَلِك البُخْتيّ ، مَرْوان بن جَهْوَر بن عبد المَلِك البُخْتيّ ، أحمد بن شُــهَيْد بن محمّد ، عبد الله بن أحمد بن محمّد بن عيسى ، محمّد بن عبّاس بن محمّد ابن أبي عَبْدة ، عبد الله بن عبّاس بن أحمد بن أبي عَبْدة ، عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس ، عبد الوَهّاب بن محمّد بن بسيل ، أحمد بن عبد الله بن

(1) لا يذكر اسمه في « البيان » تحت هذه السنة ، راجع ص 283 .

بسيل ، محمّد بن عبد الله بن حَمْدون بن بسيل ، محمّد بن مَرْوان بن عبد الله بن بسـيل ، أحمد بن العاصي بن عبد الله بن عبد المَلِك بن سُلَيْمان الخَوْلانيّ ، عبد الرحمٰن بن أحمد بن زَكَرِيّا بن عاصم ، محمّد بن أحمد ابن أبي قابوس ، أحمد بن محمّد بن عيسى ، محمّد بن عبد السلام بن كُلَيْب بن ثَعْلَبة .

قُرَيْش الصُلْب : وليد بن هِشام بن محمّد بن عبد العزيز بن هِشام ابن محمّد بن عبد العزيز بن هِشام بن محمّد بن أحمد بن هِشام بن محمّد ، محمّد بن مَرْوان ، هِشام بن أحمد بن هِشام ، أحمد بن قاسم بن مُطرِّف ابن هِشـام بن أحمد ، محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الجبّـار ، عبد الرحمن بن سعيد بن محمّد .

الحُكّام : أحمد بن عبد الله بن أبي طالب ، قاضي الجماعة بقُرْطُبة ، محمّد بن محمّد بن عبد الرحمٰن ، صاحب الردّ .

الفُقَهاء : محمّد بن قاسم بن محمّد الأمَويّ ، محمّـد بن يَحْيى بن عُمَر بن لُبابة ، محمّد بن محمّد بن عبد السـلام بن ثَعْلَبـة الخُشَـنيّ ، قاسم بن موسى بن العاصي ، حَسَن بن عبد الله[...](1) مَوْلى رَسُول الله ، صلّعم ، إسْحاق بن عِمْران بن إبراهيم بن قاسم بن هِلال القَيْسيّ ، عُمَر ابن عبد الجَبّـار البَكْريّ ، عَمْرو بن عَمْرِو بن العاص عِيص القُرَشيّ ، مُنْـذِر بن سـعيد بن عبد الله الأُمَويّ ، محمّد بن عبد الله بن عبد البَرّ التُجيبيّ ، أحمد بن دُحَيْـم بن خليـل الأُمَويّ ، عبد الله بن بُنْـدار ابن عَنْتَر القَيْسيّ ، أحمد بن عبد الجَبّار البَكْريّ ، أحمد بن أُمَيّة الرُعَيْنيّ ، يَحْيى بن زَكَريّا بن يَحْيى ، عُمَر بن يَحْيى بن لُبابة ، إسْماعيل بن ناصح المَخْزوميّ ، أُمَيّـة الرُعَيْنيّ وقاد اللَخْميّ ، الحَسَـن بن محمّد بن نِزار الكِلاعيّ ، حُسَيْن بن محمّد بن عبد السلام الخُشَنيّ ، محمّد بن سَعْد بن مُعاذ الشَعْبانيّ ، عِيسى بن محمّد بن إبراهيم / بن عيسى الكِنانيّ ، عُبَيْد

279

(1) اسم غير كامل .

الله بن أحمدُ بن يحْيى اللَيْثيّ ، محمّد بن خالد بن وَهب التمِيميّ ، محمّد ابن عَبْدون بن فَهْد .

ومن أهل سَرقُسْـطة : يَحْيى بن هاشـم بن محمّد بن عبد الرحمٰن التُجيبيّ ، هُذيل بن هاشـم بن محمّد بن عبد الرحمٰـن التُجيبيّ ، عبد الرحمٰن بن قاسم بن مُعاوِية التُجِيبيّ ، مَعْن بن أحمد بن مَعْن التُجيبيّ ، يَحْيى بن وَليد التُجيبيّ ، يَحْيى بن محمّد بن يَعْقُوب الأُمَويّ ، فَتْح بن أنْمار بن فَتْحُون بن أيُّوب الأنْصـاريّ ، أيُّوب بن سُلَيمـان بن مُعـاوِية الرُعَينيّ .

قال : وكان دُخول الناصر لدين الله مدينة سَرقُسْطة بهذا السِلْم ، وتَسلُّمه إيّاها مِن محمّد بن هاشم ، في المُحرّم سنة ستّ وعشرين وثلاث مِائة بَعْدَها ، على حَسَب ما يجيء ذِكْره في أَخْباره ، إن شاء الله .

[رِواية الرازيّ لفَتْح مدينة سَرقُسْطة]

وقال (1) أحمد بن محمّد بن موسى [الرازيّ] في مَسـاقه لهذه الغَزْوة : في سـنة خمس وعشرين وثلاث مائـة غَزا الناصر لدين الله بالصائفة إلى مدينـة سَرقُسْطة ، أُمّ الثَغْر الأعْلى ، عامَ فَتْحهـا ، أَيْمَن غَزْوة ، جمَع فيها بَيْنَ جِهاد المُشرِكين واستِئْلاف المُخـالِفين ، فتَهيَّأ له فَتْح سَرقُسْـطة سِلْمًا ، بَعْدَ أن أقام على مُحاصَرتهـا ثمانية أشْهُر كاملة العَدَد ، وهي مُدّة لا يُعْرَف لأَحَد مِن المُلوك قَبْلَه مِثْل مُقامهـا بالأندلس في سـالف الأزْمنة (2) ، نَفَذ لغَزْوته هذه الصـائفة في (3) رَجَب منها فاستَقْبَلَتْه الفُتوح مِن كلّ جِهة تَتْرى ، واتَّصَل به أَنّ أَعْداء الله المُشرِكين قد قاتَلوا أطْراف المُسلِميـن بالثَغْر الأوْسَط ، مُرتصِـدين لكلّ غِرّة عِند

(1) يضيف الناسخ هنا « ابن » .
(2) م. « قبله اصرتها » .
(3) م. « من » .

إصعاد سلطانهم إلى الثغر الأعلى ، فعدل إلى مدينة طُلَيْطُلة ، وتلوّم بعساكره الثقال فيها ، مُظهِرًا الدخول إلى جِلّيقيّة .

فلمّا بَلَغ العَدُوّ ذلك ، فسخوا عَزمهم ، وتفرّقوا إلى أَوْطانهم ، وصحّ ذلك عِنده ، فنهَض لعَزْمه ، لمُناجَزة صاحب سَرَقُسْطة ، وبَدَأ بمدينة قَلْعة أيُّوب ، وفيها ابن عَمّه مُطرِّف بن مُنْذِر المنبوز بالشُّوَيْرب (4) ، المُظاهِر له على خُلْعانه ، ومعه جَيْش من النصارى الحَرْبيّين ، قد اسْتَجاش بهم ، فوافَوْا مُمِدّين له . وخاطبه الناصر لدين الله في الإفراج ، علي بَذْل الأمان له وتَوْسِعة الإحسان إليه ، فامْتَنَع مِن ذلك أشَدّ الامْتِناع وأفْحَش عنه الرَدّ ، فنازَله الناصر لدين الله عِند ذلك ، ونَصَب مَكايِد الحَصْر عليه ، ففتَح مدينته عَنْوةً ، وقَتَل جميع مَن كان فيها مِن النصارى ، مُمِدّيه ، وغَنِم خَيْلهم وأسْلِحتهم ، ومَلَك المدينة وسبعة وثلاثين حِصْناً حَوْلها ، صيَّرها في حَيِّز الطاعة وعِصْمة الجَماعة ، واتَّفَق أن وَقَع فَتْحه لقَلْعة أيُّوب / لثلاث عشرة لَيْلة بَقِيَتْ مِن شَهْر رَمَضان منها ، المُوافِقة 280 لَيْلة بَدْر ، التي أعَزّ الله بها الإسلام .

فقَدَّم مِن شُكْر الله عليها ... (1) الجِهاد في سبيله ، ودَخَل منها إلى بَلَد بَنْبلُونة ، وَطَن أعداء الله البَشْكُنْس ، دمَّرهم الله ، فأداخه عَرْضاً وطُولاً ، وقَطَعه سَهْلاً وجَبَلاً ، وصام فيه باقي شَهْر رَمَضان ، وأفْطَر فيه وعيَّد ، وانْكَفأ عنه سالماً غانماً ظاهرًا .

فاحْتَلّ مَحَلّته المعهودة بباب سَرَقُسْطة يومَ الثُلاثاء لاثنتَيْ عشرة لَيْلة خَلَتْ مِن شوّال ، وجَدّ في حَرْب سَرَقُسْطة ، فزاحَف أسْوارها بعُدّته ، وأدْلَف إليها بعَزْمته ، وقد تَوارى رِجالها بالجِدار واستَسْلَموا للصَغار ، فتَعاوَرَتْهم المَجانِيق مِن كلّ جانب ، وساوَرَتْهم الأبْطال مِن كلّ ناحية ، لا يَنْقَطِع زِحامهم لَيْلاً ولا نَهارًا ، ولا تَفْتُر مساوَرَتهم وَقْتاً ولا أَواناً .

---

(4) يدعى في ص 208 « ابن شويرب » .

(1) بياض في الأصل .

وصَمَـد الناصر لدين الله على مارِدة البُروج ، التي كانت حِمى جِسْرهم وسـبيلهم إلى اخْتِلاف شـتّى مِن أُفقهم ، وقد عَلِم مَوْقِعهـا مِن إرفادهم ، فانْحنَى عليها بكَلْكَله ، وأذْكى عليها حَرْبه ، فاشْتَدّت عليهم مِن كلّ وَجْه حتّى تغلّب رِجاله عليها ، وصارت في حَيِّزه ، بَعْدَ (2) أن حامى عنها محمّد بن هاشم بنَفْسه ووُجوه رِجاله ، وجالَدوا رِجال الناصر لدين الله عليها مُستمِيتين ، واسْتحَرّ القِتال عليها بيْن الفريقَيْن ، حتّى أُصيب منهم خَلْق كثير ، وطاحت دُونَهـا أرْواح جَمّة ، بيْن طِعـان يُزِلّ الأقْدام وضِراب يُزيل الهام ، أظْهر الله بمَنّه الناصر لدين الله وحِزْبه ، فغَلَب على البُروج ومَلَك القَنْطَرة ، فقَطَعهـا وعَفّى أثَرها ، فاقْتدَر بذلك على حَصْر محمّد بن هاشم (3) وأهل سَرَقُسْطة ، والحَتْم على أنْفُسهم ، فأبْهَتهم تَحْت غَلَق مدينتهم ، مقبوضين عن جميع احْتِيالهم ، وقد انْقَطَعتْ عنهم المَكايِد ، وسُدَّتْ دونَهم السُّبُل .

وكان تَغلُّب الناصر لدين الله على القَنْطَرة وتَخْريبه لها يومَ الخميس للَيْلتَيْن بَقِيتا مِن شَوّال منها ، وتَمادى الحِصـار على أهل سَرَقُسْطة بَعْدَ ذلك ، فصابروا منها شِدّة ما صابر (4) أحَد مِثْلها ، إلى أن تمادى الناصر لدين الله في المُقام عليهم وتَهْيئة عُدد اللُّزوم لهم ، فأبْلَسوا (5) عِنْد ذلك ، وضاق ذَرْعهم ، وسألوا يوماً الأمان لرَسُول يلْقى الناصر لدين الله عنهم ، فأُجيبوا إليه ، وأمَر بتأمينه ، فأتى باب رِواق الناصر لدين الله عَجِلاً ، وكان أحَد إخْوة محمّد ، فأظْهَر له / السلطان بعض المُقارَبة ، ومَلأ عَيْنه بالحِباء والتَكْرِمة ، وصَرَفه إلى قَوْمه ، وسَأله أن يُوافِيه العُصْبة مِن قَوْمه ورِجال سَرَقُسْطة ، لإتمام ما جاء فيه .

281

فلمّا رأى القَوْم فَضْل ما ناله رَسولهم مِن الإحسـان والتَوْسِـعة ، رَغِبوا في نَيْل ذاك ، فابْتَدروا الخُروج إلى السُلْطان في جَماعة وُجوههم ،

---

(2) م. « وبعد » .
(3) م. « هشام » .
(4) م. « فصابروا » .
(5) م. « ابساوا » .

مع إخْوة محمّد بن هاشم ، يَحْيى ، وعبد الرحمٰن ، شـقيقه ، وهُذَيْل ، اخيهم ، ومَعْن بن محمّد ، ومَن قِبَلهم مِن زُعَماء القَوْم وفُرْسانهم ، وبَرَزوا إلى باب الرِواق مُتسارِبين دون لِياذ بأمان ولا اعْتِصام بذِمّة ، بل عاملين على المَكْر والخديعة ، فلمّا استبان ذلك للناصر لدين الله ، وبان له وَجْه الرأي في انْتِهـاز الفُرْصة منهم ، قَبَض على جميعهم واعْتَقَلهم ، وقامت منهم على مَن خَلْفَهم القِيامة ، وهَطَعت باميرهم محمّد بن هاشم أسْبابه ، وسُدَّت دُونَه أبْوابه ، وبَقِيَ مُنْفرِداً مِن إخْوته وحُمـاة اصحابه ، وصـار جميعهم في رِبْق الأسْر ، شائعاً حُكْمه فيهم .

فانْقاد عِند ذلك وبَخَع بالطاعة ، ودعا إلى الأمان ، واستَدْعى نُفُوذ جَهْـوَر بن عُبَيْد الله بن أبي عَبْـدة إليه ، آخِر مَن تَردَّد إليـه مِن رِجال السلطـان ، وكان يَثِق بصِدْقه والصِدْق عنه ، فسَـكَنت بجَهْوَر نَفْرته ، وأصْحَبَت مَقادته ، واطْمَأنَّت رَوْعته ، فأصْغى إلى الإنابة ، ولاذ بالتَوْبة ، فقَبِل السلطان إنابته ، وبَذَل له الأمان على (١) التي قَدَّرها معها ، ونَظَمها بأَوْثَق عَقْد ، أشْهَد عليه أشْهَر إشْهاد ، حَسَبَ ما تَقدَّم ذِكْره .

العِـذوة

قال عيسى [بن احمد الرازيّ] : وَرَد مِن العِدْوة كِتـاب موسى بن أبي العافية ، القائم بدَعْوة الناصر لدين الله بالمَغْرِب ، أوَّل هذه السنة الى الناصر لدين لله ، مُطالِعًا بأخْبار المَشارِقة ، ومُنْهِيًا لأخْبار ما قِبَله على العادة ، فكان الفَصْل فيه بذِكْر ذلك :

« وقد تَقدَّم لي غَيْر ما كِتابٍ إلى الناصر لدين الله ، سَيِّدي ، امير المؤمنين ، بما كان مِن صُنْع الله وتأييده على اهل الشِقاق الكَفَرة ، لمّا وَرَد علينا الأسْطُول المنصور ، وحَلّ بمرسى نَكُور ، ناهَضْنـا الفاسقين

---

(١) يبدو انه سقطت هنا كلمة « الشروط » .

بها ، فنَجَدْنا فيهم ، واسْتَوْلَيْنا على جميع نِعَمهم ، وحَمَلْنا السَيْف على مَن اسْتَحقّ منهم ، وأَعْفَيْنا الرَعيّة وأصحاب السَلامة مِن التُجّار وغَيْرهم ، ثُمّ أَخْرَجْنا شَواني مِن الأسْطول المَيْمون ، فقَدّمْناها إلى جزيرة أَرْشقُول ، التي كان الداعي ابن أبي العَيْش قد اتّخذها مُستَقرًّا ، وكان قد استَبْعَد عنها / لِما كان يَتوقّعه مِنّا ، صيَّرْنا في الشَواني رِجالاً مِن قِبَلنا ، فدَخَلها رِجالنا ، وافْتَتَحوها واسْتَوْلَوْا على جميع ما كان المُنافِقون اسْتَعَدّوا به فيها ، ونَقَلَت المَراكِب جميعها إلينا ، وخرَّبْنا ما كان الداعي قد ابْتَناه بها ، من دار وغَيْرها ، فأعَدْناها خَراباً ، على ما كانت عليه أوّل مَرّة .

282

ثُمّ قصَدْنا مدينة جَراوة بجميع ما كان معنا ، بَعْد تَدْويخنا الساحل ونِكايتنا أهله ، ومنَعْنا المَراكِب مِن الحُلول به ، وصَرَفْنا بجميعها إلينا ، فنزَلْنا بفُغْرة (1) المخذول ابن أبي العَيْش ، وخَرَج إلينا بعُدّته وعديده ، يَلْتَمِس دِفاعاً عن مَوْضِعه ، فدارت بَيْننا وبَيْنه حَرْب يسـيرة ، ثُمّ نكَص أصحابه مُدْبِرين ، وأَخَذهم القَتْل ، ولَوْلا تَعلُّقهم بالأوْعار وقُرْبها منهم ، لاضْطُلِموا عن آخِرهم ، فسَفَكْنا دِماء حُمـاته ، وأَخَذْنا له خَيْلاً عديدة ، وانْحَصر لنا في القَلْعة التي ابْتَناها ، فأَحَطْنا به ، وأَدَرْنا العَسْكَر حَوْلَه ، وتَغلَّبْنا على مدينة جَراوة ، وغَنِمْنا جميع ما (2) كان فيها (3) ، فأَصَبْنا فيها مِن الأَطْعِمة وضُروب الأقْوات والذَخائر ، ما استَوْسَع أهل العَسْكَر فيه ، ونَحْن مُلازِمون للخائن الدَعيّ ، آخِذون بمُخَنَّقه ، طامِعون بالظَفَر به ، فإنّ رِجاله يَنْزِعون إلينـا مع الأيّام ، ويُضعِّفون شِدّة وَرْطته ، وقد تَقـاطَرَتْ علينا القَبـائل المُدهِنة معه مِن كل جانِب ، يَرْغَبون في اعْتِلاق الطاعة ، ويُقِرّون بالذَنْب ، فأَوْسَعْنـاهم ، اسـتِئْلافاً لهم على الدَوْلة ، وإبعاداً لضَنيمها بالمَغْرِب كلّه ، بقُدوم هذا الأُسْطول إلينا ورَهْبة الأعْداء

(1) قراءة غير واضحة .

(2) م. « مِن » .

(3) م. « بها » .

له حَوْلنا ، وارْتَجَّتْ له أرض العِـدْوة ، وأيْقَن أهْله أنّ سَـيِّدنا ، أميـر المؤمنين ، لنا بحال اهْتِبال ومَعُونة .

وأمّا الخَصيّ مَيسور ، عبد اليَهـوديّ المَغْرُور ، قائده بالمَغْرِب ، فخَمد أمْره بسُرْعة ، وبلَغنـا مِن غَيْـر وَجْه أنّ العَـدُوّ لله ، مَوْلاه ، أبا القاسم ، قَصَمـه الله ، سَخِط عليه لأمْر أنْكَره منه ، وأنْفذ البُرُد إليه ، فقَبَضوا عليه ، ومَضَوْا به إليه مِن تاهَرْت ، مغلولاً ، مُقيَّدًا في الحديد ، قد سلَّطه الله عليه بما عصاه في طاعته ، وأعانه على سُخْطه ، وأنّ تاهَرْت بَعْدُ خالية مِن رِجال اللعيـن ، لَمْ يُنْفَذ بعدُ إليهـا أحَد ، وأهل الغَرْب في شِدّة وجُوع وشَقْوة » .

ثُمّ وافى كِتاب موسى بن أبي العافية ، وَسْط هذه السنة أيْضـاً ، إلى الناصر لدين الله ، يَذْكُر تَمادي وَلَده ، مَدْيَن بن موسى ، على حِصار ابن أبي العَيْش بقَلْعتـه ، وأخْذه بمُخَنَّقه ، وأنّ الجَهْد بَلَغ منه أن سَأله إقالته العَثْرة ، على / أن يُعاوِد الطاعة ، ويَتخلّى عن كلّ ما كان يُنازِعه فيه مِن الأعْمال ، إلّا حِصْنَه ذلك الذي هو به ، وأن يَقْطَع سَبَبه مِن ذلك ، ويَذْكُر مع ذلك ما قد كان صار إليه مِن مُصالَحة محمّد بن خَزَر ، أمير زَناتة ، وليّ أمير المؤمنيـن ، القائم بدَعْوته ، ومُصـاهَرته إليه ، ورَفْعه بذلك الشَوائب بَيْنَهما ، وكَوْنهما يدًا على أضْدادهما .

283

ووَصَف صَلاح الغَرْب قِبَله ، وسُـكون أهله ، وظُهور النِعَم فيه ، وذَكَر ظُهور البُنْيـان في المدينتَيْن اللتَيْن ابْتَنـاهما الناصر لدين الله ، ومُشارَفتهمـا حَدّ الكَمال ، وسأل إدالة مَن عِنده من البَنّـائين والفَعَلة الأندلسيّين ، بأنْشَط منهم ، إذ قد سَئِموا العَمَل ، واسْتَطالوا مَدَى الاغْتِراب عن أوْطانهم ، وسأل أن يُمَدّ بمائتَيْ فارس ، ليَسْتَعين بهم على مُحارَبة مَن تَحرَّك عليه بالغَرْب من الناكِبين عن الدَوْلة ، على مَعْنى التَهْويل بهم على مَن يُخالِفه في وِلايتها ، وذَكَر تَمام مُعاقَدته لأبي العَيْش إدْريس ، ومُؤالَفته إيّاه ، وارْتِفاع الشَرّ (1) بَيْنَهما أيضاً .

---

(1) م. « السر » .

فيها عُزل عن الوِزارة يَحْيى بن إسحاق ، ووَلِيَ فيها الوِزارة أحمد ابن عبد المَلِك بن شُهَيْد ، وعبد الرحمن بن عبد الله الزَجّاليّ في رَجَب ، فانسَلَخَتْ هذه السنة والوُزَراء فيها أَحَد عَشَر (2) وزيرًا ، وهم سَـعِيد ابن المُنْذِر القُرشيّ ، احمد بن محمّد بن حُدَيْر ، عبد الحميد بن بسيل (3)، احمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف ، خالد بن أُمَيّة بن شُهَيْد ، عيسى ابن احمد بن أبي عَبْدة ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، فُطَيْس بن أَصْبَغ بن فُطَيْس ، أحمد بن عبد المَلِك (4) بن عُمَر بن شُـهَيْد ، عبد الرحمن بن عبد الله الزجّاليّ ، أحمد بن محمّد بن إلْياس (5) .

وفيها ، في ربيع الأوّل منها ، نُقِل محمّد بن قاسم بن طُمْلُس من خُطّة العَرْض إلى خُطّة المَظالِم ، أُفْرِد بها ، وأُجْرِيَ عليه الرِزْق لها ، فكان أوّل مَن ارْتَزَق بهذه الخُطّة ، وصيَّرها الناصر لدين الله من هذا الوَقْت خُطّة بذاتها ، وقد كان نَظَر في المَظالِم قَبْله جماعة أُضِيفَتْ إليهم ، منهم الوزير احمد بن حُدَيْر والوزير عبد الله بن جَهْوَر ، فأُفْرِدَتْ من هذا التأريخ ، وجَلّ قَدْرها وعَظُمت المَنْفَعة بها .

وفيهـا عُزِل محمّد بن جَهْوَر بن عُبَيْد الله عن كُورة إشْبيليـة بعبد الرحمن ابن الخال سعيد بن أبي القاسم .

وإسـماعيل بن بَدْر عن كُورة شَذُونة بعبد الوارث وعُثمـان ابنَيْ سعيد معاً .

---

(2) م. « احد وعشرون » واغلب الظن انـه خطـأ ، اذ لا يتفق هذا البيـان وما ياتي في أمان التجيبي (ص 277) من أسماء الوزراء الشاهدين عليه ويخالف كذلك بيان السنة التالية ، راجع الملاحظات 3 ، 4 ، 5 في هذه الصفحة .

(3) م. « عبد الواحد بن بسيل » .

(4) م. « أحمد بن عبد الله » .

(5) قد سقط ذكر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذكور توليته أعلاه كما نفتقد ذكر عبد الحميد بن بسيل الذي جاء اسمه مع الشاهدين على أمان التجيبي ولم يزل وزيرا في السنة التالية .

284 وعُمَر بن عبد العزيز ومحمّد بن احمد عن كُورة رَيّه بسُلَيْمان بن / عبد الملك بن العاصي (1) .

ومحمّد بن عبد الرحمٰن عن طُلَيْطُلة باحمد بن محمّد بن مُبشِّر وعبد الله بن محمّد معاً .

وعبد المَلِك بن عبد الله عن قَلْعة رَباح باحمد بن محمّد وعبد الله ابن محمّد ، مضمومة لها طُلَيْطُلة .

واحمد بن عُمَر (2) عن ثَغْر مَجْرِيط باحمد (3) بن عبد الله بن أبي عيسى في ربيع الآخِر ، فاستُشْهِد ، رَحِمه الله هُنالِك في جُمادى الآخِرة منها ، ووَلِيَ ثَغْر مَجْرِيط مكانَه محمّد بن علِيّ في التاريخ .

وعُثْمان بن عُبَيْد الله (4) عن مدينة مارِدة بعبد الرحمٰن بن يَحْيى .

وعبد الوارث بن سعيد عن الأُشْبونة وجَبَل بني مُطْري وأَحْوازهما باحمد بن عُمَر .

وسعيد بن وارث (5) عن مدينة بَطَلْيَوْس بمحمّد بن جَهْوَر (6) .

وسُجِّل لسُلَيْمان بن احمد بن جُوديّ على مدينــة قَلْعة أيُّوب ، أثَر فَتْحها وقَتْل مُطرِّف بن مُنْذِر المُنْتَزِي بها في شَهْر رَمَضان منها .

---

(1) م. « القاضي » .

(2) لا يرد تاريخ تولية .

(3) م. « واحمد » .

(4) في عام 323 كان عثمان عاملا على وادي الحجارة بينما في عام 324 كان سوادة ابن عبد الملك عاملا على ماردة .

(5) يبدو ان الناسخ قد ارتكب عدة اخطاء هنا ، ففي عام 323 كان سعيد بن وارث عاملا على وادي الحجارة وفي سنة 326 عزل وفي سنة 324 كان عيسى بن ديسام عاملا على بطليوس بينما لا يذكر ان محمد بن جهور قد عزل سنة 326 فقد كان من عزل رجلا اخر .

(6) كذلك لا يتوافق هذا الاسم مع من عزل سنة 326 فقد كان احمد بن محمد بن عبد الرحمن .

سنة سِتّ وعشرين وثلاث مِائة

استِتمام فَتح سَرقُسْطة

فيها دَخَل الناصر لدين الله مدينة سَرقُسْطة ، بَعْدَ أن أَسْلَمهـا إليه مُحمّد بن هاشم التُجيبيّ المُنْتزي كان عليهـا . فكان دُخوله إيّاها يومَ الخميس (7) لأربع عشرة ليلة خَلَتْ من المُحرَّم منها ، بجُيوشه وعُدَده ، فجال داخِلها وتَخلّل أكْنافها ، فرأى مِن حَصانة سُورها ، وإتقان بِنْيته ، وبُعْد غايتـه ، ما عَلِم أنّه الباعث لخِلاف أهلهـا في الأوْقات والمُقوِّي لنُفوسهم على المَعْصِية ، فأمَر بهَدْمه وإلصاق بَواسِقه بقواعِده ، فشَرَعت الأيدي في ذلك غداةَ يوم الخميس ثاني دُخوله ، فاسْتَكان أهل سَرقُسْطة عِند ذلك للطاعة ، وفارَقوا الأنَفة ، وودّعوا التَعزُّز على السلطان وَداعًا بلا تَلاقٍ (8) . وشَدّ السلطان مدينة سَرقُسْطة برِجاله ، ونَظَر في مَصالِحها أيّام مُقـامه ، وعَمّ أهلها بجميل نَظَره ، وضَبط حُصونها وأعْمـالها وسَدّ جِهاتها وأطْرافها ، وظَهر مِن حُسْن تَدْبيره لذلك كلّه في الأيّام القليلة ما

---

(7) تأريخ غير مقبـول قد يكون الثلاثاء أو الأربعـاء لأن يوم الخميس كان اليوم الثاني على دخول الخليفة ، انظر فيما يلي .

(8) م. « وداع أن لا تلاقي » .

سَكَنَتْ نُفوس اهلها إليه ، واعْتَرفوا بفَضْله ، وحَمِدوا الله تعالى على ما تَهيّا منه .

[الجهاد]

وأَحبّ الناصر لدين الله ان يَخْتِم غَزْوته هذه بجِهاد المُشْرِكين ، كما افْتتَحها ، رَضِيَ الله عنه ، فنَدَب الناس للجِهاد لبَلَد بَنْبلُونة ، اَقْرب بِلاد أعْداء الله البَشْكُنْس مِن ثَغْر سَرقُسْطة وأغْلَظهم عليه شَوْكة ، فجَرَّد قائد عَسْـكَره نَجْدة بن حُسَين ، مَوْلاه ، لهذه الغَزْوة في اربعــة الاف فارس مُنْتَقَين من عَرْض عَساكِره ، وأَمَر محمّد بن هاشم / التُجيبيّ ، المُستنْزَل مِن سَرقُسْطة ، بالغَزْو معه في اصحابه واهل بَيْته ، قَطْعًا للحَبْل بَيْنه وبَيْن العِلْجة طُوطة ، صاحبة بَنبلُونة ، لَعنها الله ، وكاشِفــًا لِما عَقَد عليه مِن قطيعتها وحَرْبها ، وسَبْرًا لوَفاء محمّد بما أعْطاه مِن ذلك ، قَبْلَ ان يَبْعُد عنه ، لقُفوله الذي قد حان وَقْته ، فسارَع محمّد بن هاشم إلى ما أُمِر به مِن ذلك ، وجرَّد فيه عن ساعِده ، وجلّى له عن صِدْق نِيّته .

وكان خُروج القائد نَجْدة بن حُسَيْن بالعَسْكَر مِن المَحلّة بسَرقُسْطة سَحَرَ يوم الثُلاثاء لثلاث بَقِينَ من المُحرَّم منها ، وَقْتَ شِدّة البَرْد وقِرّة مِن الثَلْج ، فنَكَّب عن مدينة تُطِيلــة ، مُتيامِنــًا منها ، ولَحِق بها محمد بن هاشم يومَ الأربعاء بَعْدَه ، في إخْوته واهلِ بَيْته وجميع اصحابه ، فتَكامَل عَسْكَره وقَصَد ناحية شَنْت أشْتِيبَن وذي شَرَه ، بَعْدَ مُوافقة القُوّاد له على ذلك ، ومَشورته للأدِلّاء المَهرة ، وصَيَّر عَسْكَره كَتائب ثَلاثاً ، ضَمّ إحداها إلى محمّد بن هاشم واصحابه ، وقدَّمه الى بسيط شَنْت أشْتِيبَن ، وواعَده الألتِقاء هُنــاك ، وعلى الثانية محمّد بن عُثمــان المُصْحَفيّ ، واحمد بن محمّد الغَسّاني كاتباه ، وأمَرهما بالقَصْد إلى بسيط ذي شَرَه وحاضِرة ذلك الصُقع، وعلى الثالثة محمّد بن لُبّ وبنو عَمّه ، ومعه الأمَراء بالثَغْرَيْن، بنو رَزين وبنو ذي النُون وغَيْرهم ، وعَهِــد إليهم بشَــنّ الغارات على

285

الثّلاث الجِهات التي أُمِروا بها عند طُلوع الشَمْس يومَ الخميس ، إلى أن يَلْقَوْه بحِصْن شَنْت أشْتِيبَن .

فمَضَوْا على راياتهم ، وتَنـاغَوْا فيمـا أطْلَقوا على أعْداء الله مِن غاراتهم ، فانْتَسَفوا دُنيا عريضة ، والقائد نَجْدة سائر في آثارهم بجُمْهور أهل العَسْكر وكُهولهم ، حتّى تَوافَوْا بأجْمَعهم عِند حِصْن شَنْت أشْتِيبَن ، وقد نَشِـبَت الحَرْب بسـاحته بَيْن محمّد بن هاشم والمعروف باندُورِه ، كاتب العِلْجة طُوطة ، ومَن تَجمَّع معه مِن القَوامِس ، فأظْهَر الله المُسلمين عليهم عِنْد إطلال نَجْـدة بالعَسْـكَر ، وانْهزَموا لائذين بالأوْعار ، وخَيْـل المُسلمين تَسُوقهم ، فقُتِل منهم جَمْع ، وتوصَّل المُسلِمون إلى الشِعاب التي كانت فيهـا نِسـاؤهم وأمْتِعتهم ، فسَبَوْا منهم كثيرًا ، ومَلَؤوا أيْديهم مِن غنائمهم .

فانْبَسَطَتْ خَيْل المُسلِمين بَعْدَ الجَوْلة في ذلك الصُقْع ، فبلَغَتْ أقْصى حُدُوده ، وحَرَقت البِلاد (1) وهَدَمت البِلاد ، وعَفَّت الآثار على الكَنائس والدِيارات ، وانْثَنى الجَيْش قافلاً ، وقد أثْقَلَتْه / الغنائم ، فالْتَزَم نَجْدة ، قائده ، ساقتهم ، حاميًا لهم في جَرائد الخَيْل ، وقارَب في سَيْره للرِفْق بهم والاحْتِياط عليهم ، حتّى اجْتاز بحِصْن المُنَسْتِير ، المنسوب إلى العَرَب ، بطَرَف بَلَد بَنْبَلُونة ، الذي كان الخُلَفاء مِن بني أُميَّـة قد ضَبَطوه بالعَرَب على بني قَسِي أيّام المِحْنة بهم ، فصار بَعْدُ إلى النَصارى ، دمَّرهم الله ، فأحاط المُسلِمون به مِن جِهاته وحارَبوا مَن فيه ، حتّى قَهَروهم ، ومَلَكوا أميرهم ، ومَلَكوا الحِصْن بما فيه ، فقَتَلوا المُقاتِلة وسَبَوْا الذُرِّيّة .

وجِيء بالقُومِس ، الذي كان فيه ، وكان مِن أشْراف البَشْكُنْس ، إلى نَجْدة بن حُسَـيْن ، صـاحب العَسْكَر ، في سِتّين مِن أصحـابه ، وكانوا مندوبين في الحِصْن معه ، فضُرِبَتْ عُنُقه وأعْناقهم جميعاً صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْه ، وحَمل رُؤوسهم معه ، ورُؤوس مَن قَتَله مِن أعْلام البَشْكُنْس في الحَرْب ، إلى الناصر لدين الله .

286

---

(1) كذا في الأصل ، قد تكون « التِلاد » .

فكان قفول نجدة بن حُسَين بالعَسْكر ووُصوله إلى المحلّة بسَرقُسْطة يوم الاثنَيْن لأربع خَلَوْنَ مِن صَفَر من هذه السنة ، عزيزاً ظاهراً مع الرُؤوس والسَبْي والغنائم .

[ضَبط سَرقُسطة]

فتَكامَلت الفُتوح وطَمَت المَسَرّات ، واسْتَتَمّ الناصر لدين الله خِلال ذلك نَظَره في إصلاح الثَغْر ، وجَمْع كَلِمة أهله على نِكاية مَن بإزائهم مِن عَدُوّ الإسلام ، وقَطْع الأواصِر بَيْنَهم ، ونَظْم السَرايا نَحْوَهم ، وشَكّ حُصون المُسلِمين ، وضَبْط أطْرافهم ، وتَرْتيب الطَلائع في المَراقِب وفي الفِجاج وعلى المَخاوِض التي عليها اجْتِياز عَدُوّهم إليهم ، وتَحْصين ما بَدا مِن عَوْرات مَعاقِلهم ، والإنفاق على ذلك كلّه ، وصِلة الإقامة له مِن بَعْده على حاله ، كَيْما لا يُخَلّ بشَيْء منه بَعْدَه لمَغِيبه ، ولا يَسْتَحِيل عن قِوامه ، حتّى اسْتَوْسَق له ذلك كلّه ، واطَّرَد نِظامه بَيْنَ لارِدة إلى أنْتنسة (١) ، ومِن قَبْلُ ما نَظَرَ بمِثْله للثَغْر الأوْسَط ، فنَظَم ما بَيْنَ مدينة الفَرَج الى طَلبيرة ، فشَدّ الثَغْر بجُمْلته ، وصَيَّر الأندلس جميعاً في قَبْضته ، واقْتَلَع أمْر النِفاق بأسْره ، فلم يَبْقَ له بَعْدَ مُحمّد بن هاشم ناكِب عن الطاعة ، فأصْبَح يذود أهلها طَرْدًا بعصاه ، ويُمْضِي فيهم حُكْمه .

ووَجَب عِند ذلك قُفوله إلى حَضْرته واسْتِواؤه على أريكته ، لمّا اسْتَوى لهُ مُلْك الأندلس جَمْعًا ، ودُبِّرَتْ قطيعته ، فكان خُروجه مِن مدينة سَرَقُسْطة ، قافلًا إلى قُرْطُبة في يوم السَبْت لأربع عشرة بَقِيَتْ مِن صَفَر منها . واتَّفَق أن وافى / المَدّ بنَهْر سَرَقُسْطة التي كانت مَحلّته الطويل ثَواؤه بها لَيْلة الأحَد الثانية مِن رَحيله عنها ، بسَيْل جُحاف طَما مَدّه وزَخَر عُبابه وشَنُع أمْره ، وغَشِيَ مَكان المَحَلّة ، فكاد يُغَطّي عليه ، ولم يَكُنْ مِن ذلك شَيْء مُدّة مُقام الناصر لدين الله به ، على أن الوَقْت واحد في حُلول المَشْتى وزيادة الماء . 287

(١) م. « انتنسه » وهو رسم معروف لاسم مدينة Atienza مع « أنتنسية » .

فاطّرد لأحمد بن محمّد بن موسى الرازيّ ، صاحب التاريخ ، في ذلك مَعنى مِن القَوْل ، نَظَمه في أبيات له ، منها [طويل] :

أَقَامَ عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلإِمَـــامُ مُظَفَّـــرًا
تُظَـاهِرُهُ فِيمَـا يَرُومُ ٱلْمَقَـــادِرُ
فَلَمْ يَبْدُ لِلدَّهْـرِ ٱلْعَظِيـمِ طُمُـــوُّهُ
وَبَحْـرٌ عَلَيْهِ لِلْمَكَـــارِمِ زَاخِــرُ
فَلَمَّا غَدَا مَجْرَى ٱلْعُلَى وَهْوَ قَافِلُ
غَدَا إِثْرَهُ يَتْلُو ٱلنَّدَى وَهْوَ عَابِـرُ
يَسِـيرُ وَنَصْرُ ٱللهِ قَدْ حَلَّ حَـوْلَهُ
مُـوَالٍ لَـهُ فِي أَمْـرِهِ وَمُظَـاهِرُ

فكان وُصول الخليفة الناصر لدين الله إلى قَصر الخِلافة يومَ الثُلاثاء لاثنتَيْ عشرة بَقِيَتْ مِن رَبيع الأوّل مِن هذه السـنة ، إلى ثمـانية شُهور وخمسة أيّام مِن خُروجه عنهـا . وأكْثَرتْ شُعَراء دَولته القَوْل في تَهْنِئته بالقُفول من غَزْوته إليهـا (١) ، فكان مِن أحْسَن ذلك قَوْل زعيمهم ، أبي عُمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه ، وقَوْل أبي عُثمان عُبَيد الله بن يَحْيى بن إدْريس في شِعْرَيْن لهما طويلَيْن لم أُثْبِتْهما لطُولهما .

وِفادة محمّد بن هاشم

قال : ووافى محمّد بن هاشم التُجيبيّ ، المُستنزل عن سَرَقُسْطة ، إلى باب سُدّة الخليفة الناصر لدين الله بقَصْر قُرْطُبة ، حَضرته ، وافياً بما أخَذ عليه الناصر لدين الله مِن وَطْء البِساط ، فأكْرَمه أعْظَم تَكْرِمة ، وآنَسه ألْطَف أُنْس ، وأقام في كَنَفه مُدّة في إفضال وتَوْسِعة وإيثار ومَبَرّة ، يَتوصّل إلى مَجْلِســه في الأَوْقات ، ويُشـاهِد أُنْسه ، ويَحْضُر راحاته ،

---

(١) كذا في الأصل ، قد تكون « هذه » .

ويَخْرُج معه في صُيوده ومُتَنَزَّهاته ، ولقد أراه بمُواكَبته إيّاه أوّل وُروده قُرْطُبة ، في مَوْكِب نبيل كان للناصر لدين الله مشهور في العامّة ، سايَره فيه مِن باب قَصْره إلى مُنْيته بالرَمْلة ، على شاطئ النَهْر الشَرْقيّ مِن قُرْطُبة .

وفي هذه الرَكْبة ، أمَر الناصر لدين الله بعَمَل الرَصيف بطريقها كلّه على شاطئ النَهْر ، مِن حَدّ الباب الجديد القِبْليّ ، اخِر ابواب قَصْره [على] الشاطئ كلّه ، إلى باب مُنْيته هذه ، تَسْهيلا / لطريقها مِن أجْل تَردُّده إليها ، ولم يَزَل عاطلاً مِن التَرْصيف ، متروكًا على أوّل خِلْقته ، يَلْقى الناس مِن وُعورته أيّام الشِتاء عَنَتاً ، لا يَجِدون مَحيدًا عنه ، أزاله الله بفَضْل نَظَر الناصر لدين الله لنَفْسه ولهم بتَوْطئته ، فعُدّ في مَناقِبه ، واتَّصَلت المَنْفَعة به مِن بَعْده ، وأبْدى مِن إنفاذ عَزْمه في إصلاحه ، وشَرَع في تَرْصيفه في يَوْم هذا المَوْكِب بعَيْنه ، وكان يَوْم الخميس لأربع بَقِينَ مِن ربيع الآخِر منها .

288

فلمّا كان في رَجَب منها صَرَف الناصر لدين الله محمّد بن هاشم التُجيبيّ إلى وَطَنه ، سَرَقُسْطة ، بَعْدَ ان وَلّاه إيّاها ، وعَقَد له عليها وعلى الجِهات التي تَلِيها ، وأخْرَجه قائدًا على الجَيْش والألْوية والعُدّة الظاهرة ، تَحْتَ ما وَصَله به مِن المال والخِلَع الفاخرة ، فانْقَلَب عنه مملوء الحَقائب ، مُثقَّل الرَكائب ، عزيز النَفْس ، مُستَصْوِبًا لرأيه ، مَغْبوطا بصَفْقته . وكان نُفُوذه من قُرْطُبة إلى بَلَده يومَ الثُلاثاء لثلاث عشرة بَقِيَتْ مِن رَجَب منها . فسلَّم إليه المَصْروف به عَمَله ، واسْتَعَزَّتْ به داره ، وتَحَرّى مِن مُراعاة الناصر لدين الله واستِطْلاع رأيه فيما عَنّ له ما ارْتَضى به صاغِيته واسْتَبْصَر بالوَفاء له .

وفي تَكْريم الناصر [لدين الله] لمحمّد بن هاشم بمُواكَبته ومُؤانَسته ، يَقُول أبو عُثْمان بن إدْريس في شِعْر يَمْدَح به الناصر لدين الله ، غِبَّ قُفوله ، ويَذْكُر إظهاره ، خاصّة تُحْمَد به ، فقال [طويل] :

هَنيئًا مَريًا لِلإمَامِ ٱلْمُؤَيَّدِ
نَعيمٌ جَديدٌ فِي ٱلثَّنَاءِ ٱلْمُجَدَّدِ

وَتَهْنَى بِهِ ٱلدُّنْيَا إِيَابَ إِمَامِهَـا
عَزِيزًا مَكِينًا عَالِيَ ٱلْجَدِّ وَٱلْيَدِ

الجهـاد

وفيها أغزى الناصر لدين الله القائد احمد بن محمّد بن إلْياس إلى جِلالِقة الغَرْب ، دمّرهم الله ، وكان مُقيماً بمدينة بَطَلْيَوْس لمُغاوَرة الخبيث أُميّة بن إسحاق القُرَشيّ ، المُنْتزِي يَوْمَئذٍ بمدينة شَنْتَرِين ، قاصية غَرْب الاندلس ، فنَفَذ إليه الكِتـاب بالغزْو ، فدَخَل إلى الكَفَرة مِن بَطَلْيَـوْس بأصْحابه ورَجّالة ذلك الثَغْر ، فلَقِيَه جَمْع العَدُوّ بداخِل جِلّيقِيّة يَوْمَ الأربِعاء لسبع بَقِينَ مِن جُمادى الأُولى منها ، فهَزَمهم وأدْرَع القَتْل فيهم ، وأنْزَل الله دائرة السُوء عليهم ، وبَعَث بما حُزّ مِن رُؤوسهم مِن اهل سَمُّورة خاصّةً ، بمِـائتَيْ راس ، كانوا معصومين بعَوْن الله بتَميُّز الدليل النازع إليهم ، وكان مِن أعْظَم الآفات على المُسـلِمين ، فأتاح الله له فيه وفيهم فَتْحـاً عظيماً .

289 / ثُمّ أغزى الناصر لدين الله في هذه السنة أيضاً الوزير القائد عبد الحميد بن بسيل بالصائفة إلى ناحية الغَرْب ، فاضْطَرَب بالعَسْكر بكُورة ماردة ، مُستَظهِراً على العُصاة بالغَرْب وعلى الكَفَرة ، ثُمّ كُتب إليه ، وإلى الوزير احمد بن محمّد بن إلْياس ، يأمُرهما بالدُخول إلى جَلالِقة الغَرْب وإتْمام غَزْوتهمـا صائفة ، فاجْتَمعا ودَخَلا بمَن معهما مِن صُنوف الجُنْد واهل ذلك الثَغْر ، فاقْتَحما ارض جِلّيقِيّة ، ونازَلا حِصْن الحرارش [؟] ، حتّى فَتَحـاه فقَتَلا المُقاتِلة وسَبَيا العِيال والذُرّيّة ، ثُمّ هَدَماه ، فصيَّراه كَوْم تُراب ، وأشاعا التَحْريق والتَخْريب فيما حَوْلَه مِن المَنازِل والقُرَى ، ثُمّ قَفَلا بالجَيْش سالماً غانماً .

وفي يَوْم الأرْبِعـاء (١) لاثنتَيْ عشرة بَقِيَتْ مِن رَجَب منها تَحرَّكت السُفن التي أُنشِئَتْ بشـاطئ نَهْر قُرْطبة اسْفَل منهـا ، سائرة إلى بَحْر

---

(١) تاريخ غير مقبول .

الغَرْب لغَزْو أهل شَنْتَرين ، القائمين مع العَدُوّ أُميّة بن إسحاق القُرشيّ ، المُنْتزِي لِدَيْهم .

العِـدْوة

فيها وَرَد على الناصر لدين الله كِتاب أبي مُنْقِذ بن موسى بن أبي العافية ، الثاني مِن وُلْد موسى ، عظيم أهل الوِلاية بالمَغْرِب ، مُطـالِعاً بأَخْبـار المَشـارِقة على العادة ، فأَجْمَل الناصر لدين الله جَوابه ، وأكَّد بصيرته ، وأنْفَذ إليه هَديّة جليلة ، كان فيها مِن قِطَع الخَزّ العُبَيْديّ ثلاثة وثلاثون (2) شُـقّة ، ومِن الطِرازيّ عشرون ثَوْبًا ، شَـطْرها مصبـوغة الصُوف ، وشَطْرها مصبوغة الثِيـاب ، ومِن عَمـائم الخَزّ ثلاث عشرة عِمامة ، وبَدن إصبهانيّ كاسٍ مُزيَّن اللَفْقة ، مِن قُدّامه عَمُود أَصْفَر ، عليه إبْزِيم ، ومِخْطاف فِضّة ، مُعَشّشـان (3) مُذهَّبـان ، وَزْنه ثلاثة وعشرين رَطْلًا ، ومِغْفَر صِقِلّيّ مُزيَّن الجَبين والخَـدَّيْن ، أَصْفَر ، مِن قُدّامه عَمُود أَصْفر ومِن خَلْفه صَنْعة زُبَيْديّة صُفْر (4) ، في أَعْلاه كَوْكَب فِضّـة مُنقَّش مُذهَّب ، وَزْنه ثلاثة أَرْطال ، وثلاثة بُنود مُزيَّنـة ، أَحَدها عَلَم ، وأربعـة طُبول لاطُون بآلتها ، وبَغْل أَشْهَب مِن بِغال الرِكاب بسَرْج إفْرَنْجيّ مُدوَّر كِسْوته مُزيَّن (5) مُوَشّيّ في صُفْر ، مُنقَّط بكُحْليّ ، ولِجام بَغْليّ ، لَزْمته عَرَبيّة مُقرَّطة مُحبَّبة .

ثُمّ تلا كِتـاب أبي مُنْقِذ بن موسى هذا كِتاب لأخيه مَدْين بن موسى إلى الناصر لدين الله ، يَذْكُر أنّه إلى وَقْته مُعَسْكِر على مدينة فاس ، غَيْر مُقلِع عنها ، ويَصِف غَدْر بني إدْريس بن عُمَر الحُسَيْنيّ ، المُذْهِنين بهـا

---

(2) م. « ثلاثين » .

(3) كذا في الأصل قد تكون « منقَّشان » على الرغم مما يرد في « ملحق » دوزي تحت هذا اللفظ .

(4) م. « رىىديه صىعر » .

(5) م. « بزيدن » .

ولايته ، ونَكْثهم بما أتوه من طاعتهم ، ورُجوعهم إلى بني عَمّهم محمّد ، / الذين كانوا مُضادّين لهم ، وتألُّبهم لعساكرِهم إليه ، إذ طَمِعوا بانْتِهاز فُرْصة منه ، وأنّ الحَرْب دارت بَيْنَهم وبَيْنَه ، فانْهَزَموا مُدبِرين .

290

وأبْلَغ في الإغراء بهم وإقامة الأدِلّة على شِقاقهم ، فأثَّر ذلك في قَلْب الناصر لدين الله ، غِبَّ ما قد كانوا جَدَّدوا بَيْعتَه في هذه السنة ، واستَنْزلوه عمّا فَرط منهم ، فتقبّل إنابتهم ، وأهْدى إلى زعيمَيْهم (1) إبراهيم وأبي العَيْش ابنَيْ إدْريس بن عُمَر هديّة فَخْمة ، فكان فيها مِن الثِياب العُبَيْديّة المُرتفِعة خمسون ثوْبًا ، ومِن عَمائم الخَزّ عشر عَمائم ، ومِن المُصنَّفة للعُمّال عشرون (2) ، ومن شِقاق الكَتّان ثلاثون شُقّة ، ومِن أرْدية الكَتّان المُعْلَمة ثلاثون رِداءً ، وبَغْلتانِ من بَغلات الرِكاب ، خَضْراء ووَرْدة ، بسَرْجَيْهما ولِجامَيْهما .

فلمّا بَلَغتْهما سِعاية مَدْين بن موسى إلى الناصر لدين الله بهم ، رَدَفه كِتابهم بإنكارهم لإنمائه عنهم ، والتَنصُّل منه ، والرَغْبة في تَقبُّل طاعتهم ، فأعْرَض الناصر لدين الله عنهم ولم يُصْغِ إلَيْهم (3) .

ثُمّ وافى كِتاب مَدْين بن موسى بن أبي العافية المِكْناسيّ ، آخِر ذلك كلّه ، في ذي الحِجّة منها ، خِتام السنة ، إلى الناصر لدين الله ، بوَفاة أبيه موسى بن أبي العافية ، وشَدّ عَزاء وِلايته ، فأجابه الناصر لدين الله بالتَعْزية عن أبيه ، والأسَف على فَجْعته ، والتسلّي بسَدّه لثَلْمه ، والتَحْقيق لرَجائه وظَنّه ، وأرْسَل إليه بسِجِلّ مِن قِبَله ، وَلّاه به أعْمال أبيه مِن مَليلة ، وغَيْرها مِن مُدُن العِدْوة ، حَسَبَ ما كان أسْجَل لأبيه قَبْلَه . وكان مَوْت موسى في شوّال مِن هذه السنة ، وتخلّف مِن الوُلْد مَدْيَن الوالي مَكانَه ، وأبا مُنْقذ تِلْوه ، وكان له بعض عَمَله وقِيامِه ، ومُحمّدًا .

(1) م. « زعيمهم » .
(2) يضيف الناسخ هنا « رداء » .
(3) م. « اليه » .

وبَعَث الناصر لدين الله في هذه السنة الخَيْر بن محمّد بن خَزَر ، عظيم زَناتة وأكْبَر اهل وِلايته بالعِدْوة ، بهَديّة حَسَنة ، كان فيها مِن ثِياب الخَزّ العُبَيْديّ المُختلِف الصَنْعة والأَلوان ستّة وثلاثون شُقّة ، ومِن الطِرازيّة اثْنان وعشرون ثَوْباً ، ومِن عَمائم الخَزّ اربع عشرة عِمامة .

الوُزَراء والعُمّال

فيها نَقَص عن عَدَد الوُزَراء بالمَوْت سعيد بن المُنْذِر القُرَشيّ المَرْوانيّ ، فولّى الناصر لدين الله الوِزارة في مَكانه جَهْوَر بن عُبَيْد الله ابن محمّد بن أبي عَبْدة ، وعَزل عنها في يَوْم وِلاية جَهْوَر ابن عَمّه ، عيسى ابن أحمد بن محمّد بن أبي عَبْدة ، فبَقِيَ معزولاً إلى أن مات في سَنته الآخِرة ، في سنة [سبع] وثلاثين وثلاث مِائة ، فانسَلَخت السَنة والوُزَراء عشرة : / أحمد بن محمّد بن حُدَيْر ، عبد الحميد بن بسيل ، أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف ، خالد بن أُمَيّة بن شُهَيْد ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، جَهْوَر بن عُبَيْد الله بن أبي عَبْدة ، [فُطَيْس بن أَصْبَغ بن فُطَيْس] (١) ، أحمد بن عبد المَلِك بن عُمَر بن شُهَيْد ، عبد الرحمٰن بن عبد الله الزجّاليّ ، أحمد بن محمّد بن إلْياس . 291

وفيها وَلي خُطّة المدينة الوزير جَهْوَر بن عُبَيْد الله ، مَكانَ أحمد بن عيسى بن أبي عَبْدة المصروف به ، وذلك في شَهْر ربيع الأوّل منها .
وفيها وَلِيَ القَضاء بقُرْطُبة محمّد بن عبد الله بن يَحْيى بن عُمَر بن يحيى اللَيْثيّ ، المعروف بابن أبي عيسى ، يومَ الخميس لليلتَيْن بَقِيَتا مِن ذي الحِجّة منها ، وعَزل حُسَيْن بن أحمد بن عاصم عن خُطّة السُوق بحَفْص ابن سعيد بن جابر ، وقَدّم حُسَيْن بن أحمد بن عاصم الى خُطّة تَغْيير المُنْكَر .

(١) سهو واضح من الناسخ .

وعُزِل يُوسُف بن محمّد عن كُورة إلْبيرة بعبد السَلام بن عبد الله .

وعبد الرحمٰن بن سعيد عن كُورة إشبيلية بسعيد بن عبد الرؤوف .

وعبد الله بن محمّد عن كُورة لَبْلة بمحمّد بن فَهْد .

وأُفرِد عبد الوارث بن سعيد بوِلاية كُورة شَذُونة ، وصُرِف عنها عثمان بن سعيد ، شريكه .

وعُزِل عُبَيْد الله بن موسى (2) عن كُورة أسْتجة بطَرَفة بن عبد الرحمٰن .

وطَرَفة بن عبد الرحمٰن عن كُورة قَرْمُونة بمحمّد بن احمد [بن ابي عثمان] .

وسُلَيْمان بن عبد المَلِك بن العاصي عن كُورة رَيّه بعَمْرو بن فَهْد .

ودِلْهاث (3) بن محمّد وسعيد بن عبد الرؤوف معًا عن كُورة تُدْمِير بسُلَيمان بن عبد المَلِك بن العاصي .

وعبد الله بن محمّد (4) واحمد بن محمّد بن مُبشّر عن مدينة طُلَيْطُلة ببَراء بن مُقاتِل .

وعُزِلا أيْضاً عن كُورة قَلْعة رَباح بعبد العزيز بن دُرّي .

وعُزِل غانم بن عبد الجَبّار (5) عن حِصْن أنْتشية (6) بشاكر بن فاخر .

وقاسم بن رَحِيق عن لارِدة وبَلْغر وحِصْن الشَرْق (7) بيَحْيى بن هاشم (8) .

---

(2) م. « عبد الله بن عيسى » نصححه لأنه هو من ولي سنة 324 ، وهذا خطأ في الرسم سهل جدا .

(3) م. « دلهاب » .

(4) م. « عمر » نصححه معتمدين على قائمة الولاة على طليطلة وقلعة رباح لسنة 325 .

(5) لا يرد ذكر توليه .

(6) م. « انتيشه » .

(7) م. « العرب » ،صححناها اعتمادا على ما ياتي في ص 256 و 265 من تولية وعزل .

(8) م. « هشام » يضيف الناسخ هنا « واحمد بن محمد بن مبشر وهشام بن جهور » .

وسعيد بن وارث عن مدينة الفَرَج بعبد الرحمٰن بن دُرّيّ .

ويَحْيى بن محمّد عن طُرْطُوشة بأحمد (9) بن محمّد بن مُبشِّر .

وهِشام بن جَهْوَر عن وَشْقة بمحمّد بن فُرْتُون .

وعبد الرحمٰن بن يَحْيى عن مدينة مارِدة بأحمد بن محمّد .

وقاسم بن قمْقــام وأحمد بن محمّد بن عبد الرحمٰن عن بَطَلْيَوْس بإلْياس بن سُلَيْمان (10) .

---

(9) م. « وأحمد » .

(10) ان هذا النص مشوش هنا بحيث لا نستطيع تقويمــه ، فلا يذكر لنا على أي المدن قد عين أو عن أيها قد عزل هذا المدعو بالقاسم ، فهو لا يذكر فيما قبل ولا فيما بعد ، فالمتولي على بطليوس سنة 325 كان هو محمد بن جهور ، ولا يذكر لنا أي شيء عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، فالمعزول عن بربشتر كان هو الياس .

سنة سبع وعشرين وثلاث مِائة

[فتح مدينة شَنْتَرِين]

فيها افْتُتِحَتْ مدينــة شَـنْتَرِين ، قاصية غَرْبيّ الأندلس ، المُنتكِثة بالخائن أُمَيّة بن إسحاق القُرَشيّ ، المُنْتَزِي فيها على الناصر لدين الله ، لمّا صار أُميّة ، مُغوِي أهلها ، عند الطاغية رُذْمِير / بن أُرْدُون ، مُسْتَجِيشاً 292 به على الإسلام ، فحالفوه ، وصاروا إلى الطاغية ، فدَخَلها الوزير القائد المُوكَّل بحَرْبها ، أحمد بن يَحْيى بن إلْياس ، وإبراهيم الخَصيّ ، الفتى الكبير ، المُمِد له بالجَيْش السُلطـانيّ ، يومَ الأحَد لخمس بقِينَ من رَبيـع الأَوَّل ، وأمَّنا أهلهـا ، فعادوا في الجَمـاعة ، وكشف به الله عنهم وَبال الفُرْقة ، وقد تَقدَّم ذِكْر ذلك في باب المُنْكِرين في الدَوْلة (١) .

[عذاب أَسْرى مِن جِلّيقِيّة]

وفيها خَرَج جمْع للعَدُوّ من أهل جِلّيقِيّة إلى بعض أَطْراف الثُغور ، يُرِيدون إصابة غِرّة مِن الإســلام ، فلَقِيهم محمّد بن قاسم بن طُمْلُس في

---

(١) هذا الباب قد يكون في القسم المفقود من المخطوط .

الأوْلِياء ، ودارت بَيْنَهم حَرب صَعْبة ، استَظْهر عليهم فيهــا المُسلِمون ، فهَزموهم وقتلوا خَلقـاً كثيرًا ، انْتقى منهم محمّد بن قاسم مِائة عِلْج مِن وُجوههم ، وأرْسَل بهم إلى باب السُدّة بقَصْر قُرْطبة ، وُرِد بهم إليها يَوْمَ الجُمعة لسبع خَلوْنَ مِن جُمادى الأُولى منها ، والناصر [لدين الله] يَوْمَئذٍ بِمُنية الناعورة في مُتَنزَّهه ، فعُرج بهم إلى هُنالك ، ووافق المُرور بهم إليها انفضاض الناس مِن المَسْجد الجامع ، أثْر انْقِضاء صَلاة الجُمعة ، فتسرّبوا ومضى خَلق كثير منهم نحْو المُنية لمُشارفة ما ينْقضي فيهم ، فإذا الناصر [لدين الله] قد قَعد لعَــذابهم في المَجْلِس الأعْلى مِــن هذه المُنية ، المُوفي على النَهْر ، وكان أوّل جُلوسه به ، فقُدّم هؤلاء الأسْرى إلى السَيْف صَبْرًا ، فضُرِبَتْ رِقابهم جميعــًا بَيْنَ يدَيْه ، وبمَرْأى عَيْنَيْه ، والناس شُهود ، وقد شَفى الله صُدورهم على الكَفَرة ، واستهَلّوا بالدُعاء لخليفتهم ، وقد ذَكر قَتْل هؤلاء العُلوج عُبَيْد (2) الله بن يَحْيى بن إدْريس في شِعْر له ، فقال [طويل] :

أتتْنــا أُســارَاهُمْ عُنــاةً وَفِيهِــمْ
لَها مِنْ جُنـُـودِ ٱللهِ حَــادٍ وَقــائِدُ
فَأشْرَفْتَ كَاللَّيْثِ ٱلْهِـزَبْرِ عَلَيْهِـمْ
يُطِيفُ بِــهِ أُسْدَ ٱلْغَضَى وَٱلأَساوِدُ
وَسَــيْفُكَ يُفْنِيهِمْ عَلَى أَعْيُنِ ٱلْوَرَى
وَكُلُّهُــــمْ دَاعٍ إِلَى ٱللهِ حَــامِــــدُ

أطال فيها جِدًّا .

غَزْوة الخَنْدق التي فُلّ فيها الناصر لدين الله والمُسلِمون

قال عيسى بن أحمـــد [الرازيّ] : لمّا عَزَم الناصر لدين الله على غَزْو أعْداء الله أهل جِلّيقيّة ، أهْلكهم الله ، بصائفة هذه السنة ، وقد فَرِغ

(2) م. « عبد » .

لهم مِمَّن كان يُسرِّحهم مِن مِراسه ، مِن الناكثين على جَماعة المُسلِمين الخالعين للطاعة ، تَقدَّم في الاسْتِعْداد لها قَبْلَ أوانهــا ، فجَبى وبالَغ في حَشْد اهل الأندلس ، وتَخطّاهم إلى اهل وِلايته مِن اهل الحَضَر / منهم ، وقَبائل البَرْبَر البادية ، فبَثّ كُتُبه إليهم يَحُضّهم على الجِهاد ، ويَستَنْفِزهم له ، ويُرغِّبهم فيه ، ويَضرِب لهم في التَراقِي إلى الأندلس في المَسير معه مَوْعِدًا واسعًا ، لن يُخْلِفه ، ويُشدِّد على عُمّاله في الأندلس في ابْتِعاث مَن قِبَلهم ، وتَضييق المَعاذير عليهم ، والاحْتِفال في إزعاجهم ، وضمَّن كُتُبه النافذة إليهم فَصْلًا ، تَشاهَره الناس يَوْمَئذٍ وبَعْدَه ، نَصّــه : « وَلْيَكُنْ حَشْدك حَشْرًا لا حَشْدًا » .

293

فانْبَعَث منهم خَلْق عظيم بَيْن الكُرْه والمُوافَقة ، حَمَل اهل قُرْطُبة ، حَضرته ، مِن ذلك أثْقَله وأحْفَله ، ليَنْفي بذلك الطَماعِية مِن اهل الكُوَر في اخذ عَفْوهم ، فانْتَهى مِن الاحْتِفال الغاية ، واستَكْثَر مِن الآلات السَفَرِيّة والعُدَد الحَرْبيّة والأسْلِحة الشاكّة ، واستَظْهَر على الاسْتِقْلال بذلك كلّه ، بوُفور الكُراع وقُوّة الظَهْر والإكثــار مِن المال للنَفَقة ، واستَقَلّ لغَزْوته هذه بثِقَل لم يَسْتَقِلّ بمِثْله قَبْلُ مَلِك ولا امِر مِن سَلَفــه ، وتَقدَّم في البُروز لغَزْوته هذه قَبْلَ فُصوله بمُدّة ، على رَسْمه وعادته ، فكان بُروزه لها يَوْمَ الخميس لثمانٍ بَقِينَ مِن شَعْبــان منها ، وكان أوّل شَهْر يُونيُه العَجَميّ ، مِن الشُهور الشَمْســيّة ، وفُصوله لها يوم السَبْت لثمانٍ خَلَوْنَ مِن شَــهْر رَمَضان منها ، وقد تَتامَّتْ جُنوده مِن اهل الأمْصار ، ودَخَل مَصافّه مُرابِطو اهل العِدْوة ومُطَّوِّعة الأقْطار ، فكان جَمْعه عظيمًا ورُكوبه فَخْمًا شنيعًا ، راق مَنْظَره وعَظُم مَرْآه ، ووَصَفَته شُعَراؤه على عادتهم بأشْعار حِسان .

وكان الناصر لدين الله قد أخْرَج ، قَبْلَ خُروجه لهذه الغَزْوة ، الوزير القائد احمد بن محمّد بن [إلْياس] (١) بقطيع مِن جَيْشه إلى ثَغْر الغَرْب ، احْتِياطًا على اهله ، كَيْلا تكون للعَدُوّ عليهم حِيلة ، عِند إيغاله هو بالصائفة

(١) كلمة اكلها الارض .

في أرضهم ، فنفذ اذلك يومَ الاثنَيْن لأربع خَلَوْن مِن شَهْر رَمَضان منها ، ومعه ضُروب مِن طَبقات الحَشَم .

وتقدَّم الناصر [لدين الله] بعْدَه في عَساكِر الصائفة ، قاصدًا سبيل جهاده ، حتّى وافى بمَحلّته مدينة طُلَيْطُلة يومَ الخميس لسبع بَقِينَ مِن شَهْر رَمَضان ، فأقام بها ستّة أيّام . ثُمَّ رَحَل عنها يومَ الخميس لاثنتَيْن بَقِيَتا منه ، إلى حِصْن وَلْمش ، ويومَ الجُمعة بَعْدَه إلى قَلْعة خليفة ، وكَسَفت الشَمْس في ذلك النَهار ضَحْوة ، فعَمّ كُسوفها / أَجْمعها ، وغَمّ قُرْصها ، إلّا طَرَفًا يسيرًا مِن شِقّه ، في رأْي العَيْن . ويَوْمَ الأحَد إلى مَحلّة فَجّ حُمَيْد ، واعْتَدّ هذا النَهار في العَسْكَر يَوْمًا مِن شَهْر رَمَضان لإغماء اشْتَمَل جميع الهِلال عن المُرتقِبين له ، فأَكْمَلوا به عِدّة شَهْرهم وأفْطَروا يومَ الاثنَيْن بَعْدَه ، وكُشِف هِلال شَوّال لأَهْل قُرْطُبة وغَيْرهم ، فأفطَروا يومَ الأَحَد قَبْلَه .

294

واقْتَحَم الناصر لدين الله بعَساكِره أرض العَدُوّ ، فجال فيها أيّامًا ، مِن مَحلّة إلى أُخْرى ، مُتتبِّعًا لِما أَلْفاه لهم ، مُدمِّرًا لنِعَمهم ، إلى أن احْتَلّ على مدمه يومَ الخميس لخمس خَلَوْنَ مِن شَوّال منها ، فأصابها خالية قد فَرّ أهلها عنها ، وغادَروها مُتْرعة بالنِعَم والأقْوات ، فانْتَهَب المُسلِمون جميع ذلك كلّه ، وجَمَعوا أَيْدِيهم على إخرابها ، فسُوِّيَ أَعْلاها بأَسْفَلها ، ووَجَدوا في مَطامِيرها عَدَدًا مِن أَسْرى المُسلِمين ، فخلّصوهم . وأكْسَر المُسلِمون عليها يومَيْن ، ثُمّ انْتَقَل عنها إلى حِصْن إشْكَر ، فأُصِيب خاليًا ، فخرَّبه المُسلِمون ، وانْتَسَفوا مَعايِش أهلها . ومنها إلى القَصْرَيْن ، فانْتَسَف زُروعه ، وغَيَّر أعلامه ، وطَمَس آثاره ، ومنها إلى المَحلّة على نَهْر جيقة (1)، ومنها إلى حِصْن بُرْتِيل عاصم ، وذلك يومَ الجُمعة لثلاث عشرة خَلَتْ مِن شَوّال ، وشَرَع المُسلِمون في مُنازَلة أهلها .

---

(1) كلمة غير منقوطة .

وكان محمّد بن هاشم التّجيبيّ ، صاحب سرقسطة ، قد تقدّم بقطيع مِن الخَيْل ، فأجاز نَهْر شنْت مانْكَش المعروف [ب]بِشـورَقة ، وهو دون المدينـة ، فلاقى العَدُوّ وراء النّهر ، وهم بجَمْعهم في البَطْحـاء التي بَيْن مدينتهم وشاطئ نَهرهم بِشورْقة ، واشتدّت الحَرْب بَيْنه وبَيْنهم ، فاستَظْهَر محمّد بن هاشم عليهم ، وأخْرَجهم مِن البَطْحاء مقهورين ، فالْتَجأوا إلى [قصْر] مدينتهم ، واقتَحَم محمّد بن هاشم عليهم ، فتَذامَروا على حَرْبه ، وعَطَفوا عليه وعلى مَن معه ، فدارت بَيْنهم حَرْب صَعْبة ، حتّى نُكِب محمّد ابن هاشم عن فَرَسه ، وترجّل فانْكَشَف عنه مَن كان معه ، ولم يَسْتَقِلّ إلى فَرَسه ، وتكاثر أعْداء الله عليه ، ولم تتلاحق الخَيْل به ، فمُلِك أسيرًا في يَوْم الثُلاثاء المذكور ، فاشْـتدّ على السلطـان وعلى المُسلِمين أَسْره ، وفتّ في أعْضادهم .

وكَسَر العَسْـكَر على باب شَـنْت مانْكَش يَوْم الأرْبعـاء بَعْده ، ثُمّ صابَحهم الحَرْب يومَ الخميس لإحدى عشرة لَيْلة بقيت مِن شوّال ، فجالت بَيْن الفريقَيْن بأشَدّ ما يَكُون وأصْعَبه ، ثُمّ ناجَزوا الحَرْب يَوْم الجُمعة بَعْده ، فصابَروا المُسلِمين صَبْرًا / عظيمًا إلى أن توجّهت عليهم كَسْرة ، ثُمّ كانت لهم كَرّة انحاز لها المُسلِمون ، فانْكَشَفوا انْكِشافًا قبيحًا ، نِيل فيه منهم مَنال مُمِضّ ، وأَلْجأهم العَدُوّ في انْحِيازهم إلى خَنْدَق بعيد المَهْوَى ، إليه تُنْسَب الوقْعـة ، لم يَجِدوا عنه مَحِيدًا فتَردّى فيه خَلْق ، وداس بعضهم بعضًا ، لكَثْرة الخَلْق ، وفَيْض الجُموع ، فدَخَل بهم السُلْطان مُضْطَرًّا ، ونَفَذ في أَجْناده ، وتَرَك سَواده بما فيه ، فمَلَكه العَدُوّ ، وآل الناصر [لدين الله] إلى كَنَف مِن الجَمْع تَخَطّتْهم الرَكْبة ، فضَمّ كَشْفهم ، واحْتَلّ بهم بأعْلى نَهْر بِشورَقة ، وقد أقْصَر العَدُوّ عن اتِّبـاعه ، فاضْطَرَب هُنـالِك يَوْمه ، مُوقِنـًا بتَمْحيص الله المُسلِمين ، ثُمّ رَحَل قافلاً ، حتّى خَرَج إلى مدينـة الفَرج المُسمّاة وادي الحِجارة ، فأراح هُناك ، ثُمَّ تقدَّم إلى قُرْطُبة .

وأقام محمّد بن هاشم في الأَسْر ، بِيَد رُذْمِير بن أُرْدُون الطاغية ، قد شَدّ يدًا به ، وغالى في سَوْمه ، والناصر لدين الله لا يأتَلِي في السَعْي

295

لافتِكاكه ، إلى أن تَهيّأ له ذلك بالبذل الرغيب والجيل المُزهقة ، فوافى إلى قُرْطبة طليقاً يوم الخميس لستّ خَلَوْن من صفر سنة ثلاثين وثلاث مائة ، فكان مِن يَوْم أسْره إلى يوم دُخوله طليقاً إلى قُرْطبة سنتانِ وثلاثة أشْهر وثمانية عشر يوماً .

[رواية ابن حَيّان لوقيعة الخَنْدَق]

هذا لَفظ عيسى بن أحمد في [تاريخه] (1) على خَبر هذه الوقيعة التي اشْتَهر حديثهـا بالأندلس ، ونالت السّلْطان والمُسلِمين فيهـا حَطْمة عظيمة ، قُتِل فيها خَلْق وأسِر كثير ، ومُلِك سَواد العَسْكر وعُدّة السلطان وسُرادِقه وآلاته السُلْطـانيّة ، وفيهـا مُصْحَفه الخاصّ به ودِرْعه الأثيرة لَدَيْه ، فلم يَكُ يأسى على شَيْء مِن ذلك أساه عليها ، بَعْدَ أن أغْرَق (2) في الوُقوف والثَبات بنَفْسه في طائفة خاصّته ، طَمعاً في كَرْه المُسلِمين عليه ، حتّى كاد يُدْنى منه ، وصَدَقه المُواسون له مِن خاصّته عن سُوء مُقـامه وبَيان تَغْريره ، فانْحـاز عِند ذلك مُضْطرًّا ، واسْتمرّت الهزيمة بالكافّة ، فلم يَنْجُ مَن نجا منها إلّا على مُتون الدَوابّ ، على أنّ إفشاء القَتْل والإسار إنّما لَصِق بأهل البِلاد والمُطّوّعة ، وأمّا الجُنْد فصاروا مِن ذلك على الأعَمّ بنَجْوة ، وفشا القَتْل فيمَن سِواهم مِن المُستَنْفَرين والمَحْشودة ، فافْتَرطْنا فيهم إلى (3) جَدّنا حَيّـان الأمْثَل طريقة ، أبا سعيد مزوان بن حَيّان بن محمّد بن حَيّان ، رَحِمه الله ، ألْزَم العِزّ له عَرْض أهل الجِدّ (4) مِن أهل قُرْطبة ، فاستُلْحِم هُنالِك وأصاب نَحْبه ، وفاز بالشَهادة ، رَحِمه الله ، مِن كلّ طَبقات الناس المُودين ، / يَكْثُر عَددهم ، ويقْصُر شَيْخنا عن مَدامهم . 296

وبَدا من قَوْم مِن وُجوه الجُنْد في هذا اليَوْم النِفاق (*) ، لأضْغان احْتَملوها على السُلْطان ، ففَتَقوا الصُفوف ، وشارَعوا في الهَرَب ، وجَرّوا

---

(1) نملأ البياض الوارد في المخطوط .

(2) قراءة غير واضحة ، قد تكون « اعذر » .

(3) قد تكون « ابن » .

(4) م. « الجِدَة » .

(*) هذه السطور الثلاثة او الاربعة غير مرتبة .

على المُسْلِمين الهزيمة ، وأَوْبَقوهم ، وكان مِن أَسْبَقهم إلى ذلك ، وأَكْشَفهم لِما في نَفْسه الخائن فُرْتُون بن محمّد [بن] الطويل (١) ، لمّا وبَّخ القائد نَجْدة بن حُسَيْن ، امير الناصر لدين الله صَراحًا ، في حَرّ المَأْقِط ، شامتًا بمُصْطَنَعه ، فقال له : « هَلْ عِندك ، ابا الوليد ، لها مِن كَرّة تُدْخِل بها على الجُنْد مَساءة ؟ » ونادى بشِعاره ، ومضى فارًّا ، طامعًا في العَوْدة إلى المَنْهَل الذي زُحْزِح عنه ، وقد أَلْحقــه الناصر لدين الله برَسُــول جَرَده خَلْفه ، يأمُره باعْتِقاله ، سَبَقه الرَسُول إلى مكان نُزوعه ، [ف]ثُقِّف ورُدّ إليه ، فعجَّل بصَلْبه على باب السُدّة يومَ دُخول الناصر لدين الله مِن غَزاته هذه إلى قُرْطُبة ، فمثَّل به ، وشَفى صَدْره عليه ، وأَلْحَق به في التَصْليب نَفَرًا مِن أَشْكاله ، عمِلوا عَمَله ، فلم يُقِلْهم العَثْرة .

[تَغيُّر في سِــياسة الخليفة]

واشْتَدَّتْ على الناصر لدين الله نَكْبته في غَزْوته هذه ، لم تَكُنْ لها أُخْت فيما سَلَف مِن مُدّته ، فأتَّهَم سَعْده واعْتَكَر فِكْره ، حتّى حاف على نَفْسه ، فأُشِير عليه بعَكْس هَمّه إلى أَغلَب اللَذّة عليه ، وكانت البُنْيان ، فعاج عليه ــ زَعَموا ــ مِن يَوْمَئذٍ ، وقَصَد الاسْتِغْراق فيه ، فأَنْشَأ مدينــة الزَهْراء بأَسْفَل قُرْطُبة ، ووَغَل مِن سَعة مَبانيها وجَلالة مَصانِعها فيها نُعْم باله ، وجلا فِكْره عمّا سِواه ، وأَقْصَر مِن وَقْته ذلك عن الغَزْو بنَفْســه ، فوكَّله إلى كُفاته مِن حَزَمة قُوّاده وشُجْعانهم ، يَجْرُدهم بالصَوائف كلّ عام لا يُخَلّ بها ، ويَقْتَصِر في تَقْليد مُدن الثَغْر الأَعْلى ، المُمانِعــة للدُروب ، على أكابر ساكِنيها ووُرّاثها عن الأَجْداد والآباء ، صُلاة البأس ومُعاوِدي المِــراس ، ال تُجيــب ، وال ذي النُون ، وال زَرْوال ، وال غَزْوان ،

---

(١) م. « ابن فرتون بن محمد الطويل » ، صححنــاه معتمــدين على ما ياتي في ص 301 و 302 و 307 وعلى « المسالك » للعذري ص 68 ــ 71 . وكان اســمه الكامل فرتون بن محمد بن عبد الملك بن شبريط بن راشد بن ... الطويل .

وآل الطويل ، وآل رَزين ، وأشباههم ، المُؤَمَّرين قديماً بثُغورهم ، الذابّين عن حريمهم ، فقَسَم بلادهم بَيْنَهم حِصَصاً ، وجدَّد لهم ولأعْقابهم بَعْدهم على أقسامهم منها كلّ عام سِجلّاتهم تضميناً وتَرْفيهاً ، ثُمّ لا يغبّهم بالصِلات (2) ، إذا وَفدوا ، وبالهَدايا إذا بَعُدوا ، فلا يأْتَلُون في طاعة مع حِفْظ أنفُسهم منها جَهْدًا ، ولا يألون عَدُوّهم وعَدُوّ المُسلِمين دِفاعًا ووَقْمًا ، ثُمّ لا يَأْتَلِي هو ، مع سَدّهم لثَغْرهم ، ووَقْمهم لعَدُوّهم ، وصِلَتهم مُغاوَرته أكْثَر أوْقاتهم ، / عن إرسال صَوائفه الثِقال ، الجالبة مِن دار مَمْلَكته بصَنيف كلّ عام مِن طَبَقات أجْناده مُستَنْفَري مُطَّوِّعته ، مُزيحة عِلَلهم ، إلى أنْأى ثُغورهم وأهَمّ فُروجهم ، مع الكُفاة الأفْراد مِن أكابر القُوّاد المَيامِين ، المَبْليّين في مأْقِط الجِهاد ، الحاظّين بسَعادة الجَدّ وصِدْق الاجْتِهاد ، يُكثِّرون عَدَدهم ويُرْهِبون عَدُوّهم ، يدوسونهم دَوْساً ، لا يَنالون معهم سَجْلاً ، فلا تَزال الفُتوح تَتْرى عليه ، والظَفَر يَصْحَبه ، والسَعْد يَعْجَله ، إلى أن تَوفّى الأمَد الطويل في خِلافته ، مُتودِّعًا فَوْق أريكته ، ، مُتملّياً بحَبُوحة مُلْكه ، لم يُعاوِد الغَزْو بَعْدُ ، إلى أن مضى لسبيله ، رَحْمة الله عليه .

297

[لَفْظ كِتاب الفَتْح]

وأمّا لَفْظ كِتاب الفَتْح الوارد مِن قِبَل الناصر لدين الله إلى الحَضْرة بخَبَر هذه الغَزْوة ، مِن إنشاء عيسى بن فُطَيْس ، الكاتب ، فإنّ الفَصْل الذي وَقَع فيه خَبَر هذه الوَقْعة وَقَع كما أُثْبِته هاهُنا :

« فاستَعْزَم الله أمير المؤمنين لَيْلته ، واستَخاره عن وَجْهه في النُهوض إلى مدينة شَنْت مانْكَش ، دار الكَفَرة ، ومُجمتَع النَصْرانيّة ، التي إليها استَرْكَن عَدُوّ الله ، وضاقت الحِيَل عليهم ، ووَثِق بحَصانته ،

---

(2) م. « بالصلاه » .

ليُعْلِمهم أنّ كَلِمـة الله حَقّ (١) في إظهار دِينه ، ونَصْر أوْلِيائه ، وإعزاز خُلَفائه في مَشارِق الأرض ومَغارِبها ، ولَوْ كَرِه المُشرِكون .

فضَمّ [إلى] صـاحب المُقدَّمة عُمّال الثُغور ، بجُنْدهم وفُرْسانهم وحُمـاتهم ، وأكْثَف الجَمْع في مُجنَّبتَي العَسْـكَر ، مع مَن وَلاهم ، وجَرَد الرِجال مِن الخُيول بأسْلِحتهم ، وصَمَد لجَمْع المُشرِكين ، فاستَقْبَلهم بنِيّة صادقة ، ونَفْس صابرة ، وجُموع كثيفة ، وكَتائب تَملأ الفَضاء ، ومَقانِب تَضِيق عنهـا الشِـعاب ، وتَصِير في سَهْل الأرض كالآكام ، تَتألَّق عليهم سَوابِغ الدُروع ، فإذا تَداعَوْا قُلْتَ مَوْج مُتراكِم ، وإذا وَقَفوا فكأنَّما النَقْع عليهم لَيْل مُظْلِم .

فلمّا قَرُبت العَساكِر مِن مَحَلّ الخَنازِير ، ثابوا فيما بَيْنهم ، وثاروا إلى خُيولهم ، وعَلَوا الشَواهِق ، يَنْظُرون إلى كَتـائب دِين الله بقُلـوب قد خَلَعها الذُعْر ، وقَبَضهم عن التَقدُّم الوَجَل ، وجَعَلوا بَيْنهم وبَيْن المُسلِمين وادي بِشُورْقة ، ثِقةً بوُعورته وقِلّة مَخاوِضه ، فلم تَرُعْهم إلّا مُقدَّمة الجَيْش وراءه ، قد سهَّل الله عليهم جَوازه ، وتَبِعَتْهم الأثْقال .

وتَخيَّر أمير المؤمنيـن كُدْية سـامية ، يَتطلَّع منهـا على عَسْـكَر المُسلِمين ، فأمَر بالاضْطِراب فيهـا للعَسْكَر وتَقدَّمت الخُيول بَيْن يَدَيْه ، وقد تَلاحَقَتْ جُموع الكَفَرة ، وقدَّموا / صُلْبـانهم ووَثِقوا بشَيْطـانهم ، 298
الذي غَرّهم ، وكان المُسلِمون على نَشْطة إلى لِقائهم ، فلم يَنْتَظِر أوَّلهم إلى تَوافي آخِرهم ، ولا فارِسهم أن يَقْتَعِد براجلهم ، وتَخَطَّوا الرِماح إلى السُـيوف والطَعْن إلى الضَرْب ، وكَرُّوا في حَوْمة المَنايا كَرّ مَن يَحْمِي حَليله ، ويَخْشى بَعْدَ سـاعة أن تُسْبَى ذُرّيَتـه ، فلم يَرَ المُسلِمون حَرْباً [أشَدّ] (١) منها ، ولا شَهِدوا يومَ وَغى أطْوَل مِن يَوْمهم ذاك ، ونَصْر الله تعالى يُهوِّن عليهم ما هُمْ فيه ، حتّى فَضُّوا جُموع المُشرِكين ، وزَلْزَلوا

---

(١) كلمة أكلها الأرض .

(١) سهو واضح من الناسخ .

رُدوءهم ، التي كانت أكاليل الجِبال ورَدَم الشِعاب ، وضمُّوهم إلى مُعَسْكَرهم ، وأثارت سَنابك الخَيل مِن القَتام ما غيَّب مَن كان في القَلْب عمَّن يَليه مِن يَمين الحَرْب ويَسارها .

وكان محمّد بن هاشم في وَقْدتها حاشًا سعيرها ، قد طال به مَداها ، واسْتَدارت حَوْله رَحاها ، فكَبا به فَرَسه ، ولم يَعْلَم أحَد بمَصْرَعه ، فصار في أيْدِي الخَنازير اسيرًا ، فاستَنْشَقوا به الحَياة بَعْدَ اليأس منها ، فجالَدوا بنُفوس قد عاوَدها رَمَقها ، وانحاز المُسلِمون إلى مُعَسْكَرهم ، قد قَتَلوا مِن أعْلام المُشرِكين وقَوامِسهم وأهل البأس مِن فُرْسان الحَرْب ومَن صَبر اوقَع السَيْف ، فكانت مُصِيبتهم بمَن قُتِل منهم عظيمة .

فلمّا أصْبَح أمير المؤمنين بمَحلّته ، أمَر بحَمْل مَن عُقِر فَرَسه وصِلة مَن أغْنى في حَرْبه ، وتَعرَّض المُشرِكون للحَرْب تَعرُّض مَن قد تَنخَّل (2) لعَدُوّ قد أصابهم ، ونِكايته قد فَلَقَتْ قُلوبهم ، فلمّا كان في اليَوْم الثالث مِن احْتِلاله ، عَهِد أمير المؤمنين إلى صاحب العَسْكَر بمُصابَحتهم بالحَرْب ، وقد تَلاحَقَتْ بهم المُدود مِن أقصى بَنْبَلُونة وألبة والقِلاع وأهل قَشْتِيلِية ، إلى مُشْرِكي قُلُمْرية ، وكلّ صِنْف مِن أصْناف العَجَم معهم ، وهَتَف على المُسلِمين بالخُروج تَحْتَ راياتهم ، والتأهُّب لِلِقاء عَدُوّهم ، فأغْذّوا في نُهوضهم ، ونَزَل صاحب العَسْكَر ، فرَتَّب تَعْبئتهم ، فكثَّف الرُدوء ، وضَمّ إليها الرجال ، وألْزَم القَلْب بنفسه ، وميَّز منه خَيل المَيْمَنة والمَيْسَرة ، وقدَّم إليهم المُقاتِلة ، واقام بَيْنَ يَدَيْه جُمْلة الخَيْل عِدّة ، فإذا رأى في جِهة مِن جِهات الحَرْب خَلَلًا سَدَّه واسْتَدْرَكه ، أو فَتْقًا رَتَقه ، حتّى كانت أيْدِي المُسلِمين في المَأقِط عالية ، فتلَظَّت الحَرْب واحْتَدَمَتْ ، فكأنَّ المَنايا إنّما قَصَدت فيها أعْلام الكَفَرة وقَوامِسهم ، فصُرِع قُومِس غُرْماج ، وابن أخي الخِنْزِير ، ابن فَرْذَلَنْد ، وشَيْخ النَصْرانيّة وعميدها ، / ابن رُذْمير (1) ، 299

(2) كذا في الأصل .

(1) م. « لذمير » .

إلى العَدَد الجَمّ مِن فُرْسانهم واهل الصَبْر منهم ، وانْجَلَت الحَرْب عن هَزيمتهم ، وانْكِشاف أجْبُل قد كانوا عَلَوْها ، وسَدُّوا بالخَيْل والرِجال ما بَيْنها ، وظَنُّوا ان لا غالبَ لهم ، فزُلْزِلوا زِلْزالاً شديداً ، وانصَرَف المُسلِمون بعِزّ الظَفر والسَلامة في المُنقلَب ، فباتوا بأنْعَم بال وأسْكَن حال .

فلمّا ظَنّ أعْداء الله ان قد مَلُّوا حَرْبهم ، وتَجدَّدت لهم مُدودهم ، رَفعوا مُعَسْكَرهم ، وقدَّموا صُلْبانهم ، وخَرَجوا بفارسهم وراجلهم ، فألْقَوْا إلى ما يَلِي منهم العَسْكَر سِراع خُيولهم ، فتَبادَر المُسلِمون إليهم تَبادُر الأسود الضارية ، فعاوَدوا مَوْقِفهم ، وجالَدوا بسُيوفهم حتّى انْفَرَج المَوْقِف عن قَتْل عظيم مِن عُظَمائهم ، أغْوَلوا عليه ، واسْتَداروا حَوالَيْه ، وانْصَرفوا ، قد أذَلّهم الله ، ووَقَمهم وهوَّن عليهم جَمْعهم ، وكثَّر المُسلِمين في عُيونهم ، وأقاموا وهُمْ في دِيارهم شَرّ مُقام ، مع كَثْرة عَدَدهم ووُفور مَدَدهم في ضَبْط المَعِيشة ، وقِلّة التَبسُّط ، ومُصابَحة الحَرْب ومُماساتها ، حتّى كأنّهم اهل حِصْن حُوصِروا فيه ، او فَلّ جَيْش لا يَسْتَطِيعون الرُجوع إليه .

وأقام امير المؤمنين ومَن معه مِن جُيوشه وحَشْده واهل البَصائر والحَفائظ مُصاوِلين لأعْداء الله واخِذ[ين] بخُط[ام]هم ، وقد قَلَّتْ لَدَيْهم الزُروع ، ونَفِدت الذَخائر ، وبَلَغ امير المؤمنين أقصى أمَله مِن إذلال جَمْع المُشرِكين ، والاحْتِلال بساحتهم وانْحِياز طاغيتهم في أعْلى شاهق ، يَرْجُو النَجاة بقُنّته ، فأمَر بالرحيل ، وقد ضاعَف النَظَر والعَدَد في ضَبْط ساقة جَيْشه ، لمّا تَوقَّع خُروج الكَفَرة في أثَره ، وأصْبَح مُنتقِلاً ، فما أقْدَم أعْداء الله ان يَنظُروا مَرّ الجَيْش إلّا مِن بُعْد وعلى رأس جَبَل ، ونَهَض يَطَأ بِلادهم وَطْء مُتَثاقِل ، حتّى انصَرَف إلى نَهر دُوَيْره ، واستَقْبَل عِمارته مِن حِصن مامُلّس ، التي اتَّصلت بنِكاية اهله ، فلم يَدَع في جِلّيقيّة حِصْناً إلّا هَدَمه ، ولا مَعاشاً إلّا انْتَسفه ، حتّى انْتَهى إلى مدينة رَوْضة ، وهي

خالية على عُروشها ، فأقام على هَدْمها ، وهَدَم حِصْن ربيلش (2) معهـا يَوْمَيْن ، كانا أطْوَل على أعْداء الله مِن عامَيْن ، لِما غيَّر فيهما مِن نِعَمهم ، وهَدَم مِن مَساكِنهم ، وقَطَع مِن شَجَرهم .

وكان أمير المؤمنين يرى التَقدُّم على نَهْر دُوَيْره إلى شَنْت أشْتِيبَن وعُرْماج ، لتَقلُّص الزُروع لَدَيْه وضِيق / التَعلُّف بإفساده ، فرَفَع إليه مَن 300.
حَضَره مِن أهل مدينة الفَرَج وحُصونهـا ، يَشْكُون ما يَلْقَوْنه مِن مُشرِكي وادي أسة ومَعاقِلها ، وتَردَّدوا عليه ضارعين إليه أن يَجْعَل مَمَرّ الجَيْش المُؤيَّد على حُصونهم وعِمارتهم ، وذَكَروا أنّ ذلك أنْفَع لهم ولأهل الثُغور معهم مِن الإيغال في بَلَد المُشرِكين ، ونِكـاية مَن لا ينـالهم بغارة ، ولا يَنْهَض إليهم بقُوّة ، فصَرَف الجَيْش عِند ذلك إلى وادي أسة ، فلم يَدَع فيها حِصْناً إلا هُدِم ، ولا قَرْية إلّا دُهْدِمَتْ ولا مَعاشاً إلّا استَقْصى جميعه .

فلمّا صـار في آخِره ولم يَبْقَ مَوْضِع يقوم الجَيْش بالتَردُّد عليه ، أمَر الأدِلّاء بالكَشْف عن أقْصَد الطُرُق إلى حِصْن أنْتشية (1) ، وأوْفَقها بالمُسلِميـن ، في مُنْصرَفهم برازح ظَهْرهم ، وأحْوَط عليهم في طريقهم ، فأجْمَعوا على قَصْد حِصْن قَشْترب (2) ، وأيْأسُوا مِن الخُروج على غَيْره ، فلمّا اسـتَقْبَل أمير المؤمنين يَؤُمُّه (3) ، وقَطَع بَعْض مَحَلّته ، اسـتَقْبَل شَعْراء لا يَتخلَّلها المُفْرَد بجَمَده ، ولا يَتخلَّص منها المُخِفّ ، لَوْلم يَكُن أحَد يَعْترِضـه ، ثُمّ أشْرَف على خَنـادِق وَعْرة ومَهاوٍ مُتقـاذِفة وأجْراف مُنْقطِعة ، قد عَرَفها المُشرِكون ، وقَدِموا إليها ، وألْقَوْا إلى ساقة الجَيْش فُرْسانهم ، فدارت عليهم الحَرْب ، وصُرِع فيها مِن حُماة فُرْسانهم ومُتقدِّمي رِجالهم جُمْلة ، لو أُصِيبَتْ بحَيْثُ يَتراءى الجَمْعان ، لكانت سَبَب هزيمتهم ، ولكنّهم وَثِقوا بالوَعْر ، وانْتَظَروا تَقدُّم الحُماة ، وتَرادُف الأثْقال .

---

(2) م. « دبيلش » .
(1) م. « اتنيشه » .
(2) انظر كتابنا هذا ص 230 .
(3) م. « لامه » .

فحامى أمير المؤمنين برِجاله وخاصّته عن المُسلِمين ساعات من النَهار ، حتّى تقدّم أكْثَرهم وجازت الخَنْدَق أثقالهم ، إلّا مَن ضَعُفت دابّته أو ضَعُفَتْ نَفْسه عن استِنْفارها ، فلمّا رَأوا الخَلَل تَصايَحوا مِن قُنَن الجِبال ، وانحَطّوا مِن أعاليها انحِطاط الأوْعال ، فأصابوا مِن الأمْتِعة والدَوابّ المُثقَّلة ما لَوْ أصابوا مِثْله في مَجال حَرْب أو سَهْل مِن الأرض لَما أُنْكِر مِثْله ، عِند مُقارَعة الرِجال وتَصرُّف الأحْوال .

وحامى صاحب العَسْكَر عن كلّ مَن أجاز الخَنْدَق وخَلَص مِن مَضايِقه ، حتّى أسْهَلوا ، واجْتَمع لأمير المؤمنين جُيوشه ، وانتَظَمَتْ جُموعهم ، وسلّم الله رِجاله ، فلم يُصَبْ منهم أحَد ، وفي ذلك دليل للسامع عن الوَقْعة ، أنّها لم تَدُر بغَلَبة ، ولا ظَفِر المُشرِكون بما ظَفِروا به فيها عن مُساواة ولا كَثْرة ، ولكنّ ضِيق المَسالِك ووَعْر الطريق وسَوْقهم الدليل لِما (4) جَلَبه ، إلى أقْدار الله تعالى ، / التي لا تُصْرَف ، ومِحَنه التي لم يَزَل يَمْتَحِن بها أوْلِياءه ، ليَعِظهم ويَبْتَلِي عبيده ، ليُؤدِّبهم .

301

وأمير المؤمنين شاكر لله ، تعالى ، على عظيم نِعْمته ، وواقِف على تَصرُّف مِحْنته ، مُستسهِل ما اخْتَصّ به في حُبّ طاعته ، ضارِع إلى الله في التَقبُّل لقَوْله وفِعْله .

وكِتابه إليك ، وهو قافل بالمُسلِمين على أحْسَن أحْوالهم وأسْهَل طريقهم وأجْمَعها بمَعايِشهم ، إن شاء الله ، فأمُرْ بقِراءة كِتاب أمير المؤمنين على الناس قِبَلك ، أثَر صَلاة الجُمعة ، ليَشْكُروا الله كثيراً على ما أنْعَم به مِن نَصْر إمامهم ، وسَلامة إخْوانهم ، والصُنْع الذي عَمّهم ، فإنه يُحِبّ الشاكرين ويُؤيِّد الحامِدين . وآعْهَدْ بنَسْخه إلى عُمّال الكُوَر حَوْلَك ، إن شاء الله ، والله المُستعان .

وكُتِب يومَ الاثنَيْن لثمانٍ خَلَوْنَ من ذي القَعْدة سنة سبع وعشرين وثلاث مِائة » .

---

(4) كذا في الأصل .

[المُستشهَدون من فُقهاء قرطُبة]

ووَجَدْتُ في أسْـماء مَن استُشْهِد في هذه الوَقْعـة ، مِن فُقهاء أهل قُرْطُبة ، رَحِمهم الله ، سَعْدان بن مُعاوِية ، سَمِع عن ابن لُبابة والقُباعيّ ، وكان حَسَن القريحة ، جَيِّد الكلام في المسائل ، يُلْحَق لحِذْقه بها في وُجوه العُلَماء في وَقْته ، ومحمّد بن فَيْصَل بن هُذَيْل ، صَحِب الشَّيْخ ابن لُبابة ، فتَفقَّه معه ، وكان شأنه المَسائل في الكَلام ، وصِناعته التِجارة في سُوق الحَدّادين ، وكان خَيِّرًا عالمًا في أهله ، رَحْمة الله عليهم .

• [رِواية الرازيّ]

قال عيسى [الرازيّ] : ورَحَل الناصر لدين الله بمُعَسْكَره عن مدينة الفَرَج قافلاً إلى الحَضْرة يومَ الخميس لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ من ذي القَعْدة ، فاحْتَلّ بجريين (1) ، ومنها إلى شُبَطْران ، ومنها إلى محارِس ، ومنها إلى مدينة طُلَيْطُلة ، فكَسَر فيها أربعة أيّام ، ورَحَل منها يوم الخميس إلى فَجّ سِراج ، ومنها إلى مَلْقُون ، وفيها جيء إليه بفُرْتُون بن محمّد بن الطويل ، الآبِق مِن المَصافّ ، الجارّ على المُسلِمين الهزيمة ، فقدَّمه إلى قُرْطُبة مع إبراهيم الفتى الكبير وقاسم بن طُمْلُس بَعْدَ الإيقاع .

ورَحَل الناصر لدين الله مِن مَلْقُون يومَ السَبْت ، فاحْتَلّ بالبِرْكة ، ومنها إلى مَنْزِل رند (2) ، ومنها الى قَبانِش على وادي أرْمِيش ، ومنها إلى طيربن تيطـة ، ومنها إلى قَلْيانة ، ومنهـا إلى أرْمِلّاط ، ومنها إلى المَحلّة بمُنْية نَصْر ، على باب قُرْطُبة بعدْوة النَهْر بالرَبَض ، فبات هُناك ، ودخل إلى قَصْر قُرْطُبة مَوْطِنه مِن الغَد يوم السَبْت في التَعْبئة ، وقد نَفَّذ عَهْده بصَلْب فُرْتُون بن محمّد بن الطويل ، افْتَقه الجَيْش وإظهاره النِفاق ،

---

(1) قد تكون « بجربير » .

(2) كذا في الأصل ، قد تكون « زيد » .

فصُلِب على باب السُدّة ، الأكْبَر مِن أبْواب القصْر ، واجْتمَع للنَظَر إليه خَلْق كثير .

[صَلْب المَسْؤولين عن هزيمة الخَنْدَق]

302 / اقول : أخْبَرني يَحْيى بن محمّد بن نُعْمان العَطّار ، عن ابيه ، وكان ثِقة ، انّه حَضَر صَلْب فُرْتُون في هذا اليوم ، والإعجال برَفْعه قَبْلَ دُخول الناصر لدين الله إلى القَصْر ، فلمّا سُوِّي على جِذْعه ، وَقَف عليه الناصر لدين الله يَتأمَّله ، ولمّا يُطعَنْ بَعْدُ ، ولِسانه مقطوع ، وبذلك تقدَّم عَهْده مِن ألّا يُجْهَز عليه حتّى يَنْظُر إليه ، فلمّا وافى إلى جِذْعه ، وَقَف يَنْظره مَلِيًّا ، شامتاً به ، سابًّا له ، شاكراً لله تعالى على إيراطه ، وفُرْتُون يَفْهَم ذلك ، ويُدِير فَكَّيْـه بكَلام مِن غَيْر لسان يُؤَدّيه ، ثُمّ جَمَع ما في فِيه مِن بُصـاق ودَم ، فتَفَله [إلى] الناصر لدين الله ، فكاد يُصِيبه به ، فعَجِب الناس مِن قُوّة نَفْسه على هَوْل مُقامه ، واشْتَدّ غَضَب الناصر لدين الله عليه ، فأشار بيَده ليُطْعَن ، ورَكَض فَرَسه ، فدَخَل إلى قَصْره ، وانْفَضّ الجَمْع إلى ان احْتَفَل لِما كان أشْنَع منه بَعْدَ أيّام .

قال يَحْيى : وذلك أنّ الناصر لدين الله شَرَع ، في وَقْت حُلوله مِن غَزْوته هذه ، في ابْتِنـاء العُلّيّة التي رَفعهـا فَوْقَ الخِزانة المنسوبة إلى الذنْب ، عن يُمْنى (١) السَطح المُوفِي على باب السُدّة القِبْليّ ، الأكْبَر مِن ابواب القَصْر ، الشارِع في المَحَجّة أمامَه ، رَسَمها مُشرَّفة ، وفصَّلها على عشرة ابواب مُتناسِقة ، وجُمِعَتْ عليها الأيْدي ، وكَمِلت سريعاً ، وجَلَس فيها لاعْتِراض الجُنْد يومَ مِنىً مِن هذه السنة ، وقد أمَر بإصْلاح عشرة جُذوع مِن عالي الخَشَب للتَصْليب ، وإقامة كلّ خَشَبة منها أمامَ كلّ باب مِن تِلْك العُلّيّة ، راع الناس شأنها ، ولا يَعْلَمون المُراد بها ، فاحْتَفَلوا إلى المَكان أجْمَع ما هُم .

---

(١) كان رسمها في المخطوط « بمشىء » أو « يمشني » .

فلمّا أقْبَل الغَرض ، أمَر صاحب المدينة بالقَبْض على عشرة من وُجوه فُرسان الجُنْد ، الذين سارَعوا الانهزام يوم الخَنْدَق ، كانوا قِياماً في الصَفّ ، سمّاهم وأمَر بإعلائهم فَوْقَ الخَشَب بعَيْنها ، فتولّاهم الأشْراط لحِينهم وشَدّوهم مُصلَّبين بأعاليها ، فمَثُلوا للحِين بذُراها ، يَسْتَغيثونه ويستَرْحِمونه ويَسْتَقيلونه ، وهو يَزْداد عليهم غَيْظاً وسُبّاً لهم وتَعْريفاً بحَيْدتهم عنه يومَ حاجته إليهم ، ويقول « أنْظُروا إلى هذا الخَلْق الضعيف - يُشير إلى جُموع العامّة النَظّارة حَوْلَهم - هل أعْطَوْنا المَقادة وصاروا لنا خَوَلاً ومادّة إلّا لذَبِّنا عنهم وحِمايتنا لهم (2) ، فإذا نَحْنُ ساعَدْناهم وساوَيْناهم في الجُبْن عن عَدُوّهم ، والتَمْكين مِن نَواصيهم ، فأيّ فَضْل لنا عليهم ، إن كُنْتُ أُريد سَلامة مُهْجتي في تَضْييع حريمهم ؟ / فلا أتاحها الله ، ذُوقوا وَبال أمْركم » ، أو كَلام مِثْل هذا تحفّظه عنه مَن دنا إليه . وقد صَمّ أُذنه على تَنصُّلهم واعْتِذارهم وتَعْديدهم لسالف بَلائهم ، فلم يَثْنِ عَمّا عَزَم عليه مِن تَعْذيبهم والتَمْثيل بهم ، فأمَر بطَعْنهم والقَضاء عليهم ، فابْتُزّوا جميعاً لوَقْتهم ، تَسْمع اسْتِغاثتهم ثُمّ ارْتَفَع عن مَكانه .

303

قال يَحْيى : ولَزِمني جَمْع الناس الحفيل بالمَكان الذي صُلِبوا فيه بظَهْر الطريق ، فلم يَكُن لي مَنْفَذ في زِحامهم ، فقَعَدْتُ بالأرض حاشِيةً منهم ، غاضّاً بَصَري ، مُسْتَطِيرة جَوانِحي لهَوْل ما طَرَفَتْه عَيْني ، وضَمَمْتُ ثِيابي على مِخْلاة ، كُنْتُ أوْعَيْت فيها أشْياء مِن حِرْفتي ، لأتْجُر بها في مَوْسِم العِيد ، [ف]لَبِسَتْني مِن هَوْل المُقام وصُراخ المُعذَّبين غاشِية أذْهَلَتْني ، اغْتَنمها مِنّي لِصّ فَطِن بي ، فاسْتَلّ مِخْلاتي ، فلمّا انْجَلَتْ غاشِيتي فَقَدْتُها ، فعَجِبْتُ مِن بَوْن ما بَيْن فُؤادي وفُؤاد سارِقي في الضَعْف والقُوّة ، وأضحى يَوْمنا ذلك يوم هَوْل ، ذَعَر الناس دَهْراً » .

[رِواية ابن مسعود]

وفي كِتاب ابن مسعود : غَزا الناصر لدين الله سنة سبع وعشرين وثلاث مِائة بالصَوائف إلى مدينة شَنْت مانْكَش ، مِن بَلَد ألبة ، وبارَزه

(2) علينا أن نضع هنا هذه الفقرة « والتمكين من نواصيها » الواردة في السطر التالي .

الكَفَرة ، فوَقَعَت حَرْب عظيمة ، انْهَزَم المُسلِمون عنها ، واستَمْسك الناصر لدين الله في رِجال الحقيقة ، بَعْدَ أن هَلَك في الخَنْدَق عالَم مِن المُسلِمين ، وقُتِل منهم كثير ، وأُسِر كثير ، وكان مِمَّن أُسِر محمّد بن هاشم التُجِيبيّ ، صاحب سَرَقُسْطة ، وذلك في شَهْر رَمَضان منها .

وفي عَقِب شَهْر رَمَضـــان كَسَفت الشَمْس يوم الجُمْعَـــة مع الضُحى الأكْبَر ، لليلتَيْن بَقِيَتا مِن شَهْر رَمَضان المُؤرَّخ ، وجَيْش المُسلِمين يَوْمَئِذٍ غائب مع خليفتهم ، الناصر لدين الله بنَفْسه . ولم يُعقِّبها بأُخْرى بَعْدَها ، بل لَزِم المُقـــام بحَضْرته ، وسَدّ فُروج المَخافة بكُفـــاة رِجاله وقُوّاده ، وشدَّدهم بتَدْبيره وإمداد[ه] ، فحَسُن شدّها ، ولم يُطِق العَدُوّ حَلّ عُرْوة منها ، واتَّصَلت عليه الفُتوح مِن لَدُن المُسلِمين ، ووالَوْها على سلطانهم ، إلى أن مضى لسبيله عزيزاً منصوراً (1) .

الشَــمْس

وفي سَلْخ هذه السنة وَقَعَتْ (2) في عَيْن الشَمْس آية شَنْعهـــا ، لا عَهْد بمِثْلها ، وذلك أن غَشِيَتْها كُدْرة ظاهرة بادية للعَيْن ، كَسَفت جُزْءًا مِن ضِيائها ، فأَطْفَأت مِن شُعاعهـــا ، فتمادَتْ على حالها هذه سَبْعة أيّام تامّة ، اربعة أيّام مِن ذي الحِجّة سَلْخ هذه السنة ، وثلاثة من أوَّل المُحرّم تِلْوها ، فاتحـــة سنة ثمـــانٍ وعشرين وثلاث مائة بَعْدَها ، ثُمّ انْجَلَتْ مع انْقِضاء الأسْبوع المذكور تلك الكُدْرة / عن الشَمْس ، فصَفا شُعاعهـــا 304 وعاوَد نُورها إلى حاله المعهودة ، عِند انْقِضاء السبعة الأيّام المعدودة وكان سَبَب انْجِلائها غَيْث جَوْد نَزَل ليلة الخميس الذي مِن غداته أَصْبَحَت صقيلة ، وكان مِمّا أثَّره هذا الحادث في الشَمْس إحالته لألْوان الصَبْغ كلّها مُدّة هذه الأيّام ، فكان شَبّها لا يَعْلَق ، وألوانها لا تَنْصَبِغ .

(1) يبدو أن الناسخ قد غلط في ترتيب هذه الأسطر من رواية ابن مسعود .
(2) م. « وثلثه » .

فيهـا ثَبَتت وِزارة أحمد بن عبد المَلِك بن شُهَيْد ، واعْتَلَتْ مَرْتَبته على ما تَقدّم ذِكْره ، وهَلَك مِن الوُزَراء احمد بن محمّد بن حُدَيْر ، فنَقَص عن عَدَدهم ، وانسَلَخَتْ هذه السنة وعَدَدهم تِسعة رجال : احمد بن عبد المَلِك بن عُمَر بن شُهَيْد ، عبد الحميد بن بسـيل ، احمد بن عبد الوَهّاب ابن عبد الرؤوف ، خالد بن أُميّة بن [شُهَ]يْد ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، فُطَيْس ابن أَصْبغ بن فُطَيْس ، جَهْـوَر بن عُبَيْد الله ، عبد الرحمن بن عبد الله الزجّاليّ ، احمد بن محمّد بن إلْياس .

وفيها عُزِل عن المدينة بقُرْطُبة جَهْوَر بن عُبَيْد الله بالخال سعيد بن أبي القاسم ، مجموعةً له إلى الشُرْطة العُلْيـا ، وسـعيد بن الجَسّـاس وحَفْص بن جابر عن السُوق بمحمّد بن هارون .

ومحمّد بن زِياد (1) عن كُورتَيْ بَجّانة وإلْبيرة بعُمَر بن فِهْر .

وسعيد بن عبد الرؤوف عن كُورة إشبيلية بمحمّد بن غالب بن عبد الرؤوف .

واحمد (2) بن فِهْر عن كُورة لَبْلة بدِلْهاث بن محمّد .

وعُمَر بن عبد العزيز ومحمّد بن احمد معـاً عن كُورة الجـزيرة بمحمّد بن أحمد بن أبي عُثْمان ، وعُزِلا معاً عن مدينة سَبْتة مِن العِدْوة بيَحْيى بن محمّد بن اللَيْث .

ومحمّد بن احمد بن أبي عُثْمان عن مدينة قَرْمُونة بأحمد (3) بن قاسم .

وقاسم بن محمّد بن طُمْلُس عن مدينة ... (4) .

---

(1) لا يذكر تاريخ توليه ، وفي عام 324 المتولي كان هو يوسف بن سليمان .

(2) في سنة 326 المتولي كان هو محمد بن فهر ، ولعل الناسخ قد اخطا حين قرأ « عمر بن فهر » .

(3) م. « واحمد » .

(4) بياض في المخطوط ، في عام 323 عزل أحمد وقاسم ابنا طملس عن كورة ريه ، ولا يظهران في قائمة الولاة للسنوات التالية 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 329 ، 330 .

سنة ثمان وعشرين وثلاث مِائة

[الاستِعْداد للقيام بغَزْوة إلى جِلّيقيّة]

هَمّ فيها الناصر لدين الله بالغَزْو إلى جِلّيقيّة ، دمَّرها الله ، ودبَّر الخُروج في غِلْمانه وأحْشـامه خاصّةً ، لِما هُم عليه مِن تَكـامُل العِدّة والتَّباهِي في البأس والشِدّة والاسْتِظْهار بالعُدّة والقُوّة ، وارْتَأى الإعفاء لرَعيّته مِن كُلْفـة هذه الغَزْوة ، ورَفْع مُؤْنتهـا عنهم ، لِلّذي نالهم في غَزْوة الخَنْدَق قَبْلَها ، واعْتَزَم على الإضراب عن حَشْد أحَد مِن أجْناس المُطَّوِّعة ، الذين جَرَتْ بحَشْدهم العادة ، إذ كانت جُموعهم ، إذا تَوافَتْ ، وأعْدادهم ، إذا تَكامَلَتْ ، تَضِيق عنهم بِلاد العَدُوّ ، ولا تَسَعهم غَلّاتها ، ولا تَرْوِيهم مِياهها ، فيَدْعُوهم ذلك إلى الاضْطِراب والارْتِياد ، ولا يُمكِّنهم / مِن التَلبُّث والمُقـام ، ولا يُتَوصَّل معها إلى أقصى بَلَد العَـدُوّ ، ولا يُسْتأصَل معها نِعَمهم . 305

فصَحّ له هذا التَدْبير في القليل ، وعَزَم عليه ، واستَعَدّ لغَزْوه هذا وأخْرَج مِضْرَبه إلى مُصلّى الرَبَض على العـادة ، وأمَر بإحضـار أهل قُرْطُبة إلى قَصْره ، فحَضَروه يومَ الثُلاثاء لليلتَيْن بَقِيَتا مِن ربيع الآخِر ، فلمّا احْتَفلوا ، أقْعَد لهم ابْنه ولِيّ عَهْده الحَكَم ، مَجْلِساً فَخْماً حَجَبه فيه

الحُجّاب وقعَد الوُزَراء بَيْن يَدَيْه على مَنازِلهم ، وتَوصَّل إليه أهل قُرْطُبة فَوْجاً فَوْجاً ، فتولّى مُخاطَبة عامّتهم عنه عِيسى بن فُطَيْس الكاتب ، يُعْلِمهم امْتِنان الناصر لدين الله عليهم ، في إعفائه لهم العامَ عن الغَزْو الذي كان أَصْلهم ، اقْتِصاراً على أَحْشامه ، ورَفْع مُؤْنته تَرْفيهاً عنهم ، وإبرازه الأَمْوال الجَمّة مِن الخَزائن للنَفَقات عليهم ، والإزاحة لعِلَلهم ، ويَصِف لهم حُسْن رأيه فيهم ، وإشفاقه عليهم ، ورَغْبته في تَرْفيههم وإصلاح أَحْوالهم ، فجَعَلوا يُعْلِنون الشُكْر للناصر لدين الله ، ويَسْتَهِلُّون له ولوَليّ عَهْده ، وعَلَتْ أَصْواتهم حتّى أَسْمَعوا الناصر لدين الله ضَجيجهم بداخِل قَصْره ، وزادت مَسَرّته بنِعْمته عِندهم .

وقَوِيَ عَزْمه على هذه الغَزْوة ، فيما أَظْهَره ، وأَبْرَز سُرادِقه إلى فَحْص الرَبَض يومَ الخميس لثمانٍ خَلَوْن مِن جُمادى الأُولى منها ، ثُمّ بَرَز بنَفْسه في الجَيْش والتَعْبِئة ، على عادته ، أَكْمَل بُروز وأَجْمَله ، يومَ الخميس (1) لثَمانٍ خَلَوْنَ (2) مِن جُمادى الآخِرة منها ، إلى مَحَلّته بفَحْص الرَبَض ، وأقام هُناك مُتلوِّماً على تَكمُّل أَسْباب غَزْوه على العادة ، فوافى إليه فيها رَسول الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، مَلِك جِلّيقيّة ، يَخْطُب السِلْم ويَرْغَب في الهُدْنة ، فجَنَح الناصر لدين الله إلى السَلام ، ورآها احْتِياطاً للأُمّة ، ففَسَخ عَزْمه عن الغَزْو ، واقْتَلَع مِضْرَبه ، ونَقَض مَسِيره ، وانْصَرَف إلى قَصْره فأجاب رُذْمِير عن كِتابه ، وأَنْفَذ ثِقَته إليه لمُشارَفته وتَقْرير هذه السِلْم معه ، وأَقام يَنْتَظِر ما يَسْتَجِيب له منه .

[إرسال السَرايا]

وقد كان لأَوّل السنة كدّ عَدُوّ الله رُذْمِير وقَوامِسه ، بما أَنْفَذه مِن البُعوث إليهم ونَظَمه مِن السَرايا إلى بِلادهم ، حتّى شَجُوا بالمُسلِمين

(1) تاريخ غير مقبول .
(2) يضيف الناسخ « خلت » .

وتَمَنَّوْا مُسالَمتهم ، وذلك أنّ الناصر لدين الله رأى تَسْريب الخُيول إليهم ، وإطلاق السَرايا إلى بِلادهم ، أنْكى لنفوسـهم ، وأَجْمع لأذِيّتهم ، وأشْغَل لقُلوبهم ، مِن قَصْدهم مِن وَجْه واحد ، ولِقائهم بزَحْف / مُتكـامِل ، فأنْفذ كُتُبه صَدْر المُحرَّم مِن هذه السـنة إلى جميـع القُوّاد والعُمّـال بالثُغور [العُلْيا و] الشَرقيّة والجَوْفيّة والغَرْبيّة ، بإدخال السَرايا إلى أعْداء الله مِن كلّ جِهة ، ونَظْمها عليهم كلّ وقت ، وغِبّهم بها مِن كلّ جانب ، وشَنّها عليهم مِن كلّ وَجْه ، فسارَعوا إلى ذلك ، واسْتَبقُوا إلى غايته .

306

وأَرْسَل هو مِن حَضْرته ، قُرْطبة ، إلى هذه الثُغور مِن نُخَب أجْناده مَن بَعُد صِيته وشُهِر بأسه ، مِن جِلّة القُوّاد ووُجوه الرِجال ، وأكْثَف عَدد كلّ ناحية بالأجْنـاد ، وشَكّ جميع الحُصون بالعُدَد والعَتاد ، وقلّد أعِنّة الخُيول الوزير القائد أحمد بن محمّد بن إلْياس ، وأخْرَجه إلى مدينة طُلَيْطُلة ، مَوْسَطة الثَغر ، في جَيْش كثيف ، فاحْتَلّ بها في صَدْر المُحرَّم مِن هذه السنة ، وأَجْرى إلى ما رُسِم له بجِدّ وعزيمة وتَدْبير وحَزامة ، فقعَد المُسلِمـون لأعْداء الله بكلّ مَرْقَب ، وتَوالَتْ عليهم غاراتهم ، مِقْنَبـاً بَعْد مِقْنَب ، يُغادُون ويُراوِحون ، حتّى حَرِضوا بما حَلّ عليهم ، وضاقوا ذَرْعاً بما نَزَل بهم .

ثُمّ تَوالَت الفُتوح على الناصر لدين الله مِن تِلْقائهم ، فكان أوّل فَتْح وَرَد عليـه فَتْح وَرَد مِن قِبَل أحمد بن محمّد بن إلْياس في النِصْف مِـن المُحرَّم ، بخَبَر سَرِيّة أنْفَـذها مِن قِبَل طُلَيْطُلـة ، فغَنِمت بناحيـة قُوقة ، وأَسَرَتْ وقَتَلَتْ وعادت إليـه ظاهرة غانمـة ، وبَعَث بالأَسْرى إلى باب السُدّة .

ورَدَف كِتابه هذا كِتاب آخر بفَتْح مِثْله في أهل جِلّيقِية ، قُرِئ على الناس بجامع قُرْطبة سَلْخ المُحرَّم منها .

ثُمّ وَرَد كِتاب ثالث بفَتْح أَعَمّ منهما على الكَفَرة ، اقْتَرن به أسْرى ورُؤوس مِمَّن قُتِل منهم ، وَصَلَتْ إلى باب السلطان ، وكان ذلك في صَدْر صَفَر منها .

وكِتــاب يَحْيى بن إسحاق الوزير القائد بالغَرب بفَتْح أُتِيح له ، بسَرِيّة أنْفذها مِن قِبَله ، قَتَلَتْ وغَنِمت وسَــلِمت ، وبَعَث مع كِتــابه بعِدّة مِمَّن أسَرَتْه مِن الأعْلام ، وذلك في المُحرَّم منها .

وتَوافى الناصر لدين الله صَدْر رَجَب منها اربعة كُتُب في يوم واحد مِن مَواضِع مُختلِفة ، كلّها بخَبر وَقائع بأعْداء الله ، اهل جِلّيقيّة ، قُرِئ جميعها على الناس بالمَسْجِد الجامع يَوْمَ الأحَد اثمان خَلَوْنَ مِن رَجَب ، في نَسَق ، منها لأحمد ابن الوزير عبد الحميد بن بسيل ، القائد بطُلَيْطُلة بعد احمد بن محمّد بن إلْياس ، بخَبر سَرِيَّتَيْــن أنْفذهمــا إلى جِلّيقيّة في وَقْتَيْن ، ظَفِرَتا وغَنِمَتا ، وحارَبت الأخْرى منهمــا سَرِيّة للعَدُوّ ، ولَقِيَتْها خارجةً إلى ارض الإسلام ، / حَرْبًا صَعْبة ، كانت للمُسلِميــن على أعْداء الله فيها الكَرّة ، فهَزَموهم وقَتَلوا منهم وأسَروا ، وأرْسَل بالأسْرى مُوثَّقين وبالرُّؤوس إلى قُرْطبــة إلى باب السُدّة ، وكِتــاب لجَهْوَر بن عُبَيْد الله ، الوزير القائد بالثَغر الأقْصى ، بفَتْح فيما يَلِيه ، أطال الله أيْدِي المُسلِمين فيه ، وكِتاب ليَحْيى بن محمّد بن هاشم التُجِيبيّ ، خليفة ابيه ، محمّد بن هاشم ، على أعْماله ، بالثَغْر الأعْلى بفَتْح أُتِيح له على أهل بَنْبَلُونة وقَتْله لابني شرجين (1) ، وافتِراصه لحِصْن أُونُه قَشْتِيل .

307

رَدَف هذه الفُتوح في هذا الشَهْر كِتــاب فَتْح وَرَد لمُطرِّف بن ذي النُون ، يَذْكُر نفيره بنَفْســه وأصحــابه ، إلى ثَغر طَلَمَنْكة ، عِند اتِّصال الخَبَر به بخُروج العَدُوّ نَحْوها ، وأنّه أوْقَع بهم ، فنَصَره الله عليهم ، ومَرّ في آثارهم ، لمّا انْهَزموا عنه والسَــيْف يأْخُذ مأْخَذهم منهم ، حتّى حال الظَلام بَيْنــه وبَيْنهم ، فانْصَرف عنهم عزيزاً ظاهرًا ، وأصاب لهم خَيْلًا كثيرة ، كُتِب بعَدَدها ، فتَوالَتْ هذه الفُتوح مِن كلّ الجِهات ، وعَمَّتْ بها المَسَرّات ، حتّى ذَهَل المُسلِمون عن خَطْمة الخَنْدَق .

---

(1) انظر كتابنا هذا ص 272 .

خَبَـر وَشْـقة

وفي غُرّة ربيع الآخِر منها وَصَل إلى قُرْطُبة موسى بن محمّد (2) ابن [عبد المَلِك] الطويل ، صاحب مدينة وَشْقة مِن الثَغر الأعلى ، مُسْتألِفاً للناصر لدين الله ، وقد كان استَوْحَش عِندما جَرّ على أخيه فُرْتُون بن محمّد الصليب بقُرْطُبة بجريرة يَوْم الخَنْدَق ، فاضْطَرَبَتْ حاله ، ونفَرَتْ نَفْسه ، فأخْرَج إليه الناصر لدين الله عبد المَلِك بن سُلَيمان الخَوْلانيّ ، بأمان عَقَده له ، فرَفِق به عبد المَلِك ، حتّى سكَّن منه ، وحَمَله على القُدوم إلى باب السلطان ، فأطاعه وجاء معه في التأريخ المذكور ، وأكْرَمه الناصر لدين الله ، وعَرَف له حَقّ مُراجَعته ، وأجْزَل صِلته ، وقلَّبه إلى مدينة وَشْقة وَطَنه ، والياً إليها ، وجدَّد له السِجِلّ عليها ، وعَقَد بَيْنه وبَيْن حَكَم بن مُنْذِر ، صاحب قَلْعة أيُّوب ، عَقْداً في أحْواز أعْمالهما ومُنْتَهى حُدودهما ، مع تَجْديد البَيْعة عليهما ، صيَّرها حُجّة عليهما ولهما ، بَعْدَ أن أحْلَف كلّ واحد منهما في المَسْجِد الجامع بقُرْطُبة خمسين خمسين (3) يميناً ، بمَحْضَر قاضي الجَماعة بها ، والحُكّام والفُقَهاء ، والعُدول مِن أهلها ، وبمَشْهَد مَعْن بن محمّد ، قاضي سَرَقُسْطة ، على الِتِزامهما للطاعة والوَفاء بشُروطها ، والتَصْحيح في السِرّ والعَلانِية ، والانْتِهاء إلى شُروط العَدْل ، الذي عُقِد بَيْنهما ، ثُمّ انْطَلَقا لسبيلهما ، وجَعَل في عَمَل موسى بن محمّد مدينة وَشْقة والقَصْر وبَرْبَشْتُر ، وما اتَّصَل بهـا مِن أحْوازها ، وخلَّف ابنه عبد المَلِك رهينة .

308 وفي النِصْف مِن رَجَب / منها أخْرَج الناصر لدين الله القاضي محمّد ابن عبد الله بن أبي عيسى إلى الثُغور الشَرْقيّة للنَظَر في مَصالِح أهلها ، فنَفَذ لذلك وحَسُن أثَره فيها .

---

(2) م. « عمر » بشكل واضح ، ولكن انظر فيما يلي من هذه الصفحة وكذلك في ص 323 و 324 .

(3) قد يكون الناسخ قد كرر الكلمة هنا ، انظر كتابنا هذا ص 277 .

سِلْم الفَرَنْجة

وفيها عَقَد حَسْداي بن إسحاق الإسْرائيليّ ، الكاتب ، السِلْم مع شُنْيِير بن غِيفرِيد (1) الإفْرَنْجيّ ، صاحب بَرْشَلُونة وأَعْمالها ، على الشُروط التي ارْتَضاها الناصر لدين الله وَحْدَها ، وأشْخَص حَسْداي إلى بَرْشَلُونة لتَقْريرها مع شُنْيِير ، صاحبها ، واتَّفَق أن جاء الأُسْطُول المُتحرِّك مِن مَرْسى المَرِيّة ، عَقِب رَجَب مِن هذه السنة ، مع إبراهيم بن عبد الرحمٰن البَجّانيّ ، على مدينة بَرْشَلُونة ، يومَ الجُمعة (2) لعشر خَلَوْنَ مِن شَوّال ، فعَرَّفهم حَسْداي بما عَقَده مِن سِلْم شُنْيِير ، صاحبها ، واسْتَكَفّهم عن حَرْبه ، فرَحَل الأُسْطُول عن مَرْسى بَرْشَلُونة من يَوْمه .

ودَعا حسداي عُظَماء بَرْشَلُونة إلى طاعة الناصر لدين الله وسِلْمه ، فأجابه جَماعة مِن مُلوكهم ، منهم أُنْجُه ، أَحَد عُظَمائهم ، ودار قَراره بأَرْض نابل (3) ، فأَرْسَل إلى الحَضْرة وَفْدًا شاهَدوا عنه ، وسأل تأمين تُجّار أرضه على الاخْتِلاف إلى الأندلس ، فأُجِيب إلى ذلك ، ونَفَذ العَهْد إلى نَصْر بن أحمد القائد بفَرَخْشِنِيط (4) ، وإلى عُمّال الجَزائر الشَرْقيّة والمَراسي الساحِليّة بأرض الأندلس بتأمين جميع المُخْتَلِفين مِن بَلَد أُنْجُه ، وغَيْره مِمَّن سُولِم من هذه الأُمّة ، على دِمائهم وأَمْوالهم وكلّ ما تَضمَّنَتْه سُفُنهم ، يَتصرَّفون في تِجارتهم حَيْثُ شاؤُوا ، فوَرَدَتْ مَراكِبهم إلى الأندلس مِن هذا الوَقْت ، وعَظُم الانْتِفاع بهم . وسَلَكت مَرِ[رِ]كِلّة بنت بُرَيل (5) ، المُملَّكة على قَوْمها مِن الإفْرَنْج ، سبيل أُنْجُه هذا في

---

(1) م. « عنفرند » .

(2) تأريخ غير مقبول ، الا اذا كان يعني هنا بكلمة « الجمعة » يوم اجتماع النصارى وهو يوم الأحد .

(3) كذا في الأصل ، وقد تكون « نابل » أو « أرلس » / Arles وهذا أرجح .

(4) م. « بفرحشنيط ».

(5) م. « مركلة بت بريل » ، نظنه ماري ريكيلا ، أرملة أودون فِيكُونْت مدينة أربونة ، ولا غرابة في أنها سميت بمرية أيضا لما جاء في أسطورة الناسك غارين المشهورة .

سِلْم الناصر لدين الله ، فأرْسَلَتْ إليه بَرْناط (6) الإسرائيليّ ، بِثقتها ، بغَرائب مِن طرائف بَلَدها المُستحسَنة ، فقَبِلها الناصر لدين الله منها ، وكافأها بأنْفَس منها ، وأكْرَم رُسُلها .

ثُمَّ قَدِم حَسْداي بن إسحاق الإسرائيليّ على الناصر لدين الله مِن بَرْشلُونة في عَقِب ذي القَعْدة منها ، بَعْدَ أن أحْكَم ذلك كلّه ، ومعه غُدْمار (7) رَسُول شُنْيِير ، على الشُروط التي اشْتَرطها عليه ، وأوّلها أن يَتَخلّى عن إمداد جميع النَصْرانيّة الذين لَيسُوا في سِلْم الناصر لدين الله ، ومُؤالَفتهم ، ويَلْزَم طاعته ، ويَطْلُب رِضاه ، ويَحُلّ الصِهْر الذي بَيْنه وبَيْن غَرْسيّة بن شانْجُه ، صاحب بَنْبَلُونة ، وقد كان شُنْيِير زوَّجه بِنْته ، ففَسَخ / نِكاحها 309 طاعةً للناصر لدين الله ، وتَضمَّن أن يَدْخُل مع نَفْسه كلّ مَن يَسْتَنِيم إليه مِن هذه المَواضِع التي تُجاوِره ، فأنْفَذ الناصر [لدين الله] لشُنْيِير ذلك كلّه ، وأنْفَذ عُهوده به إلى عُمّال السَواحِل وقُوّاد الأُسْطُول ، وأمَر بتَحامِي أعْماله ومُسالَمة أهل بِلاده . وعَقَد الناصر لدين الله أمان شُنْيِير ذلك كلّه هذا وسِلْمه ، وسِلْم سُنفريد (1) وأوْلادهما (2) معاً لعامَيْن كاملَيْن . وأشْهَد على ذلك كلّه في مَجْلِس حفْله يومَ الأرْبعاء (3) لاثنتَيْ عشرة خَلَتْ مِن ذي الحِجّة منها .

[إشْحان الثُغور]

وفي رَجَب منها نَظَر الناصر لدين الله في إشْحان الأَعْوان كلّها مِن أحْشامه ، بحَيْثُ وَضَعهم مِن مُدُن الأندلس وحُصونها وقِصابها وفُروج

---

(6) م. « برناط » .

(7) م. « عرماز » ولكن انظر « مروج الذهب » للمسعودي ج 3 ص 2 — 70 .

(1) كلمة غير منقوطة قد تكون « سِفْريد » .

(2) كذا في الأصل مع انه ثبت ان سنفريد لم ينجب ولدا فلعل المقصود بـ « أولادهما » هما ابنا شنيير المسميان ببريل وميرون .

(3) تأريخ غير مقبول .

ثُغورها ، فجَبَر السَقَط منهم وتمَّم نَقائصهم ، وزاد في إلحاق العُرَفاء منهم وطَبقات الحَشَم ووفارة عَدَدهم ، وأمَر بإعداد الأقوات والأعلاف في الفُروج التي أحَلّهم بها مِن ثُغور لعام مُخرِم ، مِن القمْح والشعير والإدام والمِلْح والحَطب ، وغَير ذلك مِمّا يُعَدّ للحِصار ، إن نَزل ، وإحراز ذلك كلّه في ذُرى القِصاب المُنيفة ، والتكْثير مِن ادّخاره ، استِظْهارًا على الحَوادِث الطارقة ، وأنفذ أُمَناءه لذلك ، فانْبَثّوا إلى ما حَدّه منه ، وأضحَت ثُغور المُسلِمين مُخْصِبة مَوْفورة ، يَتعهّدها كلّ حِين بنَظره ، فلا تَنْحَلّ مِن أواخِيها عُرْوة .

[تحْصين قَلْعة خليفة ومدينة سكتان]

[و]في شَعْبان منها فَصَل القائد أحمد بن محمّد بن إلْياس مِن قُرْطبة ، غازيًا بالصائفة إلى بَلَد أعْداء الله ، أهل جِلِّيقِيّة ، وذلك يومَ السَبْت لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ منه ، فاحْتَلّ بمَحَلّته مدينة طُلَيْطلة ، مُوفيًا على جِهتها ، مُطِلًّا على ثُغورها ، فانبَسَط أهل الثَغْر بمَكانه ، واعْتَزّوا بحُضوره ، وتَناوَلوا زُروعهم وأحْرزوا أقْواتهم بتأمينه ، وتَجوّل بأطْراف الثَغْر ، مُتخلّلا لجِهاته ، حافظًا لعَوْراته ، فعَظُمت المَنْفَعة بمَكانه .

وفي هذه الغَزْوة شَرَع في ابْتِناء قَلْعة خليفة بثَغْر طُلَيْطُلة وتَحْصينها ، وإنزال الرِجال بها ، وإدخال العُدّة والذَخائر فيها ، واتّصَل عَمَله في ذلك ، إلى أن بَلَغ الغاية ، وجاء كِتابه إلى السلطان في شَوّال منها بإتقانه لبِناء قَلْعة خليفة وادّخاره الأقْوات فيها . وسأل الناصر لدين الله أنْ يُخْرِج مِن قِبَله قائدًا لسُكْناها وضَبْطها ، فسجّل الناصر لدين الله عليها لقاسم ابن مُطرِّف بن موسى بن ذي النُون صَدْر شَوّال منها ، وأخْرجه نَحْوها .

310 وفي هذه الغَزاة أيضًا شَرَع أحمد بن محمّد بن إلياس في بُنْيان / مدينة سَكْتان الخَراب ، بثَغْر الجَوْف ، وتَحْصينها مِن الجِهات السَهْلة ، وجَمْع الأيْدي عليها ، فامْتَنَعت بالبُنْيان في أقْرب مُدّة ، ونَدَب فيها

الرِجال ، وادَّخَر بها الأقوات ، وألْزَم الجُنْد سُكْناها مع مَن نُقِل إليها مِن المُرحَّلين ، فاسْتَتَمّ ذلك كلّه في سنة تسع وعشرين بَعْدَها ، فاعْتَزّ بها ثَغْر الجَوْف عِزًّا شديدًا ، واعْتَدَّت شَجًى في حُلوق الكَفَرة .

وفي هذه السنة استَنْزَل الوزير [احمد بن محمّد] بن إلْياس الفَتْح ابن يَحْيى بن ذي النُون من حِصْن أُقْلِيج ، والحُصون التي كانت بيَده ، عِنْدَما مَرَق من الطاعة ، وأدْخَل فيها ابن عَمّ نَفْسه ، موسى بن محمّد بن إلْياس ، وكان السَبَب في عَزْل الفَتْح هذا عن شَنْت بْرية للاخْتِلاف الجاري بَيْنه وبَيْن ابن عَمّه ، مُطرِّف بن موسى بن ذي النُون ، واستِعْداء مُطرِّف الناصر لدين الله عليه ، ووَصْفه بتَحامُله وأذاه ، فكَتَب الناصر لدين الله إلى الوزير القائد احمد [بن محمّد] بن إلْياس بالنَظَر بَيْنهما ، فاسْتَبان له مِن عِوَج الفَتْح بن يَحْيى ونُكوبه (1) ما أَوْجَب عَزْله وإنزاله عن مَعْقِله ، والبَعْثة به وبجميع اهله إلى الحَضْرة ، وتَصْيير ما كان في يَده مِن شَنْت برية إلى عامل السلطان ، وكان أَثَر القائد احمد بن محمّد بن إلياس في هذه الغَزْوة جميلًا .

الشُروع في سِلْم الطاغية رُذْمِير

تَردَّدت في هذه السـنة كُتُب رُذْمِير بن أُرْدُون ، مَلِك الجَلالِقة ، في الْتِماس السِلْم وإيقاع الهُدْنة ، وكان قد أرْسَل في ذلك إلى القائد احمد بن محمّد بن إلياس ، وهو مُضطرِب في جِهته ، بجَيْش الصائفة ، مع بَرُوخ (2) اليَهـوديّ ، رَسوله ، يَسْـأله التَوسُّط ما بَيْنـه وبَيْن الناصر لدين الله ، ويَنْبَسِط في الْتِمـاس ذلك ، فأَغْلَظ له ابن إلياس في جَوابه ، وأَوْعَده ، فغَضِب العِلْج مِمّا تَقذَّعه (3) به واستَجْفـاه ، وعَدَل عِند ذلك إلى القائد

(1) م. « بكوبه » .
(2) يمكن قراءة هذه الكلمة في المخطوط كذلك « فروخ » .
(3) م. «تقرعه » .

نَجْدة بن حُسَيْن ، فأنفذ بكِتابه إلى السلطان ، وأنْفَذ إليه ثِقته ، موسى بن رَكايش ، فقام نَجْدة بن حُسَيْن لشأنه عند الناصر لدين الله حتّى تَسهّل ، وأخْرَج إليه أحمد بن يَعْلى بن وَهْب ، مع ثِقته ابن رَكايش ، رَسُول رُذْمِير ، لتَقْرير شُروُط المُصالَحة ، وكان خُروجهما عن قُرْطُبة صَدْر رَمَضان منها .

وذَكر عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدريس تَردُّد رَسُول رُذْمِير بقُرْطُبة ، طالبًا للسِلْم ، في قصيدة مَدَح بها الناصر لدين الله ، فقال [طويل] :

عَلَى ٱلصِّغرِ مِنْ دَاعِي ٱلضَّلَالَةِ وَٱلرَّغْمِ
دَعَا ضَارِعًا مُسْتَعْنِيًا لَكَ فِي ٱلسِّلْمِ

311 / وهو شِعر طويل .

فلمّا كان في آخِر شَوّال منها ، وافى أحمد بن يَعْلى إلى قُرْطُبة ، مُنصرِفًا عن جِلّيقِيّة ، مِن عِنْدِ طاغيتها رُذْمِير بن أُرْدُون ، ومعه فُرْتُون القُومِس ، وموسى بن رَكايش ، رسولَيْن في تَقْرير شَرْط السِلْم ، فكان مُقام أحمد بن يَعْلى بجِلّيقِيّة في رِسالته ، مِن يَوْم خُروجه مِن قُرْطُبة إلى يَوْم دُخوله إيّاها ، سبعة وأربعين يوماً . ووَقَف الناصر لدين الله على ما أراده رَسُولا رُذْمِير في باب السِلْم ، فلم يَرْضَ بعض ما اسْتَثْنى مِن شُروطها ، وصَرَف رَسُولَي الطاغية رُذْمِير على أعْقابهما ، لاستِتْمام ما رَ[سَمَ]ه في ذلك أن اخْتاره وإحكام عَقْده ، وقَرَن بهما ثِقته أحمد بن يَعْلى ، لمُشاهَدة ذلك وإيثاق شَدّه ، فنَفَذت الجَماعة ، راجعين إلى جِلّيقِيّة ، دمَّرها الله ، في عَقِب ذي القَعْدة منها ، فأقام أحمد بن يَعْلى عِند رُذْمِير في تَنجُّز ذلك بَقيّة سنة ثمانٍ وعشرين ، وانْصَرَف [عِند] تَمام الصُلْح في أوَّل سنة تسع وعشرين بَعْدَها .

وفي ذي القَعْدة منها وافى الناصر لدين الله كِتاباً فَتْح على أعْداء الله الكَفَرة ، أحَدهما للوزير أحمد بن محمّد بن إلْياس ، والآخَر لمُطرِّف

ابن موسى بن ذي النُون ، فقُرِئا معًا في جامع قُرْطُبة لستّ خَلَوْنَ مِن ذي القَعْدة .

خَبَر العِـدْوة

وفي رَجَب منها وَرَد على الناصر لدين الله مِن العِدْوة كِتاب [ع]لِيّ ابن حَميد المِكْناسيّ ، قائد الشِيعيّ ، صاحب إفْرِيقيّة وثِقته ، خاطبـًا لوِلايته ، مُتبرِّئًا إلى الله تعالى مِن الشِيعيّ ، مُستغفِرًا له مِن اتِّباعه ، وذَكَر أنّه فارَقه ، مُنسلِخًا مِن نِحْلته ، نازعًا إلى دَوْلة الناصر لدين الله ، مُتفيِّئًا بظِلّه ، فصـار عِند وَليّه محمّد بن خَزَر ، عظيـم زَناتة ، مُزدلِفًا بمَكانه ، سائلاً أمير المؤمنين كريم تَقبُّله ، وإيوائه إلى كَنَفه ، فكان أوّل كِتاب وَرَد له في الانْحِياش إليه ، وذلك يومَ الخميس لأربع بَقِينَ مِن رَجَب منها ، فأجابه الناصر لدين الله بالقَبُول له والرَغْبة فيه ، وأنْفَذ إليه هَديّة حَسَنة ، حَسُن مَوْقِعها منه ، فكَشَف وَجْهه في الدُعاء إليه ، والمُحـادّة لعَدُوّه ، وتابَع كُتُبه ، واستَبْصَر في طاعته ، فلَحِق بصميم أهل الوِلاية ، وجَرَتْ له بَعْدُ في الذَبّ عن الدَوْلة أخبار طويلة .

وفي شَـعْبان منهـا وَرَد على الناصر لدين الله محمّد بن مَدْيَن بن موسى بن أبي العافية المِكْناسيّ ، وافدًا عن أبيه مَدْيَن ، الوالي بَعْدَ أبيه موسى ، القريب الوَفاة ، ووَفَد مع عَمّه / فَرَج بن موسى ، وطائفـة مِن وُجوه رِجاله ، فاسـتَقْبَله السلطـان بالجَيْش والعُدّة ، وكان دُخوله إلى قُرْطُبة يومَ السَبْت (١) لإحدى عشرة ليلة بَقِيَتْ مِن شَعْبـان ، ووَصَل هو وعَمّه إلى السلطان فتَلقّاهما بقَبُوله ، وبَسَط لهما تَكْريمه ، وأنْزلهما بقَصر البُنْتِيل ، شَرْقيّ قُرْطُبة ، في نَزْل واسع وكَرامة موصولة ، وأوْصَلهما إلى نَفْسـه المَرّة بَعْدَ المَرّة ، في كلّهـا يُجدِّد لهما نَوْعًا من الكَرامة ، وخَلَع

312

(١) تاريخ غير مقبول .

عليهما خِلَعاً واسعة ، فلمّا قَضيا مِن مُشاهَدته وَطَرًا ، وسَألاه الانْطِلاق إلى بَلدهما ، أضْعَف لهما الجائزة ، ولمَن معهما مِن أصحابهما ، وجدَّد الخِلَع على جَماعتهم ، وأرْسَل إلى مَدْيَن ، مع محمّد ، وَلَده ، مِن الصِلة والكِسْوة والكُراع والحِلْية والثِياب والفُرُش ما له مِقْدار كبير ، وأذِن له ولمَن معه بالانطِلاق ، فخَرَجوا عن قُرْطُبة في عَقِب ذي الحِجّة منها .

وفيها فَسَد ما بَيْن الخَيْر بن محمّد بن خَزَر الزَناتيّ ومَدْيَن بن موسى ابن أبي العافية المِكْناسيّ ، ونَفَر أهل وِلاية (2) بني أُميَّة بأرض العِدْوة ، مِن أجْل التَنافُس في الرِئاسة والتَنازُع على الأعْمال ، حتّى أفْضى بهما الاخْتِلاف إلى الحَرْب وسَفْك الدِماء ، وكَتَب كلّ واحد منهما إلى الناصر لدين الله ، يَسْأله الإصلاح بَيْن وَلَده الخَيْر وبَيْن مَدْيَن بن موسى ، حَزبه ، فأشْخَص الناصر لدين الله مُنْذِر بن سعيد ، القاضي ، إلى العِدْوة للتَوسُّط ما بَيْن هذَيْن الأميرَيْن ، وكَتَب إلى كلّ منهما في ذلك بما صَلَح ، وكَتَب إلى عبد الله بن خَزَر ، عَمّ الخَيْر ، وإلى داوُد بن مَصالة ، كبير أصْحابه ، يأمُرهما بمَعُونة مُنْذِر رَسوله على ما أنْفَذه إليه مِن ذلك ، والسَعْي في حَسْمه ، فنَفَذ مُنْذِر بن سعيد لِما أُمِر به مِن ذلك في شَهْر رَمَضان منها ، وقام فيه ، فحَذِق ، ووُفِّق ، حتّى سَكَن ما كان هاج بَيْنهم .

وأهْدى الناصر لدين الله في هذا الوَقْت للخَيْر بن محمّد هَديّة حَسَنة جليلة القَدْر ، فيها صُنوف مِن الكِسى الفاخرة والأمْتِعة الرفيعة والآلات الحَرْبيّة الشريفة ، مِن الدُروع والتِراس والدَرَق والألْوية والطُبول ، وما أشْبَه ذلك ، وأرْسَل إليه خاتَماً مِن خَواتِمه الخاصّة ، فَصّه زُمُرُّدة رفيعة القَدْر شريفة الجَوْهَر ، مَنقوش عليها اسْمه ، أمَر أن يَقْتَصِر على الطَبْع به لِما يُنفِذه مِن كُتُبه في أكْثَر أوْقاته .

وفي آخِر ذي القَعْدة منها قَدِم وَفْد أهل جَزائر [ب]ني زَغْنان (3) ، مِن أعْمال الشيعة ، تَوجّه إليه بكُتُبهم إلى السلطان ، / يَخْطُبون وِلايته ، 313

---

(2) م. « نفس أهل ولايته » .

(3) كذا في الأصل ورسمها في « الأعمال » لابن الخطيب ص 37 وفي كتاب « العبر » لابن خلدون « بنو مزغنا » .

ويَسْألون الدُخول في طاعته ، ويَتبرَّوْون مِن دَعْوة الشِـيعيّ ، ويَرْفُضون طاعته ، ويَسْألون إنفـاذ عامل إليهم ، يَقُوم بأمْرهم ، فجُووِبوا بالقَبُول والإسعاف .

وفي عَقِب ذي الحِجّة منهـا وافى كِتـاب ابي العَيْنَيْن بن إدْريس الحُسَيْنيّ ، وإبراهيم أخيه إلى الناصر [لدين الله] يَسْألانه إخراج طبيب مِن أطِبّائه إلى حَضْرتهما ، لعِلاج عِلّة بأحَدهمـا ، أعْيا عِلاجها على مَن عِندهما ، فأسْعَفهما الناصر لدين الله بذلك ، ووَجّه إليهما سُلَيْمان بن عبد المَلِك ، المعروف بابن باج الطبيب ، بَعْد إباحته خَزائن الطِبّ ، يَحْتَمِل منها ما يَصْلُح لعِلاج العِلّة التي ذَكَرها مِن الأدْوِية والأشْرِبة والعَقاقِير ، وغَيْرها مِن حاجتها ، فنَفَذ سُلَيْمان نَحْوَهما ، وطَبّ عِلّتهما (١) ، وأقام مُدّة عِندهما .

الوُزَراء والعُمّـال

فيها أُعِيد يَحْيى بن إسحاق الطبيب إلى الوِزارة ، فانْسَلَخَت السنة والوُزَراء عشـرة رِجال : احمـد بن عبـد المَلِك بن عُمَر بن شُـهَيْد ذو الوِزارتَيْن ، عبد الحميد بن بسيل ، احمد بن عبد المَلِك بن عبد الرؤوف ، خالد بن أُمَيّة بن شُـهَيْد ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، جَهْوَر بن عُبَيْد الله بن ابي عَبْـدة ، فُطَيْس بن أَصْبَغ [بن فُطَيْس] ، عبد الرحمٰـن بن عبد الله الزَجّاليّ ، احمد بن محمّد بن إلْياس ، يَحْيى بن إسحاق .

وفيها قُدِّم عبد الله بن بَدْر بن احمد إلى خُطّة المدينة ، وصُرِف عنها الخال سعيد بن ابي القاسم ، وقُدِّم الخال إلى خُطّة الخَيْل مَكانَ نَجْدة بن حُسَيْن ، وصُرِفت الشُرْطة العُلْيا التي قَضاها عبد الله بن بَدْر إلى ذي الوِزارتَيْن احمد بن عبد المَلِك بن شُهَيْد مع خُطّة المَظالِم ، جُمِع له ذلك

---

(١) كذا في الأصل .

إلى الوِزارة ، ونُقِل محمّد بن عبد العزيز مِن كِتابة المُحاسَبة إلى كِتابة الحَوائج (2) ، مَكانَ عبد الله بن محمّد بن مُستنِير (3) .

وعُزِل عُمَر بن فَهْد (4) عن مدينة بَجّانة بمحمّد بن رُماحِس .

ويوسُف بن سُلَيْمان (5) عن كُورة باغُه وأحْوازها بعبد العزيز بن عبد الله بن بسيل .

ومحمّد بن غالب بن عبد الرؤوف عن كُورة إشبِيلِية بدِلْهاث بن محمّد .

ودِلْهاث بن محمّد عن كُورة لَبْلة بعُمَر بن فَهْد (4) .

وطَرَفة بن عبد الرحمٰن عن كُورة أسْتِجة بمحمّد بن طَرَفة .

ونَجْدة بن حُسَيْن عن كُورة تاكُرُنّا بعبد المَلِك بن سعيد المُراديّ .

وقاسم بن عبد الرحمٰن (6) عن كُورة قَبْرة بمحمّد بن إبراهيم ابن بقيه .

وعُمَر بن فَهْد عن كُورة رَيّه بمحمّد بن قاسم .

ووليد بن أبي الشَعْراء (7) عن كُورة جَيّان بأحمد بن نُوَيْرة (8) .

ومَسْلَمة (9) بن أحمد عن كُورة شَنْت بْرية بهِشام بن جَهْوَر .

314 وقاسم بن رَجِيق (10) عن مدينة طُلَيْطُلة ومدينة قَلْعة رَباح / بهشام ابن جَهْوَر أيضاً .

ومحمّد بن يَزِيد (1) عن مدينة الفَرَج بمُطرِّف بن موسى .

---

(2) قد تكون « الخرائج » .

(3) م. « مستنين » .

(4) المدعو « فهر » في ص 304 وص 314 .

(5) كان آخر من ولي على « باغُه » هو عبيد الله بن موسى وذلك سنة 323 .

(6) لا نعرف متى ولي .

(7) لا يذكر تأريخ توليته .

(8) م. « نويره » .

(9) في سنة 321 كان العامل هو سلمة بن أحمد .

(10) لا يذكر تأريخ توليه .

(1) لا نعرف متى ولي .

والْياس بن سُلَيْمان عن مدينة بَرْبَشْتُر وبَرْبطانية والقَصْر بعبد المَلِك ابن موسى بن الطويل .

ووايد بن عبد الله بن فِهْر (2) عن مدينة قَلْعة أَيُّوب بحَكَم بن مُنْذِر .

واحمد بن سعيد بن مالِك (3) عن مدينة طُرْطُوشة بعبد الرحمٰن بن محمّد بن النَظّام .

ومحمّد بن فُرْتُون (4) عن مدينة وَشْقة بعبد المَلِك بن موسى .

وفَضْل الله بن احمد (5) عن مدينة مارِدة بسَهْل بن عبد الله بن أَسَد (6) .

واحمد بن يَحْيى عن مدينة بَطَلْيَوْس ببَرَاء بن مُقاتِل .

وسعيد بن مَجْمَع (7) عن مدينة مَجْرِيط بالفَتْح بن يَحْيى .

ومحمّد بن سُلَيْمان بن جُوديّ [عن مدينة] ... (8) بعامر بن مُطرِّف .

---

(2) لا يذكر تأريخ توليه .

(3) في سنة 326 كان العامل هو أحمد بن محمد بن مبشر .

(4) لا يذكر العذري شيئا عن هذا الابن المفترض لابن فرتون المقتول في قرطبة .

(5) لا يذكر تأريخ توليه .

(6) في ص 58 يدعى « سهيل بن عبد الله بن أسيد » .

(7) لا يذكر تأريخ توليه .

(8) لا نستطيع هنا أن نقوم ما سها عنه الناسخ لأن هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها محمد بن سليمان ولا يذكر عامر بن مطرف فيما بعد .



سنة تسع وعشرين وثلاث مِائة

[خَبَر ثَغْر الجَوْف]

[فيها] اسْـتَتمّ الوزير القائد احمد بن محمّد بن إلْياس [بُنْيان] مدينة سَـكْتان ، مِن قاصيـة الجَوْف ، وشَحَنها بالرِجال ، وأَعَدّ فيهـا الأطْعِمة والأسْلِحة ، وكَتَب بإيعابه لذلك كلّه إلى الناصر لدين الله ، فأذِن له بالقُفول ، فقَفَل محمود الأثَر ، ووافى قُرْطُبة ، فدَخَلها في يَوْم الخميس لسِتّ بَقِينَ مِن صَفَر منها .

فأخْرَج الناصر لدين الله إلى سَكْتـان احمـد بن يَعْلى ، قائداً في ضُروب مِن الحَشَم ، ضَمّهم إليه ، فنَفَذ إليهـا في صَفَر مِن هذه السنة ، وذلك أثَر مُنصرَفه مِن جِلّيقيّة ، خَرْجته الثانية إلى جِلّيقيّة بَعْدَ مُقامه هُناك ثمانية وسِتّين يوماً ، مِن يَوْم خُروجه عنها إلى يوم دُخوله فيها .

وقَدِم معه وَفْد مِن وُجوه أصْحاب الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، منهم عبد الله بن عُمَر ، وأَسَد العَبّادي ، وسعيد بن عُبَيْدة العَبّاديّ ، وغيتار ، وغَيْرهم ، مع رُسُل رُذْمِير المُتردّدين بقُرْطُبـة في أمْر السِـلْم ، موسى ابن ركايش ، وأغْلَب بن مُظـاهِر ، فوَصَلـوا إلى الناصر لدين الله ، وانْصَرفوا إلى رُذْمِير إلّا موسى وأغْلَب ، فإنّهما أُمْسِكا بقُرْطُبة ، فلمّا كان

في غُرّة جُمادى الأُولى منها ، وافى فَتْح مِن قِبَل أحمد بن يَعْلى ، القائد بسَكْتان المُحْدثة ، بدُخول كان مِنها إلى جِهة مِن عَمَل الطاغية رُذْمِير ، فقَتَل وسَبى وأسَر ، وأرْسَل مع كِتابه مِائتَيْ عِلْج ، سِوى أسْرى حُبِسوا في بَعْض الحُبوس في المدينة ، وكان هذا أوّل فَتْح كان لاحمد بن يَعْلى ، تَوالَتْ فُتوحه بَعْده ، أذَلّ به الطاغية رُذْمِير ، فقارَب في إيقاع سِلْمه ، وأقْصَر عن شَطَطه .

[السِلْم مع رُذْمِير لفَكّ أسيره محمّد بن هاشم]

وقد كان الناصر لدين الله اغتاظ مِن التِوائه ، وهَمّ بقَطْع الحَبْل الذي مَدّه إليه ، / ثُمّ ذَكَّر عن محمّد بن هاشم التُجِيبيّ ، ولَبْثه لَدَيْه وطُول أسْره ، وضَنْك مَعيشته ، فحرَّكه الوَفاء له إلى مُقارَبة رُذْمِير في السِلْم ، إذ كانَتْ سُلَّماً إلى خَلاص محمّد وسَلامة نَفْسه ، فسَعى لذلك سَعْيه ، وكان ذلك سَبَباً لإخراج حَسْداي بن إسحاق الإسْرائيليّ الكاتب إلى جِلِّيقِيّة في جُمادى الآخِرة منها في ذلك ، سائراً في إتمام سِلْمه التي اتَّصَلَتْ خِطْبته لها ، وساعياً في استِنْقاذ محمّد بن هاشم مِن أسْره ، وكان في يَده مِن وَقْت وَقْعة الخَنْدَق سنةَ سبع وعشرين ، فطال أسْره وتَمادى بُؤْسه ، فأشْفَق الناصر لدين الله عليه ، وآثر الوَفاء له ، وطاب نَفْساً ببَذْل الرَغائب في فِدْيته ، فرَمى العِلْج رُذْمِير بحَسْداي هذا ، وهو واحد العَصْر ، الذي لا يُعدَّل به خادم مَلِك ، في الأَدَب وسَعة الحِيلة ولُطْف المَدْخَل وحُسْن الوُلوج ، فنَدَبه للِقاء رُذْمِير ووَقَفه على مُراده منه ، فكان السَبَب في تَمام مُراده ، إذ تَأذَّن الله تعالى به ، وسيأْتي ذلك في مَوْضِعه .

315

ولمّا ان سار حَسْداي إلى الطاغية رُذْمِير واخْتَبَره ، حَثّ على قَلْبه واستَماله ، ولَطَف به ، حتّى أحَبّه ، وسَمِع منه ، وافْتَتَن به ووالى مُجالَسته ، فطال مَكْثه لَدَيْه سبعة أشْهُر وأيّامًا ، ورُذْمِير آنِس به ومُستمتِع بحديثه ، مُستنِيم إليه ، مُصْغٍ إلى قَوْله ، لا يُظْهِر له حَسْداي الغُصَص

بطُول مُقامه ، ولا الحنين إلى وَطنه ، بل يُريه الاستِكْثار منه غنيمة له ، حتّى استَبْطَن سِرّه ، وفَهِم غَرَضه ، ورَماه فقَرْطَس ، وأدْرَك منه بعيدًا ، ويسّر عسـيرًا ، وكان له لَدَيْه وُلوج في أمْر محمّد بن هاشم المأسـور عنده ، وغَرَض بعيد في افْتِكاكه ، عاد بجميل العائدة في وَشْك خَلاصه .

فورَد كِتـاب محمّد بن هاشم في شَهْر شَعْبان منهـا مِن جِلّيقِيّة إلى الناصر لدين الله ، يَسْأله تَوْجيه أكابر مِن أسـاقفة أهل الذِمّة بالأندلس للاسْتِيثاق له مِن الطاغية رُذْمير في فِدائه ، فأمَر الناصر لدين الله بإحضار عَبّاس بن المُنْذِر ، جاثِليق ، أُسْقُف إشْبِيلية ، ويَعقُوب بن مَهْران ، أُسْقُف بَجّانة ، وعبد المَلِك بن حَسّـان ، أُسْقُف إلْبيرة ، فلمّا اجْتَمَعوا بقُرْطُبة أوْصَلهم إلى مَجْلِسه ، وأمَرهم بالخُروج إلى جِلّيقِيّة لِما الْتَمَسهم به محمّد ابن هاشم ، والاجْتِهاد في شأنه ، فنَفَذوا لذلك للنِصْف مِن شَعْبان منها ، وكان دُخولهم إلى جِلّيقِيّة مِن قِبَل احمد بن يَعْلى ، القائد بسَكْتان .

وفي شَهْر ذي القَعْدة منهـا كَمِل صُلْح الطاغية رُذْمير بن أُرْدُون ، لَعَنه الله ، وعَقَده الناصر لدين الله مع الوَفْد الذين / أشْخَصهم رُذْمير إلى الحَضْرة في هذا الوَقت ، على الشُروط التي أحَبّها الناصر لدين الله في العَقْد به على نَفْسه في مَجْلِس حَفْلته ، حَسَبَما صَنَعه الطاغية رُذْمير في ذلك بحَضْرته ، وتَولّى إبرام ذلك وإقامـة حُدوده حَسْـداي بن إسـحاق الإسْرائيليّ ، المُقِيم بحَضْرة رُذْمير ، فتَمّ على أصْلَح الوُجوه ، وارْتَفَعت به الحَرْب بَيْن أهل المِلّتَيْن ما بَيْن مدينة شَنْتَرين إلى مدينة وَشْقة ، وأدْخَل رُذْمير فيه مع نَفْسه غَرْسيّة بن شانْجُه بن غَرْسـيّة ، صـاحب بَنْبَلُونة ، وفَرْذِلَنْد بن غُنْدِشَلْب ، صـاحب قَشْتِيلية ، وبني غُومِس ، وبني أنْشُور ، وغَيْرهم مِن عُظَماء القَوامِس بجِلّيقِيّة ، وكان في سِلْم الطاغية رُذْمير مِن أسْماء القَوامِس والقُوّاد (١) الشـاهِدين عليه مِن أُمّتـه ، أيُّوب القَسّ

316

(١) م. « القياد » .

ماسر ميله ، دنيل ميله (2) ، سعيد بن عبيدة (3) ، ألْبَر ميله ، انون (4) ميله ، مرتين ميله ، سلمون ميله ، يُلْيان الأسْقُف ، أبو سعيد ، القاضي ، في كثير سِواهم ، عَمّهم الله بلَعْنته وسُخْطه .

[أخبار الثَّغْرَيْن الأعلى والأقصى]

وفي صَفَر منها أشْخَص الناصر لدين الله قاضيه ، محمّد بن عبد الله بن أبي عِيسى ، إلى الثَّغْر الأعْلى لإصلاح الاخْتِلاف الذي نَشَأ بَيْن الأُمَراء به ، فنَفَذ إلى ما هُنالِك ، وتَوسَّط ما بَيْن جَماعتهم ، فحَسَمه ، وأشْخِص إلى الحَضْرة منهم حَكَم بن مُنْذِر التُّجيبيّ ، وجَماعة بني رَزين ، والْتَمس طَلَب أمان لعبد المَلِك بن فُرْتُون ، وقد بدا (؟) منه اضْطِراب ابن (؟) عَمّه ، موسى بن محمّد ، حِين انْضَوَت أُمّه اللعينة إلى أهل مِلّتها ، كَفَرة بَنْبَلُونة وتَزوَّجها أميرهم غَرْسِيّة بن شانْجه بن غَرْسِيّة ، وأشار القاضي باستِئْلافه ، فأنفذ إليه الناصر لدين الله الأمان ، وأسْقط عنه ما استَنْزَل فيه ، فقَدِم إلى قرطبة مُجْلِياً عن طاغيته ، وأقام بها مُدّة ، ثُمّ سَجَّل له الناصر لدين الله على ما كان بيَده ، وصَرَفه إلى عَمَله ، بَعْد أن وَصَله وكَساه وحَمَله .

وفي شَهْر ربيع الآخِر منها شَكا أهل طُرْطُوشة القاصية ثِقَل مَغارِمهم ، مع مَكانهم من الدُّنُوّ إلى العَدُوّ الشديد الشَّوْكة ، ومُقاساة مَعَرّتهم ، وسَألوه النَّظَر لهم ، فأسْقَط الناصر لدين الله عنهم الزَّكَوات والصَّدَقات ، وكَتَب لهم بذلك عَهْدًا ، تأْريخه في ربيع الآخِر منها .

وفي جُمادى الآخِرة منها ، أخْرَج الناصر لدين الله الوزير محمّد بن احمد بن حُدَيْر إلى الثَّغْر الأقْصى ، قائدًا في ضُروب مِن الحَشَم ، ضَمّهم

---

(2) قراءات غير واضحة والكلمات غير منقوطة .

(3) م. « عسده » .

(4) كلمة غير منقوطة ، لعلها « انتون » .

317

إليه ، وقوّاه بالمال والعُدّة ، وأخرج معه محمّد بن أحمد الخَوْلانيّ ، خازنًا على المال والكِسْوة ، وكان سَبَب إخراجه / إيّاه ما دار في حِصْن لبابه ، من حُصون وَشْقة ، مِن الثغر الأعلى ، مِن اختِلاس العَدُوّ له ومُلْكه إيّاه ، فنَفذ محمّد بن عبد الله لسبيله ، وسَدّ الثغر وضَبط ما يَليه ، ونَظر في مَصالِحه ، وطالَب الخبيث غَرْسيَة بن شانْجه بن غَرْسيّة ، صاحب بَنبلُونة ، بالتَخلّي عن حِصْنَيْ لبابه ولبيبه ، وصَخرتَيْ فان ومان (1) ، اللواتي تضور (2) عليها من حُصون وَشْقة ، على ما ضَمِنه عنه الطاغية رُذمِير بن أُرْدُون ، فيما انْعَقد مِن سِلْمه ، فاعْتَلّ بامْتِناع القُومِس الذي سار فيها عليه ، والْتَوى جَهْدَه ،فنابَذه محمّد بن عبد الله ، وأخَذ في حَرْبه أصحابه ، فوافى كِتابه إلى الناصر لدين الله عَقِب ذي الحِجّة منها ، بخَبر فَتح أُتيح له في عَدُوّ الله ، غَرْسيّة بن شانْجه ، وأنّه قَتل له شانْجه القُومس ، وكان مِن كُفاته ، في جَماعة من أصحابه ، فقُرِئ كِتابه في المَسْجِد الجامع بقُرْطُبة ، وعَظُمَتْ به المَسَرّة ، وأضحى عَدُوّ الله غَرْسيّة ابن شانْجه حَرْبًا للمُسلِمين ، بريئًا مِن السِلْم ، طالبًا للغِرّة .

وفي شَعْبان منها قَدِم على الناصر لدين الله ، سَندريط ، رَسُول شُنْيِير ابن غيفريد (3) ، صاحب بَرْشَلُونة ، وابن عَمّه ، مُجدِّدًا لعَهْده ، مُؤكِّدًا لطاعته ومعه هَديّة حَسَنة مِن طَرائف بَلَده ، فأوْصَله الناصر لدين الله إلى نَفسه وقَبِل هَديّته ، وأكْرَم مَثْواه ، وضاعَف مُكافأته .

[تَولّي الحَكَم أمْر الجِباية والخزان ودار الضَرْب]

وفي هذا الوَقت عَصَب الناصر لدين الله بابنه الأكْبَر ، الحَكَم ، وَليّ عَهْده ، أمْر الجِباية والخِزانة والخزان (4) ودار الضَرْب وغَلّاتها ، وقلّده

---

(1) اسم هذا المكان ياتي مرسوما هكذا « التان ومان » احيانا ، و « بان ومان » احيانا اخرى وذلك في « المسالك » للعذري ص 56 و 69 .

(2) كذا في الأصل، قد تكون « تطاول » .

(3) م. « عنفرند » انظر ص 319 .

(4) كذا في الأصل .

الإشراف على ذلك كلّه ، والوُقوف على وُجوهه ومَعانِيه ، وعِلّاته ودَواعِيه ، فأحْسَن النَظَر ، وبان أمْره فيما تَقلَّد منه ، واسْتَراح إلى كِفايته .

الوُزَراء والعُمّـال

فيها عَزَل الناصر لدين الله فُطَيْس بن أصْبغ بن فُطَيْس عن الوِزارة في النِصْف من ربيع الآخِر منها ، فأقام خاملاً إلى أن هَلَك في عَقِب جُمادى (5) من سنة اثنتَيْن وثلاثين . وفي [يوم] عَزْل فُطَيْس عن الوِزارة عَزَل الناصر لدين الله جميعَ الوُزَراء عن الوِزارة بَغْتةً ، لسَبَب أنْكَره عليهم ، صَرَفهم به جميعـاً ، إلّا قَليلاً منهم ، وكان المُبْقَيْـن منهم رَجُلان ، أحمد بن عبد المَلِك بن عُمَر بن شُهَيْد ، المُثنّى الوِزارة ، وأحمد بن محمّد بن إلْياس ، مُتقلِّد عَلْياء القِيـادة ، وعُزِل سائر القوم ، واسـتُبْدِل بهم غَيْرهم ، فكان المعزولين : عبد الحميد بن بسيل ، وعبد المَلِك بن جَهْوَر ، وجَهْوَر بن عُبَيْد الله ، وأحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف ، وخالد بن أُمَيّـة / بن شُهَيْد ، وعبد الرحمٰن بن عبد الله الزَجّاليّ ، ويَحْيى بن إسحاق . وكان المُولَّيْن مكـانَهم جُمْلة : الخال سعيد بن أبي القاسم ، وعبد الوَهّاب بن محمّد بن عبد الرؤوف ، ومحمّد بن عبد الله بن حُدَيْر ، وأحمد بن محمّد ابن مُبشِّر ، وعبد الله بن مُبشِّر ، وعبد الله بن بَدْر بن أحمـد ، هؤلاء كلّهم قُدِّموا دَفعـةً يومَ عَزْل أُولٰئك دَفْعة ، وذلك يوم السَبْت للنِصْف مِن ربيع الآخِر المُؤرَّخ . 318

فلمّا كان يوم عِيد الفِطْر ، غُرّة شَوّال منها ، أعاد الناصر لدين الله أربعة رِجال مِن هؤلاء المعزولين إلى خُطّة الوِزارة ضَرْبةً ، حَسُن رأيه فيهم ، وهُمْ : عبد الحميد بن بسيل ، وعبد الله بن جَهْوَر ، وخالد بن أُمَيّة ابن شُهَيْد ، ويَحْيى بن إسحاق ، فعادوا إلى مَكانهم وقَدَّم إلى خُطّة الوِزارة

(5) كذا بدون اثبات الأولى أو الآخرة .

يَوْمَئِذٍ معهم سعيد بن جَسّاس وأَخَّر صَرْف جَهْوَر بن عُبَيْد الله العَبْديّ (1) ، وعبد الرحمٰن بن عبد الله الزجّاليّ إلى وِزارتهمـا إلى غُرّة ذي القَعْـدة منها ، فصَرَفهما إليها في التأريخ ، وولّى الناصر لدين الله الوِزارة عيسى ابن فُطَيْس بن أَصْبَغ خمسة أيّام وِلاءً مِن شَهْر ذي القَعْدة منها ، ثُمّ عَزَله آخِر يوم منها ، عنها وعن الكِتابة التي كان تَولّاها معًا يوم السَبْت لأربع خَلَوْنَ من ذي القَعْدة منها ، وولّى الكِتابة بَعْدَه الوزير عبد الرحمٰن بن عبد الله الزجّاليّ .

فانْسَلَخَت هذه السنة وعِدّة الوُزَراء اربعة عشر رَجُلًا : احمد بن عبد المَلِك بن عُمَر بن شُـهَيْد ، المُثنّى الوِزارة ، سعيد بن ابي القاسم الخال ، عبد الحميد بن بسـيل ، خالد بن أُمَيّة بن شُهَيْد ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، أحمد بن عبد الوَهّاب بن عبد الرؤوف ، جَهْـوَر بن عُبَيْـد الله ، أحمد بن محمّد بن مُبشِّر ، محمّد بن عبد الله بن حُدَيْر ، عبد الله بن بَدْر ، سعيد بن جَسّاس ، عبد الرحمٰن بن عبد الله الزجّاليّ ، أحمد بن محمّد ابن إلْياس ، يَحْيى بن إسحاق .

وفيها وَلِيَ عُبَيْد الله بن يَحْيى بن إدْريس الشُرْطة الوُسْطى ، ووَلِيَ عبد المَلِك بن سعيد الخِزانة ، ووَلِيَ محمّد بن عبد العزيز الكِتابة للوُزَراء .

وعُزِل عبد السَلام (2) بن عبد الله عن كُورة باغُه وأحْوازها بنَجْم ابن طَرفة صاحب البَيّازة .

ومحمّد بن طَرَفة عن كُورة أَسْتِجة بسُلَيْمان بن أيُّوب .

وأحمد بن نُوَيْرة عن جَيّان بطَرَفة بن عبد الرحمٰن .

ومحمّد بن أحمد بن مُبشِّر (3) عن كُورة تُدْمِير بأخيه عبد الرحمٰن ابن أحمد .

---

(1) كذا في الأصل ، على أنه يسمى « ابن ابي عبدة » عادة .

(2) في سنة 328 كان المتولي هو عبد العزيز بن عبد الله بن بسيل .

(3) لا يذكر تاريخ توليه .

وقاسم بن رَحيق (4) عن طُلَيْطُلة بعيسى وسُلَيمان ابنَيْ محمّد بن عيسى معاً ، وضُمَّت إليهما عِمــالة كُورة قَلْعة رَباح ، وعُزِل عنها هشام ابن جَهْوَر .

319 / وعُزِل عَميرة (؟) بن عقول (1) عن طَلَبيرة بمحمّد بن أحمد بن مَسْلَمة .

وسَهْل بن عبد الله بن أسَد عن مارِدة بمحمّد بن يَعْلى .

ومحمّد بن أحمد (2) عن أُكْشُونُبة بمحمّد بن سُلَيْمــان ومحمّد بن عبد الله ابنَيْ جُوديّ معاً ، [مضمومة لهما مدينة بَطَلْيَوْس] .

وأَبان بن عُثْمــان عن كُورة باجــة بعُمَر بن عبد الله بن جُوديّ [مضمومة له كُورة شَنْتَرِين] (3) .

ومحمّد بن عبد المَلِك بن عَبْدُوس عُزِل عن الجَزائر الشَرْقيّة بجَعْفر ابن عُثْمان .

---

(4) في سنة 328 كان المتولي هو هشام بن جهور .

(1) لا يذكر تاريخ توليه .

(2) نحن لا نعرف متى تولى .

(3) م. « عن كورة اكشونبة بمحمد بن سليمان ومحمد بن عبد الله ابني جودي معا ، وابان بن عثمان عن كورة باجة بعمر بن عبد الله بن جودي معا ، مضمومة لهما اكشونبة » ، ونحن نصحح هذا معتمدين على قائمة المعزولين سنة 330 .

سنة ثلاثين وثلاث مِائة

[أرصـــاد فلكيـــة]

في المُحرّم منها طَلَع الكَوْكَب الذَنَبيّ في الأُفْق الغَرْبيّ بقُرْطبة إزاء العَقْرَب ، مُنحرِفاً عنها ، فكاد يَتَّصِل بالفَلْكة (4) العُليا في رأي العَيْن ، وكان أوَّل لَيْلة لاح فيها للأبْصار ليلةِ السَبْت لثمانٍ (5) بَقِينَ مِن المُحرَّم منها ، وهي ليلة سِتّ عشرة خَلَتْ مِن أُكْتُوبر الشَمْسيّ ، وتَمادى طُلوعه ، مُستَعْلياً مُكبِّداً في السَماء حتّى تَوارى .

انْطِلاق محمّد بن هاشم التُجِيبيّ

وفي غُرّة صَفر منها وافى الخَبَر إلى الناصر لدين الله بانْطِلاق محمّد ابن هاشم التُجِيبيّ مِن إســاره ، ومَجِيئه اتيًا إلى باب السلطان ، وأنّ خُروجه مِن جِلّيقيّة كان يوم الاثنَيْن (6) لاثنتَيْ عشرة بَقِيَتْ من المُحرّم ، وخَرَج معه حَسْداي بن إسحاق الإسْرائيليّ ، الكاتب ، رَسُول السلطـان

(4) م. « بالفكة » .
(5) قد تكون « لتسع » .
(6) تاريخ غير مقبول .

إلى الطاغية رُذْمِير ، ووُجوه أساقفة أهل الذِمّة الذين عَقدوا [الصُلْح معه] ، وغَيْرهم مِمَّن اجْتَمَع بباب الطاغية رُذْمِير في هذا الوَقْت ، إلى أرض الإسلام في شَهْر المُحرّم مِن هذه السنة . ووافى الخَبَر بوُصول محمّد بن هاشم والجَمـاعة إلى قُرْطبـة يومَ الخميس (7) لستّ خَلَـوْنَ مِن صَفر المُؤرَّخ ، وكان أسْره يومَ الثُلاثاء لثلاث عشرة بَقِيَتْ مِن شَوّال سنة سبع وعشرين ، فكان مِن يوم أسْره إلى يوم دُخوله قُرْطُبة سنتانِ وثلاثة أشْهُر وتسعة (8) عشر يوماً .

فسُرّ الناصر لدين الله بخَلاصـه أعْظَم المَسَرّة ، ورَفَع مَنْزِلتـه ، وأجْزَل صِلته ، وكرَّم مَثْواه لَدَيْه ، ثُمّ ولّاه في يَوْم الاثنَيْن لليلة بقِيَتْ مِن صَفَر المُؤرَّخ ، وقَعَد في هذا اليوم على فِراش كَرامـة ، ووُضِع له ببَيْت الوِزارة ، ولم يَزَل مُقيماً لَدَيْه ، إلى أن أخْرَجه ، قائدًا إلى عَمَله بالثَغْر قاطبةً ، وكَتَب [إلى ابنه] (9) بالانْضِمام إليه متى غَزا ، والدُخول في مَصـافّه ، وتَحْتَ لِوائه وكَتَب بمِثْل ذلك إلى مُلوك الفَرَنْجة الداخلين في السِلْم والوِلاية ، شُنْيير بن غِيفرِيد (10) ، صـاحب بَرْشَلُونة ، وأجْناد بن المُنْذِر (11) ، وغندماراى (12) العبادي (13) وسَندَرِيط (14) ، وغَيْرهم مِن مُعاهِدي الفَرَنْجة بمِثْل ذلك ، فخَرَج محمّد بن هاشم إلى عَمَله بالثَغْر بهذه الحال الرفيعة في آخِر جُمادى الآخِرة منها .

---

(7) لا يقع هذا التأريخ في هذا اليوم ولو أنه أعاد ذلك مرة أخرى فيما بعد .

(8) كان قد قال من قبل « ثمانية عشر » يوما .

(9) « وكتب » على الهامش ، فأضفنا « الى ابنه » لتكملة المعنى .

(10) م. « عنفرند » ولكن انظر كتابنا هذا ص 317 ملاحظة رقم 3 .

(11) كـذا في الأصل ولعلـه تحريف من الناسـخ والصواب « والقمط (قومس حريشة) وأبو المنذر (قومس عرماج) » كما جاء فيما بعد ص 326 .

(12) كذا في الأصل ولعله تحريف والصواب « (ابن) غندشلب (صاحب قشتيلية) » راجع كتابنا هذا ص 316 وص 326 .

(13) يبدو أن هذا الاسم ناقص ولعل تكملته « أسد العبـادي وسـعيد بن عبيـدة العبادي » وهما المفوضان من قبل رذمير لعقد هدنة سنة 329 ، راجع ص 314 ، في آخرها .

(14) كذا في الأصل ولعل الصواب « سنفريد » .

[استِعادة مُصْحَف الناصر]

320 / وفي صَفَر منها صُرِف على الناصر لدين الله مُصْحَفه الذي كان ضاع بجِلّيقيّة (1) في الهزيمة الخَنْدَقيّة ، وكان مُجَزّأً على اثنَيْ عشر جُزْءًا ، أنصاف أسْداس ، وله مِن نَفْسه مَكان مكين ، اشْتَدّ له قَلَقه ونَدمه على تَغْريره بـه ، في إدخاله إلى دار الحَرْب ، خِلافاً لسَنَنه ، لم يَزَل مُستغفِرًا الله ، خالقِه ، مِن تِلْك الحَوْبة ، باذلًا في افْتِكاكه كلّ رغيبة ، وكان قد رُدَّتْ (2) عليه أكْثَر أجْزائه دَفعًا ، إلّا قليلًا ، أعْيا على المُلتمِسين لها بجِلّيقيّة وِجْدانها ، فتَضاعَف وَجْده بها ، ومَضى على رأْيه في البَحْث عنها والتَقصّي عليها والبَعْثَرة دُونَها بكلّ جِهة ، حتّى عَثَر عليها الطاغية رُذْمِير في بعض زَوايا جِلّيقيّة ، فأَرْسَلها إلى الناصر لدين الله ، فكَمِلت بها مَسَرّته ، وصار عليه في افْتِكاك مُصْحَفه هذا مال جسيم .

وذَكر أحمد بن محمّد الرازيّ أنّ الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، أهْدى هذا المُصْحَف أَجْمَعه إلى الناصر لدين الله ، فكَمِلت به مَسَرّته ، في جُمْلة هَديّته التي هاداه بها أثَرَ انعِقاد سِلْمه ، ووَرَد عليه بهَديّته تلك رَسُوله فَتْح ، المعروف بالحجرمله ، وحريز (3) ، صاحبه من أهل سَمُّورة ، في صَفَر المُؤرَّخ به هذه السنة ، ومع هَديّته تلك ثلاثون أسيرًا مِن المُسلِمين وأَلْطاف كثيرة ، وخَصّ (4) ابنه ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، ابن الناصر لدين الله ، بهَديّة أُخْرى حَسَنة ، عَظُم سرور الناصر لدين الله بها .

قال : وقَدِم مع محمّد بن هاشم ، عِند مَقْدَمه طليقاً ، فَتْح المعروف بالحجرمله ، من أهل مدينة سَمُّورة ، رَسُول الطاغية رُذْمِير بن أُرْدُون ، صاحب جِلّيقيّة ، وهو إلى يَوْمَئذٍ مُستَمْسِك بالسِلْم ، بهَديّة مِن رُذْمِير إلى

---

(1) م. « لخليفته » .
(2) كذا في الأصل .
(3) م. « حرير » .
(4) م. « حضر » .

الناصر لدين الله ، وإلى ابنه الحَكَم ، وَليّ عَهْد المُسلِمين ، فيها ثلاثون أسيرًا مِن أسْرى المُسلِمين في يَده ، وبَقيّة الأجْزاء المُتخلِّفة عن الناصر لدين الله مِن مُصْحَفه ، الذاهب بجِلّيقِيّـة ، المُتقدِّم وَصْفه ، كانت آثَر ما أهْداه إليه بما جَمَعـه الله له مِن حِفْظ أجْزاء هذا المُصْحَف ، الذي كان يَخْشى الجَرْح فيه ، إلى أن جَمَعه الله عليه ، فكافأ العِلْج رُذْمِير عن هَديّته هذه بضِعْف قِيمتها ، جَزْلًا باستِنْقاذ كِتاب الله تعـالى ، وفَعَل ذلك ابنه الحَكَم ، وصَرَف رَسُوله إليه بَعْدَ أن قَرَن به جَعْفَر بن يَحْيى بن مضم (؟) ، للِقاء العِلْج رُذْمِير بما أمَره به .

فكـان انْدِفاعهم عن مدينته سَكْتـان المُحدَثة نَحْو جِلّيقِيّة في آخِر ربيع الآخِر منها .

[أوّل صَلاة ابن أبي عِيسى]

321 / وفي يَوْم الجُمعـة لثلاث عشرة ليلـة بَقِيَتْ من ربيـــع الآخِر منهـا صلّى بالناس صَلاة الجُمعة بالمَسْـجِد الجامع بقرْطبة صـاحب الصلاة ، محمّد بن عبد الله بن أبي عِيسى ، لعِلّة صـاحب الصّـلاة بهـا العائقـة له عن الصّلاة ، فكانت صَلاة ابن أبي عيسى هذه أوّل صَـلاة صَلّاها واختَصّت به بجامع قرْطبة بعْد زِيادة جُمِعَت له إلى القَضاء لمّا تُوُفّيَ الفقيه صاحب الصّلاة ، محمّد بن أيْمَن للنِصْف مِن شَوّال منها .

القَحْط والاستِسْقاء

تَوقّف الغَيْث آخِر شَـهْر دُجَنْبَر الشَمْسيّ بقُرْطُبة وأعْمـالها ، وقَحَط الجِباب ، فبَطَل الاحْتِراث ، وجَدَب الزَمان ، ووَجَب الاستِسْقاء ، فشَرَع قاضي الجَماعة بقُرْطُبة ، صاحب الصّلاة بها ، محمّد بن عبد الله بن أبي عيسى في الاستِسْقاء في خُطَب الجُمعة ، مِن أوّل يوم الجُمعة لليلتَيْن خَلَتا

مِن ربيع الآخِر منها ، وكان يَوْم سَبْعة مِن شَهر (1) يُنَّيَر الشَّمْسيّ ، وواصَل الاستِسْقاء في خُطْبَتَي الجُمعتَيْن ، ثُمّ تمادى القَحْط وبَرز الناس أوَّل بُروز كان له في هذه السنة إلى مُصلّى الرَبَض للاستِسْقاء عن مَوْعِده يومَ الثُلاثاء لعشر بقِينَ مِن ربيع الآخِر ، وهو اليوم الثاني (2) عشر مِن يَنَّيَر ، ثم بَرَز الثانية (3) إلى مُصلّى الرَبَض يومَ الاثنيْن لأربع بَقِينَ مِن ربيع الآخِر ، [وهو] السابع عشر مِن يَنَّيَر ، ثُمّ بَرَز الثالثة إلى مُصلّى الرَبَض أيْضاً يوم الخميس مُنسلَخ ربيع الآخِر ، وهو اليَوْم العشرون مِن يَنَّيَر (4) ، ثُمّ بَرَز الرابعة إلى مُصلّى المُصارة أوّل بُروزه إليه ، وذلك يوم السَبْت لليلتَيْن خَلَتا مِن جُمادى الأولى بَعْدَه منها ، وهو الثاني والعشرون مِن يَنَّيَر ، ثُمّ بَرَز الخامسة إلى مُصلّى المُصارة ، وهو البُروز الثاني إليها ، وذلك يوم الثلاثاء لخمس خَلَوْنَ مِن جُمادى الأولى المُؤرَّخة ، وهو الخامس والعشرون مِن يَنَّيَر ، ثُمّ بَرَز السادسة إلى مُصلّى المُصارة ، وهو البُروز الثالث إليها ، وذلك يَوْم الثُلاثاء لاثنتَيْ عشرة خَلَتْ مِن جُمادى الأُولى ، وهو اليَوْم الأوّل مِن شَهْر فَبْرَيْر الشَمْسيّ .

فصَدَر الناس عن المُصلّى هذا اليَوْم ، وقد هَبَّت رِيح باردة قابَلتهم ، ونَشا نَوْء غليظ وسَحاب كثيف ، فنَزَل الثَلْج مِن ضَحْوة هذا النَهار إلى عَشيّته ، وارْتَفَع فَوْق الأرض حتّى غطّاها وعَلا عليها فسَوّاها ، ثُمّ نَزَل المَطَر مع الثَلْج مِن وَقْت الظُهْر إلى وَقْت العِشاء ، ثُمّ أقْلَع دون أن يُرْوِي الأرض ، فعاد القاضي محمّد بن عبد الله بن / أبي عيسى الى الاستِسْقاء في خُطْبة يَوْم الجُمعة مُنتصَف جُمادى الأُولى ، وهو اليَوْم الرابع مِن فَبْرَيْر الشَمْسيّ [...] والإلحاح في الدُعاء ، فسَقى الله عِباده يَوْمَ السَبْت 322

(1) م. « يوم » .
(2) قد يكون « الحادي عشر » .
(3) م. « الثالثة » .
(4) ان هذا التاريخ والتواريخ الأربعة التالية لا تتوافق مع تاريخي البروزين السابقين .

بَعْدَه سَقْياً مُتَّصِلاً ، روّى به بِلاده ، فشَرَع الناس في الزريعة ، وحَطَّت الأسْعار وسَكَن النفار ، ثُمّ نَزَل الغَيْث مِن يَوْم الثُّلاثاء بَعْدَه لإحدى عشرة ليلة بَقِيَتْ مِن جُمادى الأُولى بانْثِرار وانْهِمار قَطَع العُذْر وقَضى الأوْطار .

[مَجيء التُجّار المَلْفيّين إلى قُرْطُبة]

وفي عَقِب جُمادى الآخِرة منها كان احْتِلال تُجّار المَلْفيّين بقُرْطُبة ، أتوا الأندلس في البَحْر طَلَب التِجارة فيها ، بما عِندهم مِن الأمْتِعة ، ولم يُعْلَم لهم قَبْلَ أيّام الناصر لدين الله إليها دُخول ، ولا بمَراسِيها احْتِلال ، مِن جِهة البَرّ ولا مِن جِهة البَحْر ، فعَلِقوا بأمان السلطان وجاؤُوا بغريب ما في بَلَدهم مِن رفيع الدِيباج وفاخر البِرْفِير (1) ، وغَيْر ذلك من نفيس المَتاع ، فابْتاع أكْثَره الناصر لدين الله بأوْسَط الأثْمان ، وصار باقيه إلى أهل مَمْلَكته [و]تُجّار حَضْرته ، فأحْمَد القوم صَفقتهم واغْتَبَطوا بتَجْرِهم ، فاتَّصَل اخْتِلافهم إلى الأندلس فيما بَعْدُ ، وعَظُمت المَنْفَعة بهم .

[رَصْف الرصيف إلى الزَهْراء]

وفي النِصْف مِن رَجَب منها شُرِع في رَصْف الرصيف ، الذي أمَر الناصر بمَدّه ما بَيْن قَصْره بمُنْية الناعورة ، بعِدْوة نَهْر قُرْطُبة إلى باب قَصْره المُحْدَث بقرية قر[قر]يط (2) في سنة تسع وعشرين ، مسلوكاً به في العِدْوَة الدُنْيا ، التي عليها مدينة قُرْطُبة ، تسهيلاً لها بالطريق مِن وُعورته ، بَعْدَ أن رَكِب إليه بنَفْسه وأُخِذَتْ مِساحته بَيْن يَدَيْه ، ووُضِعَتْ

---

(1) م. « برنون » .

(2) كذا في الأصل انظر كتابنا ص 325 ، وفي « المقتبس » ج 2 ص 190 حين يتحدث عن سليمان بن وانسوس يقول « الى منيته بوقريط » وفي الملاحظة رقم 364 يقول « قوقريط » انظر كذلك « المسالك » للعذري ص 123 . ويضيف المخطوط بعد قرقريط « المحدث » وقد حذفناها لكونها تكرارا .

أعْلامه على حُدوده ، وأمَر بجَمْع الأيْدي عليه واستِعْجال عَمَله ، فتمّ في شَهْر ، وزاد في مَنافِع مُنيتـه المُحدَثة ، التي سُـمِّيَتْ بالزَهْراء وعَمَّتْ مَنْفَعته .

[أرْصـاد جَوِّيّـة]

وفي شَهر شَعْبان منها ، وذلك في غَلَس يَوْم الخميس لسبع خَلَوْنَ منهـا ، بَدَت في الأفق جَمْرة ناريّة مُستعلِية في السَـماء ، يَستطِير لها شُعـاع شديد ، يَلْتمِع في سَعَف النخيل وذُرى مَصانِع القُصور ، تَوهَّمها الناس الْتِماع الشَمْس عِند الشُـروق ، حتّى إذا انْبَلَج الصُبْح رَقَتْ تلك الجَمْرة ، فلمّا مَتَع الضُحَى غابَتْ ، وظَهَرَتْ تِلك الغَـداة ناحيـة الغَرْب قَوْسانِ مُستَطيرانِ (3) في الأفق يَحْجُبهما (4) منه إلى ناحية الغَرْب .

[وِفادة أبي عَلِيّ القالي]

323 وفي يَوْم الاثنَيْن لثلاث بَقِينَ مِن شَعْبـان وَفَد على الناصر / لدين الله الأديب أبو عَلِيّ اسماعيل بن القاسم البَغداديّ ، المعروف بالقاليّ ، العالِم المُستبحِر في عُلوم اللِسان ، الجامع لضُروب الآداب ، المُحْتَوِي على دَواوِين الثِقات ، الراوية عن جِلّة اهل العِلْم ، المُلْتَقِي للثِقات طُرًّا مِن أقْصى ارض العِراق ، قاصداً باب عظيم الخُلَفاء بأسْنى البِضاعات ، وقد كان المُخْبِر سَبَق بجَوازه البَحْر مِن قِبَل عامل بَجّانة ، فكَتَب الأمير الحَكَم ، وَليّ العَهْد ، المُنافِس في اقتِنـاء العِلْم واصْطِنـاع اهله ، إلى هارون بن موسى ، كاتبه ووزيره ، وهو يَوْمَئذٍ ببَجّـانة لبعض أُموره ، بتَلقّي إسماعيل هذا وتَبْشيره وإكرامه وإقدامه معه إلى قُرْطُبة ، والتَقدُّم إلى كلّ عامل يَمُرّ به في طريقه بالاحْتِفال في مَبَرّته ، والانْتِهاء في تَكْريمه ،

---

(3) كذا في الأصل .

(4) كلمة غير منقوطة .

ففعَل ذلك إلى أن وَصَل إلى قُرْطبة في اليَوْم المذكور ، فأكْرَم الناصر [لدين الله] مَوْرِده ، وأحْسَن تَقبُّلــه ، وأكْرَم مَثْواه ، وبوّأ لَدَيْه أسْنى مَبْوًا ، وأوْسَع عليه في الإنزال والإقطاع ، وناغاه في ذلك ابنه ، وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، بفَضْل عِنايته بالعِلْم ونزاعه إلى أهله ، فنال بها أُمْنيّته ، واطْمَأنّتْ في كَنَفها ذُراه ، وأوْعز إليه بنَشْر ما يَحْمِله مِن عِلمه في الناس ، وإشاعة إسماعهم وإفادتهم ، وتأليف ما الْتَقط مِن مَنْثور ما أعْيا عليهم ، فسارَع إلى ذلك بجِدّ وقُوّة ، وفاض على طُلّاب العلم منه ما عَظُم انْتِفــاعهم بــه جِدًّا ، وصحَّح لهم صَحائف كانت [عند]هم بُورًا ، فأَجَدّ للِسان العَرَب عِندهم نُشورًا ، وكان مِن أعْظَم مَن وَفَد إلى الأندلس مِن العُلَماء [...] (1) بَرَكة على مُتونه المَثْوى لَدَيْه ، وعلى طَلَب العِلْم مِن رَعيّتــه وغَيْــرهم ، رَحْمة الله عليهم .

الثَغــر

وفي رَجَب منهــا قلّد الناصر لدين الله يَحْيى بن محمّد بن الطويل مدينة بَرْبَشتر ، وما يَلِيها مِن الحُصون التي كانت بيَد موسى بن محمّد ، أخيه ، صاحب وَشْقة ، وأمَره بالخُروج إليها ، وقَوّاه على سَفَره ، وكان السَبَب في ذلك أنّ موسى بن محمّد كَتَب إلى السلطــان يَسْأله الاعْتِضاد بأخيه يَحْيى ، المُقيم بحَضْرته ، والتأييد بمَكانه ، فأسْعَفه الناصر لدين الله بذلك ، وأخْرَجه مُوَلًّى إليه ، وعَقَد لأخيهما ، وليد بن محمّد ، على ما في يَده مِن حُصونه في التأريخ .

وفي صَدْر رَمَضان منها وافى كِتاب فَتْح لمُحمّد بن هاشم التّجيبيّ ، صاحب سَرَقُسْطة ، تهيّأ له على عَدوّ الله غرْسيَة بن شانْجُه بن غرْسيَة ، صاحب بَنْبَلونة ، وأنّه أوْقَع به وحاصَره بصَخْرة فان ومان ، ولم يَجْسر

(1) نص مشوه كأنه سقطت بعض الكلمات هنا .

324 على الظُهور له بحِيلــة ، وكان معه يَحْيى بن محمّد بن الطويل / وأُمَراء الثَغر ورِجاله ، فقُرِئ كِتابه على الناس في الجامع بقُرْطُبة يَوْم وُروده ، نهارَ السَبْت لليلتَيْن خَلَتا منه ، جُمِعوا لسَماعه مِن الأَسْواق والأَرْباض .

خَبَر ظُهور التُرْك بالثَغْر الأَعْلى

[وفيها] وافى كِتاب الوزير القائد ، محمّد بن هاشم التُجِيبيّ ، إلى الناصر لدين الله يوم الخميس لعشرة بَقِينَ مِن شَوّال منها ، ومعه كِتاب اخيه ، أحمد بن يَحْيى بن هاشم ، وكِتاب موسى بن محمّد بن الطويل ، صاحب وَشْقة ، وكِتاب قاضي القُضاة بالثَغْر ، مُنْذِر بن سعيد ، بما كان مِن خُروج أُمّة عظيمة مِن التُرْك الذين خَلْفَ القُسْطَنْطِينيّة على المُسلِمين بالثَغْر الأَعْلى مِن الاندلس ، انْحَدَرُوا مِن بَلَد الإفْرَنْج بَغْتةً في خَلْق عظيم ، احْتَلُّوا على مدينـــة لارِدة ، قاصية الثَغْر الأَعْلى ، فشَـنُّوا الغارات على حُصون الغَرَب ، وأَسَروا يَحْيى بن محمّد بن الطويل ، صاحب بَرْبَشْتُر .

فعَظُم [ذلك] (١) على الناصر لدين الله ، واشْتَدّ غَمّه ، فَزِع الناس له وعَظُم إرجافهم ، فيسّر الله تعالى أن وافى كِتاب محمّد بن هاشم آخِر نَهار يَوْم الخميس المذكور ، يَذْكُر رُجوعهم عن بَلَد الإسلام مِن ذاتهم ، قافلين ، وأن الله تعالى صَرَفهم عن المُسلِمين ، فسَكَن حُزْن الناصر لدين الله لوَقْته ، وسُرِّيَ عنه ، وزال الإرجاف ، وحَمى الله عِبــاده ، فلمّا كان يوم الاثنَيْن لسِتّ بَقِين مِن شوّال وافى كِتاب موسى بن محمّد بن الطويل ، عامل مدينة وَشْقة ، يَذْكُر صِحّة رُجوعهم عنهم ، مُدْبِرين ، وأَنْفَذ مع كِتابه بنَبْل والات مِن أَسْلِحتهم وأَمْتِعتهم ، أُصِيبَتْ لهم ، فصَحّ خَبَر تَوْليتهم عن الاندلس ، وعَظُمت مِنّة الله بكِفايتهم .

وكان خُروج هذه الأُمّة العاتيــة إلى ثَغْر الأندلس الأَقْصى مِن بَلَد الإفْرَنْجة بَعْدَ قَهْرهم بمَن مَرُّوا به منهم ، واحْتِلالهم ببــاب مدينة لارِدة ،

(١) تصحيح على الهامش اكله الأرض .

قاصية الثغر الأعلى ، يومَ الخميس لعشر (2) بَقِينَ مِن شَوّال منهـا ، فانبَسَط أوائل خَيولهم إلى وادينة ،وإلى سَرَطانية ، وإلى مدينة وَشْقة ، وأَسَروا يَحْيى بن محمّد [بن] الطويل ، صاحب مدينة بَرْبَشْـتُر ، يومَ السَبْت ثالث اختِلالهم ، وكانوا في عَدَد عظيم وجُمْلة كبيرة ، عَزَّتْهم الأَقْوات فلَفِظَتْهم البِلاد ، وكانوا على سبعة أُمَراء ، يُسمّى أحدهم الأَعْظَم شأناً منهم طبله وبلبلهاحر ولحودي وبسـمان ولبس وعرود وحدحدي (3) ، فكان جِصار هؤلاء التُرْك لمدينة لارِدة ثمانية أيّام ، ومَنَع الله المُسلِمين / منهم ، وقاموا بحَرْبهم على كَثْرتهم ، فانْصَرَفُوا عنهم إلى عَسْـكَرهم يائسـين ، وضـاقَتْ على أعْـداء الله الأَقْوات ، وعَزَّتْهـم الأعْلاف ، فانْقَلَبـوا على وُجوههم ، وكَفى الله شأنهم .

325

وذَكَر مَن يَخْبُر أمْرهم أنّ بِلادهم بالشَرْق الأَقْصى ، وأَنّ البَجناك (1) منهم في الشَرق ، مُجاوِرين لهم ، وأَنَّ أرض رُومة منهم في القِبْلة ، وبَلَد القُسْطَنْطِينِيّة منهم مُنحرِفاً إلى الشَرْق قليلاً ، وفي الجَوْف منهم مدينـة مراوة وسائر بِلاد السَقالِبة ، وفي الغَرْب منهم الشاخَشُنش والإفْرَنْجة ، وأنَّهم قَطَعوا إلى أرض الأندلس مسـافة بعيدة بصَحْراء ... (2) المُلوك عنهم ، وأنَّ طريقهم في مَخْرَجهم هذا كان على لُنْبَرْدِيّة ، وهي تُجاوِرهم ، بَيْنهم وبَيْنهـا ثمانية أيّام ، وأنَّ مَسـاكِنهم على نَهْر طُونة ، وأنَّهم بادية كالعَرَب ، لا مَدائنَ لهم ولا مَنـازِل ، وإنّما يَسْكُنون في خِيـام من لُبُود ، حِلَلاً مُتفرِّقة .

فلمّا كان يوم الجُمعة لإحدى عشرة ليلة بَقِيَتْ مِن ذي الحِجّة منها ، قَدِم رَسُول الوزير محمّد بن هاشم ، صاحب سَرَقُسْطة ، بخمسة رِجال مِن

(2) م. « لست » ولكن انظر أول هذه الفقرة .

(3) كذا في الأصل لم يستطع الناسخ قراءة الأسـماء . كمـا تبين لمن اطلع على صورة هذه الصفحة المدرجة في مقدمة كتابنا هذا .

(1) قراءة غير واضحـة قد تكون « بشناق » . انظر « المروج » للمسعودي ج 2 ص 64 — 59 .

(2) بياض في المخطوط .

هٰؤلٰئك (3) التُرك أَسْرى ، متروكين على هَيْئتهم وزِيّهم ، فتقـدَّم بهم إلى القَصْر المُحْدَث بقرقِريط (4) ، أَسْفَل قُرْطُبة ، لأنَّ الناصر [لدين الله] كان مُقِيماً يَوْمَئذٍ فيه للنُزْهة ، فوَقَعَتْ عَيْنه عليهم ، ثُمّ أَسْلَموا ، فصيَّرهم في جُمْلة غِلْمانه .

ووافى الخَبَر مِن طَرْطُوشة القاصيـة بخَبَر افْتِكاك يَحْيى بن محمّد ابن الطويل مِن أَيْدي هٰؤلاء الأَتْراك غُرّة المُحرَّم سنة إحدى وثلاثين وثلاث مِائة بَعْدَها بفِداء بُذِل لهم فيه ، فسهَّل الله شأنه يوم الأَرْبعاء لعشر خَلَوْنَ مِن ذي القَعْدة منهـا ، وتوجَّه إلى الحَضْرة لتَجْديد العَهْد بالناصر لدين الله ، فكان دُخوله إلى قُرْطُبة يوم السَبْت (5) لسِتّ بَقِين مِن ربيع الآخِر سنة إحدى وثلاثين المذكورة ، وكان مُقامه بأَيْدي الكَفَرة في أَسْرهم ثلاثة وثلاثين يوماً ، فسُرّ به الناصر لدين الله وخَلَع عليه ووَصَله ووَقَف به مِن أَخْبار هٰؤلاء اللُعَناء على ما شَفاه وسَرّه .

ووَرَده أَثَرَ ذلك كِتاب عبد الرحمٰن [بن محمّد] بن النظّام ، عامل طَرْطُوشـة ، بالفَتْح الذي جَرى للفَرَنْجـة ومَن تَجمَّع إليهم مِن الأَلْسِـنة المُجاوِرين لهم على هٰؤلاء التُرك المُتطرِّقين لبِلادهم ، وعِظَم ما نالوه منهم وكُفُوه مِن عادِيَتهم ، وأنّه لم يُدْفَع منهم إلى بِلادهم إلّا الشريد ، فكمَّل الله الصُنْع في كَفّ عادِيتهم ، وسُقْنا باقي حديثهم في غَيْر السنة التي ظَهَروا فيها لاستِكْماله .

خبر انْتِقاض الطاغية رُذْمير ، مَلِك الجَلالِقة

326 قال : ولمّا بَلَغ عَدُوّ الله ، رُذْمِير بن أُرْذُون ، ظُهور / الأَتْراك بثَغْر لارِدة ، وذُعْر المسلمين بتِلْك الجِهة ، طَمِع بانْتِهـاز الفُرْصـة فيهم مِمّا

(3) كذا في الأصل انظر « الملحق » لدوزي .

(4) انظر كتابنا هذا ص 322 .

(5) تاريخ غير مقبول .

يليه ، فختر بالعهود المؤكّدة التي شدّد على نفسه بإعطائها ، بأيدي الأساقفة والرّهبان ، وضيّق العذر على نفسه من أئمّة اهل دينه ، فأخرج في (؟) ابن غُنْدِشْلْب ، صاحب قشتيلية ، بجيش كثيف لمجامعة صهره ، غرسيّة بن شانْجه ، صاحب بنبلونة ، على حرب المسلمين .

فلمّا اجْتمعا قصدا في جمعهما مدينة تُطيلة ، فألْفيا بها محمّد ابن هاشم الوزير ، صاحب سَرقسْطة ، في خَيْل الثغر ، فدارت بينهم حرب عظيمة وقعت فيها على المسلمين ردْعة ، استُشْهد فيها عبد الله بن عبد الرحمٰن ، عمّ محمّد بن هاشم بن عبد الرحمٰن ، في خمسة عشر رجُلاً من فُرْسان المُسلمين ، كرّمهم الله بالشهادة ، ثمّ ردّ الله الكرّة للمُسلمين عليهم ، فانْهزموا وقتِل منهم أبو المُنْذر ، قُومس غرْماج ، والقُمْط قومِس حَريشة (2) ، وابن عمّ ابن غُنْدِشْلب ، في جماعة مِن وُجوه النّصارى ، واستَمرّت عليهم الهزيمة على باب تُطيلة ، وانْقلبوا خاسرين ، وكان ذلك في ثاني احْتِلالهم على تُطيلة ، الحَظيّة على المُسلمين ، يومَ الثُلاثاء قبْلَه لخمس بقين مِن شوّال منها .

وفي يَوْم الثُلاثاء لثمانٍ خلَوْنَ مِن ذي الحِجّة منها [رَحَل] مُطرِّف بن موسى بن ذي النُّون ، وحَكَم بن مُنْذِر التُّجيبيّ ، ومَن تحت أيْدِيهما ، مِمّن انْضمّ إليهما مِن رِجال الثغر ، إلى بَلَد الناكث في (؟) [ا]بن غُنْدِشَلْب ، فغنِما وسَبيا ، وقتَلا نحْو اربع مِائة عِلْج ، واسْتاقا مِن البَقَر والغنَم نحْو خمسة عشر ألفاً ، وكانت الوقيعة منهما على المُشرِكين يومَ الأضْحى ، وهو يوم الخميس العاشر من ذي الحِجّة منها .

وفيه وافى كِتاب أحمد بن يَعْلى بن وَهْب ، القائد بالجَوْف ، بفَتْح جَرى له على مَن كان أخْرجه عَدوّ الله رُذْمير مِن رِجاله إلى جِهته ، عِنْدما

(؟) كذا في الأصل . وكذلك ترد هذه الكلمة مرة أخرى في هذه الصفحة . لعلها رسم لكلمة « hijo » وهي تعني « ابن » في الاسبانية . وهذا الرجل قد يكون هو فرذلند المذكور في كتابنا هذا ص 316 .

(2) قد تكون « جريشة » انظر كتابنا هذا ص 231 .

أخْرَج في [ا]بن غُنْدِشَلْب إلى الثَغر الأعْلى عَقِب انْتِقاضه وغَدْره ، وكانوا في ثلاث مِائة فارس ، عليهم برمند (3) بن نُونه ، قُومِس شَلَمَنْقة ، فخَرَجوا إلى ناحية مدينة سَكْتان ، المُحْدَثة البِناء ، فلمّا أحَسّ بهم ابن يَعْلى ، وجَّه إليهم محمّد بن أزْراق ، في خَيْل جديرة ، انْتقـاها له ، فتَلقّى العَدُوّ بفَجّ المَساجِد ، ودارَتْ بَيْنهم حَرْب صَعْبة يومَ الجُمعة لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ مِن ذي الحِجّة المُؤرَّخ ، هَزَم الله فيها عَدُوّه ، فقَتَل منهم مِائة عِلْج ، وأسَر منهم مِثْل ذلك ، وانصَرَف غانمـاً سالماً . فتَوالَت النَكَبات على عَدُوّ الله رُذْمير / مِن كلّ ناحية ، وذاق وَبال الغَدْر ، وسارَع إلى النَدامة . 327

[رُؤْية هِلال رَمَضـان]

وغُمّ على الناس بقُرْطُبة هِلال ذي الحجة مِن هذه السنة ، مع بَحْث السلطان عنه وكَشْفه اهل الجِهات فيه ، فلم يُهَلّ بقُرْطُبة ، ولا ما جاوَرها مِن الكُوَر ليلةَ الثُلاثاء ، ثُمَّ ثَبَتَتْ رُؤْيته بالشَهادة عِند القاضي بقُرْطُبة ، محمّد بن عبد الله بن ابي عيسى ، فعُمِل عليهـا ، وضَحّى النـاس يومَ الخميس ، ثُمّ جاء الخَبَر مِن أكْثَر الكُوَر المُتباعِدة عن قُرْطُبة ، مِن بَجّانة وإلْبيرة وطُلَيْطُلة أنّهم ضَحَّوْا يوم الجُمعة .

[وِفادة رَسُول صاحب سَرْدانية]

وفي يوم الثُلاثاء لثمانٍ خَلَوْنَ مِن ذي الحِجّة منهـا ، قَدِم إلى باب الناصر لدين الله رَسُول لصاحب جزيرة سَرْدانية ، يَخْطُب الصُلْح والأُلْفة ، وقَدِم معه تُجّار اهل مَلْفَط ، المعروفون بالأندلس بالمَلْفَطانين (1) ، بضُروب مِن تِجاراتهم النفيسة مِن سَبائك الفِضّة الخالصة ، والدِيباج ... (2) ، وغَيْر ذلك ، مِمّا أحْرِزَتْ منه الفائدة ، وحَسُنت به المَنْفَعة .

---

(3) م. « فرننذ » ، وهو تحريف لاسم Bermudo .

(1) لعل ذلك اصل كلمة « الملف » المغربية وهو القماش .

(2) م. « الور..ى والدزبون الـ...ـيني » .

[خُروج الجَيْش لقَبْض الجِباية]

وفي عَقِب هذه السنة أخْرَج الناصر لدين الله الوزير عبد الحميد بن بسيل ، بقطايع مِن الحَشَم الى لبشكه (3) ، عِندما امْتَنعوا عن أَداء الجِباية وخَرَجوا إلى المَ[غصد]ية . بَعْدَ أن قدَّم الناصر [لدين الله] إليهم عبد الحميد بن محمّد بن أُميّة ، مُعْذِراً إليهم ، فأبَوْا [إلّا إباء] ، فلمّا بلَغهم خُروج الجَيْش إليهم ، أَقْلَعوا عمّا هَمُّوا به ، ولاذوا بالطاعة ، وسَألوا الأمان ، واستَعَفُوا من عاملهم ، يوسُف بن سُلَيمان الذي أَشْكاهم ، فقَبِل الناصر لدين الله فَيْئتهم ، ورَدّ عبد الحميد والجَيْش عنهم ، وعَزَل يوسُف ابن سُلَيْمان (4) عن عِمالتهم بسعيد بن وارث ، فسَكَنَتْ حالهم ، وزال الْتِياثهم .

الوُزَراء والعُمّال

في عَ[قِب] ربيع الأوّل منها ، عَزَل الناصر لدين الله سعيد بن جَسّاس عن خُطّتَي الوِزارة والسِكّة معاً ، وسَخط عليه وحَبَسه مُهاناً ، لِما اطَّلَع عليه مِن غشّه في السِكّة وعَمَلها ، وبدا له مِن فَساد نَقْد المال ، الذي ضُرِب في مُدّته وحَوالته ، واشْتَمل السُخْط منه على ذي الوِزارتَيْن ، أحمد بن عبد المَلِك بن شُهَيْد معه ، إذ استَقْصَره الناصر لدين الله فيما طَوى منه مِن حَوالة السِكّة وفَرَط فيه مِن الإنكار على سعيد ، إذ كان شَرَط عليه في جُمْلة ما قلّده الإشراف عليه في أُمور مَمْلَكته ، بجَمْعه له الشُرْطة العُلْيا إلى الوِزارة ، إلى خُطَط المَظالِم اللواتي جُمِعْن له ، فعَزَله عنهن جُمَعَ ، وأَقْصاه وقلّد خُطّة السِكّة عِند عَزْل ابن جَسّاس / عنها قاسم بن خالد ، وحَدّ له العِيار الجَيِّد فيها ، الذي يُنْسَب بَعْدُ إليه على مَرّ

328

---

(3) قراءة مرتاب فيها .

(4) في سنة 328 كان يوسف بن سليمان قد عزل عن كورة « باغه » ولعل هذه هي المنطقة التي وليها .

الأيّام . فاكْتَفى قاسم بما عُصِّب به مِن أَمْر السِكّة ، وحَسُن فيها أثَره . وحاز الرِضى مِن سُلْطانه والثَناء مِن رَعيّته .

وولّى الناصر لدين الله خُطّة الشُرْطة العُلْيا ، التي أزاحها عن ابن شُهَيْد ، مَوْلاه نَجْدة بن حُسَيْن . وقلّد خُطّة المَظالِم ، التي كانت إلى ابن شُهَيْد أيضاً ، محمّد بن قاسم بن طُمْلُس . وأعاد الناصر لدين الله عيسى ابن فُطَيْس إلى الوِزارة يومَ السَبْت لليلتَيْن خَلَتا مِن جُمادى الأُولى منها . أرْسَل إليه إلى المُصلّى ، وقد بَرَز مع الناس لشُهود الاستِسْقاء في هذا اليَوْم ، فأعاده إلى الوِزارة ، أحْضره صاحب الرَسائل أثَر انقِضاء الصَلاة ، فأجْلَسه في بَيْت الوِزارة . وقلّد الناصر لدين الله الإشراف على المَمْلَكة مَكانَ أحمد بن شُهَيْد المصروف عن خُطّة الإشراف عليها ابنه وَليّ عَهْده ، الحَكَم ، فأعان قاسماً على ما انْتَهى إليه مِن جميل النَظَر في النَقْد ، وتَمّتْ به المَنْفَعة ، وفَزِع سلطانه منه إلى أمين ذي قُوّة .

احْتِفال عَدَد الوُزَراء في وَقْت مِن هذه السنة

وفيها اجْتَمَع في بَيْت الوِزارة في مُدّة مِن اربعة وستّين يوماً ستة عشر وزيراً ، تَكامَل جَمْعهم في هذه المُدّة ، ولم يُعْهَد مِثْل ذلك لبني أُمَيّة ، فكانوا : أحمد بن عبد المَلِك بن شُهَيْد المُثَنّى الوِزارة ، سعيد بن أبي القاسم الخال ، عبد الحميد بن بسيل ، خالد بن أُمَيّة بن شُهَيْد ، عبد المَلِك بن جَهْوَر ، عبد الوَهّاب بن محمّد بن عبد الرؤوف ، جَهْوَر بن عُبَيْد (I) الله بن أبي عَبْدة ، عِيسى بن فُطَيْس بن أصْبَغ ، أحمد بن محمّد ابن مُبشِّر ، محمّد بن عبد الله بن حُدَيْر ، عبد الله بن بَدْر بن أحمد ، سعيد ابن الجَسّاس ، محمّد بن هاشم التُجِيبيّ ، عبد الرحمن بن عبد الله الزجّاليّ ، أحمد بن محمّد بن إلْياس ، يَحْيى بن إسحاق . فعُزِل من عَرْضهم زعيمهم عبد المَلِك بن شُهَيْد المُثَنّى الوِزارة ، وسعيد بن

(I) م . « عبد » .

الجَسّاس ، المَأوم السخيط ، في ربيع الآخِر منها ، على ما تَقدّم منها ، وثَبت مَن سِواهما . واستمرّ حَبْس سعيد بن الجسّـاس ، إلى أن أطْلَقه الناصر لدين الله مِن السِجْن يومَ عِيد الفِطْر ، غُرّة شوّال مِن سنة اثنتَيْن وثلاثين بَعْدَها ، فانسَلَخت هذه السـنة وعِدّتهم بَعْدَ هذَيْن أربعة عشر وزيرًا ، أحْفَل ما اعْتَدُوا في تِلْك الدَوْلة والدُول قبْلَها .

وفيها وَلِيَ عبد الرحمٰن بن يَحْيى الخالديّ الخِزانة ، وعُزِل طَرفة ابن عبد الرحمٰن ، صاحب/المَطابخ (1) عن خُطّة الدَواريث ، ووَلِيها مَكانَه 329 طَرَفة بن لَقِيط . ووَلي محمد بن يمليح خطة خزانة السلاح ، مكان خلف ابن أيوب . ووَلِيَ الفقيه مُنْذِر بن سعيد البَلُّوطِيّ القَضاء بجميع الثُغور ، وصُيِّر قاضي القُضاة في جميعها ، وجُعِل إليه الإشراف على جميع القُضاة والعُمّال بهـا ، والنَظَر في المُختلِفين مِن بلاد الإفْرَنْج إليهـا ، وذلك في جُمادى الآخِرة [مِن السنة] .

[العُمّـال]

وفيها صَرَف الناصر لدين الله كُورتَي إلْبيرة وبَجّانة وذَواتهما إلى نَظَر الأمير وَليّ العَهْد ، الحَكَم ، ابنه ، وصار العُمّال فيهما مِن قِبَله .

فعَزَل عبد السَلام بن عبد الله (2) عن إلبيرة بعُبَيْد الله بن محمّد بن حَفْص ، وجَمَع إليها الانشاء ونَحْوها مما [كان] (3) في يد عبد السَلام .

وصَرَف محمّد بن قاسم [عن كُورة رَيّه] (4) بمحمّد بن عبد الله ابن عَمْرُون .

---

(1) يبدو انه سقط هنا اسمان .

(2) لا يذكر تاريخ توليه .

(3) م. « اليهما الأنشاء ونحوها » .

(4) م. « محمد بن قاسم بن ابي عن بنباونة وعباة وحربلشاسل » وهو تحريف واضح اذ لا مسمى بهذا الاسم في كتابنا ولا في « المسالك » فصححناه معتمدين على ما يأتي من التولية والعزل في سنة 328 ص 313 .

وصَرَف قاسم بن عبد الرحمٰن (5) عن بُرّجة ودِلاية وأحوازهما بحَمْزة بن عليّ بن أصْبَغ بن حَسّان .

وصَرَف قاسم أيْضاً عن حِصْن شُبِيلش والأجْزاء المصروفة إليه بالفتح بن لُبّ .

وصَرَف وارث بن عُثْمان بن نُوح (6) عن شاط وشَلُوبِنْية وذَواتها بسعيد بن عبد الوليد (؟) .

وفيها عَزَل الناصر لدين الله مِن عُمّاله دِلْهاث بن محمّد عن كُورة إشْبيلية بسعيد بن عبد الرؤوف .

وعُمَر بن أحمد (7) عن كُورة لَبْلة بعيسى بن محمّد بن أبي عَبْ[دة .

و]عُبَيْد الله بن مُحمّد بن حَفْص (8) عن كُورة فِرِّيش وفَحْص البَلُّوط بمحمّد بن قاسم بن لُبّ .

وع[بد المَلِ]ك بن سعيد المُراديّ عن كُورة تاكُرُنّا بابن عَمّه ، عبد الله بن أحمد .

وعَزَل المُراديّ (9) أيضاً عن كُورة أُشُونة بحُسَيْن بن عيسى بن أحمد بن أبي عَبْدة .

وسعيد بن عبد الوارث بن مشرف (10) عن مدينة قَرْمُونة بنَجْم بن عبد الرحمٰن .

وطَرَفة بن عبد الرحمٰن عن كُورة جَيّان بعُبَيْدة بن محمّد (11) .

وعيسى وسُلَيْمان ابنَيْ محمّد بن عيسى (12) عن مدينتَيْ طُلَيْطُلة وقَلْعة رَباح بإلياس بن سُلَيْمان .

---

(5) لا يذكر تاريخ توليه ، ولكن على الهامش بعض الكلام الممحى .

(6) نحن لا نعرف متى ولي .

(7) قد تكون القراءة هي « عمر بن فهد » لأن عمر بن فهد هو من ولي سنة 328 .

(8) لا يذكر تاريخ توليه .

(9) نحن لا نعرف متى ولي ، ولكن ربما كان في سنة 328 ، حين ولي على « تاكرنا » .

(10) لا يذكر تاريخ توليه .

(11) لقد كرر الناسخ كل السطر الذي تذكر فيه قرمونة .

(12) م. « عيسى بن سليمان بن محمد » نصححه معتمدين على تاريخ توليه عام 329 .

وعبد المَلِك بن موسى بن الطويل عن مدينة بَرْبَشْتُر وبَرْبِطانية (13) والقَصْر وسروان وأَحْوازها بوليد بن الطويل (14) .

ويَحْيى بن أدانس وعبد الله بن عُمَر بن أدانس معـاً عن القَصْر المنسوب إلى أبيهما والجَبَل ، وما يَنْضاف إلى ذلك ، فمَضى ابن أدانِس ومحمّد بن سُلَيمـان ومحمّد بن عبد الله [بن جُوديّ] معـاً عن كُورة أُكْشنوبة (15) وما يَنْضاف إليها بعَبّاس بن عبد الله وأحمد بن [محمّد] معاً وضُمَّتْ لهما كُورة باجة مكانَ محمد بن عبد الله [بن جُوديّ] (16) المعزول عنها .

330 وعُمَر بن عبد الله (17) / عن كُورة شَنْتَرِين بمُطرِّف بن بَرّاح .

ومحمّد بن سُلَيمـان ومحمّد بن عبد الله [ابنَي جُوديّ] معـاً عن مدينة بَطَلْيَوْس بأحمد بن محمّد وعبّاس بن عبد الله معاً ، وأُضِيف إليهما ركب وأُرُوش وأَحْوازهما ، حَسَبَ ما كانت في أيْدِي المعزولين .

وفيها سأل مُحمّد بن هاشم التُجيبيّ مِن الناصر لدين الله التَنْويه بابنه ، يَحْيى ، خليفته على عَمَله ، والتَسْـجيل له على مدينة سَرَقُسْطة وأعْمالها ، فأجابه إلى ذلك وعَقَد ليَحْيى التَسْجيل على عَهْد[ه] بسَرَقُسْطة وأعْمالها ، على أنّ أباه محمّد بن هاشم القائد عليها ، وذلك في صَفَر مِن هذه السنة .

كَمِل السِفْر الخامس ، والحَمْد لله على
حُسْن [عَوْنه] ، والصَلاة على محمّد رسوله الكريم ، وعلى آله .
تَتْلوه (1) في السادس سَنة إحدى وثلاثين
وثلاث مِائة (2) .

---

(13) م. « برطانيه ».

(14) كان قد قال في ص 323 و 324 انه في رجب من عام 330 ولي يحيى بن محمد بن الطويل الذي أسره المَجَر في شهر شوال من نفس السنة ، على « بربشتر ».

(15) م. « اشكونيه » .

(16) م. « عمر بن عبد الله » نصححه معتمدين على قائمة العمال السنة 329 .

(17) لا يذكر تاريخ توليه .

(1) م. « يتلوه » .

(2) هذان السطران بخط ناسخ آخر .

الفهــــارس

فهرست الكتاب

صفحة

الأحداث على نسق التاريخ في سني دولة الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد الفسيحة المقارنة للسعادة

اخبـار سنة ثلاث مائة

صفحة

سنة احدى وثلاث مائة

سنة اثنتين وثلاث مائة

سنة ثلاث وثلاث مائة

سنة أربع وثلاث مائة

سنة خمس وثلاث مائة

صفحة

سنة ست وثلاث مائة

سنة سبع وثلاث مائة

سنة ثمان وثلاث مائة

سنة تسع وثلاث مائة

سنة عشر وثلاث مائة

سنة احدى عشر وثلاث مائة

سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة

سنة [ثلاث] عشرة وثلاث مائة

سنة أربع عشرة وثلاث مائة

سنة خمس عشرة وثلاث مائة

سنة ست عشرة وثلاث مائة

صفحة

سنة سبع عشرة وثلاث مائة

سنة ثماني عشرة وثلاث مائة

صفحة

سنة تسع عشرة وثلاث مائة

سنة عشرين وثلاث مائة

سنة احدى وعشرين وثلاث مائة

سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة

سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة

سنة أربع وعشرين وثلاث مائة

سنة خمس وعشرين وثلاث مائة

سنة ست وعشرين وثلاث مائة

سنة سبع وعشرين وثلاث مائة

سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة

سنة تسع وعشرين وثلاث مائة

سنة ثلاثين وثلاث مائة

صفحة

فهرست أسماء الأعلام والأمم والقبائل



أ

ب

ت

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرست أسماء البلدان والأماكن والأنهار

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

ن

ه

و

ي

اضافـــات

الصفحة	السطر	
٥٠	١	م. « القوا » صححناها فطبعنا « الفوا » .
٥٨	١٦	في « تاريخ الناصر » رقم ٤ ، وفي « البيـان » ج ٢ ص ١٥٩ و ١٦٧ « عبد الله بن محمد بن عبد الخالق الغساني » .
٦٤	٢٠	م. « وحرون » صححناها فطبعنا « وحزون » .
٧٧	٧	م. « وتبرروا » صححناها فطبعنا « وتنبذوا » .
٩١	٨	م. « عنّ » صححناها فطبعنا « اذعن » .
١١٧	٢	م. « ونيال » صححناها فطبعنا « ونيل » .
١٥٤	٢	م. « ينوا » صححناها فطبعنا « يبؤ » .
١٦٢	٨	م. « الطوابة » صححناها فطبعنا « الطوية » .
١٦٦	١٠	م. « مضطربهم » صححناها فطبعنا « مضطربها » .
١٧٢	٢١	م. « حصن » صححناها فطبعنا « حصر » .
١٩٧	٦	م. « عبْى » صححناها فطبعنا « عبء » .
٢٠٦	٢١	م. « نكب » صححناها فطبعنا « انكبّ » .
٢٣٠	٨	م. « خوارا » صححناها فطبعنا « خورا » .
٢٤٦	١٩	م. « تواووا » صححناها فطبعنا « تواءوا » .
٢٥٧	١	قد أخرنا كلمة « مضطهدا » الواقعة في المخطوط قبل « عبيد الله » .
٢٥٧	١٤	م. « صقلاب » لعلها « صولات » أو « صولاب » .
٢٦٧	١٢	م. « قراباتها » صححناها فطبعنا « قرابيسها » .
٢٩٠	٦	م. « قرطهم » صححناها فطبعنا « فرطهم » .
٢٩١	١٨	م. « بقطن » صححناها فطبعنا « بقطب » .
٣٠٦	٢٢	م. « مرسوها » صححناها فطبعنا « مارسوها » .
٣٢٥	٤	م. « وأشْبوا » صححناها فطبعنا « واستلبوا » .
٣٢٨	١٦	م. « أنبة » صححناها فطبعنا « أنية » .

الصفحة	السطر	
٢٤٢	٩	م. « أنته » صححناها فطبعنا « أنية » .
٢٦٠	٤	م. « جزيرة » صححناها فطبعنا « حريزة » .
٢٦٢	١٢	م. « أنة » و « بيّانة » أقرب الى الصواب .
٢٧٧	١٠	« الدويري » غيرنا شكلها فطبعنا « النويري » .
٣٨٢	١	لعلها « ارتقيرة » كما ورد في « البيان » ج ٢ ص ٢١٥ .
٣٩٥	٢	م. « انذعروا » صححناها فطبعنا « ابذعروا » اعتمادا على ما ذكر دوزي في معجمه تحت هذا اللفظ .
٤٢٢	١٧	م. « بهم » صححناها فطبعنا « به » .
٤٤٤	١٨	طبعنا « بن تيطة » وقد تكون « برتيطة » .
٤٨٨	١٧	طبعنا « الانشاء » وقد تكون « الانتشاط » أو « الانتشا » Lenteji / .

